

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

لِإِلَامَ الْجَلِيلِ الْحَافِظِ عَمَادِ الدِّينِ أَبِي الْفِدَاءِ
إِسْمَاعِيلِ بْنِ كَثِيرِ الدَّمَشِيقِيِّ
الْمُتَرَفِّيَّ سَنَةُ ٧٧٤ هـ

لهذه الطبعة أول طبعة مصاوبة على النسخة الأزهرية
وكتابها على نسخة فاملة بالكتب المصرية

تحقيق **مُصطفى السيد سار**
محمد فضيل العجماري
علي محمد عبد الباقى
هسن عباس قطب

المجلد السادس عشر

فِكْرَتُهُ أَوْكَدُ الشَّيْخُ لِلشَّائِعِ

٣٦ ش. اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت: ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦٢٤٤٢

مُؤْكِدُهُ قَرْطَبَةُ

طباعة - نشر - توزيع
جيزة - ت: ٥٩١٥٠٩٧

رقم الإيداع : ٢٠٠٠ / ٩٣٤٩

الترقيم الدولي :
I.S.B.N :
6 - 33 - 5234 - 977

الطبعة الأولى

م١٤٢١ - ٢٠٠٠

كافحة حقوق الطبع محفوظة
للمؤسسة القرطبة
للطبع والنشر والتوزيع

الفائز والخالد في الطباعة والنشر
هـ ١٤٢٦ - ٤٢٧٥٨٨ - ٥٥٦٨٨ - القاهرة

تَفْسِيرُ
الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ



تفسير سورة الروم

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَزِيزُ غَلَبَ الرُّومَ ﴿١﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ
 ﴿٢﴾ فِي بَعْضِ سِينِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَخُ
 الْعَوْمَانُونَ ﴿٣﴾ يَنَصِّرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ
 وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلُفُ اللَّهُ وَعْدُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ يَعْلَمُونَ
 ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُرَقُلُونَ ﴿٥﴾

نزلت^[١] هذه الآيات حين غلب سابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الحجزة وأقصى بلاد الروم ، واضطرب هرقل ملك الروم حتى ألجأ إلى القسطنطينية ، وحاصره فيها مدة طويلة ثم عادت الدولة لهرقل كما سيأتي .

قال الإمام أحمد^(١) : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن سفيان ، عن حبيب ابن أبي عمارة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى : « ألم * غلبت الروم في أدنى الأرض » ، قال : غلبت وغلبت . قال : كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم ، لأنهم أصحاب أوثان ، وكان^[٢] المسلمين يحبون أن تظهر الروم على فارس ، لأنهم أهل كتاب ، فذكر ذلك لأبي بكر ، فذكره أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما إنهم سيفلبون ». فذكره أبو بكر لهم ، فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلاً ، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا ، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا . فجعل أجلاً^[٣] خمس سنين ، فلم يظهروا ، فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم - فقال : « ألا جعلتها إلى دون - أراه قال - : العشر ». قال سعيد بن جبير : البعض مادون العشر . ثم ظهرت الروم بعد ، قال : فذلك قوله : « ألم * غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ »

(١) المسند (١/٢٧٦) ، وسنن الترمذى حديث (٣١٩٣) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (١١٣٨٩) .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في خ ، ز : « رجل » .

يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﷺ .

هكذا رواه الترمذى والنسائى جمیعاً عن الحسين بن حریث ، عن معاویة بن عمرو ، عن أبي إسحاق الفزاری ، عن سفیان بن سعید الثوری به .

وقال الترمذى : حسن غریب ، إنما نعرفه من حدیث سفیان عن حیب ،

ورواه ابن أبي حاتم ، عن محمد بن إسحاق الصباغانی^[١] ، عن معاویة بن عمرو ، به .

ورواه ابن جریر^(٢) : حدثنا محمد بن المثنی ، حدثنا [محمد بن أسد] أو^[٣] سعید - الشعّلیي الذي يقال له أبو سعید^[٤] من أهل طرسوس - حدثنا أبو إسحاق الفزاری ، فذکره . وعنهم : قال سفیان : فبلغني أنهم غلبوا يوم بدر .

(حدیث آخر) : قال سليمان بن مهران الأعمش : عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله : خمس قد مضین : الدخان واللزام والبطشه والممر والروم . أخرجه^(٥) .

وقال ابن جریر^(٦) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا الحاربی ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر - هو الشعّلیي - عن عبد الله - هو ابن مسعود رضی الله عنه - قال : كانت فارس ظاهرة على الروم وكان المشركون يبحبون أن تظهر فارس على الروم . وكان المسلمين يحبون أن تظهر الروم على فارس ؛ لأنهم أهل كتاب ، وهم أقرب إلى دينهم ، فلما نزلت : ﴿الْمُّغْلِبُ الْمُرْوُمُ﴾ . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلبون في بعض سنین^(٧) ، قالوا : يا أبا بكر ، إن صاحبك يقول : إن الروم تظهر على فارس في بعض سنین ؟ ! قال : صدق . قالوا : هل لك إلى أن نقامرك : فبایعوه على أربع^[٨] فلائص إلى سبع سنین ، فمضت السبع ولم يكن شيء ، ففرح المشركون بذلك وشق على المسلمين ، فذکر ذلك للنبي صلی الله عليه وسلم ، فقال : « ما بضم السنین^[٩] عندكم ؟ » قالوا : دون العشر . قال : « اذهب فزايدهم وازدده سنین في الأجل ». قال : فما^[١٠] مضت السنستان حتى جاءت الرکبان بظهور الروم على فارس ، ففرح المؤمنون بذلك وأنزل الله : ﴿الْمُّغْلِبُ الْمُرْوُمُ﴾ ، إلى قوله : ﴿لَا يخلف الله وعده﴾ .

(٢) تفسیر الطبری (١٢/٢١) .

(٣) صحیح البخاری حدیث (٤٧٦٧) ، وصحیح مسلم حدیث (٢٧٩٨) .

(٤) تفسیر الطبری (١٤/٢١) .

[١] - في ز : « الصناعي » .

[٣] - في ز ، خ : « أسد » .

[٥] - في ز ، خ : « أربعة » .

[٤] - المثبت من تهذیب الكمال (٤٢٩/٢٤) .

[٧] - في ز ، خ : « ما » .

[٦] - في ت : « سنین » .

(حديث آخر) : قال ابن أبي حاتم^(٥) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عمر الوكيعي^(٦) ، حدثنا مؤمل ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : لما نزلت : ﴿ الْمُغْلَبُ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غُلْبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ ، قال المشركون لأبي بكر : ألا ترى إلى ما يقول صاحبك ؟ يزعم أن الروم تغلب فارس ! قال : صدق صاحببي . قالوا : هل لك أن تخاطرك ؟ فجعل بينه وبينهم أجلاً ، فحل الأجل قبل أن تغلب الروم فارس ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ذلك وكرهه ، وقال لأبي بكر : « ما دعاك إلى هذا ؟ ». قال : تصديقاً لله ولرسوله . فقال : « تعرّض لهم وأعظم الخطر ، واجعله إلى بعض سنين ». فأثأهم أبو بكر فقال لهم : هل لكم في العود ، فإن العود أحمد ؟ قالوا : نعم . فلم تمض تلك السنين حتى غلت الروم فارس ، وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية ، فجاء به أبو بكر إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : هذا السحت ، قال : « تصدق به » .

(حديث آخر) : قال أبو عيسى الترمذى^(٧) : حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا إسماعيل ابن أبي أويس ، أخبرني ابن أبي الزناد ، عن عمرو بن الزبير ، عن نيار بن مكرم الأسلمي قال : لما نزلت : ﴿ الْمُغْلَبُ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غُلْبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَعْضِ سَنِينَ ﴾ ، وكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين^[١] للروم ، وكان المسلمون يحبون ظهور^[٢] الروم عليهم ، لأنهم ولدتهم أهل كتاب ، وفي ذلك قول الله : ﴿ وَيَوْمَئذٍ يُفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ الَّذِي يَنْصُرُ مِنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ وكانت قريش تحب ظهور فارس ؛ لأنهم ولدتهم ليسوا أهل^[٣] كتاب ولا إيمان يبعث ، فلما أنزل الله هذه الآية ؛ خرج أبو بكر يصبح في نواحي مكة : ﴿ الْمُغْلَبُ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غُلْبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَعْضِ سَنِينَ ﴾ ، قال ناس من قريش لأبي بكر : فذاك بينما ولينك ، زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بعض سنين أفلأ نراهنك على ذلك ؟ قال : بلـي - وذلك قبل تحريم الرهان - [فarterهن أبو بكر والمشركون ، وتراضيـوا الـرهـان^[٤]] ، وقالوا لأبي بكر : كم تجعل البعض ؟ ثـلـاث سنـين إلى تـسـع^[٥] سنـين فـسـمـم^[٦] بينما ولينك وـسـطـاـ نـتـهـيـ إـلـيـهـ . قال : فـسـمـواـ بـيـنـهـ ستـسـنـينـ . قال :

(٥) ورواه أبو يعلى في المسند الكبير ، كما في المطالب (٥/٩) من طريق إبراهيم بن محمد بن عرارة ، عن المؤمل بنحوه ، وقال البوصيري في الإتحاف : « له شاهد من حديث نيار بن مكرم رواه الترمذى ». وهو الآتي بعده .

(٦) سن الترمذى حديث (٣١٩٤) .

[١] - في ز ، خ : « الركيعي » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في خ ، ز : « سبع » .

[٥] - في ز ، خ : « قاهرون » .

[٦] - في ت : « بأهل » .

[٧] - في ز ، خ : « قم » .

فمضت [الستين] قبل أن يظهروا ، فأخذ المشركون رهن أبي بكر ، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس ، فعاب المسلمين على أبي بكر تسمية [٢٣] ست سنين . قال : لأن الله قال : **﴿فِي بَضْعِ سِنِين﴾** . قال : فأسلم عند ذلك ناس كثير .

هكذا ساقه الترمذى ثم قال : هذا حديث حسن صحيح ، لا نعرف إلا من حدث عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وقد روى نحو هذا مرسلاً عن جماعة من التابعين ، مثل : عكرمة ، والشعبي ، ومجاحد ، وقتادة ، والسدى ، والزهري ، وغيرهم .

ومن أغرب هذه السياقات ما رواه الإمام سعيد بن داود في تفسيره حيث قال ^(٧) : حدثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن عكرمة قال : كانت في فارس امرأة لا تلد إلا الملوك الأبطال ، فدعها كسرى فقال : إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشاً وأستعمل عليهم رجالاً من بنيك فأشيري عليّ ، أيهم أستعمل ؟ قالت : هذا فلان ، وهو أروغ من ثعلب ، وأحذر من صقر . وهذا فرخان ، وهو أندن من سنان . وهذا شهرizar وهو أحلم من كذا - تعني أولادها الثلاثة - فاستعمل أيهم شئت . قال : فإني قد استعملت الخليم . فاستعمل شهرizar فسار إلى الروم بأهل فارس ، فظهر عليهم فقتلهم ، وخرب مدائنهم ، وقطع زيتونهم .

قال أبو بكر بن عبد الله : فحدثت هذا ^(٢٤) الحديث عطاء الخراساني فقال : أما رأيت بلاد الشام ؟ قلت . لا ، قال : أما إنك لو رأيتها لرأيتها المدائن التي خربت والزيتون الذي قطع . فأتيت الشام بعد ذلك فرأيته .

قال عطاء الخراساني : حدثني يحيى بن يعمر أن قيسراً بعث رجلاً يدعى بطنة ^(٤) بجيشه من الروم ، وبعث كسرى شهرizar فاتقى بأذرعات وبصرى ، وهي أدنى الشام إليكم ، فلقيت فارس الروم ، فغلبتهم فارس . ففرحت بذلك كفار قريش وكرهه المسلمين .

قال عكرمة : ولقي المشركون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنكم أهل كتاب ، والنصارى أهل كتاب ، [ونحن أميون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب ^(٥) ، وإنكم إن قاتلتمنا لنظهرنّ عليكم . فأنزل الله : **﴿إِنَّمَا غَلَبَ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غُلْبِهِمْ سَيْغَلْبُونَ﴾** . في بعض سنين الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون * ينصر الله ينصر من يشاء ^(٦)] فخرج أبو بكر الصديق إلى

(٧) رواه الطبرى في تفسيره (٢١/١٣) من طريق سعيد به .

[١] - في ت : « ست السنين » .

[٢] - في ز ، خ : « قسمته » .

[٤] - في ت : « قطمة » .

[٣] - في ت : « بهذا » .

[٥] - سقط من ز ، خ .

الكافار فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا ، فلا تفرحوا . ولا يُقْرَنَ اللَّهُ أعينكم ؛ فوالله ليظهرنَ اللَّهُ[١] الروم على فارس ، أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم . فقام إليه أبي بن خلف فقال : كذبت يا أبو فضيل . فقال له أبو بكر : أنت أكذب يا عدو الله . قال[٢] : [أنا جيلك][٣][٤] عشر قلائص مني وعشر قلائص منك ، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت وإن ظهرت فارس غرمت إلى ثلاثة سنين . ثم جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : ما هكذا ذكرت ، إنما البعض ما بين الثلاث إلى التسع . فزايده في الخطأ[٥][٦] وماه في الأجل . فخرج أبو بكر فلقي أباها فقال : لعلك ندمت ؟ فقال : لا ، تعالى أزيدك في الخطأ وأمادك في الأجل ، فاجعلها مائة قلوص مائة قلوص إلى تسع سنين . قال : قد فعلت . فظهرت الروم على فارس قبل ذلك ، فغلبهم المسلمون .

قال عكرمة : لما ظهرت فارس على الروم ، جلس فرخان يشرب - وهو أخو شهربراز - فقال لأصحابه : لقد رأيت كأنيجالس على سرير كسرى . فبلغت[٧] كسرى فكتب إلى شهربراز : إذا أتاك كأني فابعث إلي برأوس فرخان . فكتب إليه : أيها الملك ؛ إنك لن تجد مثل فرخان . له نكابة[٨] وصوت في العدو ، فلا تفعل . فكتب إليه : إن في رجال فارس خلقا منه ، فتعجل إلي برأسه . فراجعه ، ففضض كسرى فلم يجده ، وبعث بريداً إلى أهل فارس : أني قد نزعت عنكم شهربراز ، واستعملت عليكم فرخان . ثم دفع إلى البريد صحيفة لطيفة صغيرة فقال : إذا ولـي فرخان الملك ، وانقاد له أخوه ، فأعطيه هذه[٩] . فلماقرأ شهربراز الكتاب قال : سمعاً وطاعة ، ونزل عن سريره وجلس فرخان ودفع إليه الصحيفة قال : اثنونـي بشهربراز ، وقدمـه ليضرـب عنقه ، قال : لا تعجل حتى أكتب وصيتي ، قال : نـعم . فدعا بالسطـ[١٠][١١] فأعطـاه [ثلاث صحائف][١٢] وقال : كلـ هذا راجـعتـ فيـكـ كـسرـىـ ،ـ وـأـنـتـ أـرـدـتـ أـنـ تـقـتـلـنـيـ بـكتـابـ واحدـ .ـ فـرـدـ الـمـلـكـ إـلـيـ أـخـيهـ شـهـرـبـراـزـ وـكـتبـ شـهـرـبـراـزـ إـلـيـ قـيـصـرـ مـلـكـ الرـوـمـ :ـ إـنـ لـيـ إـلـيـكـ حـاجـةـ لـ تـحـمـلـهـ الـبـرـدـ وـ لـ تـحـمـلـهـ الصـحـفـ ،ـ فـالـقـنـيـ وـ لـ تـلـقـنـيـ إـلـاـ فـيـ خـمـسـيـنـ روـمـيـ ،ـ إـنـيـ أـلـقـاكـ فيـ خـمـسـيـنـ فـارـسـيـ .ـ تـأـبـلـ قـيـصـرـ فـيـ خـمـسـيـةـ أـلـفـ روـمـيـ ،ـ وـجـعـلـ يـضـعـ[١٣]ـ الـعـيـونـ يـنـ يـدـيـهـ فـيـ

(١) ناحب فلاناً : راهنه .

(٢) الخطأ : الرهان .

(٣) السقط : وعاء من قضبان الشجر ونحوها ، توضع فيه الأشياء ، كالفاكهـةـ وـنـحـوـهـاـ وـهـوـ يـشـبـهـ الجـوـالـقـ أوـ القـفـةـ .

(٤) سقط من : ز ، خ .

(٥) ما بين المعكوفين في خ ، ز : « أناجيـكـ » .

(٦) في خ : « فـلـبـلـتـ » .

(٧) سقط من : ز .

(٨) في ز : « بـالـسـقـطـ » .

(٩) ما بين المعكوفين في ت : « الصـحـافـ » .

(١٠) سقط من : خ ، ز .

الطريق ، ونحاف أن يكون قد [١] مكر به ، حتى أتاه عيونه أنه ليس معه إلا خمسون رجلاً . ثم بسط لها والتقى في قبة ديواج ضربت لها مع كل واحد منها سكين ، فدعيا ترجماناً بينهما ، فقال شهرizar : إن [٢] الذين خربوا مدائني أنا وأخي بكيندا وشجاعتنا ، وإن كسرى حسندنا ، وأراد أن أقتل أخي فأليت ، ثم أمر أخي أن يقتلني . وقد حلعناه [٣] جميعاً فتحن نقاتلهم معك . قال : وقد [٤] أصبتما . ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين الاثنين فإذا جاوز اثنين فشا . قال : أجل . فقتلا الترجمان جميعاً بسكنبيهما ، فأهلك الله كسرى ، وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح المسلمين معه .

فهذا سياق غريب ، وبناء عجيب . ولنتكلم على كلمات هذه الآيات الكريمة :

فقوله تعالى : ﴿الْمُغْلَبُ الرُّومُ﴾ ، قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور ، في أول سورة البقرة ، وأما الروم فهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم ، وهو أبناء عم بني إسرائيل ويقال لهم : بنو الأصفر . وكانوا على دين اليونان ، واليونان من سلالة يافث بن نوح أبناء عم الترك . وكانوا يعبدون الكواكب السيارة السبعة ، ويقال لها : التحريرة ، و يصلون إلى القطب الشمالي ، وهم الذين أسسوا دمشق ، وبنوا معبدها ، وفيه محاريب إلى جهة الشمال ، فكان الروم على دينهم إلى بعد مبعث المسيح ينحو من ثلاثة سنة ، وكان من ملك الشام مع الجزيرة منهم يقال له : قيسار . فكان أول من دخل في دين النصارى من الملوك قسطنطين بن قسطنطس ، وأمه مريم الهيلانية الشدقانية من أرض حران ، كانت قد تنصرت قبله ، فدعته إلى دينها ، وكان قبل ذلك فيلسوفاً ، فتابعها - يقال : تقية - واجتمعت به النصارى ، وتباشروا في زمانه مع عبد الله بن أريوس ، واختلفوا اختلافاً متشاراً لا يتضيّط ، إلا أنه اتفق من جماعتهم ثلاثة وثمانية عشر أستقراً ، فوضعوا لقسطنطين العقيدة ، وهي التي يسمونها : الأمانة الكبيرة ، وإنما هي الخيانة الحقيقة ، ووضعوا له القوانين - يعنيون كتب الأحكام - من تحليل وتحريم وغير ذلك مما يحتاجون إليه ، وغيروا دين المسيح عليه السلام ، وزادوا فيه ونقضوا منه . وصلوا إلى المشرق واعتاضوا عن السبت بالأحد ، وعبدوا الصليب وأحلوا الخنزير ، واتخذوا أعياداً أحدها ، كعيد الصليب والقدس ، والغطاس ، وغير ذلك من البواعث والشعائين ^(٤) ، وجعلوا له الباب وهو كثیرهم ثم الباركة ، ثم المطرانة ، ثم الأساقفة ، والقساقسة ، ثم الشمامسة . وابتدعوا الرهبانية . وبني لهم الملك الكنائس والمعابد ، وأسس المدينة المنصوبة إليه وهي القسطنطينية ، يقال : إنه بني في أيامه اثنى عشر ألف كنيسة ، وبني بيت لحم بثلاثة ^(٥) محاريب ، وبيت أمه القمامة ، وهؤلاء هم الملكية ، يعنيون الذين هم على المقدس .

(٤) الشعائين : عيد النصارى يقع يوم الأحد السابق لعيد الفصح ، يحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيت المقدس .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ : « حلعننا » .

[٣] - في ز ، خ : « حلعننا » .

[٤] - في ز ، خ : « بثلاث » .

دين الملك .

ثم حديث بعدهم العقوبية أتباع يعقوب الإسکاف . ثم النسطورية أتباع^[١] نسطورا ، وهم فرق وطوائف كثيرة ، كما قال رسول الله - صلی الله علیه وسلم - : « إِنَّهُمْ افْتَرُوا عَلَى الْأَتَيْنِ وَسَبِيعِنَ فِرْقَةً »^[٢] . والفرض إنهم استمروا على النصرانية ، كلما هلك قيسار خلفه آخر بعده . حتى كان آخرهم هرقل ، وكان من عقلاء الرجال ، ومن أحرم الملوك وأدھاهم ، وأبعدهم غورا وأقصاهم رأيا ، فتمكّن عليهم في ریاسة عظيمة وأبهة كبيرة ، فناواه كسری ملك الفرس ، ومملک البلاط كالعراق وخرasan والري ، وجميع بلاد العجم ، وهو سابور ذو الأکاف ، وكانت مملكته أوسع من مملکة قيسار ، وله ریاسة العجم وحماقة الفرس ، وكانوا مجوستا يعبدون النار .

فقدم عن عكرمة أنه بعث إليه نوابه وجيشه فقاتلواه ، والمشهور أن كسری [غزاه بنفسه]^[٣] في بلاده فقهه وکسره وقصره ، حتى لم يقع معه سوی مدينة قسطنطینية ؟ فحاصره بها مدة طويلة حتى ضاقت عليه وكانت النصاری تعظيمه تعظیما زائدا ، ولم يقدر كسری على فتح البلد ، ولا أمكنه ذلك لخصانتها ، لأن نصفها من ناحیة البر ونصفها الآخر من ناحیة البحر ، فكانت تأییهم المیرة والمدد من هناك . فلما طال الأمر دبر قيسار مکيدة ، ورأی^[٤] في نفسه خديعة ، فطلب من كسری أن يقلع عن بلاده على مال يصالحه عليه ، ويشترط عليه ما شاء . فأجابه إلى ذلك ، وطلب منه أموالا عظيمة لا يقدر عليها أحد^[٥] من ملوك الدنيا ، من ذهب ، وجواهر ، وأقمشة ، وجوار^[٦] ، وخدام ، وأصناف كثيرة . فطاواعه قيسار ، وأوهمه أن عنده جميع ما طلب ، واستقل عقله لما طلب منه ما طلب ، ولو اجتمع هو وإياه لعجزت قدرتهما عن جمع عشره ، وسأل [من]^[٧] كسری أن يُمکنه من الخروج إلى بلاد الشام وأقالیم مملكته ، ليُسْعِي في تحصیل ذلك من ذخائره وحواصله ودفاتنه ، فأطلق سراحه ، فلما عزم قيسار على الخروج عن^[٨] مدينة قسطنطینية ، جمع أهل ملته وقال : لاني خارج في أمر قد أبُرمته ، في جند قد عيته من جيشه ، فإن رجعت إليکم قبل الحول فانا ملککم ، وإن لم أرجع إليکم قبلها فأتّم بالخيار ، إن شتم استمررت على بيتعی ، وإن شتم ولیتم عليکم غيری . فأجابوه بأنك ملکنا ما دمت حیا ولو غبت عشرة أعوام .

(٨) - سنن أبي داود حديث (٤٥٩٦) ، ورواه ابن ماجة في السنن حديث (٣٩٩٢) ، وقال البوصيري في الروايد : « إسناد عوف بن مالك فيه مقال ، قال ابن عدي : روی أحادیث تفرد بها . وذکرہ ابن حبان في العقات وباقی رجال الإسناد ثقات ».

[١] - في ت : « أصحاب ».

[٢] - ما بين المعکوفین في ز ، خ : « بنفسه عزاه » . [٣] - في ز ، خ : « وروی ».

[٤] - في ز ، خ : « أحدا ».

[٥] - في ت : « وجواري ».

[٦] - ما بين المعکوفین سقط من ت .

فلما خرج من القسطنطينية خرج جريدة^(١) في جيش متوسط ، هذا وكسرى تخيم على القسطنطينية ينتظره ليرجع ، فركب قيسار من فوره وسار^[١] مسرعاً حتى انتهى إلى بلاد فارس فعاش في بلادها^[٢] قتلاً لرجالها ومن بها من المقاتلة أولاً فأولاً^[٣] ، ولم يزل يقتل^[٤] حتى انتهى إلى المدائن ، وهي كرسى مملكة كسرى ، فقتل من بها وأخذ جميع حواصله وأمواله ، وأسر نساءه وحرمه ، وحلق رأس ولده ، وركبه على حمار وبعث معه من الأساورة^(٥) من قومه في غاية الهوان والذلة ، وكتب إلى كسرى يقول : هذا ما طلبت فخذه . فلما بلغ [ذلك]^[٦] كسرى أخذه من الغم ما لا يحصيه إلا الله عز وجل ، واشتد حنقه على البلد فاشتد في حصارها بكل ممكن فلم يقدر على ذلك . فلما عجز ركب ليأخذ عليه الطريق من مخاضة جيرون ، التي لا سبيل لقيصر إلى القسطنطينية إلا منها ، فلما علم قيسار بذلك احتال بحيلة عظيمة لم يسبق إليها ، وهو أنه أرصد جنده وحواصله التي معه عند فم المخاضة وركب في بعض الجيش ، وأمر بأحمال من التبن والبروت فحملت معه ، وسار إلى قريب من يوم في الماء مصدعاً ، ثم أمر بإلقاء تلك الأحمال في النهر فلما مرت بكسرى ظن هو وجنته^[٧] أنهم قد^[٨] خاضوا من هنالك ، فركبوا في طلتهم فشغر^(٩) المخاضة عن الفرس ، وقدم قيسار فأمرهم بالنهوض في الخوض ، فخاضوا وأسرعوا السير ففاتوا كسرى وجنوده ، ودخلوا القسطنطينية . وكان ذلك يوماً مشهوداً عند النصارى . وبقي كسرى وجنوده^[٨] حائزين لا يدرؤن ماذا يصنعون لم يحصلوا على بلاد قيسار ، وببلادهم قد تحرّبها الروم وأخذوا حواصليهم ، وسيروا ذراريهم ونساءهم^[٩] . [فهذا ما كان^[١٠] من غالب الروم فارس وكان ذلك بعد تسع سنين من غالب الفرس للروم .

وكانَ الواقعة الكائنة بين فارس والروم حين غالب الروم بين أذرعات وبصرى ، على ما ذكره ابن عباس وعكرمة وغيرهما ، وهي طرف بلاد الشام مما يلي بلاد الحجاز .

وقال مجاهد : كان ذلك في الجزيرة وهي أقرب بلاد الروم من فارس . فالله أعلم .

(١) الجريدة : خيل لا رجاله فيها .

(٢) جمع إسوار وهو قائد الفرس .

(٣) شفر المكان : خلا .

[١] - في ز ، خ : « وساق ». .

[٢] - في ت : « بلادهم ». .

[٣] - في خ : « فأول ». .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « وجنته ظن ». .

[٦] - في ت : « جيوشه ». .

[٧] - سقط من : خ ، ز .

[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « فكان هذا ». .

[٩] - سقط من : خ ، ز .

ثم كان غلب الروم لفارس بعد بضع سنين ، وهي تسع ؛ فإن البعض في كلام العرب ما بين الثلاث إلى التسع ، وكذلك جاء في الحديث الذي رواه الترمذى وابن جرير وغيرهما^(٩) ، من حدث عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي ، عن الزهرى ، عن عبید الله بن عبد الله ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلی الله عليه وسلم قال لأبي بكر في متابعته^(١٠) : ﴿ ألم * غلت الروم ﴾ : « ألا احتطت يا أبي بكر ، فإن البعض ما بين ثلاث إلى تسع ؟ » . ثم قال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وروى ابن جرير عن عبد الله بن عمرو أنه قال ذلك^(١٠) .

وقوله : ﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ ، أي : من قبل ذلك ومن بعده ، فبني على القسم لما قطع المضاف ، وهو قوله : ﴿ قبل ﴾ عن الإضافة ونوبت .

﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ﴾ أي : للروم أصحاب قيصر ملك الشام ، على فارس أصحاب كسرى ، وهم المجوس . وقد كانت نصرة الروم على فارس يوم وقعة بدر في قول طائفة كبيرة من العلماء ، كابن عباس ، والثوري ، والسدي ، وغيرهم .

وقد ورد في الحديث الذي رواه الترمذى^(١١) وابن جرير وابن أبي حاتم والبزار ، من حديث الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : لما كان يوم بدر ، ظهرت الروم على فارس ، فأعجب ذلك المؤمنين وفرحوا به ، وأنزل الله : ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ .

وقال آخرون : بل كان نصرة الروم على فارس عام الحديبية ، قاله عكرمة ، والزهرى ، وقتادة ، وغيرهم .

ووجه بعضهم هذا القول بأن قيصر كان قد نذر لنون أظفره الله بكسرى لي Mishen من حمص إلى إيليا - وهو بيت المقدس - شakra لله - عزوجل - فعل ، فلما بلغ بيت المقدس لم يخرج منها^(١٢) حتى وفاه كتاب رسول الله صلی الله عليه وسلم ، الذي بعثه مع دحية بن خليفة ، فأعطاه دحية لعظيم بصرى ، فدفعه عظيم بصرى إلى قيصر . فلما وصل إليه سأله : من بالشام من عرب الحجاز ؟ فأحضر له أبو سفيان صخر بن حرب الأموي في جماعة من كفار قريش كانوا في غزة ، فجاء بهم إليه ، فجلسوا بين يديه ، فقال : أيكم أقرب نسباً بهذا

(٩) سنن الترمذى حديث (٣١٩١) ، وتفسير الطبرى (١٢/٢١) .

(١٠) تفسير الطبرى (١٦/٢١) .

(١١) سنن الترمذى حديث (٣١٩٢) ، وتفسير الطبرى (١٦/٢١) .

[١] - في ز : « مناجية » . [٢] - في ت : « منه » .

الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان : أنا ، فقال لأصحابه - وأجلسهم خلفه - : إنني سائل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذب فكذبوه . فقال أبو سفيان : فوالله لولا أن [١] يأثروا علي الكذب لكتبت . فسألته هرقل عن نسبة وصفته ، فكان فيما سأله أن قال : فهل يغدر ؟ قال : قلت : لا ، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها - يعني بذلك الهدنة التي كانت قد [٢] وقعت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفار قريش يوم الحديبية - على وضع الحرب بينهم عشر سنين ، فاستدلوا بهذا على أن نصر الروم على فارس كان عام الحديبية ، لأن قيسر إنما وفي بندره بعد الحديبية ، والله أعلم .

ولأصحاب القول الأول أن يجيئوا عن هذا بأن بلاده كانت قد خربت وتشعثت ، مما تمكن من وفاة ندره حتى أصلح ما ينافي إصلاحه وفقد بلاده ، ثم بعد أربع سنين من نصرته وفي بندره ، والله أعلم .

والأمر في هذا سهل قريب إلا أنه لما انتصرت [٣] فارس على الروم ساء ذلك المؤمنين ، فلما انتصرت الروم على فارس فرح المؤمنون بذلك ، لأن الروم أهل كتاب في الجملة ، فهم أقرب إلى المؤمنين من المجرمين ، كما قال تعالى : ﴿لَتَجْدَنَّ﴾ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدُنَّ أقربهم موعدة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴿وقال تعالى هاهنا : ﴿وَيُوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يُنْصَرُ مِنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾﴾

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثني أسيد الكلابي ، قال : سمعت العلاء بن الزير الكلابي يحدث عن أبيه ، قال : رأيت [٤] غلبة فارس الروم ، ثم رأيت غلبة الروم فارس ، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم ، كل ذلك في خمس عشرة سنة .

وقوله : ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي : في انتصاره وانتقامه من أعدائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين .

وقوله : ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلُفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أي : هذا الذي أخبرناك به - يا محمد - من أنا ستنصر الروم على فارس ، وعد من الله حق ، ويخبر صدق لا يخلف ، ولا بد من كونه ووقوعه ؛ لأن الله قد جرت سنته أن ينصر أقرب الطائفتين المقتليتين إلى الحق ، ويجعل لها العاقبة ، ﴿وَلَكُنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، أي : يحكم الله في كونه وأفعاله المحكمة الجارية

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ماين المعکوفین في ز : « قال : رأيت » .

[٣] - في ز ، خ : « انتصر » .

على وفق العدل .

وقوله : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ أي : أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها^[١] وشئونها وما فيها ، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها ، وهم غافلون عما ينفعهم في الدار الآخرة ، كان أحدهم مُغفل لا ذهن له ولا فكرة .

قال الحسن البصري : والله لَبَّى من أحدهم بيدياه أنه يقلب الدرهم على ظفره ، فيخبرك بوزنه ، وما يحسن أن^[٢] يصلى .

وقال ابن عباس في قوله : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ يعني : الكفار ، يعرفون عمار الدنيا ، وهم في أمر الدين جهال .

أَوْلَئِنَّ يَنْفَكِرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ
وَاجْلِ مُسَمَّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَفِرُونَ ٨
فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِنْقَةُ الدِّينِ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ فُؤَادًا
وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاهُتُهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيْتِنَتِ فَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٩
الَّذِينَ أَسْتَوْا السَّوَاءَ أَنْ كَذَّبُوا بِيَقِينِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ١٠

يقول تعالى منبهًا على التفكير في مخلوقاته ، الدالة على وجوده وانفراده بخلقها ، وأنه لا إله غيره ، ولا رب سواه ، فقال : ﴿ أَوْ لَمْ يَنْفَكِرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ﴾ يعني به^[٣] : النظر ، والتدبیر ، والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي ، وما بينهما من المخلوقات المتنوعة ، والأجناس المختلفة ، فيعلموا أنها ما خلقت شدی ولا باطلًا ، بل بالحق وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى ، وهو يوم القيمة ، ولهذا قال : ﴿ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ .

ثم نبههم على صدق رسle فيما جاءوا به عنده ، بما أيدهم به من المعجزات و^[٤] الدلالات الواضحات ، من إهلاك من كفر بهم ، ونجاة من صدقهم فقال : ﴿ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي : بأفهامهم وعقولهم ونظرهم وسماع أخبار الماضين ، ولهذا قال : ﴿ فَيَنْظُرُوا

[١] - في خ : « وأعبائها » ، وفي ز : « أعبابها » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ ، ز : « في » .

[٤] - في خ ، ز : « من » .

كيف كان عاقبة الذين من قبلكم كانوا أشد منهم قوة ﴿١﴾ أي : كانت الأمم الماضية والقرون السالفة أشد منكم - أيها المبعوث إليهم محمد - صلى الله عليه وسلم - وأكثر أموالاً وأولاداً ، وما أتيتم معاشر ما أتوا ، ومكثوا في الدنيا تمكيناً لم تبلغوا إليه ، وعمروا فيها أعماراً طوالاً ، فعمروها أكثر منكم . واستغلواها أكثر من استغلالكم ، ومع هذا لما جاءتهم رسالهم بالبيانات وفرحوا بما أتوا ، أخذهم الله بذنبיהם ، وما كان لهم من الله من واق ، ولا حالت أموالهم ولا أولادهم بينهم وبين يأس الله ، ولا دفعوا عنهم مثقال ذرة ، وما كان الله ليظلمهم فيما أحل بهم من العذاب والنكال ، ﴿٢﴾ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿٣﴾ ، أي : وإنما أتوا من أنفسهم حيث كذبوا بآيات الله ، واستهزءوا بها ، وما ذاك إلا بسبب ذنبهم السالفة ، [٤] في تكذيبهم المتقدم ، ولهذا قال : ﴿٤﴾ ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون ﴿٥﴾ ، كما قال تعالى : ﴿٦﴾ ونقلب أفجذتهم وأبصارهم كما لم يؤمّنا به أول مرة ولذرهم في طغيائهم يعمهون ﴿٧﴾ قوله : ﴿٨﴾ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴿٩﴾ وقال : ﴿١٠﴾ فإن تولوا فاعلم أبا يزيد الله أن يصيبهم ببعض ذنبهم ﴿١١﴾ وعلى هذا تكون [السوأى منصوبة مفعولاً لأساءوا ، وقيل : بل المعنى في ذلك : ﴿١٢﴾ ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى ﴿١٣﴾ أي : كانت السوأى عاقبتهم ، لأنهم كذبوا بآيات الله ، وكانوا بها يستهزئون . فعلى هذا تكون السوأى منصوبة خبر كان .

هذا توجيه ابن جرير ^(١) ونقله عن ابن عباس وقتادة . ورواه ابن أبي حاتم عنهما ، وعن الضحاك بن مراح ، وهو الظاهر ، والله أعلم . ﴿١٤﴾ وكانوا بها يستهزئون ^(٢) .

اللَّهُ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِدُهُمْ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبَيِّسُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ مِنْ شَرِكَائِهِمْ شُفَعَةٌ وَكَانُوا يُشَرِّكُّوْهُمْ
كَفَرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُوَمِّدُ يَنْقَرِفُونَ ﴿١٤﴾ فَإِنَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُخْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّمَا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
يُبَيِّنُنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى : ﴿١﴾ الله يبدأ الخلق ثم يعيده ^(١) ، أي : كما هو قادر على بدائه فهو قادر على إعادته ^(٢) ثم إليه ترجعون ^(٣) ، أي : يوم القيمة ، فيجازي كل عامل بعمله .

[١] (١) تفسير الطبرى (٢١/١٨).

[٢] - ما بين المعقودتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ت : « وتكذيبهم » .

ثم قال : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَلِسُ الْجَرْمُونَ ﴾ قال ابن عباس : يلِسُ الجرمون . وقال مجاهد : يفتضح الجرمون . [وفي رواية : يكثب الجرمون]^[١] .

﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شَفَعَاءٌ ﴾ ، أي : ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله ، وكفروا بهم ، وخانوهم أحوج ما كانوا إليهم .

ثم قال : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَغْرِقُونَ ﴾ قال قتادة : هي والله الفرقة التي لا اجتماع بعدها . يعني : إذا رفع هذا إلى علين ، وخفض هذا إلى أسفل السافلين ، فذاك آخر العهد بينهما ، ولهذا قال : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يَحْبَرُونَ ﴾ ، قال مجاهد وقتادة : ينعمون .

وقال يحيى^[٢] بن أبي كثیر : يعني : سماع الغناء . والخبرة أعم من هذا كله . قال العجاج :

الحمد لله الذي أعطى الخبر^[٣] موالى الحق ، إن المولى شكر
فسبّحُنَّ اللَّهَ حِينَ تُسَوْنَ وَجِينَ تُصْبِحُنَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظَهِّرُونَ ﴿١٨﴾ يُنْجِي الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُنْجِي الْمَيِّتَ مِنَ
الْحَيِّ وَيَجْزِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرِجُونَ ﴿١٩﴾

هذا تسبیح منه تعالى لنفسه المقدسة ، وإرشاد عباده إلى تسبیحه وتحمیده ، في هذه الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظمیم سلطانه : عند المساء ، وهو إقبال الليل بظلماته ، وعند الصباح ، وهو إسفار النهار عن ضيائه .

ثم اعترض بحمده ، مناسبة للتسبیح وهو التحمید ، فقال : ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ﴾ ، أي : هو المحمود على ما خلق في السماوات والأرض .

ثم قال : ﴿ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظَهِّرُونَ ﴾ ، فالعشاء هو : شدة الظلم ، والإظهار : قوة الضياء . فسبحان حالق هذا وهذا ، فالليل الإ صباح وجاعل الليل سكتا كما قال : ﴿ وَالنَّهَارُ إِذَا
جَلَّهَا * وَاللَّيلُ إِذَا يَغْشِيَهَا ﴾ وقال^[٤] : ﴿ وَاللَّيلُ إِذَا يَغْشِيَ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجْلِيَهُ ﴾ وقال :
﴿ وَالضَّحْكَى * وَاللَّيلُ إِذَا سَجَى ﴾ الآيات في هذا كثيرة .

[١] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « الخبرة » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن هبيرة ، حدثنا زيان بن فائد ، عن سهل بن معاذ بن أنس الجعفري ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لا أخبركم لم سمي الله إبراهيم خليله الذي وفني ؟ لأنك كان يقول كلما أصبح وأمسى : سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون » ^(١٢) .

وقال الطبراني ^(١٣) : حدثنا مطلب بن شعيب الأزدي ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني الليث بن سعد ، عن سعيد بن بشير ، عن محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني ، عن أبيه ، عن عبد الله ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يصبح : ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ . وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون ^{﴿﴾} الآية بكمالها ، أدرك ما فاته في ^[١] يومه ، ومن قالها حين يمسى أدرك ما فاته في ليلته » . [إسناده] ^[٢] جيد ، ورواه أبو داود في سنته .

وقوله : ^{﴿﴾} يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ^{﴿﴾} ، هو ما نحن فيه من قدرته على فعل ^[٣] الأشياء المقابلة ، وهذه الآيات المتتابعة الكريمة كلها من هذا النمط ، فإنه يذكر فيها خلقه الأشياء وأضدادها ، ليدل خلقه على كمال قدرته ، فمن ذلك إخراج النبات من الحب ، والحب من النبات . والبيض من الدجاج ، والدجاج من البيض ، والإنسان من النطفة ، والنطفة من الإنسان ، والمؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن .

^(١٣) المسند (٤٣٩/٣) . وإنسانده ضعيف من أجل ابن هبيرة وزيان بن فائد .

زيان بن فائد : ضعفه أحمد وابن معين وغيرهما ، وقال ابن حبان : منكر الحديث جداً ، يتفرد عن سهل بن معاذ بنسخة كأنها موضوعة ، لا يحتاج به . وقال أبو حاتم : شيخ صالح . وقال الليث بن سعد : لو أراد زيان أن يزيد في العبادة مقدار خردة ما وجد لها موضعًا . وقال ابن يونس : كان على مظالم مصر وكان من أعدل ولاتهم .

وسهل بن معاذ بن أنس الجعفري : قال أبو بكر بن أبي خيثمة عن ابن معين : ضعيف . وذكره ابن حبان في الفتاوى . قال ابن حجر : لكن قال : لا يعتبر حدبه ما كان من رواية زيان بن فائد عنه ، وذكره في الضعفاء فقال : منكر الحديث جداً ، فلست أدرى أوقع التخليط في حدبه منه أو من زيان ؟ فإن كان من أحد هما فالأخبار التي رواها ساقطة ، وإنما اشتبه هذا لأن راويها عن سهل زيان إلا الشيء بعد الشيء ، وزيان ليس بشيء . وقال العجلاني : مصرى تابعى ثقة . بخ د ت ق .

والحديث وأخرجه الطبراني في الكبير (١٩٢/٢٠) حديث ٤٢٧ - ٤٢٨ . والطبراني في تفسره (٧٣/١٢) . وذكره الهيثمي في مجمع الروايد (١١٧/١٠) وقال : رواه الطبراني وفيه ضعفاء ونقوا .

^(١٤) المعجم الكبير (١٢/٢٣٩) ، وسنن أبي داود حديث ٥٠٧٦ .

[١] - في ت : « من » .

[٢] - في ت : « إسناد » .

[٣] - في ت : « خلق » .

وقوله : ﴿ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتَهَا ﴾ ، كقوله : ﴿ وَآيَةً لَهُمُ الْأَرْضَ الْمِيَّةَ أَحْيَنَاها وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبَّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَرْنَا فِيهَا مِنَ الْعَيْوَنِ ﴾ ، وقال : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا مَاءً اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَبْتَثَتْ مِنْ كُلِّ رُوْجٍ بِهِيجٍ ذَلِكَ بَيْنَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يَحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَّةٌ لَا رَبٌّ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مِنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ ، وقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُوَسِّلُ الرِّيَاحَ بَشَرًا [١] بَيْنَ يَدِي رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابَةً لِقَالَا سَقَنَاهُ بِالْمَاءِ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الشَّمَراتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعْلَكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ وَلَهُذَا قَالَ هَاهُنَا : ﴿ وَكَذَلِكَ تَخْرُجُونَ ﴾ .

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّ خَلْقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُرْ بَشَرٌ فَنَشَرُونَ ٢٠ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّ خَلْقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْفَاجًا لِتَشْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنَ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ٢١

يقول تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةُ عَلَىٰ عَظِيمَتِهِ وَكَمَالِ قَدْرَتِهِ أَنَّهُ خَلَقَ أَبَاكُمْ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾ ، فَأَصْلَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، ثُمَّ تَصَوَّرُ فِي كَانَ عَلَقَةً ، ثُمَّ مُضْغَةً ، ثُمَّ صَارَ عَظَاتًا مُشَكَّلَةً [٢] عَلَىٰ شَكْلِ الْإِنْسَانِ ، ثُمَّ كَسَ اللَّهُ تَلْكَ الْعَظَامَ لِهِمَا ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحُ ، فَإِذَا هُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أَمِهِ صَغِيرًا ضَعِيفًا الْقَوْيِيْنَ وَالْمُحْرَكِيْنَ ، ثُمَّ كَلَّمَا طَالَ عُمْرُهُ تَكَامَلَ قَوَاهُ وَحُرْكَاتُهُ ، حَتَّىٰ آلَ بِهِ الْحَالُ إِلَىٰ [٣] أَنْ صَارَ يَسِيْنِي الْمَدَائِنَ وَالْحَصُونَ ، وَيَسَافِرُ فِي أَقْطَارِ الْأَقْلَيْمِ ، وَيَرْكِبُ مِنْ بَحْرَيْنِ ، وَيَدُورُ أَقْطَارَ الْأَرْضِ ، وَيَتَكَبَّسُ وَيَجْمِعُ الْأَمْوَالَ ، وَلِهِ فِكْرَةٌ وَغُورٌ ، وَدَهَاءٌ وَمَكْرٌ ، وَرَأْيٌ وَعِلْمٌ ، وَاتِّسَاعٌ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كُلَّ بِحْسَبِهِ . فَسَبَحَانَ مِنْ أَقْدَرِهِمْ وَسَيِّرَهُمْ وَسُخْرَهُمْ وَصَرْفَهُمْ فِي فَنَوْنَ الْمَعَايِشِ وَالْمَكَابِسِ ، وَفَاقَوْتُ بَيْنَهُمْ فِي الْعِلُومِ وَالْفَكْرَةِ وَالْحَسْنِ وَالْقَبْحِ ، وَالْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ ، وَالسَّعَادَةِ وَالشَّقاوَةِ [٤] ، وَلَهُذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّ خَلْقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾ .

وقال الإمام أحمد (١٥) : حدثنا يحيى بن سعيد وغدر قالا : حدثنا عوف ، عن قسامه بن زهير ، عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله خلق آدم من

(١٥) المسند (٤٠٠/٤) ، وأخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب : في القدر ، حديث (٤٦٩٣) =

[١] - في ز : « نَشَرًا » . وهي قراءة جماعو منهم ابن عامر .

[٢] - في ت : « شَكَلَهُ » .

[٣] - سقط من : ز، خ .

[٤] - في ت : « الشَّقاوَةُ » .

قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء^[١] منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك ، والخيث والطيب ، والسهل والحزن ، وبين ذلك[»] . ورواه أبو داود والترمذى من طرق ، عن عوف الأعرابي ، به . وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

وقوله : **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾** أي : خلق لكم من جنسكم إناثاً يُكُنُّ لكم أزواجاً ، **﴿لَتُسْكِنُوهَا إِلَيْهَا﴾** ، كما قال تعالى : **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيُسْكِنَ إِلَيْهَا﴾** يعني ، بذلك حواء خلقها الله من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر . ولو أنه جعل بني آدم كلهم ذكوراً ، وجعل إناثهم من جنس آخر ، إما من جان أو حيوان ، لما حصل هذا الاختلاف بينهم وبين الأزواج ، بل كانت تحصل نفرة ولو كانت الأزواج من غير الجنس . ثم من تمام رحمته يعني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم ، وجعل بينهم [٣] مودة : وهي الحبة ، ورحمة : وهي الرأفة ، فإن الرجل يمسك المرأة إما لحبته^[٤] لها أو لرحمة بها ، لأن يكون لها منه ولد ، أو محتاجة إليه في الإنفاق ، أو للألفة بينهما وغير ذلك ، **﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ﴾** .

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقُ الْجِنِّينَ وَالْوِتْنَكُّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ **﴿٢٢﴾** **وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِالنَّيَلِ وَالنَّهَارِ وَابْنَغَاوَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّكُمْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ** **﴿٢٣﴾**

يقول تعالى : ومن آيات قدرته العظيمة **﴿خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** [أي : خلق السماوات^[٥] في ارتفاعها واتساعها ، وشفوف أجرامها ، وزهارة كواكبها ونحوها الثواب والسيارات ، والأرض في^[٦] انخفاضها وكثافتها ، وما فيها من جبال وأودية وبحار وقفار ، = ٢٢٢/٤] . والترمذى في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة البقرة ، حدث (٢٩٥٥) (١٨٧/٥) . والترمذى في كتاب تفسير القرآن ، باب : سقط من : ز ، خ : « بنو » . وعبد بن حميد (٥٤٩) . وابن سعد في الطبقات (٢٣/١) . وابن خزيمة في التوحيد ص (٦٤) . والحاكم (٢٦١/٢) . والطبرى (٢٦٢-٢٦١/١) عند تفسير قوله تعالى : **﴿وَعِلْمُ آدَمَ الْأَسْمَاءِ كُلُّهَا ...﴾** من سورة البقرة . وابن حبان في صحيح في كتاب التاريخ ، باب : بدئ الخلق (٦٦٠/١٤) . وأبو نعيم في الحلية (١٣٥/٨) . كلهم من طريق عوف ، عن قسمة بن زهير ، عن أبي موسى - رضي الله عنه ... فذكره . قال الترمذى : حدث حسن صحيح . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وواقفه الذهبي . وصححه الألبانى في الصحيحه برقم (١٦٣٠) . وزاد نسبة إلى ابن عساكر (٢/٣٠٧/٢) . والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٨٥، ٣٢٧) .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المukoفين سقط من ت .

[٤] - في خ ، ز : « مجنة » .

[٥] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٦] - في ز ، خ : « من » .

وحيوان وأشجار .

وقوله : ﴿ وَخَتْلَافُ الْسَّتْكِم ﴾ يعني : اللغات ، فهؤلاء بلغة العرب ، وهؤلاء تتر لهم [١] لغة أخرى ، وهؤلاء كرج ، وهؤلاء روم ، وهؤلاء إفرنج ، وهؤلاء بزبر ، وهؤلاء تكرور ، وهؤلاء حبشه ، وهؤلاء هنود ، وهؤلاء عجم ، وهؤلاء صقالية ، وهؤلاء خزر ، وهؤلاء أرمن ، وهؤلاء أكراد ، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله من اختلاف لغاتبني آدم ، واختلاف ألوانهم وهي خلامهم ، فجميع أهل الأرض - بل أهل الدنيا - منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة : كل له عينان وحاجبان ، وأنف وجبين ، وفم وخدان . وليس يشبه واحد منهم الآخر ، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمة أو الهمة أو الكلام ، ظاهراً كان أو خفياً ، يظهر عند التأمل ، كل وجه منهم أسلوب بذاته ، وهمة لا تشبه الأخرى . ولو تواق جماعة في صفة من جمال أو قبح لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر ، ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴾ .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مِنْ أَنَّكُمْ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ وَبِغَارَاتِكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ، أي : ومن الآيات ما جعل لكم من صفة النوم في الليل والنهار ، فيه تحصل الراحة وسكن الحركة ، وذهب الكلال والتعب ، وجعل لكم الانتشار والسعى في الأسباب والأسفار [في النهار] [٢] ، وهذا ضد النوم ، ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ أي : يعون .

قال الطبراني [٣] : حدثنا حجاج بن عمران السدوسي [٤] ، حدثنا عمرو بن الحصين العقيلي ، حدثنا محمد بن عبد الله بن علامة ، حدثني ثور بن زيد ، عن خالد بن معدان ، سمعت عبد الملك بن مروان ، يحدث عن أبيه ، عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال : أصابني أرق من الليل ، فشكوت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « قل : اللهم غارت النجوم ، وهدأت العيون ، وأنت حي قيوم ، يا حي يا قيوم ، [أنم عيني ، وأهدئ] [٥] لي ». فقلتها ، فذهب عني .

وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرَقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَقَوْمٍ يَعْقُلُونَ ٢٤

(١) المعجم الكبير (١٢٤/٥) ، ورواه ابن السنى في عمل اليوم والليلة حديث (٧٤٥) ، وابن عدي في الكامل (١٥٠/٥) من طريق عمرو بن الحصين به ، وقال ابن عدي : « تفرد به عمرو بن الحصين وهو مظلوم الحديث ، ويروى عن قوم معروفين » . وله شاهد من حديث أنس ، حسنة الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية لابن علان (١٧٧/٣) .

[١] - ما بين المukoفين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المukoفين في ز : « أهد » .

[٣] - في ت : « السدوسي » .

أَيَّنِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دُعَوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ

٢٥ تَخْرُجُونَ

يقول تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةُ عَلَى عَظَمَتِهِ أَنَّهُ يُرِيكُمُ الْبَرَقَ خَوْفًا وَطَمْعًا ﴾ ، أي [١] : تارة تخافون [٢] مما يحدث بعده من أمطار مزعجة ، أو صاعق متلفة ، وتارة ترجون وميضه وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه ، ولهذا قال : ﴿ وَيَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحِبِّي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ، أي : بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء ، فلما جاءها الماء ﴿ اهْنَزَتْ وَرَبَّتْ وَأَبْلَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بِهِيجٍ ﴾ . وفي ذلك عبرة ودلالة واضحة على المعاد وقيام الساعة ، ولهذا قال : ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقُلُونَ ﴾ . ثم قال : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّهُ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾ كقوله : ﴿ وَيَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقُومَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَرْوَلَا ﴾ .

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إذا اجتهد في اليمين يقول : « لا ، والذي تقوم السماء والأرض بأمره ». أي : هي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره إليها ، ثم إذا كان يوم القيمة بدللت الأرض غير الأرض والسموات وخرجت الأموات من قبورها أحياه بأمره تعالى ودعاه إلىهم . ولهذا قال : ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دُعَوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيْبُونَ بِحُمْدِهِ وَتَظْنُونَ إِنْ لَبِثْمَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ وقال : ﴿ إِنْ كَانَتِ إِلَّا صِحَّةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ جَمِيعُ الَّذِينَا مُحَضِّرُونَ ﴾ .

وَلَئِنْ مَنِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّهُ لَهُ قَنِينٌ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمُثَلُ أَنَّا عَلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ

٢٧ الْعَزِيزُ الْحَرِيكُمُ

يقول تعالى : ﴿ وَلَهُ مَنِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي : ملكه وعيشه ، ﴿ كُلُّهُ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ ، أي : خاضعون خاشعون طوعاً وكرهاً .

وفي حديث دراج ^(١٧) ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد مرفوعاً : « كل حرف في القرآن

(١٧) إسناده ضعيف لضعف رواية دراج عن أبي الهيثم . ورواه أحمد (٢/٧٥) وأبو يعلى في مسنده =

[٢] - في ز : « تخافون » .

[١] - سقط من : ز، خ .

يذكر فيه القنوت فهو الطاعة».

وقوله : « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه » ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يعني أيسر عليه .

وقال مجاهد : الإعادة أهون عليه من البداءة ، والبداءة عليه هيئ .
وكذا قال عكرمة وغيره .

وقال البخاري^(١٨) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، أخبرنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « قال الله : كَذَّبْتِي أَبْنَى آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكُ ، وَشَتَّمْتِنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكُ ، فَأَمَا تَكْذِيْبِي إِيَّا يَ فَقُولُهُ : لَنْ يَعِدْنِي كَمَا بَدَأْنِي ، وَلَيْسَ أُولُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنِ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ . وَأَمَا شَتَّمِي إِيَّا يَ فَقُولُهُ : اتَّخِذْ اللَّهَ وَلَدًا ، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَفُواً أَحَدٌ » .

انفرد بإخراجه البخاري^(١٩) ، كما انفرد بروايته أيضاً من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة به^(٢٠) .

وقد رواه الإمام أحمد منفرداً به^(٢٠) عن حسین بن موسی ، عن ابن لهيعة ، حدثنا أبو يونس سليم بن جبیر عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه أو مثله .

وقال آخرون : كلامها بالنسبة للقدرة على السواء .

= (١٣٧٩) حدثنا الحسن بن موسى به . والطبری في « تفسیره » (٣/٢٦٥ - ٢٦٦) من طريق محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن لهيعة به وأخرجـه ابن أبي حاتم في « تفسیره » (٥٢١/٢) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٠٩/٢) ، وفي « الموارد » (١٧٢٣/٥) ، والطبراني في « الأوسط » (٥١٨١/٥) ، وأبو نعیم في « الخلیة » (٨/٣٢٥) . من طريق عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الخطاب عن دراج به .

وذکره الهیشی في « المجمع » (٦/٣٢٣) وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط ، وفي إسناد أحمد وأبي يعلى ابن لهيعة وهو ضعیف » . وقال ابن کثیر في « تفسیره » [سورة البقرة آية (٦)] : في هذا الإسناد ضعف لا يعتمد عليه ، ورفع هذا الحديث مکر ، وقد يكون من کلام الصحابی أو من دونه وكثير ما يأتي بهذا الإسناد تقاضیر فيها نکارة ، فلا يغتر بها فإن السنـد ضعیف والله أعلم . وزاد نسبة السیوطی في « الترشیح » (١/٢٠٨) إلى عبد بن حمید ، وابن المنذر ، والنحاس في « ناسخه » وأبی نصر الشیجزی في « الإبانة » والضیاء في « المختارة » .

(١٨) صحيح البخاري حديث (٤٩٧٤) .

(١٩) صحيح البخاري حديث (٤٩٧٥) .

(٢٠) المسند (٢/٣٥٠) .

قال العوفي عن ابن عباس : كل عليه هين . وكذا قال الريبع بن خثيم . ومال إليه ابن جرير ، وذكر عليه شواهد كثيرة ، قال : ويحتمل أن يعود الضمير في قوله : ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ إلى الخلق أي : وهو أهون على الخلق

وقوله : ﴿وَلَهُ الْمِثْلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس كقوله : ﴿لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ﴾ .

وقال قتادة : مثله^[١] أنه لا إله إلا هو ، ولا رب غيره ، وقال مثل هذا ابن جرير .

وقد أنسد بعض المفسرين عند ذكر هذه الآية لبعض أهل المعرف :

إِذَا سَكَنَ الْغَدِيرَ عَلَى صَفَاءِ وَجْهَنْبَرَ أَنْ يُحَرِّكَهُ النَّسِيمُ
تَرَى فِيهِ السَّمَاءَ بِلَا افْتِرَاءَ كَذَاكَ الشَّمْسَ تَبَدُّلُ وَالشَّجُومُ
كَذَاكَ قُلُوبُ أَرْبَابِ التَّجْلِيِّ يُرَى فِي صَفْوَهَا اللَّهُ الْعَظِيمُ
﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ : الذي لا يغالب ولا يمانع ، بل قد غالب كل شيء ، وقهр كل شيء
بقدراته وسلطانه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أعماله وأقواله شرعاً وقدراً .

وعن مالك في تفسيره المروي عنه ، عن محمد بن المنكدر ، في قوله تعالى : ﴿وَلَهُ الْمِثْلُ الْأَعْلَى﴾ ، قال : لا إله إلا الله .

صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكْتُ أَيْمَنَنْكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا
رَزَقْتُكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَيْفِيَّتُكُمْ أَنفُسُكُمْ كَذَلِكَ تَفَصِّلُ
الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦﴾ بَلْ أَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ يُغَيِّرُ عَلَيْهِمْ
فَمَنْ يَهْدِي مِنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ ﴿٧﴾

هذا مثل ضربه الله - تعالى - للمشركين به ، العابدين معه غيره ، الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترضون أن شركاء من الأصنام والأنداد عبيد له ملك له ، كما كانوا في تلبيةهم يقولون : ليك لا شريك لك ، إلا شريكًا هو لك ، تملكه وما ملك . فقال تعالى : ﴿وَهُوَ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي : تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم : ﴿هَلْ لَكُمْ مَا مَلَكْتُ أَيْمَانَكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْتُكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ ، أي : [لا يرضي]^[٢] أحد منكم أن يكون^[٣] عبده شريكًا له في ماله ، فهو وهو فيه على السواء ﴿تَخَافُونَهُمْ كَيْفِيَّتُكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾

[١] - سقط من : ز ، خ : « ليرتضي » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : خ .

أي : تخافون أن يقاسموكم [١] الأموال .

قال أبو مجلز : إن ملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك وليس له ذاك ، كذلك [٢] الله لا شريك له .

والمعنى أن أحدكم يأنف من ذلك ، فكيف تجعلون لله الأنداد من خلقه ؟ وهذا كقوله تعالى : ﴿ و يجعلون لله ما يكرهون ﴾ أي : من البنات ، حيث جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، وجعلوها بنات الله ، وقد كان أحدهم إذا نشر ﴿ بالأشني ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيسكه على هون أم يدسه في التراب ﴾ ؟ فهم يأنفون من البنات ، وجعلوا الملائكة بنات الله ، فنسبوا إليه ما لا يرتضونه لأنفسهم ، فهذا أغلاط الكفر . وهكذا [٣] في هذا المقام جعلوا له شركاء من عبيده وخلقه ، وأحدهم يأبى غاية الإباء ويأنف غاية الأنفة من ذلك ، أن يكون عبداً شريكاً في ماله ، يساويه فيه ، ولو شاء لقاسمه عليه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قال الطبراني [٤] : حدثنا محمود بن الفرج الأصبهاني ، حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي ، حدثنا حماد بن شعيب ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان يلبي أهل الشرك : لبيك اللهم ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريكًا هو لك ، تملکه وما ملك . فأنزل الله : ﴿ هل لكم مما ملكت أهانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سوء تختلفون كخفتكم أنفسكم ﴾ ولما كان التنبية بهذا المثل على برأته تعالى - وزراحته بطريق الأولى والأخرى - قال : ﴿ كذلك لفصل الآيات لقوم يعقلون ﴾ .

ثم قال تعالى مبيناً أن المشركين إنما عبدوا غيره سفهاء من أنفسهم وجهاء : ﴿ بل اتبع الذين ظلموا ﴾ ، أي : المشركون [٤] ﴿ أهواهم ﴾ ، أي : في عبادتهم الأنداد بغير علم ﴿ فمن يهدى من أضل الله ﴾ ، [٥] أي : فلا أحد يهدىهم إذا كتب الله ضلالهم [٦] ، ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ ، أي : ليس لهم [عن ذلك] [٧] منقد ولا مجير ، ولا مجيد لهم عنه ، لأنه ما شاء كان ، وما لم يشاً لم يكن .

فَأَقْرَمَ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفُوا فِطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقٍ

[١] المعجم الكبير (٢٠/١٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٣/٣) : « وفيه حماد بن شعيب وهو ضعيف » .

[٢] - في ز ، خ : « يقاسمكم » .

[٣] - في ز ، خ : « كذلك » .

[٤] - في ز ، خ : « المشركون » .

[٥] - ما بين المعقودتين سقط من : خ ، ز .

[٦] - ما بين المعقودتين في ت : من قدرة الله .

﴿ إِنَّ اللَّهَ ذَلِكَ الْدِينُ الْقَيْمُ وَلَا يَذَكِّرْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
 ٣٠
 مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَأَتَقُوْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾
 ٣١
 الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَهُمْ فَرِحُونَ ﴾
 ٣٢

يقول تعالى : فسد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الخيفية ملة إبراهيم ، التي [١] هداك الله لها ، وكملها [٢] لك غاية الكمال ، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة ، التي فطر الله الخلق عليها ، فإنه تعالى فطر خلقه على [معرفته وتوحيده ، وأنه لا إله غيره ، كما تعلم عند قوله تعالى : ﴿ وَأَشَهَدُهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلْسُتْ بِرْبِكُمْ قَالُوا بِلِي ﴾ . وفي الحديث : « إِنِّي خلقت عبادي حنفاء ، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم » وسندكر في الأحاديث أن الله - تعالى - فطر خلقه على [٣] الإسلام ، ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة كاليهودية أو الصرانية أو الجوسية .

وقوله : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ ، قال بعضهم : معناه لا تبدلوا خلق الله ، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها . فيكون خبراً بمعنى الطلب ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ وهذا معنى حسن صحيح .

وقال آخرون : هو خبر على يابه ، ومعناه : أنه - تعالى - ساوي بين خلقه ، كلهم في الفطرة على الجملة المستقيمة ، لا يولد أحد إلا على ذلك ، ولا تفاوت بين الناس في ذلك . ولهذا قال ابن عباس ، وإبراهيم التخعي ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقادة ، والضحاك ، وأبي زيد في قوله : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ ، أي : لدين الله .

وقال البخاري [٤] : قوله : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ : لدين الله ، تحلى الأولين : [دين الأولين [٤] والقدرة : الإسلام .

حدثنا عبدان ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا يونس ، عن الزهري ، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن : أن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مولود يولد إلا على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كما تنجح البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعا ؟ ». ثم يقول : ﴿ فَطَرَ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقٍ

[١] - في ت : « الذي » .
 [٢] - في خ : « وكلها » .
 [٣] - ما بين المukoتفين سقط من : خ ، ز .
 [٤] - ما بين المukoتفين سقط من : خ ، ز .

(٢٢) صحيح البخاري حديث (٤٧٧٥) ، وصحیح مسلم رقم (٢٦٥٨) .

الله ذلك الدين القيم ﴿٦﴾ .

ورواه مسلم من حديث عبد الله بن وهب ، عن يونس بن يزيد الأيلبي ، عن الرهري به .
وأنخرجاه أيضاً^(٢٣) من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي معنى هذا الحديث قد وردت أحاديث عن جماعة من الصحابة ، فمنهم الأسود بن سريح التميمي ، قال الإمام أحمد :

حدثنا إسماعيل ، حدثنا يونس ، عن الحسن ، عن الأسود بن سريح قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغروت معه ، فأصببت ظهرها^[١] ، فقتل الناس يومئذ ، حتى قتلوا الولدان .
فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « ما بال أقوام جاوزهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية ؟ » فقال رجل : يا رسول الله ، إنما هم أبناء المشركين ؟ فقال : « ألا إنما خياركم أبناء المشركين » . ثم قال : « لا تقتلوا ذرية ، لا تقتلوا ذرية » . وقال : « كل نسمة تولد على الفطرة ، حتى يُعرَّب عنها لسانها ، فابوهاها يهودانها أو ينصرانها » .

ورواه النسائي في^(٢) كتاب السير ، عن زياد بن أيوب ، عن هشيم ، عن يونس - وهو ابن عبيد - عن الحسن البصري به^(٤) .

ومنهم جابر بن عبد الله الأنصاري .

قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا أبو جعفر ، عن الريبع بن أنس ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله^(٥) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة ، حتى يُعرَّب عنه لسانه ، فإذا عبر عنه لسانه إما شاكراً وإما كافراً^(٦) .

(٢٣) صحيح البخاري حديث ٦٥٩٩ ، وصحيح مسلم حديث ٢٦٥٨ .

(٢٤) المسند ٤٣٥/٣ ، والنسائي في السنن الكبرى حديث ٨٦١٦ .

(٢٥) المسند ٣٥٣/٢ ، أبو جعفر هو الرازي : صدوق سمع المحفظ . والحسن هو البصري مدلس وقد عنون بل قال ابن أبي حاتم : سألت أبي : سمع الحسن من جابر ؟ قال : ما أرى ولكن هشام بن حسان يقول عن الحسن : حدثنا جابر . وأنا أنكر هذا إنما الحسن عن جابر كتاب مع أنه أدرك جابرًا ، انظر جامع التحصيل للعلائي (ص ١٦٤) . والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (٢٢١/٧) وقال : رواه أحمد وفيه أبو جعفر الرازي وهو ثقة وفيه خلاف ، وبقية رجاله ثقات . ويشهد له حديث الأسود بن سريح عند أحمد (٤٣٥/٣) ، والنسائي في الكبرى كتاب السير ، باب : النهي عن قتل ذراري المشركين (٨٦١٦) (٨٦١٦/٥) (١٨٤/٥) .

[١] - في ز ، خ : « ظفرًا » .

[٢] - في ز ، خ : « من » .

ومنهم عبد الله بن عباس الهاشمي ، قال الإمام أحمد ^(١) : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن أولاد المشركين ، فقال : « الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم » .

أخر جاه في الصحيحين ، من حديث أبي بشر جعفر بن مياس البشكري ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مرفوعاً كذلك ^(٢) .

وقد قال أحمد أيضاً : حدثنا عفان ، حدثنا حماد - يعني : ابن سلمة - أباً عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس قال : أتى علي زمان وأنا أقول : أولاد المسلمين مع أولاد ^(٣) المسلمين ، وأولاد المشركين مع المشركين . حتى حدثني فلان عن فلان ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عنهم فقال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » قال : فلقيت الرجل فأخبرني ، فامسكت عن قولي ^(٤) .

ومنهم ^(٥) عياض بن حمار المخاشمي .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا هشام ، حدثنا قادة ، عن مطرف ، عن عياض بن حمار أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطب ذات يوم ، فقال في خطبته : « إن ربى - عز وجل - أمرني أن أعلمكم ما جهلتكم مما علمتي في يومي هذا : كل مال ^(٦) »

= والدارمي (٢٤٦٦) ، وأبي يعلى (٩٤٢) (٢٤٠/٢) ، وابن حبان في صحيحه (١٣٢) (١/١) ، وفي الموارد (١٦٥٨) (٢٥٥/٥) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٤٤٥) (١) ، والطبراني في الكبير (٨٢٧) (١/٢٨٣) ، والحاكم (١٢٣) (٩) (٧٧) ، والبيهقي (١٣٥٩) من طرق عن الحسن عنه بنحو حديث جابر ، وقد صرح الحسن بسماعه من الأسود عند عدد منهم . وفي الباب عن أبي هريرة عند البخاري في كتاب الجنائز ، باب : إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (١٣٥٩) ، ومسلم في كتاب القدر ، باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة ... (٢٦٥٨) ، وأبو داود في كتاب السنة ، باب : في ذراري المشركين (٤٧١٤) ، والترمذى في كتاب القدر ، باب : ما جاء في كل مولود يولد على الفطرة (٢١٣٩) .

(٦) يُغَرِّبُ هكذا يروى بالتفخيف ، من أعرب ، قال أبو عبيد : الصواب **«يُغَرِّب»** يعني بالتشديد .. يقال : غَرِبَتْ عن القوم إذا تكلَّمْتَ عنهم . نهاية [٣] .

(٧) المسند (٣٢٨) (١) ، وصحیح البخاری حدیث (١٣٨٣) حدیث (١٣٨٣) ، وصحیح مسلم حدیث (٢٦٦٠) .

(٨) المسند (٧٣) (٥) ، وعمار بن أبي عمارة روى له مسلم . وقال عنه ابن حجر : صدوق ربما أخطأ . وقال الهيثمي في الجمجم (٢١٨) (٧) : « رجاله رجال الصحيح » . قال ابن حجر في أطرافه : هذا المبهم سماه روح ابن عبادة ، عن حماد : أبي بن كعب ، كذا في زيادة مسند أبي داود الطیالسی .

[١] - في ت : « بذلك » .

[٤] - كذا في ت والممسن ، وفي ز : « ما » .

[٣] - في ت : « منه » .

نحلته عبادي حلال ، وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم^[١] عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحالت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ، ثم إن الله - عز وجل - نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقال : إنما بعثتك لابتليك وأبتلي بك ، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقطانا . ثم إن الله أمرني أن أحرق قريشا ، فقلت : يارب ، إذا يتلغوا^[٢] رأسي فيدعاوه خبزة . فقال : استخرجهم كما استخرجوك ، [واغزهم لغزك]^[٣] ، وأنفق [عليهم فستنق]^[٤] عليك ، وابعث جيشا نبعث خمسة منه ، وقاتل من أطاعك من عصاك . قال^[٥] : وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مُقسط متصدق وموفق ، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم ، ورجل عفيف فقير متصدق . وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زئر^[٦] له ، الذين هم فيكم تبعا ، لا ينتون أهلا ولا مالا ، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك وممالك . وذكر البخل ، و[٧] الكذب و[٨] الشنطير الفاحش^[٩] .

انفرد ياخراجه مسلم فرواه من طرق عن قتادة به^(١٠) .

وقوله تعالى : ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ ، أي : [التمسك بالشريعة]^[١١] والفترة السليمة هو الذين القوم المستقيم ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ أي : ولهذا^[١٢] لا يعرفه أكثر^[١٣] الناسفهم عنه ناكبون ، كما قال تعالى : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بهمدين ﴾ . ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ منبين إليه ﴾ ، قال ابن زيد وابن جرير : أي راجعين إليه ، ﴿ واققوه ﴾ ، أي : خافوه وراقوه ، ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾ ، وهي الطاعة العظيمة ، ﴿ ولا تكونوا من المشركين ﴾ ، أي : بل من الموحدين الخالصين له العبادة ، لا يريدون بها سواه .

قال ابن جرير : [حدثنا ابن حميد]^[١٤] ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن يزيد بن أبي مريم ، قال : مر عمر - رضي الله عنه - بمعاذ بن جبل فقال : ما

(*) الثلث : الشدح ، وقيل هو ضرب الشيء الربط بالشيء اليابس حتى يتشدح .

(**) الزبر : العقل والرأي .

[١] - في ز ، خ : « أضلتهم » .

[٢] - ما بين المعکوفتين في ز : « وعزهم بعرك » .

[٣] - [٤] - سقط من : خ .

[٥] - [٦] - في ز : « أو » .

[٧] - في ت : « الفحاش » .

[٨] - ما بين المعکوفتين في خ ، ز : « التمسك بالشريعة » .

[٩] - في ت : « فلهذا » .

[١٠] - سقط من : خ ، ز .

[١١] - ما بين المعکوفتين سقط من : خ ، ز .

قُوَّام هذِهِ الْأُمَّةِ [١] ؟ قَالَ مَعَاذٌ : ثَلَاثٌ [٢] ، وَهُنَّ الْمُنْجِيَاتِ : الْإِخْلَاصُ ، وَهِيَ الْفَطْرَةُ [فَطْرَةُ اللَّهِ] [٣] الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، وَالصَّلَاةُ وَهِيَ الْمُلَةُ ، وَالطَّاعَةُ وَهِيَ الْعُصْمَةُ . قَالَ عُمَرُ : صَدِيقٌ .

حَدَثَنِي يَعْقُوبُ ، حَدَثَنَا إِبْرَاهِيمُ ، حَدَثَنَا أَبْرَاهِيمُ ، عَنْ أَبِيهِ قَلَّابَةَ : أَنَّ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ لِمَعَاذٍ : مَا قُوَّامُ هذِهِ الْأُمَّةِ ؟ ... فَذَكَرَ [٤] نَحْوَهُ [٥] .

وَقُولُهُ : « مَنِ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدِيهِمْ فَرَحُونَ » ، أَيْ : لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَدْ [٦] فَرَقُوا دِينَهُمْ ، أَيْ : بِدَلْوَهُ وَغَيْرِهِ ، وَأَمْنُوا بِعِصْمَهُ وَكَفَرُوا بِعِصْمَهُ .

وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ : (فَارْقَوْا دِينَهُمْ) ، أَيْ : تَرَكُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، وَهُؤُلَاءِ كَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالْمُجْرِسُونَ وَعَبَدُهُنَّ الْأُوَّلَانَ ، وَسَائِرُ أَهْلِ الْأَدِيَانِ الْبَاطِلَةِ ، مَا عَدَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : « إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّا أَمْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ لَمْ يَنْبَغِي لَهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » فَأَهْلُ الْأَدِيَانِ قَبْلَنَا اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى آرَاءٍ وَمِلَلٍ بَاطِلَةٍ ، وَكُلُّ فَرَقَةٍ مِنْهُمْ تَرْعَمُ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ، وَهَذِهِ الْأُمَّةُ أَيْضًا اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى نَحْلٍ كُلُّهَا ضَلَالٌ إِلَّا وَاحِدَةٌ ، وَهُمْ أَهْلُ السُّنْنَةِ وَالْجَمَاعَةِ الْمُتَسْكُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنْنَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِمَا كَانُ عَلَيْهِ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحِدِّيهِ ، كَمَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدِرِكِهِ أَنَّهُ سَعَلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَنِ الْفَرَقَةِ النَّاجِيَةِ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : « مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي » [٧] .

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْرَاهُمْ مُنْبِيِنَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ
مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ [٢٣] لِيَكْفُرُوا بِمَا أَنْتَنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ [٢٤] وَإِذَا

[١] (٢٨٦٥) المسند (٤/١٦٢)، وصحح مسلم حديث (٢٨٦٥).

[٢] تفسير الطبراني (٢١/٢٦).

[٣] المستدرك (١٢٩/١٢٩)، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ص (٦٣) : « إسناده حسن ».

[٤] - في خ ، ز : « الآية » .

[٥] - في خ : « بلا » .

[٦] - في ت : « ذكره » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعقودتين سقط من : خ ، ز .

أَذْفَكَ النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَلَنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ
يَقْنَطُونَ ﴿٤٣﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
الْآيَتِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى مخبراً عن الناس ، أنهم في حال الاضطرار يدعون الله وحده لا شريك له ، وأنه إذا أسيغ عليهم النعم إذا فريق منهم في حالة الاختيار يشركون بالله ، ويعبدون معه غيره .

وقوله : ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ هي «لام» العاقبة عند بعضهم ، «لام» التعليل عند آخرين ، ولكنها تعليل لتقييض [١] الله لهم ذلك .

ثم توعدهم بقوله : ﴿فَسُوفَ تَعْلَمُونَ﴾ [٢] ، قال بعضهم : والله لو توعدني حارس ذرابة لخفت منه ، فكيف والمتوعد هاهنا الذي يقول للشيء : كن فيكون .

ثم قال منكراً على المشركين فيما اختلفوا من عبادة الأولان بلا دليل ولا حجة ولا برهان : ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ ، [٣] أي : حجة [٣] ، ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ [٤] أي : ينطق [٤]
﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْرِكُونَ؟﴾ وهذا استفهام إنكار ، أي : لم يكن شيء من ذلك .

ثم قال : ﴿إِذَا أَذْفَقَ النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَلَنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ
يَقْنَطُونَ﴾ ، هذا إنكار على الإنسان من حيث هو ، إلا من عصمه الله [٥] ووقفه ؛ فإن الإنسان
إذا أصابته نعمة بطر وقال : ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لِفَرْحَةٍ فَخُورٌ﴾ ، أي : يفرح في نفسه
ويفخر على غيره ، وإذا أصابته شدة فقط ، وأليس أن يحصل له بعد ذلك خير بالكلية ، قال
الله : ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ، أي : صبروا في الضراء [٦] ، وعملوا
الصالحات في الرخاء ، كما ثبت في الصحيح : «عجبنا للمؤمن ، لا يقضى الله له قضاء إلا
كان خيراً له ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً
له» [٧] .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ ، أي : هو المتصرف

(٣١) صحيح مسلم حديث (٢٩٩٩) من حديث صحيب الرومي رضي الله عنه .

[١] - في ز، خ : «لتقييض» .

[٢] - في ز : «يعلمون» .

[٣] - ما بين المukoفين سقط من : خ .

[٤] - ما بين المukoفين سقط من : خ .

[٥] - سقط من : ز، خ .

[٦] - في خ ، ز : «الضرائر» .

الفاعل لذلك بحكمته وعدله ، فيوسع على قوم ويضيق على آخرين ، ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ .

فَقَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمُسْكِينَ وَابنَ السَّيْلِ ذَلِكَ خَيْرُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا أَتَيْتُمْ مِنْ رِبَّا لَيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا
يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا أَتَيْتُمْ مِنْ زَكَوْرَ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعَفُونَ
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُمْ ثُمَّ يُخْبِيْكُمْ هَلْ مِنْ
شَرَّ كَانَ كُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴿٣٩﴾

يقول تعالى أمراً يعطاء ذي القربي حقه ﴿هـ﴾ ، أي : من البر والصلة ، ﴿هـ والمسكين﴾ ، وهو : الذي لا شيء له ينفق عليه ، أو له شيء لا يقوم بكفايته ، ﴿هـ وابن السبيل﴾ ، وهو المسافر الحاج إلى نفقة ، وما يحتاج إليه في سفره ، ﴿هـ ذلك خير للذين يريدون وجه الله﴾ ، أي : النظر إليه يوم القيمة ، وهو الغاية القصوى ، ﴿هـ وأولئك هم المفلحون﴾ ، أي : في الدنيا وفي الآخرة .

ثم قال : ﴿هـ وَمَا أَتَيْتُمْ مِنْ رِبَّا لَيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ ، أي : من أعطى عطية [١] يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما أهدى لهم فهذا لا ثواب له عند الله . بهذا فسره ابن عباس ، ومجادد ، والضحاك ، وقاده ، وعكرمة ، وعمر بن الخطاب ، والشعبي . وهذا الصنيع مباح ، وإن كان لا ثواب فيه ، إلا أنه قد نهى عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاصة ، قاله الضحاك ، واستدل بقوله : ﴿هـ وَلَا تَمْنَنْ تَسْتَكْثِر﴾ ، أي : لا تعط العطاء تزيد أكثر منه .

وقال ابن عباس : الربا رباعان [٤] ، فربا لا يصح [٥] - يعني : ربا البيع - وربا لا يأس به ، وهو هدية الرجل يريد فضلها [٦] وأضعافها . ثم تلا هذه الآية : ﴿هـ وَمَا أَتَيْتُمْ [٧] مِنْ رِبَّا لَيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ .

ولما الثواب عند الله في الزكاة ، ولهذا قال : ﴿هـ وَمَا أَتَيْتُمْ [٨] مِنْ زَكَةً تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ

(٤) كذا في ز ، خ : والرباء - بالمد - لغة في الربا .

(٥) ما بين المعقودتين في ز ، خ : « أي » .

(٦) - في ز : « أفضلها » .

(٧) - في ز : « يصلح » .

(٨) - في ز : « أتيتم » .

(٩) - في ز : « أتيتم » .

فأولئك هم المضعفون ^١ ، أي : الذين يضعفون الله لهم التواب والجزاء ، كما جاء ^[١] في الصحيح : « وما تصدق أحد بعدل ثمرة من كسب طيب إلا أخذها الرحمن بيمنيه ، فيرييها لصاحبيها كما يريني أحدكم فلوه أو فصيله ، حتى تصير الثمرة أعظم من أحد » ^(٣٢) .

وقوله : « الله الذي خلقكم ثم رزقكم ^٢ » ، أي : هو الخالق الرزاق ، يخرج الإنسان من بطن أمه عريانا ، لا علم له ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا قوة ، ثم يرزقه جميع ذلك بعد ذلك ، والرياش واللباس والمال والملاك والملاس .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن سلام أبي ^[٢] شرحبيل ، عن حجّة وسواء ابني خالد قالا : دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلح شيئا فاعناء ، فقال : « لا تيأسا من الرزق ما تهزّت رعوسكم ^٣ ، فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يرزقه الله عز وجل » ^(٣٣) .

وقوله : « ثم يحييكم ^٤ » أي : بعد هذه الحياة ، « ثم يحييكم ^٥ » أي : يوم القيمة .

وقوله : « هل من شركالكم ^٦ » ، أي : الذين تبعدونهم من دون الله ، « من يفعل من ذلكم من شيء ^٧ » ؟ ، أي : لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك ، بل الله - سبحانه وتعالى - هو المستقل بالخلق والرزق ، والإحياء والإماتة ، ثم يبعث الحالات يوم القيمة . ولهذا قال بعد هذا كله : « سبحانه وتعالى عما يشركون ^٨ » أي : تعالى وتقديس وتنزه وتعاظم وجل وعز عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساو ، أو ولد أو والد . بل هو الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ^٩ .

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقُهُمْ بَعْضَ الَّذِي

(٣٢) صحيح البخاري حديث (١٤١٠) .

(٣٣) المسند (٤٦٩/٣) . وحية بن خالد الأستدي ، العامري : قال الحافظ في التقريب : صحابي ، له حديث واحد ، نزل الكوفة . بعث ق . وسلم بن شرحبيل أبو شرحبيل : قال الحافظ في التقريب : مقبول ، من الرابعة . بعث ق . وقال في التعذيب : وذكره ابن حبان في الثقات . وسواء بن خالد الأستدي : قال الحافظ في التقريب : صحابي ، له حديث . بعث ق . والحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب : التوكل والبيتين (١٣٩٤/٢) حديث (٤١٦) . والطبراني في الكبير (٨:٧/٤) حديث (٣٤٧٩) ، (٣٤٨٠) . وقال البوصيري في الروايد : إسناده صحيح وسلم بن شرحبيل ذكره ابن حبان في الثقات ، ولم أر من تكلم فيه وبباقي رجال الإسناد ثقات . وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٦٢٩٥) ، وضعف ابن ماجه حديث ٩١٠ . وعزاه لسلسلته الضعيفة (٤٧٩٨) .

عَلَوْا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنْقَبَةُ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

قال ابن عباس ، وعكرمة ، والضحاك ، والسدي ، وغيرهم : المراد بالبر هاهنا : الفيافي ، وبالبحر : الأمصار والقرى ، وفي رواية عن ابن عباس وعكرمة : البحر : الأمصار والقرى ، ما كان منها على جانب نهر .

وقال آخرون : بل المراد بالبر ، هو البر المعروف ، وبالبحر ، البحر المعروف .

و^[١] قال زيد بن رفيع : ظهر الفساد ^{﴿﴾} ، يعني : انقطاع المطر عن البر يعقبه القحط ، وعن البحر تعمى دوابه .

رواه ابن أبي حاتم وقال : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقربي ، عن سفيان ، عن حميد ، بن قيس الأعرج عن مجاهد : ظهر الفساد في البر والبحر ^{﴿﴾} قال : فساد البر قتل ابن آدم ، وفساد^[٢] البحر : أخذ السفينة غصباً .

وقال عطاء الخراساني : المراد بالبر^[٣] ما فيه من المدائن والقرى ، وبالبحر : جزائره .

والقول الأول أظهر ، وعليه الأكثر ، و يؤيده ما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح ملك أيلة ، وكتب له بحره - يعني بيته .

ومعنى قوله تعالى : ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ^{﴿﴾} ، أي : بان النقص في التumar والزروع بسبب العاصي .

و^[٤] قال أبو العالية : من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض ، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة ، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود : « لَحَدَّ يَقَامُ فِي الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيْهَا مَنْ أَنْ يَمْطِرُوا أَرْبِيعَنْ صَبَاحًا » ^(٤) .

والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت ، انكفت الناس - أو أكثرهم أو كثير منهم - عن تعاطي المحرمات ، وإذا ارتكبت العاصي كان سبباً في محاق البركات من السماء والأرض .

(٤) رواه أحمد في المسند (٣٦٢/٢) ، والنسائي في السنن (٧٥/٨) من حديث أبي هريرة ، ولم يقع لى في سنن أبي داود .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « من البر » .

ولهذا إذا نزل عيسى - عليه السلام - في آخر الزمان فحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت من قتل الخنزير ، وكسر الصليب ، ووضع الجزية ، وهو تركها - فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف ، فإذا أهلك الله في زمانه الدجال وأتباعه ، ويأجوج ومأجوج ، قيل للأرض : أخرجي بر كاتك . فياكل من الرمانة الفقام^(١) من الناس ، ويستظلون بقفحها ، وبكفي لين القحة الجماعة من الناس . وما ذاك إلا ببركة تنفيذه^(٢) شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلما أقيم العدل كثُرت البركات والخير .

وثبت في الصحيح : « أن الفاجر إذا مات تستريح العباد والبلاد ، والشجر والدواب »^(٣) .

ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا محمد والحسين قالا : حدثنا عوف عن^(٤) أبي قحنم قال : وجد رجل^(٥) في زمان زياد - أو ابن زياد - صرة فيها حب ، يعني : من بر أمثال النوى عليه مكتوب : هذا نبت في زمان كان^(٦) يعمل فيه بالعدل^(٧) .

وروى مالك ، عن زيد بن أسلم : أن المراد بالفساد هاهنا : الشرك . وفيه نظر .

وقوله : ﴿ لِيَدْيِهِمْ بَعْضُ الَّذِي عَمِلُوا لَعْلَهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ، أي : ينتلهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات ، اختبارا منه ، ومجازاة على صنيعهم ، ﴿ لَعْلَهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي : عن المعاصي ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعْلَهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَالَمَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ ، أي : من قبلكم^(٨) ، ﴿ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴾ ، أي : فانظروا ماذا حل بهم من تكذيب الرسل وكفر النعم .

**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ أَفْتَرُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ
بَصَدَّعُونَ** ﴿٤٣﴾ **مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمَلَ صَلَحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهُدُونَ**
لِبَعْرَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكُفَّارِ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى أمرا عباده بالمبادرة إلى الاستقامة في طاعته ، والمبادرة إلى الخيرات : ﴿ فَأَقِمْ

[١] (٣٥) صحيح البخاري حديث (٦٥١٢) .

[٢] (٣٦) المسند (٢٩٦/٢) .

[٣] - في ت : « تنفيذ » .

[٤] - في خ ، ز : « بن » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ﷺ ، أي : يوم القيمة ، إذا أراد كونه فلا راد له ، ﴿ يوْمَذِلُّ يَصْدِعُونَ ﴾ أي : يتفرقون ، ففريق في الجنة وفريق في السعير ، ولهذا قال : ﴿ مِنْ كُفُرٍ فِلَيْهِ كُفْرٌ وَمِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلَأُنفِسُهُمْ بِيَهْدِنَ لِجَزِيِّ الَّذِينَ آتَيْنَا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي : يجازيهم مجازة الفضل : الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى ما يشاء الله ، ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ . ومع هذا هو العادل فيهم ، الذي لا يجوز .

وَمَنْ ءَايَنَنِيهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّبَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقُوكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفَلَكُ بِأَمْرِهِ
وَلِتَبْغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَكُلُّكُمْ تَشَكُّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِ
فَإِنَّهُ وَهُرَ بِالْبَيْتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ

٤٦

يدرك تعالى نعمه على خلقه ، في إرساله الرياح مبشرات بين يدي رحمته بمحىء الغيث عقيها ، ولهذا قال : ﴿ وَلِيُذِيقُوكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ ، أي : المطر الذي ينزله فيحيي به العباد والبلاد ، ﴿ وَلِتَجْرِيَ الْفَلَكُ بِأَمْرِهِ ﴾ أي : في البحر وإنما سيرها بالريح ، ﴿ وَلِتَبْغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ، أي : في التجارة والعيش ، والسير من إقليم إلى إقليم ، وقطع إلى قطر ، ﴿ وَلَعْلَكُمْ تَشَكُّرُونَ ﴾ ، أي : تشكرون الله [١] على ما أنعم به عليكم من النعم الظاهرة والباطنة ، التي لا تعد ولا تحصى .

ثم قال : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيْنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ﴾ ، هذه تسلية من الله لعبده ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - بأنه وإن كذبه كثير من قومه ومن الناس ، فقد كذبت الرسل المتقدمون [٢] مع ما جاءوا بهم به من الدلائل الواضحات ، ولكن الله انتقم من كذبهم وخالفتهم ، وأنجى المؤمنين بهم ، ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، هو حق أوجبه على نفسه الكريمة ، تكرماً وفضلاً [٣] ، كقوله تعالى : ﴿ كَتَبْ رِبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن نفيل ، حدثنا موسى بن أعين ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ما من أمرٍ مسلمٍ يُرَدُّ عن عرض أخيه ، إلا كان حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُرِدَّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». ثم تلا هذه الآية :

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « المتقدمين » .

[٣] - في ز : « لله » .

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٧) .

اللَّهُ أَلَّذِي يُرِسِّلُ الرَّبِيعَ فَتُشَيرُ سَحَابًا فَيَسْطُطُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُرِّبَ سَبَّـرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمْبَسِينَ ﴿٤٧﴾ فَأَنْظُرْ إِلَيْنَاهُ رَحْمَتَ اللَّهِ كَيْفَ يَتَحْمِلُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهِ إِنَّ ذَلِكَ لَمْحِنِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٨﴾ وَلَئِنْ أَوْسَنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٤٩﴾

يبين تعالى كيف يخلق السحاب التي ينزل منها الماء ، فقال : ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا﴾ ، إما من البحر على ما ذكره غير واحد ، أو مما يشاء الله عز وجل ، ﴿فيسطنه في السماء كيف يشاء﴾ ، أي : يمده فيكتشه وينتميه ، ويجعل من القليل كثيرا ، ينشئ سحابة فتري في رأي العين مثل الترس ، ثم يسيطرها حتى تملأ أرجاء الأفق ، وتارة يأتي السحاب من نحو البحر ثقلا ملوعة ماء ، كما قال تعالى : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أكلت سحابا ثقلا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأنحرجنا به من كل الشمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾ و كذلك قال هامنا : ﴿ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيسطنه في السماء كيف يشاء ، ويجعله ﴿٤١﴾ كسفًا ﴾ قال مجاهد ، وأبو عمرو ابن العلاء ، و مطر الزراق ، و قتادة : يعني قطعا . وقال غيرهم : متراكما . قاله الضحاك . وقال غيره : أسود من كثرة الماء ، تراه مدليهما ثقبلا ، قريبا من الأرض .

وقوله : ﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ ﴾ ، أي : فترى المطر - وهو القطر - يخرج من بين ذلك السحاب ، ﴿ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴿٤٢﴾ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُرِّبَ سَبَّـرُونَ ﴾ ، أي : لجاجتهم إليه يفرحون بتنزوله عليهم ، ووصوله إليهم .

وقوله : ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمْبَسِينَ ﴾ ، معنى ﴿٤٣﴾ الكلام أن

(٣٧) رواه أحمد في المسند (٤٤٨/٦) من طريق إسماعيل ، وابن أبي الدنيا في الغيبة والنميمة ، حديث (٤٠٢) من طريق جرير كلامها عن ليث - وهو ابن أبي سليم - به ولم يذكر الآية .

[١] - في ز ، خ : « فضلا » .

[٢] - في ز ، خ : « فيجعله » .

[٣] - في ز ، خ : « شاء » .

[٤] - في ز ، خ : « يعني » .

هؤلاء القوم الذين أصابهم هذا المطر كانوا [أزلين فَطَّيْن] من نزول المطر إليهم قبل ذلك ، فلما جاءهم جاءهم على فاقة فوقع منهم موقفاً عظيماً .

وقد اختلف النحاة في قوله : « من قبل أن ينزل عليهم من قبله ملَسِين » ، فقال ابن جرير : هو تأكيد . وحكاه عن بعض أهل العربية .

وقال آخرون : من قبل أن ينزل عليهم المطر ، « من قبله » ، أي : الإِنْزَال ملَسِين .

ويحتمل أن يكون ذلك من دلالة التأسيس ، ويكون معنى الكلام : أنهم كانوا محتاجين إليه قبل نزوله ، ومن قبله أيضاً قد فات عندهم نزوله وقتاً بعد وقت ، فترقبوه في إياه فتأخر ، فمضت مدة ثم ترقبوه^[١] فتأخر ، ثم جاءهم بقعة بعد الإِيَاس منه والفتrot ، فبعد ما كانت أرضهم مقشرة هامدة ، أصبحت وقد اهتزت وربت . وأثبتت من كل زوج ببيج . ولهذا قال : « فَانْزَلْتَ إِلَيْيَ آثَارَ رَحْمَةِ اللَّهِ » ، يعني : المطر ، « كَيْفَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا » .

ثم نبه بذلك على إحياء الأجساد بعد موتها وتفرقها وتفرقها ، فقال : « إن ذلك نحي الموتى » ، أي : إن الذي فعل ذلك قادر على إحياء الأموات ، « إِلَهٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

ثم قال تعالى : « وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأُوهُ مَصْفَرًا لَظَلَوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ » ، يقول : « وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا » يابسة على الزرع الذي زرعوه ونبت وشب واستوى على سوقه ، فرأوه مصفرًا ، أي : قد اصفر وشرع في الفساد ، « لَظَلَوا » من بعده^[٢] أي : بعد هذا الحال ، « يَكْفُرُونَ » ، أي : يجدلون ما تقدم من النعم ، كما قال : « أَفَرَأَيْتَ مَا تَحْرُثُونَ أَنْتُمْ تَرْرَعُونَ أَمْ نَحْنُ الْمَازِرُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجْلَعْنَا حَطَامًا فَظَلَمْ تَفْكِهُونَ إِنَّا لَمُغْرِبُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ » .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع ، حدثنا هشيم ، عن يعلى بن عطاء ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو قال : الرياح ثمانية ، أربعة منها رحمة ، وأربعة عذاب ، فاما الرحمة : فالناشرات ، والمبشرات ، والمرسلات ، والذاريات . وأما العذاب : فالعيقيم ، والصرصر ، وهما في البر ، والعاصف ، وال العاصف ، وهما في البحر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبيدة الله ابن أبي هب ، حدثنا عمي ، حدثنا عبد الله ابن عبياش ، حدثني عبد الله بن سليمان^[٣] ، عن دراج ، عن عيسى بن هلال الصدفي ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الريح مسخرة^[٤] » من

[١] - في ت : فترقبوه .

[٢] - في ز ، خ : « فَظَلَوا » .

[٣] - في خ ، ز : « سليمان » .

[٤] - في ز ، خ : « سخر » .

الثانية - يعني : من [١] الأرض الثانية - فلما أراد الله أن يهلك عاداً ، أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحًا تهلك عاداً ، فقال [٢] : يارب ، أرسل عليهم من الريح قدر متخر الشور . قال له الجبار تبارك وتعالى : لا ، إذا تكفاً الأرض وما عليها ، ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم ، فهي التي قال الله في كتابه : [٣] ما تذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالرميم [٤] . هذا حديث غريب ورفعه منكر ، والأظهر أنه من كلام عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْقَدَ وَلَا تُسْمِعُ الصَّمَدَ إِذَا وَلَوْا مُذْبِرِينَ ٥٢
بِهَدْوِ الْعَمَى عَنْ ضَلَالِنَّهُمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِمَا يَأْتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ٥٣

يقول تعالى : كما أنت ليس في قدرتك أن تسمع الأموات في أجادلها [٥] ، ولا تبلغ كلامك الصنم الذين لا يسمعون ، وهم مع ذلك مذربون عنك ، كذلك لا تقدر [٦] على هداية العميان عن الحق ، وردهم عن ضلالتهم ، بل ذلك إلى الله تعالى ، فإنه [٧] بقدرته يسمع الأموات أصوات الأحياء إذا شاء ، وبهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وليس ذلك لأحد سواه ، ولهذا قال : [٨] إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون [٩] ، أي : خاضعون مستجحيون مطعون ، فأولئك هم الذين يستمعون الحق ويتبعونه ، وهذا حال المؤمنين ، والأول مثل الكافرين ، كما قال تعالى : [١٠] إنما يستجيب الذين يسمعون والموتي يعشهم الله ثم إليه يرجعون [١١] .

وقد استدللت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بهذه الآية : [١٢] إِنَّكَ لَا تسمع الموتى [١٣] ، على توهيم عبد الله بن عمر في روايته مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم القتلى الذين ألقوا في [١٤] القليب [١٥] قليب بدر ، بعد ثلاثة أيام ، ومعاتبته إياهم ، وتقريره لهم ، حتى قال له [١٦] عمر : يا رسول الله ، ما تخاطب من قوم قد جيئُوك [١٧] ؟ فقال : « والذي نفسي بيده ، ما أنت بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يجيئون » .

وتأنلته عائشة على أنه قال : إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق .

[١] - جمع جدث وهو القبر .

[٢] - أي أنتوا . يقال : جافت الميادة وجافت ، واجتافت . والجففة جثة الميت إذا أنتن .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعکوفین سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ت ، خ : « يقدر » .

[٦] - ما بين المعکوفین سقط من : ت .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

وقال قادة : أحياهم الله له حتى سمعوا مقالته تقريراً وتوبيخاً ونقاوة .

والصحيح عند العلماء رواية ابن عمر ، لما لها من الشواهد على صحتها من وجوه^[١] كثيرة ، من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البر مصححاً ، عن ابن عباس مرفوعاً : « ما من أحد ير بقبر أخيه المسلم ، كان يعرفه في الدنيا ، فيسلم عليه ، إلا رد الله^[٢] عليه روحه ، حتى يرد عليه السلام »^[٣] .

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ٥٤ ﴾

يتبه تعالى على تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالاً بعد حال ، فاصله من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضطة ، ثم يصير عظاماً ، ثم يُكسى لحناً ، ويُفتح فيه الروح ، ثم يخرج من بطنه أمه ضعيفاً واهن القوى . ثم يشب قليلاً قليلاً حتى يكون صغيراً ، ثم حديثاً ، ثم مراهقاً ، ثم شاباً . وهو^[٤] القوة بعد الضعف ، ثم يشرع في النقص ، فيكتهل^[٥] ثم يشيخ ثم يهرم ، وهو الضعف بعد القوة ، فتضيق الهمة والحركة والبطش ، وتشيب اللمة ، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة ولهذا قال : **﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾** ، أي : يفعل ما يشاء ، ويتصرف في عيده بما يريد ، **﴿ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾** .

قال الإمام أحمد^(٣٩) : حدثنا وكيع ، عن فضيل^[٦] ، ويزيد ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي قال : قرأت على ابن عمر : **﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾** ، ثم قال : قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قرأت على ، فأخذت علي كما أخذت عليك .

ورواه أبو داود ، والترمذمي - وحسنه - من حديث فضيل ، به .

ورواه أبو داود من حديث عبد الله بن جابر ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، بنحوه^(٤٠) .

(٣٨) سيأتي تخریج الحديث عند تفسیر الآية : ٤٢ من سورة الذاريات .

(٣٩) المسند (٥٨/٢) ، وسنن أبي داود حديث (٣٩٧٨) ، وسنن الترمذمي حديث (٢٩٣٦) .

(٤٠) سنن أبي داود حديث (٣٩٧٩) .

[١] - في ز، خ : « وجه ». .

[٢] - في ز، خ : « في ». .

[٣] - في ز، خ : « فضل ». .

[٤] - في ز، خ : « فيكم ». .

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُعْجَرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةً كَذَلِكَ كَانُوا
يُؤْفَكُونَ ٥٥ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لِيَتَّمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ
الْبَعْثَى فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثَى وَلَكُنُوكُمْ كُثُرٌ لَا تَعْلَمُونَ ٥٦ فِي يَوْمِئِذٍ لَا يَنْفَعُ
الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتَهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ٥٧

يخبر تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا فعلوا ما فعلوا من عبادة الأوثان ، وفي الآخرة يكون منهم جهل عظيم أيضًا ، فمعنى إقسامهم بالله أنهما ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة واحدة ، ومقصودهم [١] بذلك عدم قيام الحاجة عليهم ، وأنهم لم يتذروا حتى يعذر إليهم . قال الله تعالى : « كذلك كانوا يؤفكون » و قال الذين أتوا العلم والإيمان لقد لبثم في كتاب الله إلى يوم البعث) ، أي : فيرة عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة ، كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا ، فيقولون لهم حين يحلفون ما لبثوا غير ساعة : « لقد لبثم في كتاب الله) ، أي : في [٢] كتاب الأعمال إلى يوم البعث) ، أي : من يوم خلقتم إلى أن بعثتم ، « ولكنكم كتم لا تعلمون) .

قال الله تعالى : « في يومئذ) ، أي : يوم القيمة « لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم) ، أي : اعتذارهم عمـا [٣] فعلوا « ولا هم يستعتبون) ، أي : ولا هم يرجعون إلى الدنيا . كما قال تعالى : « وإن يستعتبوا فما هم من المعتبرين) .

وَلَقَدْ ضَرَبَنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَيْسَ حِشَّتُهُمْ بِيَأْيَةٍ لَيَقُولُونَ
الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ أَنْتَ إِلَّا مُبْطِلُونَ ٥٨ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٥٩ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفْنَكَ الَّذِينَ لَا
يُؤْفَكُونَ ٦٠

يقول تعالى : « وَلَقَدْ ضَرَبَنَا [٤] لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) أي : قد بينا لهم الحق ، ووضحا لهم ، وضربنا لهم فيه الأمثال ، ليتبينوا الحق ويتبعوه . « وَلَيْسَ جِتْهُمْ بِيَأْيَةٍ لِيَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ أَنْتَ إِلَّا مُبْطِلُونَ) ، أي : لو رأوا أي آية كانت ، سواء كانت

[١] - ما بين المukoتفين في ز ، خ : « هم » .

[٢] - في ز ، خ : « نما » .

[٣] - في ز ، خ : « صرفاً » .

[٤] - ما بين المukoتفين في ز ، خ : « هم » .

باتراحهم أو غيره لا يؤمنون بها ، ويعتقدون أنها سحر وباطل ، كما قالوا في انشقاق القمر ونحوه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلْمَةُ رَبِّكُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءُتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يُرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ ، ولهذا قال هاهنا ، ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * فَاصْبِرْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ﴾ ، أي : أصبر على مخالفتهم وعنادهم ، فإن الله منجز لك ما وعدك من نصره إليك ، وجعله العاقبة لك ، ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة . ﴿ وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقَنُونَ ﴾ ، أي : بل اثبت على ما بعثك الله [١] به ، فإنه الحق الذي [لا مرية فيه [٢]] ، ولا تعدل عنه ، وليس فيما سواه هدى يتبع ، بل الحق كله [٣] منحصر فيه .

قال سعيد ، عن قتادة : نادى رجل من الخوارج علياً - رضي الله عنه - وهو في الصلاة - صلاة الغداة - فقال : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَيَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِيْجَبْطَنْ عَمَلَكَ وَلَتَكُونُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ، فأنصت له علي [٤] حتى فهم ما قال ، فأجابه وهو في الصلاة : ﴿ فَاصْبِرْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقَنُونَ ﴾ . رواه ابن جرير ، وأبن أبي حاتم . وقد رواه ابن جرير من وجه آخر فقال :

حدثنا ابن وكيع ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عثمان بن أبي زرعة ، عن علي ابن ربيعة قال : نادى رجل من الخوارج علياً وهو في صلاة الفجر ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَيَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِيْجَبْطَنْ عَمَلَكَ وَلَتَكُونُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ، فأجابه علي وهو في الصلاة : ﴿ فَاصْبِرْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقَنُونَ ﴾ [٤١] .

(طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الجعد ، أخبرنا شريك ، عن عمران بن ظبيان ، عن أبي تحيا قال : صلى علي - رضي الله عنه - صلاة الفجر ، فناداه رجل من الخوارج : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِيْجَبْطَنْ عَمَلَكَ وَلَتَكُونُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ، فأجابه علي ، وهو في الصلاة : ﴿ فَاصْبِرْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقَنُونَ ﴾ .

ما روی في فضل هذه السورة الشريفة واستحباب قراءتها في الفجر

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، سمعت شيئاً أبا روح ، يحدث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - صلى بهم الصبح فقرأ فيها الرزوم فأوهمهم [٥] ، فقال : « إنه يلبس علينا القرآن ،

[٤١] تفسير الطبراني (٣٨/٢١).

[٥] أوهم في الصلاة أو في القراءة : ترك منها شيئاً . يقال : أوهنت الشيء إذا تركته . وأوهنت في الكلام والكتاب إذا أسقطت منه شيئاً .

[٦] - سقط من : ز، خ.

[٧] - سقط من : ز، خ.

[٨] - سقط من : ز، خ.

[٩] - سقط من : ز، خ.

فَإِنْ أَقْرَأْتُمْ مِنْكُمْ يَصْلُونَ مَعَنَا لَا يَحْسِنُونَ الوضُوءَ ، فَمَنْ شَهِدَ الصَّلَاةَ مَعَنَا فَلَيَحْسِنْ الوضُوءَ »^(٢).

وهذا إسناد حسن ومتن حسن ، وفيه سر عجيب^[١] . ونبأ غريب ، وهو أنه - عليه السلام - تأثر بنقصان وضوء من ائتم به ، فدل ذلك أن صلاة المؤمن معدودة بصلوة الإمام .



.) المسند (٤٧١/٣) . رواه النسائي في كتاب الافتتاح ، باب : القراءة في الصبح بالروم (١٥٦/٢) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٦/١) وقال : رواه أحمد عن أبي روح عن رجل ورجاله رجال الصحيح . اهـ . وضعفه الألباني في ضعيف النسائي .

[١] - في ز ، خ : « غريب » .

تفسير سورة لقمان

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّتِي ۝ تَلَكَءَيْتُ الْكِتَابَ الْحَكِيمَ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝
 الَّذِينَ يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَيَتَوَسَّلُونَ إِلَيْنَا ۝ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوْقَنُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَىٰ
 هُدًىٰ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝

تقديم في أول «سورة البقرة» عامنة الكلام على ما يتعلّق بصدر هذه السورة ، وهو أنه - تعالى - جعل هذا القرآن هدى وشفاء ورحمة للمحسنين ، وهم الذين أحسنوا العمل في اتباع الشريعة ، فأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأوقاتها ، وما يتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة ، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقها ، ووصلوا قراباتهم وأرحامهم ، وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة ، فرغبوا إلى الله في ثواب ذلك ، لم يراءوا به ، ولا أرادوا جزاء من الناس ولا شكورا ، فمن فعل ذلك كذلك فهو من الذين قال الله تعالى : ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًىٰ مِّنْ رَّبِّهِمْ﴾ أي : على [١] بصيرة وبينة ومنهج واضح جليّ ، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ، أي : في الدنيا والآخرة .

وَمَنْ أَنْتَسِ مَنْ يَشَرِّى لَهُوَ الْحَدِيثُ لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَعْتَزِرُ عَلَيْهِ
 وَيَتَخَذِّهَا هُرُوزًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا تَلَيْنَ عَلَيْهِ مَاءَيْنَا وَلَّ
 مُسْتَكِيرًا كَانَ لَهُ يَسْمَعُهَا كَانَ فِي أَذْنِيهِ وَفَرَأَ فَبِشِّرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝

لما ذكر تعالى حال السعداء ، وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه ، كما قال تعالى : ﴿هُوَ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثَ كَاتِبًا مَتَّشِابِهَا مَثَانِي تَقْشِعُ مِنْهُ جَلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبِّهِمْ
 ثُمَّ تَلَيْنَ جَلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدُّى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يَضْلُّ اللَّهُ فَمَا
 لَهُ مِنْ هَادِ ۝ عَطْفٌ بِذِكْرِ حَالِ الْأَشْقِيَاءِ ، الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ الانتِفَاعِ بِسَمَاعِ كَلَامِ اللَّهِ ،
 وَأَقْبَلُوا عَلَى استِمَاعِ الْمَزَامِيرِ وَالْغَنَاءِ بِالْأَلْحَانِ وَآلَاتِ الطَّرْبِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ مُسْعُودَ فِي قَوْلِهِ

[١] - سقط من : ز .

تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُشْتَرِي لَهُ الْحَدِيثَ ﴾ ، قال : هو - والله - الغناء .

قال ابن جرير : حديثي يونس [بن عبد الأعلى]^[١] ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني يزيد عن [٢] يونس ، عن أبي صخر ، عن أبي معاوية البجلي ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي الصهباء البكري ، أنه سمع عبد الله بن مسعود - وهو يسأل عن هذه الآية : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُشْتَرِي لَهُ الْحَدِيثَ لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ - فقال عبد الله : الغناء ، والله الذي لا إله إلا هو ، يردها ثلاث مرات .

حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا صفوان بن عيسى ، أخبرنا حميد الخراط ، عن عمار ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي الصهباء ، أنه سأله ابن مسعود عن قول الله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُشْتَرِي لَهُ الْحَدِيثَ ﴾ ، قال : الغناء^(١) .

وكذا قال ابن عباس ، وجابر ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومكحول ، وعمرو ابن شعيب ، وعلى بن بذيمة .

وقال الحسن البصري : أنزلت هذه الآية : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُشْتَرِي لَهُ الْحَدِيثَ لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ في الغناء والزمامير .

وقال قتادة : قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُشْتَرِي لَهُ الْحَدِيثَ لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ : والله لعله لا ينفع فيه مالاً ، ولكن شراؤه استحبابه ، بحسب المراء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ، وما يضر على ما ينفع .

وقيل : عن بقوله : ﴿ يُشْتَرِي لَهُ الْحَدِيثَ ﴾ اشتراء المغනيات من الجواري .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن إسماعيل الأحسسي ، حدثنا وكيع ، عن خلاد

(١) - إسناده صحيح ، وقد ورد من غير وجه عن سعيد بن جبير عن ، أبي الصهباء به . كما أخرجه ابن جرير وغيره . وأبو الصهباء هو صهيب مولى ابن عباس ، وثقة أبو زرعة ، وذكره ابن حبان في ثقته ، وأنخرج له مسلم ، وقال النسائي : ضعيف . وقال الحافظ : مقبول . قلت : وكلام أهل البرح والتعديل يجعل النفس غير مطمئنة لتصحيح حديثه إذا انفرد ، وهذا مقتضى كلام الحافظ ؛ فمقبول يعني عن المتابعة ولا فيك كما هو معروف ، ولكننا صحيحتنا هذا الإسناد لأن هذا خبر عن ابن مسعود وليس عن رسول الله عليه السلام ، ولا سيما أن ورد هذا القول عن ابن عباس ، وجابر ، وعكرمة وغيرهم من الصحابة والتابعين ، ولأن هذه الطبقه يتسهال معها ما لم يتتسهال مع غيرها . لأنهم لازموا خير القرون ، فهذا يجر ما كان بهم من ستر ، والله أعلم .

[١] - ما بين المukoفتين سقط من : ز .

[٢] - في ت : « بن » .

الصفار ، عن عبيد الله بن زَحْرٍ ، عن علي بن زيد ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة ، عن النبي - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : « لا يحل بيع المغنيات ، ولا شراؤهن ، وأكل المأنهن حرام ، وفيهن أنزل الله - عز وجل - عَلَيْهِ : ﴿ وَمَنِ النَّاسُ مَنْ يَشْتَرِي لَهُ الْحَدِيثُ ﴾ » .

وهكذا رواه الترمذى وابن جرير ، من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ زَحْرَ بَنْحُوَ ، ثم قال الترمذى : هذا حديث غريب ، وَضَعْفُ عَلَيْهِ بْنِ زَيْدِ الْمَذْكُورِ^(٢) .

قلت : علي وشيخه والراوى عنه ، كلهم ضعفاء ، والله أعلم .

وقال الضحاك في قوله تعالى : ﴿ وَمَنِ النَّاسُ مَنْ يَشْتَرِي لَهُ الْحَدِيثُ ﴾ : يعني الشرك . وبه قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، واحتار ابن جرير أنه كل كلام يصدق عن آيات الله واتباع سبيله .

وقوله : ﴿ لِيَضْلِلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي : إنما يصنع هذا للخلاف للإسلام وأهله وعلى قراءة فتح اليماء ، تكون اللام لام العاقبة ، أو تعليلاً للأمر القديري ، أي : قُيَضُوا^(١) لذلك ليكونوا كذلك .

وقوله : ﴿ وَيَتَخَذُهَا هَرَوْا ﴾ قال مجاهد : ويتخذ سبيل الله هروباً يستهزئ بها .

وقال قادة : يعني ويتخذ آيات الله هروباً . قوله مجاهد أولى .

وقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ ، أي : كما استهانوا بأيات الله وسيله ،

(١) - إسناده واؤه ، وأخرجه أَحْمَد (٥ / ٢٦٤، ٢٥٢)، والترمذى في البيوع من جامعه ، باب : « ما جاء في كراهة بيع المغنيات » حديث رقم (١٢٨٢) ، وفي التفسير ، باب : ومن سورة لقمان ، حديث رقم (٣١٩٥) ، وابن ماجه في كتاب التجارات ، باب : ما لا يحل بيعه ، حديث رقم (٢١٦٨) ، والطبراني (٨ / ٢١٢، ٢٢٣، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤)، وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي - ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتنائية (٢ - ٧٨٤ - ٧٨٣)، والبيهقي (٦ / ١٤ - ١٥)، وابن عدى في الكامل (٦ / ٢٣١٥)، وابن الجوزي في العلل المتنائية (٢ / ٧٨٤ - ٧٨٣) من طرق عن عَبْدِ اللهِ بْنِ زَحْرَ ، عن علي بن زيد ، عن القاسم بن عبد الرحمن الشامي ، عن أبي أمامة به . وفي بعض الطرق عند الطبراني وابن الجوزي في العلل المتنائية من طريق آخر عن القاسم عن أبي أمامة ، وكلها ضعيفة لا ثبت ، والحديث محفوظ من هذه الطريق : عَبْدِ اللهِ بْنِ زَحْرَ عن علي بن زيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة ، وهذا إسناد مسلسل بالضعفاء ، وفي الباب عن عائشة مرفوعاً بلطفظ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَمَ الْقِبْلَةَ ، وَبَيْعَهَا وَتَعْلِيمَهَا ، وَالْأَسْتِمَاعُ إِلَيْهَا ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَمَنِ النَّاسُ ... ﴾ الْآيَةُ أُخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي ذمِّ الْمَلَاهِي - ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتنائية (٢ / ٧٨٣ - ٧٨٥) وضعفه ، لتفرد لِيَثُ بْنُ أَبِي سَلِيمَ به .

[١] - في ز : « أَفِيَضُوا » .

أهينوا يوم القيمة في العذاب الدائم المستمر .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَلَىٰ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَانَ فِي أَذْنِيهِ وَقَرَاءَةٌ ، أَيْ : هَذَا الْمُقْبَلُ عَلَى الْلَّهِ وَاللَّعْبُ وَالْطَّرْبُ ، إِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِ الْآيَاتِ الْقَرآنِيَّةِ ، وَلَىٰ عَنْهَا وَأَعْرَضَ وَأَدَبَرَ وَتَصَامٌ^[١] وَمَا بِهِ مِنْ صَمَمٍ ، كَانَهُ مَا يَسْمَعُهَا ، لَأَنَّهُ يَتَأْذِي بِسَمَاعِهَا ، إِذَا لَا اتِّفَاعَ لَهُ بِهَا ، وَلَا أَرْبَطَ لَهُ فِيهَا ، ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابِ الْيَمِّ ﴾ ، أَيْ : يَوْمُ الْقِيَمَةِ يُؤْلَمُهُ ، كَمَا تَأْلَمُ بِسَمَاعِ كِتَابِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَاحَتُ النَّعِيمِ ﴿١﴾ خَلِيلِنَّ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾

هذا ذكر مآل الأبرار من السعداء في الدار الآخرة ، الذين آمنوا بالله وصدقوا المسلمين ، وعملوا الأعمال الصالحة المتابعة لشريعة الله ، ﴿ لَهُمْ جَنَاتُ النَّعِيمِ ﴾ ، أي : ينعمون فيها بأنواع الملاذ والمسار ، من المأكل والمشرب ، والملابس والمساكن ، والراكب والنساء ، والضرة والسماع الذي لم يخطر ببال أحد ، وهو في ذلك مقيمون دائمًا فيها ، لا يطعنون ولا يبغون عنها حولاً .

وقوله : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ﴾ ، أي : هذا كائن لا محالة ، لأنَّه من وعد الله ، والله لا يخلف الميعاد ، لأنَّه الكريم المنان ، الفعال لما يشاء ، القادر على كل شيء ، ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ ، الذي قد قهر كل شيء ، ودان له كل شيء . ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في أقواله وأفعاله ، الذي جعل القرآن هدى للمؤمنين ، ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدَىٰ وَشَفَاءٌ وَاللَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي أَذْنَاهُمْ وَقَرَوْبُهُمْ عَمَىٰ ﴾ ، ﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يُزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خُسْرًا ﴾ .

خَلَقَ السَّمَوَاتِ يَغْيِرُ عَمَدَهَا وَالْأَرْضَ فِي الْأَرْضِ رَوَسِيَّ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَيَثْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَمَّا فَانِيَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ نَعْجَنَ كَرِيمٌ ﴿٣﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرْوَفْ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ

مِيزَنٌ ﴿٤﴾

[١] - في ز : « تصام » .

يبين سبحانه بهذا قدرته العظيمة على خلق السماوات والأرض ، وما فيهما وما بينهما ، فقال : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عِمْدٍ ﴾ ، قال الحسن وقتادة : ليس لها عمدة مرئية ولا غير مرئية .

وقال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد : لها عمد لا ترونها . وقد تقدم تقرير هذه المسألة في أول « سورة الرعد » بما أغني [١] عن إعادةه .

﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رُوَاسِيٍّ ﴾ ، يعني : الجبال أرست الأرض وقتلتها ؛ لولا تضطرب بأهلها على وجه الماء ، ولهذا قال : ﴿ أَنْ تُمْدِدَ بِكُمْ ﴾ ، أي : لولا تمدد بكم .

وقوله : ﴿ وَبِثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ ، أي : وذرأ فيها من أصناف الحيوانات مما لا يعلم عدد أشكالها وألوانها إلا الذي خلقها .

ولما قرر أنه الحالق ، نبه على أنه الرازق بقوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمًا ﴾ ، أي : من كل زوج من النباتات كريم ، أي : حسن المنظر .

وقال الشعبي : والناس أيضاً من نبات الأرض ، فمن دخل الجنة فهو كريم ، ومن دخل النار فهو لثيم .

وقوله : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ ﴾ ، أي : هذا الذي ذكره تعالى من خلق السماوات والأرض وما بينهما ، صادر عن فعل الله وخلقه وتقديره ، وحده لا شريك له في ذلك ، ولهذا قال : ﴿ فَأَرَوْلَيْ ماذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ ، أي : مما تبعدون وتدعون [٢] من الأصنام والأنداد ، ﴿ بَلِ الظَّالِمُونَ ﴾ ، يعني : المشركون بالله العابدين معه غيره ، ﴿ فِي ضَلَالٍ ﴾ ، أي : جهل وعمى ، ﴿ مُبِينٍ ﴾ ، أي : واضح ظاهر لا خفاء به .

وَلَقَدْ عَائِنَا لَقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ أَشْكُرَ اللَّهَ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ

كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ

اختلف السلف في لقمان - عليه السلام - هل كاننبياً ، أو عبداً صالحًا من غير نبوة ؟ على قولين ، الأكثر على الثاني .

وقال سفيان الثوري ، عن الأشعث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان لقمان عبداً حبشيًا نجاشاً .

[٢] - سقط من : ز .

[١] - في ز : « يعني » .

وقال قتادة ، عن عبد الله بن الزبير قلت لجابر بن عبد الله : ما انتهى إليكم من شأن لقمان ؟ قال : كان قصيراً أسطس ، من النوبة .

وقال يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيب قال : كان لقمان من سودان مصر ، [١] مشافر ، أعطاه الله الحكمة ، ومنعه النوبة .

وقال الأوزاعي - رحمه الله - : حدثني عبد الرحمن بن حرمدة قال : جاءأسود إلى سعيد ابن المسيب يسألة ، فقال له سعيد بن المسيب : لا تخزن من أجل أنكأسود ، فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان : بلال ، ومهجع [٢] مولى عمر بن الخطاب ، ولقمان الحكيم ، كانأسود نويعاً [٣] ذا مشافر .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبي ، عن أبي الأشهب ، عن خالد الربعي قال : كان لقمان عبداً حبيشاً نجراً ، فقال له مولاه : اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها [٤] ، فقال : أخرج أطيب مضغتين فيها . فأخرج اللسان والقلب ، فمكث ما شاء الله ، ثم قال : اذبح لنا [٥] هذه الشاة . فذبحها ، فقال : أخرج أثبّت مضغتين فيها . فأخرج اللسان والقلب ، فقال له مولاه : أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما ، وأمرتك أن تخرج أثبّت مضغتين فيها فأخرجتهما ؟ فقال لقمان : إنه ليس من شيء أطيب منها إذا طابا ، ولا أثبّت منها إذا خبثا .

وقال شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد : كان لقمان عبداً صالحًا ولم يكن نبياً .

وقال الأعمش : قال مجاهد : كان لقمان عبداًأسود عظيم الشفتين ، مشقق القدمين .

وقال حكام بن سلم ، عن سعيد الزبيدي ، عن مجاهد : كان لقمان الحكيم عبداً حبيشاً ، غليظ الشفتين ، مصفح القدمين ، قاضياً على بني إسرائيل . وذكر غيره : أنه كان قاضياً على بني إسرائيل في زمن داود عليه السلام .

وقال ابن حرير : حدثنا ابن [٦] حميد ، حدثنا الحكم ، حدثنا عمرو بن قيس قال : كان لقمان - عليه السلام - عبداًأسود غليظ الشفتين ، مصفح القدمين ، فأناه رجل وهو في مجلس أناس يحدثهم ، فقال له : ألسن الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا ؟ قال : نعم ، فقال : فما [٧] بلغ بك ما أرى ؟ قال : صدق الحديث ، والصمت عما لا يعنيني [٨] .

[١] - في ز : « ذو » .

[٢] - في ز : « مهجمع » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز : « يعني » .

[٦] - في ز : « ما » .

[٧] - في ز : « يعني » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا عبد الرحمن ابن يزيد ، عن [١] جابر قال : إن الله رفع لقمان الحكيم بحكمته ، فرأه رجل كان يعرفه قبل ذلك ، فقال له [٢] : ألسْت عبدبني فلان الذي كتب ترعي [٣] بالأمس ؟ قال : بلـي ، قال : فما بلغ بك ما أرـى ؟ قال : قـدـرـ الله ، وأداء الأمانة ، وصدق الحديث ، وتركـيـ ما لا يعنـيـ .

فهذه الآثار منها ما هو مصـرـحـ فيهـ بـنـيـ كـوـنـهـ نـبـيـاـ ، وـمـنـهـ مـاـ هوـ مـشـعـرـ بـذـلـكـ ، [ـلـأـنـ]
كـوـنـهـ [ـ٤ـ] عـبـدـ قـدـ [ـ٥ـ] مـئـهـ الرـقـ بـنـافـيـ كـوـنـهـ نـبـيـاـ ، لأنـ الرـسـلـ كـاتـبـ تـبـعـثـ فيـ أحـسـابـ قـوـمـهـ .
ولـهـذاـ كـانـ جـمـهـورـ السـلـفـ عـلـىـ أـنـهـ لـمـ يـكـنـ نـبـيـاـ ، وـلـمـ يـنـقـلـ كـوـنـهـ نـبـيـاـ عـنـ عـكـرـمـةـ ، إـنـ صـحـ
الـسـنـدـ إـلـيـهـ ، فـإـنـهـ روـاهـ اـبـنـ جـرـيرـ ، وـابـنـ أـبـيـ حـاتـمـ مـنـ حـدـيـثـ وـكـيـعـ ، عـنـ إـسـرـائـيلـ ، عـنـ جـابـرـ ،
عـنـ عـكـرـمـةـ قـالـ : كـانـ لـقـمـانـ نـبـيـاـ . وجـابـرـ هـذـاـ هـوـ اـبـنـ يـزـيدـ الـجـعـفـيـ ، وـهـوـ ضـعـيفـ ، وـالـلـهـ
أـعـلـمـ .

وقـالـ عـبـدـ اللهـ بـنـ وـهـبـ : أـخـبـرـيـ عـبـدـ اللهـ بـنـ عـيـاشـ الـقـبـانـيـ [ـ٦ـ] ، عـنـ عـمـرـ مـولـيـ عـفـرةـ قـالـ :
وـقـفـ رـجـلـ عـلـىـ لـقـمـانـ الـحـكـيمـ قـالـ : أـنـتـ لـقـمـانـ ، أـنـتـ عـبـدـ بـنـيـ الـحـسـسـاـسـ [ـ٧ـ] ؟ قـالـ : نـعـمـ .
قـالـ : أـنـتـ رـاعـيـ الـغـنـمـ ؟ قـالـ : نـعـمـ . قـالـ : أـنـتـ الـأـسـوـدـ ؟ قـالـ : أـمـاـ سـوـادـيـ فـظـاهـرـ ، فـمـاـ الـذـيـ
يـعـجـبـكـ مـنـ أـمـرـيـ ؟ قـالـ : وـطـءـ النـاسـ بـسـاطـاـكـ ، وـغـشـيـهـمـ بـاـبـكـ ، وـرـضـاهـمـ بـقـولـكـ . قـالـ : يـاـنـ
أـنـجـيـ ، إـنـ صـغـيـتـ إـلـيـ ماـ أـقـولـ لـكـ كـنـذـلـكـ . قـالـ لـقـمـانـ : غـضـيـ بـصـرـيـ ، وـكـفـيـ
لـسـانـيـ [ـ٨ـ] ، وـغـفـةـ طـعـمـتـيـ ، وـحـفـظـيـ فـرـجـيـ ، [ـوـقـوـيـ بـصـدـقـيـ] [ـ٩ـ] ، وـوـفـائـيـ بـعـهـدـيـ ، وـتـكـرـمـتـيـ
ضـيـفـيـ ، وـحـفـظـيـ جـارـيـ ، وـتـرـكـيـ ماـ لـاـ يـعـنـيـ ، فـذـاكـ الـذـيـ صـيـرـنـيـ إـلـيـ مـاـ تـرـىـ .

وقـالـ اـبـنـ أـبـيـ حـاتـمـ : حدـثـنـاـ اـبـنـ فـضـيـلـ [ـ١٠ـ] ، حدـثـنـاـ اـبـنـ وـاقـدـ ، عـنـ عـبـدـةـ
ابـنـ رـبـاحـ ، عـنـ رـبـيعـةـ ، عـنـ أـبـيـ الدـرـدـاءـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ - أـنـهـ قـالـ يـوـمـاـ - وـذـكـرـ لـقـمـانـ
الـحـكـيمـ - قـالـ : مـاـ أـوـتـيـ مـاـ أـوـتـيـ عـنـ أـهـلـ وـلـاـ مـالـ ، وـلـاـ حـسـبـ وـلـاـ خـصـالـ ، وـلـكـنـهـ كـانـ
رـجـلـ ضـمـنـصـامـةـ [ـ١١ـ] سـكـيـتاـ ، طـوـيلـ التـفـكـرـ ، عـمـيقـ النـظـرـ ، لـمـ يـنـ نـهـاـ قـطـ ، وـلـمـ يـرـهـ أـحـدـ قـطـ
يـزـيقـ ، وـلـاـ يـتـنـخـعـ ، وـلـاـ يـتـغـوطـ ، وـلـاـ يـتـغـسلـ ، وـلـاـ يـعـيـثـ ، وـلـاـ يـضـحـكـ ، وـكـانـ لـاـ
يـعـيـدـ مـنـطـقـاـ نـطـقـهـ إـلـاـ أـنـ يـقـولـ حـكـمـةـ يـسـتـعـيـدـهـاـ إـيـاهـ أـحـدـ ، وـكـانـ قـدـ تـرـوـجـ وـوـلـدـ لـهـ أـوـلـادـ ، فـمـاتـواـ
فـلـمـ يـكـيـ عـلـيـهـمـ . وـكـانـ يـغـشـيـ السـلـطـانـ ، وـيـأـتـيـ الـحـكـامـ ، لـيـنـظـرـ وـيـتـفـكـرـ وـيـعـتـبرـ ، فـبـذـلـكـ أـوـتـيـ مـاـ

[١] - في خ : « بن » .

[٢] - في ز : « راعي » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعقوفين في خ : « لكونه » .

[٥] - في ز : خ ، ز .

[٦] - في ز : « القبياني » .

[٧] - في ز : « الحسسas » .

[٨] - في ز : « إساعتي » .

[٩] - ما بين المعقوفين في ز : « قوای بصدقی » .

[١٠] - في ت : « نفیل » .

[١١] - سقط من : خ ، ز .

أوتى ^(٣) .

وقد ورد أثر غريب عن قتادة رواه ابن أبي حاتم ^(٤) فقال : حدثنا أبي ، حدثنا العباس بن الوليد ، حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي ، حدثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة قال : خَيْرِ اللَّهِ لِقَمَانُ الْحَكِيمَ بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْحَكْمَةِ ، فَاخْتَارَ الْحَكْمَةَ عَلَى النَّبِيِّ . قال : فَأَتَاهُ جَرِيلٌ وَهُوَ نَائِمٌ فَدَرَّ عَلَيْهِ الْحَكْمَةَ - أَوْ : رَشَ عَلَيْهِ الْحَكْمَةَ - : فَأَصْبَحَ يَنْطَقُ بِهَا .

قال سعيد : فسمعت عن قتادة يقول : قيل للقمان : كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خَيْرِكَ ربُّكَ ؟ فقال : إنه لو أرسل إلي بالنبوة عَزْمَةً لرجوت فيه الفوز منه ، ولكن أرجو أن أقوم بها ، ولكنه خَيَّرَني فخفت أن أضعف عن النبوة ، فكانت الحكمة أحب إلي . فهذا من روایة سعيد بن بشير وفيه ضعف ، وقد تكلموا فيه بسببه ، فالله أعلم .

والذى رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لِقَمَانَ الْحَكْمَةَ ﴾ ، أي : الفقه في الإسلام ، ولم يكن نبيا ، ولم يوح إليه .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لِقَمَانَ الْحَكْمَةَ ﴾ أي : الفهم والعلم والتعبير ، ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ ، أي : أمرناه أن يشكر الله - عز وجل - على ما أتاها الله ومنحة ووهبه من الفضل ؛ الذي خَصَّهُ به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه .

ثم قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ ﴾ ، أي : إنما يعود نفع ذلك وثوابه على الشاكرين ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلَانْفَسُهُمْ يَمْهُدُونَ ﴾ وقوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ ، أي : غني عن العباد ، لا يتضرر بذلك ، ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعا فإنه الغني عما سواه ، فلا إله إلا الله ، ولا نعبد ^[١] إلا إياه .

وَلَذِّ قَالَ لِقَمَانَ لِأَبْنِيهِ وَهُوَ يَعْظُمُ يَبْنَيْنَ لَا شُرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرِكَ لَظُلْمٌ

(٣) - إسناده ضعيف ، الأشعث هو ابن سوار قال الحافظ : « ضعيف » وهو من بلالغات ابن عباس ، ولا نعلم من أخبر ابن عباس بذلك ! وقد رواه جماعة عن لقمان بهذا الوصف أو قريبت منه كما سيسقه المصنف . وهذا يشبه أن يكون قد أخذه من مصدر واحد ، ولكن لا نستطيع أن نجزم أنهم أخذوه عن رسول الله ﷺ ، مع إمكانية ذلك وجوازه ، لأنه من الممكن أن يكونوا قد حملوه عن أهل الكتاب وقد أمرروا أن يحدثوا عنهم ، ولا حرج عليهم في ذلك ، والله أعلم والخبر أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره .

(٤) - إسناده ضعيف ، سعيد بن بشير ضعفه غير واحد ، وحاصل الكلام فيه أنه ضعيف لا يقبل خبره إذا أفرد ، وقد خالقه سعيد بن أبي عروبة - وهو من أثبت الناس فى قتادة - عن قتادة في قوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لِقَمَانَ ... ﴾ الآية أي الفقه في الإسلام ، ولم يكن نبيا ولم يوح إليه وسيذكره المصنف بعده .

عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَنَ بِوَالدِّيهِ حَمْلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَّ عَلَىٰ وَهُنِّ وَفِصَّالُهُ فِي
عَامِينَ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالدِّيكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَهَدَكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ
فِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَأَتَيْعَ سَيْلَ
مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَإِنَّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى مخبراً عن وصية لقمان لولده ، وهو لقمان بن عنقاء بن سدون ، واسم ابنته : ثاران ، في قول حكاه السهيلي . وقد ذكره تعالى بأحسن الذكر ، فإنه آتاه الحكمة ، وهو يوصي ولده الذي هو أشدق الناس عليه وأحبهم إليه ، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ، ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً ، ثم قال محدراً له : ﴿فَإِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ، أي : هو أعظم الظلم .

قال البخاري : حدثنا قتيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقة ، عن عبد الله - رضي الله عنه - قال : لما نزلت : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقالوا : أينما لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنه ليس بذلك ، ألا تسمع إلى قول لقمان : ﴿يَا بْنَى لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾» ورواه مسلم من حديث الأعمش به^(٥) .

ثم قرآن بوصيته إياه بعبادة الله وحده البر بالوالدين ، كما قال تعالى : ﴿وَقُضِيَ رِبِّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُ إِلَّا إِيَاهُ وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا﴾ . وكثيراً ما يقرن تعالى بين ذلك في القرآن ، وقال هاهنا : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالدِّيهِ حَمْلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَّ عَلَىٰ وَهُنِّ وَفِصَّالُهُ فِي الْأَوْلَادِ﴾ . قال مجاهد : مشقة وهم الولد . وقال قتادة : جهداً على جهد . وقال عطاء الخراساني : ضعفاً على ضعف .

وقوله : ﴿وَفَصَالَهُ فِي عَامِينَ﴾ ، أي : تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين ، كما قال تعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يَرْضِعْنَ أُولَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلَيْنِ لَمْ أُرَادْ أَنْ يَتَمَ الرِّضَاعَةُ﴾ ومن هنا استبط ابن عباس وغيره من الأئمة أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ، لأنه قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿وَحَمَلَهُ وَفَصَالَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ وإنما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في سهرها ليلاً ونهاراً ، ليذكر الولد ياحسانها المتقدم إليه ، كما قال تعالى : ﴿وَقُلْ رَبُّ ارْحَمَهُمَا كَمَا رَبِّيَانِي صَغِيرًا﴾ . ولهذا قال : ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالدِّيكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ ، أي : فإنني

(٥) - أخرجه البخاري في كتاب الإيمان من صحيحه ، باب : « ظلم دون ظلم » حديث رقم (٣٢) ، وأطرافه في (٣٣٦٠، ٣٤٢٨، ٣٤٢٩، ٤٦٢٩، ٤٧٧٦، ٦٩١٨، ٦٩٣٧) ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان من صحيحه ، باب : « صدق الإيمان وإخلاصه » حديث رقم (١٤٤) .

سأجزيك^[١] على ذلك أوفر الجزاء .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد الله بن أبي شيبة ، ومحمود بن غيلان قالا : حدثنا عبيد الله ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن وهب قال : قدم علينا معاذ بن جبل ، وكان بعنه النبي صلى الله عليه وسلم فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أني رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم : « أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَطْعُونِي لَا أَلَوَّكُمْ خَيْرًا ، وَإِنَّ الْمُصِيرَ إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ ، إِقْامَةً فَلَا ظُنُونَ وَخَلْوَدَ فَلَا مَوْتَ »^(١) .

وقوله : « وَإِنْ جَاهَدَاكُمْ عَلَى أَنْ تُشْرِكُوا بِي مَا لَيْسَ لِكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعُوهُمَا » ، أي : إن حرصاً عليك كل الحرص على أن تابعهما على دينهما ، فلا تقبل منها ذلك ، ولا يعنك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفاً ، أي : محسناً إليهما ، « وَاتَّعِ سَبِيلَ مِنْ أَنَابِإِلَيْهِ » ، يعني المؤمنين ، « فَمَمْ لِي مَرْجِعُكُمْ فَأَبْيَكُمْ بِمَا كَتَمْتُ عَمَلَوْنَ » .

قال الطبراني في « كتاب العشرة » : حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أحمد بن أبيوب بن راشد ، حدثنا مسلمة بن علقة ، عن داود بن أبي هند ، أن سعد ابن مالك قال : أنزلت في هذه الآية : « وَإِنْ جَاهَدَاكُمْ عَلَى أَنْ تُشْرِكُوا بِي مَا لَيْسَ لِكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعُوهُمَا » الآية ، قال : كنت رجلاً يرعاً بأمي ، فلما أسلمت قالت : يا سعد ، ما هذا الذي أراك قد أحدثت ؟ لتدعَّنْ دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت ، فتغير بي ، فيقال : « يا قاتل أمِّهِ ». فقلت : لا تفعلي يا أمِّهِ ، فإني لا أدع ديني هذا لشيء . فمكثت يوماً وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت ، فمكثت يوماً وليلة أخرى لا تأكل ، فأصبحت قد اشتد جهدها ، فلما رأيت ذلك قلت : يا أمِّهِ ، تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفْسَنَا نَفْسَنَا ، ما تركت ديني هذا لشيء ، فإن شئت فكلي ، وإن شئت لا تأكل ، فأكلت^(٢) .

(١) - صحيح إلى معاذ بن جبل ، وأبي إسحاق ، وهو السبيعى ، مدللس وقد عنون ، ولكن وجدت هذا الخبر من وجه آخر عن معاذ بن جبل بنحوه ، وفيه بعض الزيادات ، أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١٦٢١/١٦) ضمن ترجمة معاذ بن جبل من طريق جابر بن يزيد الجعفى عن حالته به ، وأصل قصة بعث النبي ﷺ معاذ ابن جبل إلى اليمن في الصحيحين وغيرهما تتضمن أصل هذه الوصية .

(٢) - سبق تخریج هذا الخبر من غير هذا الوجه عند الآية رقم (٨) من سورة العنكبوت ، وهو في صحيح مسلم وغيره ، والحديث أخرجه الواحدى في أسباب التزول في سورة العنكبوت الآية رقم (٨) من طريق مسلمة بن علقة عن داود بن أبي هند بهذا الإسناد ، ونسبة السيوطي في الدر المشور لأبي يعلى ، والطبرانى ، وابن مردوحه ، وابن عساكر .

[١] - في ز : « سأجزيك » .

يَبْنَى إِنَّمَا إِنْ تَكْ مُثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ
أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لطِيفٌ خَيْرٌ ١٧ يَبْنَى أَقْرَبُ الْعَصْلَوَةَ وَأَمْرُ
بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَنْ الْأَمْرِ
وَلَا تُصْعِرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَفْشِلْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ
مُخْتَالٍ فَخُورٍ ١٨ وَاقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ
لَصَوْتُ الْعَيْرِ ١٩

هذه وصايا نافعة قد حكها الله تعالى عن لقمان الحكيم ، ليتمثلها الناس ويقتدوا بها ،
قال : ﴿ يا بني إلها إن تك مثقال حبة من خردل ﴾ ، أي : إن المظلمة أو الخطيبة لو كانت
مثقال حبة خردل . وجوز بعضهم أن يكون الضمير في قوله : ﴿ إلها ﴾ ضمير الشأن
والقصة . وجوز على هذا رفع ﴿ مثقال ﴾ والأول أولى .

وقوله : ﴿ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾ ، أي : أحضرها الله يوم القيمة حين يضع الموازين القسط ،
وجازى عليها إن خيراً فخير ، وإن شرّاً فشر . كما قال تعالى : ﴿ وَلَنَضْعُ الْمَوَازِينَ الْقَسْطَ لِيَوْمِ
الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مُثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ .
وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مُثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يُرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مُثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يُرَهُ ﴾ ولو
كانت تلك الذرة محصنة مجحوبة في داخل صخرة صماء ، أو غابة^[١] ذاتية في أرجاء
السماءات أو الأرض ، فإن الله يأتي بها ، لأنها لا تخفي عليه خافية ، ولا يعزب عنها مثقال ذرة
في السماءات ولا في الأرض ، ولهذا قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لطِيفٌ خَيْرٌ ﴾ ، أي : لطيف العلم ،
فلا تخفي عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت ، ﴿ خَيْرٌ ﴾ بدبيب النمل في الليل
البهيم .

وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله : ﴿ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ ﴾ ، أنها صخرة تحت الأرضين
السبعين ، ذكره السدي بإسناده ذلك المطروق عن ابن عباس وأبن مسعود وجماعة من الصحابة إن
صح ذلك ، ويروي هذا عن عطية العوفي ، وأبي مالك ، والثوري ، والمهال بن عمرو ،
وغيرهم . وهذا والله أعلم ، كأنه متلقى من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب ،
والظاهر - والله أعلم - أن المراد أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة فإن الله

[١] - في ز : « عاتية » .

سيديها ويظهرها بطريق علمه ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لبيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ، ليس لها باب ولا كوة ، تخرج [١] عمله للناس كائناً ما كان » ^(٨) .

ثم قال : « يا بني أقم الصلاة » ، أي : بحدودها وفروضها وأوقاتها ، « وأمر بالمعروف واله عن المنكر » ، أي : بحسب طاقتك وجهدك ، « وأصبر على ما أصابك » . علم أن الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر ، لابد أن يناله من الناس أذى ، فأمره بالصبر .

وقوله : « إن ذلك من عزم الأمور » أي : إن الصبر على أذى الناس من ^[٢] عزم الأمور .

وقوله : « ولا تصرخ خدك للناس » ، يقول : لا تُعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك ، احتقاراً منك لهم ، واستكباراً عليهم . ولكن ألم جانبك ، وابسط وجهك إليهم ، كما جاء في الحديث : « ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط ، وإياك وإسبال الإزار فإنها من الخبلة ، والخبلة لا يحبها الله » ^(٩) .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : « ولا تصرخ خدك للناس » ، يقول : لا تكبر فتحقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك . وكذا روى العوفى وعكرمة عنه .

وقال مالك عن زيد بن أسلم : « ولا تصرخ خدك للناس » لا تتكلّم وأنت معرض ، وكذا روى عن مجاهد ، وعكرمة ، ويزيد بن الأصم ، وأبي الجوزاء ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وابن زيد ، وغيرهم .

وقال إبراهيم التخعي : يعني بذلك التشديد في الكلام .

والصواب القول الأول .

قال ابن جرير : وأصل الصغر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رءوسها ، حتى ثلثت ^[٣] أعناقها عن رءوسها ، فشبه به الرجل المتكبر ^[٤] ، ومنه قول عمرو بن ختي التغلبي :

وَكُنَّا إِذَا الْجَيَّارْ صَغَرَ خَدَهُ أَقْمَنَا لَهُ مِنْ مَيْلَهُ فَتَقَوَّمَا

(٨) - سبق تخریج هذا الحديث في سورة التوبه الآية رقم (١٠٥) .

(٩) - سبق تخریج هذا الحديث في سورة التمل الآية رقم (٦٢) .

[٢] - في ز : « تخرج » .

[٤] - في خ : « المتكسر » ، وفي ز : « (المتكبر) » .

[١] - في ز : « تخرج » .

[٣] - في خ : « بلغت » .

وقال أبو طالب في شعره :

وَكُنَّا قَدِيْمًا لَا نُقْرِئُ ظُلْمَةً إِذْ مَا ثَنَوا صُغْرُ الرَّءُوسِ نُقْيِمُهَا
وَقُولُهُ : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مُرْحَاتًا ﴾ ، أَيْ : جَذْلًا مُتَكَبِّرًا جَبَارًا عَنِيدًا ، لَا تَفْعَلُ ذَلِكَ
يَغْضِبُكَ اللَّهُ ، وَلَهُذَا قَالَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ أَيْ : مُخْتَالٌ مُعْجَبٌ فِي
نَفْسِهِ ، فَخُورٌ ، أَيْ : عَلَى غَيْرِهِ . وَقَد^[١] قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مُرْحَاتًا ، إِنَّكَ لَنْ
تَخْرُقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجَبَالَ طَوْلًا ﴾ وَقَدْ تَقْدِمُ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ .

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو القَاسِمِ الطَّبَرَانِيُّ : حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيُّ ، حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ
عُمَرَانَ بْنِ أَبِي لَيْلَى ، حَدَثَنَا أَبِي ، حَدَثَنَا أَبِي لَيْلَى ، عَنْ أَبِي لَيْلَى ، عَنْ عِيسَى ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي
لَيْلَى ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ شَيْبَانَ قَالَ : ذَكَرَ الْكَبِيرُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَشَدَّدَ فِيهِ ، قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ». قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْقَوْمِ : وَاللَّهِ يَا
رَسُولَ اللَّهِ ؎ إِنِّي لَأَغْسِلُ ثِيَابِي فَيُعْجِبُنِي يَاضِهَا ، وَيَعْجِبُنِي شَرَاكِ نَعْلِي ، وَعَلَاقَةُ سَوْطِي ،
قَالَ : « لَيْسَ ذَلِكَ الْكَبِيرُ ، إِنَّمَا الْكَبِيرُ أَنْ تَسْنَفَهُ الْحَقُّ ، وَتَقْمَطَ النَّاسَ » .

وَرَوَاهُ مِنْ طَرِيقِ أُخْرَى بِمِثْلِهِ ، وَفِيهِ قَصَّةٌ طَوِيلَةٌ ، وَمُقْتَلُ ثَابِتٍ وَوَصِيَّتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ^(١٠) .

(١٠) - أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ (٢/٦٩) (١٣١٧) - وَوَقَعَ فِي الْمَطْبُوعِ مِنَ الْمَعْجمِ أَكْثَرَ مِنْ تَصْحِيفِ فَلَيْبِيَتِهِ إِلَى
ذَلِكَ - عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَرَانَ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ أَبِي أَبِي لَيْلَى بْنِهِ ،
كَمَا ذَكَرَهُ الْمُصْنَفُ ، وَأَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ أَيْضًا فِي (٢/٦٩) (١٣١٨) مِنْ طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْإِسْنَادُ ضَعِيفٌ لِتَفَرِّدِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى بْنِهِ ، قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْمَجْمُعِ (٥/٤٣) : « وَفِيهِ مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي لَيْلَى وَهُوَ
سَيِّدُ الْمَحْفَظَ وَحْدَيْهِ حَسْنٌ بِالشَّوَاهِدِ الَّتِي تَقْدَمَتْ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَلَكِنْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى لَمْ يَسْمَعْ
مِنْ ثَابِتٍ بْنِ قَيْسٍ » وَلِلْحَدِيثِ طَرِيقٌ أُخْرَى ، وَهِيَ التَّى أَشَارَ إِلَيْهَا الْمُصْنَفُ بِقُولِهِ : « وَرَوَاهُ - يَعْنِي الطَّبَرَانِيُّ
- مِنْ طَرِيقِ أُخْرَى بِمِثْلِهِ ، وَفِيهِ قَصَّةٌ طَوِيلَةٌ وَمُقْتَلُ ثَابِتٍ ... » قَالَتْ : وَهِيَ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ (٢/٧٠)
(١٣٢٠) مِنْ طَرِيقِ ابْنِيَةِ ثَابِتٍ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهَا وَذَكَرَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْمَجْمُعِ (٩/٤٣) وَقَالَ : « ابْنَةُ ثَابِتٍ بْنِ
قَيْسٍ لَمْ أَعْرِفَهَا » ثُمَّ وَجَدَتْ طَرِيقًا أُخْرَى لِهَذَا الْحَدِيثِ وَلَكِنَّهُ أَخْصَرَ مِنْ هَذَا فَلَيْسَ فِيهِ ذَكْرُ الْآيةِ^{﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾} أَخْرَجَهُ الْرَّوْيَانِيُّ فِي مَسْنَدِهِ (٢/٥١٧) حَدِيثُ رَقْمِ (٣٠٠١) مِنْ طَرِيقِ
هَشَامَ بْنِ عَمَرٍ وَبْنِ وَاقِدٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ حَلْبِسٍ عَنْ أَبِي إِدْرِيسِ الْخَوْلَانِيِّ عَنْ ثَابِتٍ بْنِ قَيْسٍ بِالْمُفَظِّ : «
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي رَجُلٌ أَحَبُّ الْجَمَالَ حَتَّى فِي نَعْلٍ ... » قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يَحْبُبُ
الْجَمَالَ » وَهَذَا الإِسْنَادُ ضَعِيفٌ جَدًّا ؛ فِيهِ عُمَرٌ بْنِ وَاقِدٍ وَهُوَ مَتْرُوكٌ . وَفِي الْجَمْلَةِ فَإِنَّ الْحَدِيثَ مِنْ مَسْنَدِ
ثَابِتٍ بْنِ قَيْسٍ غَيْرَ صَحِيحٍ وَلَهُ شَاهِدٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مُتَقَالٌ ذَرْةً مِنْ كَبِيرٍ » قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ
الرَّجُلَ يَحْبُبُ أَنْ يَكُونَ ثَوْبَهُ حَسَنًا وَنَعْلَهُ حَسَنًا . قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يَحْبُبُ الْجَمَالَ الْكَبِيرَ بِطْرَ الْحَقِّ وَغَمْطُ
الْنَّاسِ » وَسَيِّدُ الْمُصْنَفِ عِنْدَمَا يَعْقُدُ بِاِبْنِهِ بِاسْمِهِ : « ذُمُّ الْكَبِيرِ » .

وقوله : ﴿ وَاقْصِدْ فِي مُشْبِكٍ ﴾ ، أي : امش مشياً مقتضداً ليس بالبطيء^[١] المتبطط ، ولا بالسريع المفرط ، بل عدلاً وسطاً بينَ بَيْنَ .

وقوله : ﴿ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ ، أي : لا تبالغ في الكلام ، و^[٢] لا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتَ لِصَوتِ الْحَمِيرِ ﴾ . قال مجاهد وغير واحد : إن أقبح الأصوات لصوت الحمير . أي : غاية من^[٣] رفع صوته أنه يشبّه بالحمير في علوه ورفعه ، ومع هذا هو ينفي^[٤] إلى الله تعالى . وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريره وذمه غالباً النم ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس لنا مثل السوء ، العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه »^(١) .

وقال النسائي عند تفسير هذه الآية : حدثنا قبية بن سعيد ، حدثنا الليث ، عن جعفر بن ربيعة ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا سمعتم صياح الديك فاسألكم الله من فضله ، وإذا سمعتم لهيق الحمير فتعودوا بالله من الشيطان ، فإنها رأت شيطاناً » .

وقد أخرجه بقية الجماعة^(٢) سوي ابن ماجة من طرق عن جعفر بن ربيعة به ، وفي بعض الألفاظ : « بالليل » . فالله أعلم .

(١) - سبق تحريرجه في سورة الأعراف ، الآية رقم (١٧٧) .

(٢) - كتاب التفسير ، باب سورة لقمان ، حديث رقم (١١٣٩١) . وأخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق ، باب : « خير مال المسلم عدم يتبع بها شفف الرجال » حديث رقم (٣٢٠٢) ، ومسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبية والاستغفار ، باب استجواب الدعاء عند صياغة الديك حديث رقم (٢٢٢٩) ، وأبو داود في سننه كتاب الأدب باب ما جاء في الديك والبهائم (٥١٠٢) ، وأخرجه الترمذى في جامعه كتاب الدعوات ، باب ما يقول : إذا سمع نهيق الحمار حديث رقم (٣٤٥٩) ، وأخرجه النسائي في الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة باب ما يقول إذا سمع نهيق الحمير حديث رقم (١٠٧٧٩) وما يقول إذا سمع صياغة الديك حديث رقم (١٠٧٨٠) ، وأما ما أشار إليه المصنف من أنه ورد في بعض الألفاظ ، تقييد هذا الذكر « بالليل » فقد ورد هذا التقييد في حديث جابر بن عبد الله عند أحمد (٣٠٦/٣) ، والبخاري في الأدب المفرد برقم (١٢٣٣) ، وابن السنى في اليوم والليلة رقم (٣٠٧) ، وأبو داود في كتاب الأدب من سننه ، باب ما جاء في الديك والبهائم حديث رقم (٥١٠٢) ، والحاكم (٤/٢٨٣) ، ٢٨٤ ، والبغوي في شرح السنة كتاب الدعوات باب ما يقول عند صياغة الديك حديث رقم (١٣٣٤) وغيرهم من طرق عن جابر بن عبد الله بلفظ : « إذا سمعتم نباح الكلب ، ونهيق الحمر بالليل فتعودوا بالله فإنهن برين ما لا ترون » قال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذا السياق » .

[١] - في خ : « السبط » ، وفي ز : « بالبسط » . [٢] - في ز : « أي » .

[٣] - في ز : « في » .

فهذه وصايا نافعة جدًا ، وهي من فحص القرآن العظيم عن لقمان الحكيم . وقد روي عنه من الحكم والمواعظ أشياء كثيرة ، فلندذكر منها أنموذجًا ودستورًا إلى ذلك ، قال الإمام أحمد :

حدثنا علي بن إسحاق ، أخبرنا ابن المبارك ، أخبرنا سفيان ، أخبرني نهشيل^[١] بن مجمع الضبي ، [عن قرعة]^[٢] ، عن ابن عمر - رضي الله عنه - قال : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن لقمان الحكيم كان يقول : إن الله إذا اشترى شيئاً حفظه »^[٣] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشجع، حدثنا عيسى بن يونس ، عن الأوزاعي ، عن

(١٣) - المسند (٨٧/٢) (٥٦٠٦ ، ٥٦٠٥) . وأخرجه النسائي في اليوم والليلة (٥١٧ ، ٥١٨) من طريق ابن مهدي وابن المبارك وعبدة ، عن الثوري ، وأخرجه النسائي في اليوم والليلة (٥١٦) من طريق محمد بن فضيل كلامهما الشوري ، وابن فضل عن نهشل بن مجمع الضبي عن قرعة عن ابن عمر ، فذكره كما ساقه المصنف .

وأخرجه عبد بن حميد (٨٥٥) ، والنمسائي في اليوم والليلة (٥١٩) ، والبيهقي في الشعب (٢١١/٣) ، من طريق إسحاق الأزرق وقيصة وأبي داود الجفرى ، ثلثتهم عن الثوري عن نهشل الضبي عن أبي غالب قال : شيعت ابن عمر فقال : إن رسول الله ... الحديث ، وأبو غالب هذا مجهول ، وإذا كان الحديث محفوظاً من طريق قرعة عن ابن عمر فإناده حسن ؛ نهشل بن مجمع الضبي صدوق .

والحديث أخرجه الطبراني في الدعاء الحديث رقم (٨٢٧) من طريق أبي نعيم عن الثوري عن نهشل عن أبي غالب ، وقرعة أو أحدهما عن ابن عمر به مرفوعاً .

والحديث أخرجه النسائي في اليوم والليلة (٥٢٠) من طريق سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبي سنان عن قرعة ، وأبي غالب عن ابن عمر موقوفاً عليه ، ليس فيه ذكر لقمان - عليه السلام - وأخرجه النسائي أيضاً في اليوم والليلة (٥٢١) من طريق إسرائيل عن أبي سنان عن أبي غالب - وحده - عن ابن عمر موقوفاً ليس فيه ذكر لقمان ، والحديث رواه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز واختلف عليه في اسم شيخه فأخرجه أحمد (١٣٦/٢) (٦١٩٩) ، وعبد بن حميد (٨٣٤) ، والبخاري في التاريخ الكبير /٨ ، والنمسائي في اليوم والليلة (٥١١ - ٥١٣) ، والبيهقي في السنن (٢٥١/٥) ، والحاملي في الدعاء ، باب ما يودع به المسافر من الدعاء حديث رقم (٤) ، كلهم من طريق أبي نعيم ، وعبدة ، وأبي حمزة عن عبد العزيز بن عمر عن يحيى بن إسماعيل بن جرير عن قرعة عن ابن عمر مرفوعاً ليس فيه ذكر لقمان . وأخرجه أحمد (٤٩٥٧) ، وأبو داود (٢٦٠) من طريق مروان بن معاوية الفزارى ، وعبد الله بن داود كلامهما عن عبد العزيز عن جرير عن قرعة عن ابن عمر مرفوعاً - وفيه أن شيخ عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز هو إسماعيل بن جرير - قال الحافظ : صوابه يحيى بن إسماعيل ، لين الحديث - وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٥١٤) من طريق آخر عن عبد العزيز بن عمر قال : حدثني إسماعيل بن محمد بن سعد عن قرعة عن ابن عمر مرفوعاً ، وفيه أن شيخ عبد العزيز هو إسماعيل ابن محمد بن سعد وهو الزهرى ثقة ، وأخرجه أحمد (٤٧٨١) (٢٥/٢) ، والنمسائي في اليوم والليلة (٥١٥) من طريق وكيع ويحيى بن حمزة عن عبد العزيز بن عمر عن قرعة عن ابن عمر مرفوعاً ، وليس فيه

[١] - ما بين المعقوفين سقط من : ر .

[٢] - في ز : « نهشل » .

موسى بن سليمان، عن القاسم [يحدث عن أبي موسى الأشعري^[١]] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بني ، إياك والتنقن فلن مخوفة بالليل ، مذلة بالنهار »^[٤] .

وقال : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن عثمان ، عن^[٢] ضمرة ، حدثنا الشري^[٣] بن يحيى قال : قال لقمان لابنه : يا بني ، إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك^[٥] .

وقال : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان ، أخبرنا ابن المبارك ، حدثنا عبد الرحمن المسعودي ، عن عون بن عبد الله قال : قال لقمان لابنه : يابني ؟ إذا أتيت نادي فارمهم بسهم الإسلام - يعني السلام - ثم اجلس في ناحيتهم ، فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا ، فإن

شيخ عبد العزيز ، والذي يظهر لي أن العمل في هذا الخلاف على عبد العزيز نفسه ، فقد قال الحافظ في التقريب : « صدوق يخطئ » ، والله أعلم .

فالحاصل : أن هذا الحديث مداره على ثلاثة من الرواية :

الأول نهشيل بن مجتمع الضبي ، وهو ثقة ، وثقة الثوري وأبن معين وأبو داود ، وذكره ابن حبان في ثقاته ، وقد اختلف عليه كما سبق على وجوهه قليل عنه عن فرعة عن ابن عمر ، وقيل عنه عن أبي غالب عن ابن عمر ، وقيل عنه عن كليهما ، وقيل عنه على الشك .

- الثاني : أبو سنان ، وهو ثقة ثبت ، فرواه سعيد بن نصر - وهو راوية عبد الله بن المبارك ومن ثقات الناس فيه - عن ابن المبارك عن الثوري عن أبي سنان ضرار بن مرة عن فرعة ، وأبي غالب عن ابن عمر موقوفاً عليه ، ورواه إسرائيل عن أبي سنان عن أبي غالب - وحده - عن ابن عمر موقوفاً عليه .

- الثالث ، عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وقد اختلف في حديثه على شيخه ، والراجح أنه يحيى بن إسماعيل بن جرير ، وهو لين الحديث كما قال الحافظ : وعليه فالحديث من الثلاثة طرق لا يثبت للإضطراب في إسناده ، والله أعلم .

(٤) - إسناده ضعيف ، موسى بن سليمان بن موسى القرشي فيه جهالة . لم يرو عنه إلا الأوزاعي ، قال أبو حاتم : شيخ . وذكره ابن حبان في ثقاته ، وقال الحافظ : مقبول . والحديث أخرجه الحاكم ٤١١/٢ من طريق آخر عن الأوزاعي عن موسى بن سليمان به ، وقال : « من شاهده إسناده صحيح والله أعلم » وأثره الذهبي .

(٥) - إسناده حسن إلى السري ؛ عمرو بن عثمان هو ابن سعيد بن كثير بن دينار وثقة غير واحد وقال الحافظ : صدوق . وضمرة هو ابن ربيعة ، قال الحافظ : صدوق بهم قليلاً ، والسري بن يحيى هو ابن إيس بن حرملة وثقة جماعة ، وقال الأزدي : ضعيف . وخطأه الحافظ في التقريب قائلاً : « ... ثقة وأخطأ الأزدي في تضعيقه » ، وقال ابن عبد البر : « وهو أوثق من الأزدي بمائة مرة » انظر الميزان (٣٠٩٣/٢) وهذا الخبر من بلاغات السري عن لقمان ، ومثله لا يقبل عند أهل النقد ، ولا يصح الخبر عن لقمان ومن في طبقته من الأنبياء والصالحين إلا ما كان من قول رسول الله ﷺ عن رب العزة .

[١] - ما بين المukoftin سقط من : خ ، ز .

[٢] - في خ ، ز : « بن » .

[٣]

أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك معهم ، وإن أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم إلى
غيرهم^(١٦) .

وحدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار ، حدثنا ضمرة ، عن حفص بن عمر - رضي الله عنه - قال : وضع لقمان جرائحاً من خردل إلى جانبه ، وجعل يعظ ابنه وعظة ويخرج خردة ، حتى نفذ الخردل ، فقال : يا بني ، لقد وعظتك موعدة لو وعظها جبل لنفتر . قال : فتفطر ابنه^(١٧) .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا يحيى بن عبد الباقي المصيصي ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الحراني ، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الطرائفى ، حدثنا أعين بن سفيان المقدسي ، عن خليفة بن سلام ، عن عطاء بن أبي رياح ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتخذوا السودان ، فإن ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة لقمان الحكيم ، والنجاشي ، وبلال المؤذن » . قال أبو القاسم الطبراني : أراد الحبشي^(١٨) .

(فصل في الخمول والتواضع)

وذلك متعلق بوصية لقمان - عليه السلام - لابنه ، وقد جمع في ذلك الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا كتاباً مفرداً ، نحن نذكر منه مقاصده ،

قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا عبد الله بن موسى المد니 ، عن أسامة بن زيد ، عن حفص بن عبيد^(١) الله بن أنس ، عن جده أنس بن مالك : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « رب أشعث ذي^(٢) طفرين يُضيق عن أبواب الناس ، إذا أقسم على الله لأبره»^(٣) .

(١٦) - إسناده ضعيف ؛ فيه المسعودي وقد اخْتَلَظَ بآخره ، ولم أقف على من نص على سماع عبد الله بن المبارك منه هل كان قبل الاختلاط أم بعده .

(١٧) - إسناده حسن ، إلى حفص بن عمر ، وضمرة هو ابن ربيعة تقدم قريباً .

(١٨) - إسناده ضعيف جداً . أخرجه الطبراني (١٩٨/١١) ، وابن حبان في الجروحين (١٧٠/١) ، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن عساكر ، من طريق عثمان بن عبد الرحمن به ، وأين هذا ليس بشيء ؟ قال ابن حبان : « كان يقلب الأخبار ، وأكثر روايته عن الضعفاء » وقال البخاري : « لا يكتب حديثه » ، وقال الدارقطني : « ضعيف له مناكس » . والحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢/٢٣٢) وقال : « لا يصح ، والتهم به أين كان يقلب الأخبار ، وعثمان لا يحتاج به » ، وفي الباب عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر مرفوعاً باللفظ : « سادات السودان أربعة ... فذكر الثلاثة وزاد مهجم » أخرجه ابن عساكر ، وفي الباب أيضاً من حديث واثلة بن الأسعق عند الحاكم (٤/٢٨٤) ب نحو حديث عبد الرحمن بن يزيد .

(١٩) - حديث صحيح ، أخرجه الترمذى في المناقب من جامعه ، باب مناقب البراء بن عازب ، حديث =

[١] - في خ ، ز : « عبد » .

[٢] - في ز : « في » .

ثم رواه من حديث جعفر بن سليمان ، عن ثابت وعلي بن زيد ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكره ، وزاد : منهم البراء بن مالك .

وقال أبو بكر بن سهل التميمي : حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا نافع بن يزيد ، عن عياش بن عباس ، عن عيسى بن عبد الرحمن ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر رضي الله عنه - أنه دخل المسجد فإذا هو بمعاذ بن جبل يمكى عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما يمكك يا معاذ ؟ قال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعته يقول : « إن اليسير من الرياء شرك ، وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الآترياء ، الذين إذا غابوا لم يفتقروا ، وإذا حضروا لم يعرفوا ، فلويهم مصابيح الهدى ، ينجون من كل غباء مظلمة » ^(٢٠) .

حدثنا الوليد بن شجاع ، حديث عثام بن علي ^[١] ، عن حميد بن عطاء الأعرج ، عن عبد الله ابن الحارث ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « زب ذي طمرين لا يئن له ، لو أسم على الله لأبره ، لو قال : اللهم إني أسألك الجنة لأعطاء الجنة ، ولم يعطه من الدنيا شيئاً » ^(٢١) .

وقال أيضاً : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ^[١] ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن سالم بن

= رقم (٣٨٥٤) ، وعبد بن حميد في مسنده حديث رقم (١٢٣٦) ، والبيهقي في الشعب / ٧ ، وأبو نعيم في الحلية / ١ ، ٣٥٠ ، والخطيب في تاريخه ٢٠٣/٣ من طريق عن أنس بن مالك به ، وعند بعضهم : ... منهم البراء بن عازب » ولم أجده هنا الحديث في كتاب التواضع والخمول للحافظ ابن أبي الدنيا ، الذي أشار إليه الصنف ، وقلطه سقط من المطبوع والله أعلم . وللحديث شواهد كثيرة ، فقد أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة ، باب فضل الضعفاء والحاملين حديث رقم (٢٠٢٤) ، وفي كتاب الجنة بباب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء حديث رقم (٢١٩١) ، من حديث أبي هريرة . وفي الباب عن ابن مسعود وحارثة بن وهب ، وغيرهما انظر كشف الخفا حديث رقم (١٣٦٢) .

(٢٠) - إسناده ضعيف جداً ، عيسى بن عبد الرحمن وهو الزرقى متراك . والحديث أخرجه ابن ماجه فى الفتن ، باب من ترجى له السلامة من الفتن حديث رقم (٣٩٨٩) ، وابن أبي الدنيا فى التواضع والخمول حديث رقم (٨) ، وفي الأولياء حديث رقم (٦) ، والحاكم فى المستدرك (٤/٣٢٨) ، من طريق عن عيسى بن عبد الرحمن عن الليث بن سعد عن عياش بن عباس عن زيد بن أسلم عن أبيه به ، بإسناد عيسى الزرقى منه ، ثم قال الحاكم : « صحيح ولا علة له » وأقره الذهبي . قلت : بل علته الانقطاع بين عياش بن عباس ، وزيد بن أسلم ، فبينهما هذا الحالك ، فمدار هذا الحديث عليه ، والله أعلم .

(٢١) - أخرجه البزار فى مسنده (٤٠٤/٥) حديث رقم (٢٠٣٥) من طريق آخر عن حميد الأعرج ، وحميد ضعيف ، ولم أجده من تابعه . والحديث ذكره الهيثمى فى الجمجم (١٠/٢٦٤) وقال : « رواه البزار رجاله رجال الصحيح غير جارية بن هرم وقد وثقه ابن حبان على ضعفه » قلت : جارية قد توبع عليه من

[١] - في التواضع والخمول : إسماعيل .

أبي الجعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من أمتى من لو أتني بباب أحدكم يسأله ديناراً أو درهماً أو فلستا لم يعطه ، ولو سأله الله الجنة لأعطيه إياها ، ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها ، ولم يمنعها إياه لهوانه عليه ، ذو طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره ». وهذا مرسلاً من هذا الوجه ^(٢٢).

وقال أيضاً : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا جعفر بن سليمان ، حدثنا عوف قال : قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من ملوك الجنة كُلُّ أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له ، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم ، وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا ، وإذا قالوا لم يُنْصَتْ لهم ، حواتج أحدهم تتجاذب في صدره ، لو قسم نوره يوم القيمة بين الناس لوعهم » ^(٢٣).

قال : وأشارني عمر بن شبة عن ابن عائشة قال : قال عبد الله بن المبارك :

**أَلَا زُبُّ ذِي طَفْرَتِنِ فِي مَنْزِلِ عَدَا رَزَابِيَّةَ مَبْثُوَةَ وَمَكَارَةَ
قَدْ اطْرَدَتِنِ [٢٤] أَنْهَارَهُ حَوْلَ قَصْرِهِ وَأَشْرَقَ ، وَالنَّفَثَ عَلَيْهِ حَدَائِقُهُ**

وروى أيضاً ^(٢٥) من حديث عبيد الله بن رَخْرَ ^(٢٥) ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة مرفوعاً : « قال الله : من أبغض أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ ، ذو حظ من

عنان وغيره ، وإنما علنه حميد هذا قال البزار : « وهذا الكلام لا نعلمه بروي عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد ». والحديث أخرجه ابن عدى في الكامل (٦٨٩/٢) في ترجمة حميد الأعرج من غير طريق جارية الذي أصل الهيثمي الحديث به ، مما يؤكد أن الحigel فيه على حميد الأعرج لا على من دونه .

(٢٢) - إسناد صحيح إلى سالم بن أبي الجعد ، وهو من مراسيله . والخبر أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والحمل حديث رقم (١) .

(٢٣) - أخرجه ابن أبي الدنيا في الأولياء حديث رقم (٩) ، وإسحاق بن إبراهيم هو ابن عبد الرحمن البغوي أبو يعقوب لقبه لؤلؤ وقيل : بئوق وهو ثقة ، وعوف هو ابن أبي جميلة . وهذا الإسناد منقطع فإن عوفاً لم يدرك أبا هريرة ، والحديث أخرجه البيهقي في الشعب حديث رقم (٤٨٧) من طريق إسحاق بن سليمان الرازي عن جعفر بن سليمان عن عوف عن الحسن أطلقه عن أبي هريرة ، فزاد في إسناده الحسن وإسحاق بن سليمان الرازي ثقة ، فإن كان الحديث محفوظاً بهذا الإسناد فعن رأي أن الحسن سمع من أبي هريرة فيكون الحديث صحيحًا به ، ومن أنكر السمع ، فيكون الإسناد منقطعًا ، وفي سمع الحسن من أبي هريرة فيكون خلاف مشهور ، والأكثرون على علم السمع ، والله أعلم .

(٢٤) - الخبر في التواضع والحمل لابن أبي الدنيا برقم (٥) ، وعمر بن شبة هو ابن عبيدة بن زيد التميري قال الحافظ : « صدوق له تصانيف » وابن أبي عائشة هو عبيد الله بن محمد التميمي .

(٢٥) - أخرجه أحمد (٥/٢٥٢، ٢٥٥) ، وفي الزهد (ص ١١) ، والترمذى في الزهد من جامعه ، باب ما جاء في الكفاف والصبر حديث رقم (٢٣٤٧) ونعيم بن حماد في زوائد على الزهد لابن المبارك

[١] - في ز : « ذو » .

[٣] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « اضطردت » .

صلة ، أحسن عبادة ربه ، وأطاعه في السر ، وكان غامضاً في الناس ، لا يشار إليه بالأصابع إن صبر على ذلك . قال : ثم نقر^[١] . رسول الله يده وقال : « عجلت منيشه ، وقل ترائه ، وقلت بواكيه » .

وعن عبد الله بن عمرو قال : أحب عباد الله إلى الله الغرباء ، قيل : ومن الغرباء ؟ قال^[٢] : الفرارون بدينهن ، يجمعون يوم القيمة إلى عيسى ابن مريم^[٣] .

وقال الفضيل بن عياض : بلغني أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيمة : « ألم أعلم عليك ؟ ألم أعطيك ؟ ألم أسترك ؟ ألم ... ألم ... ألم أحمل ذكرك ؟ » ثم قال الفضيل : إن استطعت أن لا تعرف فافعل ، وما عليك أن لا يئنني عليك ، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس محموماً عند الله^[٤] .

وكان ابن محيريز يقول : اللهم ؛ إني أسألك ذكرها خاماً^[٥] .

ص ٥٤، ووكييع في الزهد (٣٥٩/١ - ٣٦٢) ، والحميدى فى مسنده (٤٠٤/٢) ، والحاكم (٤/١٢٣) ، وقال : « هذا إسناد للشاميين صحيح عندهم ولم يخرجاه » وقال الذهبي : « لا ، بل إلى الضعف هو » وأبو نعيم فى الخلية (٢٥/٢٥) ، والبيهقي فى الزهد (١٤٤ - ١٤٥) من طريق عبد الله بن زحر عن على بن زيد عن القاسم به ، وهذا الإسناد ضعيف لضعف على بن زيد وهو الألهانى .

والحديث أخرجه ابن ماجه من طريق آخر عن أبي أمامة فى كتاب الزهد من سنته ، باب : « من لا يؤبه له » حديث رقم (٤١١٧) وفي إسناده مجھول ، وأخر متافق على تضيیفه . فالحديث ضعيف لا ثبت .

(٢٦) - أخرجه ابن أبي الدنيا فى التواضع والحملون حديث رقم (١٨) ، وأحمد فى الزهد ص ٧٧ ، والدورقى (٩٤) والأجرى فى الغرباء ص ٤٩ ، والبخارى فى التاريخ الكبير (٢١٣٠/٢) من طريق محمد بن مسلم الطائفى به ، وإسناده ضعيف محمد بن مسلم الطائفى ضعفه غير واحد وشيخه قال الحافظ : « مقبول » أى وللحديث طريق أخرى مرفوعاً . فآخرجه أحمد فى الزهد ص ١٤٩ ، وأبو نعيم فى الخلية (١/٢٥) ، والبيهقي فى الزهد (٢٠٩) من طريق سفيان بن وكييع عن عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عبيد الله بن عمرو مرفوعاً به ، وهذا الإسناد ضعيف أيضاً ؛ سفيان بن وكييع ضعف بسبب ورقة السوء ، وابن جريج مدلس وقد عنعن ، ويشبه أن يكون هذا الخبر من أحاديث أهل الكتاب ، والذين كان يحدث عنهم عبد الله بن عمرو من الزاملتين اللتين وجدهما في غزارة غزاها ، هذا إن صحيحة السنداً وإلا أراه بصح ، والله أعلم .

(٢٧) - أخرجه ابن أبي الدنيا فى التواضع والحملون حديث رقم (١٧) وفيه إبراهيم بن الأشعث قال ابن حبان : « ... يغرب وينفرد ويختلط ويختلف » والخبر من بلاغات الفضيل بن عياض ، وقد أشرنا قبل ذلك من أن مثل هذه الأخبار الأصل فيها التوقيف ، فلا بد من قول رسول الله ﷺ فيها ولا فليس بشيء .

(٢٨) - المصدر السابق برقم (١٨) وإسناده ليس بالقوى . والخبر أخرجه أبو نعيم فى الخلية (١٤٠/٥) : « ترجمة ابن محيريز » وكذلك أوردها الذهبي فى السير ضمن ترجمته ، وكذلك ابن عساكر فى تاريخه وكذا ابن الجوزى فى صفة الصفوة .

[١] - في ز : « نفذ » .

[٢] - سقط من : ز .

وكان الخليل بن أَحْمَدَ بْنُ عَيْسَى الْمَصْرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبْنُ وَهْبٍ ، عَنْ عَمْرُو^(٢٩) بْنِ الْحَارِثِ وَابْنِ لَهِيَةَ ، مِنْ أَوْضَعِ خَلْقِكَ ، وَعِنْ أَنْاسٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « حَسْبُ امْرَأٍ مِّنَ الشَّرِّ - إِلَّا مِنْ عَصْمِ اللَّهِ - أَنْ يَشِيرَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِالْأَصْبَاعِ فِي دِينِهِ وَدِنْيَاهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَكُنْ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ »^(٣٠) .

ثُمَّ قَالَ :

باب ما جاء في الشهرة

حَدَّثَنَا أَحْمَدَ بْنُ عَيْسَى الْمَصْرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبْنُ وَهْبٍ ، عَنْ عَمْرُو^(١) بْنِ الْحَارِثِ وَابْنِ لَهِيَةَ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَيْبٍ ، عَنْ سَنَانَ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَنْسٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « حَسْبُ امْرَأٍ مِّنَ الشَّرِّ - إِلَّا مِنْ عَصْمِ اللَّهِ - أَنْ يَشِيرَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِالْأَصْبَاعِ فِي دِينِهِ وَدِنْيَاهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَكُنْ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ »^(٣١) .

وَرَوِيَ مِثْلُهُ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ الْبَهْلَوْلِ ، عَنْ أَبِي فَدَيْكَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْواحِدِ الْأَخْنَسِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الْواحِدِ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَرْفُوعًا ، مِثْلَهُ^(٣٢) .

وَرَوِيَ عَنْ الْحَسَنِ مَرْسَلًا نَحْوَهُ ، فَقِيلَ لِلْحَسَنِ : « فَإِنَّهُ يَشَارُ إِلَيْكَ بِالْأَصْبَاعِ ؟ » فَقَالَ : « إِنَّمَا الْمَرَادُ مِنْ يَشَارُ إِلَيْهِ فِي دِينِهِ بِالْبَدْعَةِ ، وَفِي دِنْيَاهُ بِالْفَسْقِ »^(٣٣) .

وَعَنْ عَلَيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « لَا تَبْدِلْ^(٣٤) لَأَنَّ تَشَهِّرَ ، وَلَا تَرْفَعْ شَخْصَكَ لِتَذَكَّرَ ، وَتَعْلَمْ وَأَكْتَمْ ، وَاصْمَتْ تَسْلِمْ ، تَشَرِّهِ الْأَبْرَارُ ، وَتَنْيِطِ الْفَجَارُ »^(٣٥) .

(٢٩) - المُصْدِرُ السَّابِقُ بِرَقْمِ (٢١) وَإِسْنَادُهُ قُوِيٌّ إِلَى الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ .

(٣٠) - التَّوَاضُعُ وَالْخَمْلُ رَقْمُ (٣٠) ، وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ (٣٦٦/٥) مِنْ طَرِيقِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَيْسَى بْنِهِ . وَالْحَدِيثُ ذُكِرَهُ السَّيِطِيُّ فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ (١٩٦/٣) ، وَأَعْلَمُ الْمَنَاوِيِّ بِضَعْفِ يُوسُفَ وَابْنِ لَهِيَةَ ، وَتَابِعُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الْمُضِيَّفَةِ (١٦٧٠) . وَيُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ مُتَابِعُهُ مِنْ أَبْنِ أَبِي الدِّنَّا . وَابْنِ لَهِيَةَ مُتَابِعُهُ مِنْ عَمْرُو بْنِ الْحَارِثِ كَمَا عَنْ أَبْنِ أَبِي الدِّنَّا وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ . وَعَلَيْهِ فَاعْلَالُ الْحَدِيثِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ أَوْ ابْنِ لَهِيَةَ لَيْسَ بِشَيْءٍ . وَلَكِنَّ الْحَدِيثُ عَلَةً أُخْرَى هِيَ سَنَانُ بْنُ سَعْدٍ ، أَوْ سَعْدُ بْنُ سَنَانَ ، فَقَدْ اخْتَلَفَ فِي اسْمِهِ ، وَانْفَرَدَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَيْبٍ بِعَنْهُ .

(٣١) - أَخْرَجَهُ أَبْنُ أَبِي الدِّنَّا فِي التَّوَاضُعِ وَالْخَمْلِ حَدِيثُ رَقْمِ (٣١) وَعِنْهُ « مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْنَسِيَّ » بَدَلًا مِنْ « مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْواحِدِ الْأَخْنَسِيِّ » وَهُوَ شِيخُهُ عَبْدُ الْواحِدِ لَمْ أَجِدْ مِنْ تَرْجِمَةِ لَهُمَا ، وَالْحَدِيثُ لَا شَكَّ أَنَّهُ مِنْ الزَّوَادِ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ أَجِدْ الْبَيْهَقِيَّ ذُكْرَهُ فِي الْجَمِيعِ ، وَلَا السَّيِطِيُّ فِي الْجَامِعِ وَذَلِكَ بَعْدَ بَحْثِ وَاللهُ أَعْلَمُ .

(٣٢) - أَخْرَجَهُ أَبْنُ أَبِي الدِّنَّا فِي التَّوَاضُعِ وَالْخَمْلِ حَدِيثُ رَقْمِ (٣٢) وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ ؛ فِيهِ الْمَارَكُ بْنُ فَضَّالَةَ يَدْلِسَ وَيَسْوِيَ ، وَقَدْ عَنَّنِي . وَالْحَبْرُ أَوْرَدَهُ السَّيِطِيُّ فِي الْجَامِعِ الْكَبِيرِ ، وَعَزَّاهُ الْحَكَمِيُّ التَّرمِذِيُّ عَنِ الْحَسَنِ مَرْسَلًا .

(٣٣) - أَخْرَجَهُ أَبْنُ أَبِي الدِّنَّا فِي التَّوَاضُعِ وَالْخَمْلِ الْحَبْرُ رَقْمُ (٣٤) وَسَنَدُهُ وَاهٌ ؛ فِيهِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ هَرَاسَةَ =

[١] - فِي ت : « عَمْرٌ » . [٢] - فِي ز : « تَبْدِيٌّ » .

وقال إبراهيم بن أدهم - رحمة الله - : ما صدق الله من أحب الشهرة .

و^[١] قال أبوب : ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه .

وقال محمد بن العلاء : من أحب الله أحب ألا يعرفه الناس .

وقال سماك بن سلمة : إياك وكثرة الأخلاء .

وقال أبيان بن عثمان : إن أحببت أن يسلم لك دينك فأقل من المعارف .

وكان أبو العالية إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة نهض وتركتهم .

وقال : حدثنا علي بن الجعد ، أخبرنا شعبة ، عن عوف ، عن أبي رجاء قال :رأى طلحة قوماً يمشون معه ، فقال : ذباب طمع ، وفراش النار ^(٣٤) .

وقال ابن إدريس ، عن هارون بن عترة ^(٢٢) ، عن سليم بن حنظلة قال : بينما نحن حول أبي إذ علاه عمر بن الخطاب بالذرء ، وقال : إنها مذلة التابع ، وفتنة للمتبوع ^(٣٥) .

وقال [ابن عون]^(٣٣) ، عن الحسن : خرج ابن مسعود فاتبعه أناس ، فقال : والله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ، ما اتبعني منكم رجالان ^(٣٦) .

وقال حماد بن زيد : كنا إذا مررنا على المجلس ومعنا أبوب ، فسلم ، ردوا رداً شديداً ، فكان ذلك يقئمه .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر : كان أبوب يطيل قميصه ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن الشهرة فيما مضى كانت في طول القميص ، واليوم في تشميره . واصطبغ مرة نعلين على حذو

= متوك وشيخه لا يعرف ، وشيخ شيخه لم يسم . ولهذا الخبر طريق آخر يعنده مختصراً أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت رقم (٦١٣) وفيه إعصار بالفظ : « وار سخنك لا تذكر ، واصمت تسلم » .

(٣٤) - أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والحمل الخبر رقم (٥٠) ورجاله ثقات ، عوف هو ابن أبي جميلة ، وأبوب رجاء عمران بن ملحان وخالف في اسم أبيه ، وهو ثقة مخصوص ، مشهور بكنيته .

(٣٥) - أخرجه ابن أبي الدنيا ، الخبر رقم (٥١) ، ونعيم بن حماد في زواجه على الزهد لأن المبارك ص ١٣ الخبر رقم (٤٨) ، والدارمي (١٣٢/١) ، وأبوب البر في جامع بيان العلم وفضله (١٤٤/١) من طرق عن هارون ابن عترة به .

(٣٦) - أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والحمل والتواضع الخبر رقم (٥٢) ، والدارمي (١٣٤/١) من طريق آخر عن عون به .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « أبي عشرة » .

[٣] - في التواضع : عون .

نعلي النبي - صلى الله عليه وسلم - فلبسهما أياما ثم خلعهما ، وقال : لم أر الناس يلبسونهما^(٣٧) .

وقال إبراهيم النخعي : لا تلبسو من الثياب ما يشتهر الفقهاء^[١] ، ولا ما يزدرىك السفهاء^[٢] .

وقال التوري : كانوا يكرهون من الثياب الجياد ، التي يُشَهِّرُ بها ، ويرفع^[٣] الناس إلَيْهَا أبصارهم ، والثياب الرديئة التي يحتقر فيها ، ويستذل دينه .

وحدثنا خالد بن خداش : حدثنا حماد ، عن أبي حسنة - صاحب الزيادي - قال : كنا عند أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية ، فقال : إياكم وهذا الحمار النهاق !

وقال الحسن - رحمة الله - : إن قوماً جعلوا الكبر في قلوبهم ، والتواضع في ثيابهم ، فصاحب الكسae أعظم من صاحب المطرف بمطرفة^(٤) ، مالمهم تفاقوا .

وفي بعض الأخبار : أن موسى - عليه السلام - قال لبني إسرائيل : ما لكم تأتوني عليكم ثياب الرهبان ، وقلوبكم قلوب الذئاب ؟ البسا ثياب الملوك ، وألينوا قلوبكم بالخشية^(٥) .

فصل في حسن الخلق

قال^[٦] أبو التياح عن أنس - رضي الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقاً^(٧) .

وعن^[٨] عطاء ، عن ابن عمر : قيل : يا رسول الله ؛ أي المؤمنين أفضل ؟ قال : « أحسنهم خلقاً »^(٩) .

(٣٧) - أخرجه ابن أبي الدنيا في المصدر السابق ، الخبر رقم (٦١).

(٨) المطرف : الثوب الذي في طرفه علماً . النهاية (١٢١/٣) .

(٣٨) - أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والمحمول الخبر رقم (١٥٣) وفيه أن القائل هو عيسى عليه السلام ، وعند أبي نعيم في الحلية ٣٦٥/٥ من كلام موسى عليه السلام ، فالله أعلم .

(٣٩) - أخرجه البخاري في كتاب الأدب بباب « الكنية للصبي قبل أن يولد للرجل » حديث رقم (٦١٢٩) ، ومسلم من كتاب الأدب حديث رقم (٢١٥٠) .

(٤٠) - هذا الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والمحمول حديث رقم (١٦٥) ، وابن ماجه ، كتاب الزهد حديث رقم (٤٢٥٩) ، والطبراني في الكبير (٣٥٤/١٢) حديث رقم (١٣٣٢٦) من طريق فروة بن قيس عن عطاء عن ابن عمر ، وعند الطبراني من طريق فروة عن ابن عمر يدلّس بينهما عطاء « قال البوصيري في الروايد : « .. فروة مجھول وكذا الراوى عنه » ونقل عن الذهبي أنه قال : « وخبره باطل » =

[١] - في م : « الفقهاء » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز .

وعن^[١] نوح بن عباد [عن ثابت^[٢] عن أنس مرفوعاً : « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجات الآخرة وشرف المازل ، وإله لضعف العبادة . وإنه ليبلغ بسوء خلقه ذرّك جهنم وهو عابد »^(٤١) .

[وعن سنان^[٣] بن هارون ، عن حميد ، عن أنس مرفوعاً : « ذهب حسن الخلق بخیر

= يعني فروة ، قلت : ولهاذا الحديث طريق أخرى عن عطاء ، فقد أخرجه البزار (٢٦٨ / ٢) (٦٧٦) كشف) ، والطبراني في الأوسط حديث رقم (٤٦٧١) ، والحاكم (٥٤٠ / ٤) من طريق حفص بن غيلان عن عطاء به قال الحاكم : « هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، قلت : وهذه متابعة جيدة لفروة عن عطاء ثم هناك متابعة أخرى فقد أخرجه البيهقي في الشعب (٦ / ٢٣٠) ، وفي الزهد الكبير له (٤٥٦) وزاد الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٨٤) نسبته إلى ابن عدى في الكامل ، والدارقطني في الغرائب من طريق عبيد الله بن سعيد بن كثير عن غير حدثني ألى حدثني مالك بن أنس عن سهيل بن مالك عن عطاء به ، وعبيد الله بن سعيد ضعيف ، قال ابن حبان : « يروى عن الثقات المقلوبات ، ولا يجوز الاحتجاج به وقال : لا يشبه حديثه حديث الثقات » قلت : وهناك متابعة ثلاثة . فقد أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والحمل حديث رقم (١٦٤) من طريق معاوية بن عبد الرحمن عن عطاء به ، ومعاوية قال أبو حاتم : « ليس معروفاً » وقال النهبي : « مجهول » قلت : ولكنه توبع عن عطاء كما سبق ، فهذه المتابعات تقوى حديثه ، ثم وجدت متابعة أخرى لهؤلاء عن عطاء فقد أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨ / ٣٣٣) من طريق خالد بن يزيد عن أبيه عن عطاء به ، فهوؤلاء خمسة أنفس يروونه عن عطاء عن ابن عمرو « حفص ابن غيلان ، وفروة بن قيس ، ومعاوية بن عبد الرحمن وسهيل بن مالك ، وخالد بن يزيد عن أبيه - خمستهم عن عطاء به ، فالذى يترجع لى أن هذا الحديث صحيح إلى عطاء ، ولكن العلة فيه هل سمع عطاء من ابن عمر ؟ قال على بن المدينى كما فى جامع التحصيل : « رأى عبد الله بن عمر ولم يسمع منه » وليس فى الصحيحين ولا فى أحدهما رواية لعطاء عن ابن عمر ، مما يشير إلى أن هذه الرواية ليست على شرط الصحيح والله أعلم .

(٤) - أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والحمل حديث رقم (١٦٨) ، والطبراني في الكبير (١ / ٦٠) حديث رقم (٧٥٤) ونسبه العراقي إلى الحراطى في مكارم الأخلاق ، وأبي الشيخ في طبقات الأصحابيائين من طريق نوح بن عباد القرشى البصرى عن ثابت به ، وهذا إسناد جيد ، والحديث ذكره الهيثمى فى الجمجم ٢٥ / ٨ وقال : « رواه الطبرانى عن شيخه المقدام بن داود وهو ضعيف » قلت : وشيخ الطبرانى قد توبع من شيخ ابن أبي الدنيا وهو حميد النسائي ، وهو ثقة ثبت ، وعلمة هذا الحديث فى « نوح بن عباد » ولكن أشنى عليه تلميذه فى هذا الحديث قائلاً : « حدثني نوح بن عباد القرشى - وما رأيت أحدنا كان أخشى لله عز وجل منه » وقد ذكره ابن حيان فى ثقاته ، وابن أبي حاتم فى المحرر والتتعديل ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً . قلت : فالظاهر به حسن إن شاء الله ، ولا سيما أن لهذا الحديث شواهد كثيرة جداً يرتقى الحديث بها إلى الصحة ، وقد ذكر الحديث العراقى فى تخريج الإحياء وقال : « عن أنس وإسناده جيد » وانظر ما سيبأى من حديث عائشة بنحوه .

[٢] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[١] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعقوفين في خ ، ز : « سيار » .

الدنيا والآخرة » (٤٢).

والمطلب ، عن عائشة مرفوعاً : « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار ». (٤٣)

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، أخبرني أبي وعمي ، عن جدي ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ، فقال : « تقوى الله ، وحسن الخلق ». وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ، فقال : « الأجوافان : الفم والفرج » (٤٤) .

(٤٢) - أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع والتحمول حديث رقم (١٦٩) من طريق العباس بن أبي طالب الواسطي عن عبيد بن سليمان عن سنان به - كما ساقه المصنف - والحديث عزاه الهيثمي في الجميع إلى الطبراني والبزار من هذا الوجه ، بلفظ : « عن أنس قال : قالت أم حبيبة : يا رسول الله المرأة يكون لها زوجان ثم تموت فتدخل الجنة هي وزوجها لأبيهما تكون للأول أو للآخر قال : « تغیر أحسنهما خلقاً كان معها في الدنيا يكون زوجاً لها في الجنة . يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة ». وجاء في العلل لابن أبي حاتم (٤١٦/١) برق (٤٥٢) ما نصه : « سألت أم حبيبة عن حديث رواه عبيد بن إسحاق عن سنان بن هارون عن حميد عن أنس قال : قالت أم حبيبة : يارسول الله المرأة منا يكون لها زوجان ... فقال : تغیر أحسنهما خلقاً كان معها في الدنيا ... قالت أم حبيبة : ذهب حسن الخلق ... » ففي هذا الموضع المرفوع أصبح موقعاً . ومع ذلك فإن الإسناد ضعيف جداً لعلتين ؛ الأولى : عبيد بن إسحاق قال الهيثمي في الجميع الموضع السابق : « فيه عبيد بن إسحاق وهو مترونقد رضيه أبو حاتم ، وهو أسوأ أهل هذا الإسناد حالاً » قلت : قال أبو حاتم عنه عندما سئل عنه : « ما رأينا إلا خيراً » وقال أبو زرعة : منكر الحديث . أما العلة الثانية : فقد قال أبو حاتم في العلل من الموضع السابق : « هذا حديث موضوع لا أصل له ، وسان عندنا مستور » فأعمله سنان ، قال الحافظ : صدوق فيه لين ، وعليه فهذا الإسناد ضعيف لا يثبت .

(٤٣) - أخرجه أحمد ٩٠ / ٦، ٩٤، ١٣٣، ١٨٧، وأبو داود في الأدب باب : في حسن الخلق ، والبغوي في شرح السنة حديث رقم (٣٥٠٠)، وابن حبان حديث رقم (٤٨٠)، وابن أبي الدنيا في التواضع والتحمول حديث رقم (١٦٦)، والحاكم (٦٠/١) من طرق عن عمرو بن عبد المطلب عن عائشة به . قال الحاكم : « صحيح على شرط الشيفيين ولم يخرجاه » وواقهذه ، قلت : المطلب ابن عبد الله الخزومي في سماعه من عائشة نظر ، قال أبو حاتم الرازي : « المطلب ابن عبد الله لم يدرك عائشة » ، وقال أيضاً : « روايته عن عائشة مرسلاً » وقال البخاري : لا أعرف للمطلب بن حنطبه عن أحد من أصحاب النبي ﷺ سماعاً ، إلا أنه يقول : حدثني من شهد النبي ﷺ ، وقال الترمذى : « سمعت عبد الله بن عبد الرحمن يقول : لا تعرف للمطلب سماعاً من أحد من أصحاب النبي ﷺ » ، وسئل أبو زرعة سمع المطلب بن عبد الله بن حنطبه من عائشة ؟ فقال : أرجو أن يكون سمع منها . انظر تهذيب الكمال ٨١/٢٨ ترجمة المطلب ، مع الحاشية ففيهما الحبر الكبير .

(٤٤) - أخرجه أحمد ٢/ ٢٩١، ٤٤٢، ٣٩٢ ، وفي الزهد ص ٣٩٧ ، والبخاري في الأدب المفرد (٢٨٩) ، والترمذى كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حسن الخلق حديث رقم (٢٠٠٤) ، وابن ماجه في الزهد باب ذكر الذنوب حديث رقم (٤٢٤٦) ، وابن أبي الدنيا في التواضع والتحمول =

وقال أسماء بن شريك ^(٤٥) : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءته الأعراب من كل مكان ، فقالوا : يا رسول الله ، ما خير ما أعطي الإنسان ؟ قال : « حسن الخلق » .

وقال يعلى بن سماك ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء - يبلغ به - قال : « ماشية أتقل في الميزان من حسن الخلق ». وكذا رواه عطاء ، عن أم الدرداء ، به ^(٤٦) .

= حديث رقم (١٧٠) وفي الصمت حديث رقم (٤) ، وفي الورع حديث رقم (١٣٥) ، والحاكم / ٤٢٤ = وصححه وافقه الذهبي ، والبيهقي في الزهد الكبير ^(٣٦٣) ، وأبن حبان في صحيحه حديث رقم (٤٧٦) ، والبغوي في شرح السنة ^(٣٤٩٧) ، والزبيري في تهذيب الكمال ^{١٨٦/٣٢} - ترجمة يزيد بن عبد الرحمن الأودي كلهم من طريق داود بن يزيد أبي يزيد الأودي ، وإدريس بن يزيد الأودي كلامها عن أبيهما يزيد به ويزيد بن عبد الرحمن الأودي قال الحافظ : « مقبول » ، ولم أرى له متابعاً ، وقد ذكره ابن حبان في ثقاته ووثقه العجل .

(٤٥) - أخرجه أحمد / ٤ ، ٢٧٨ ، والحميدى (٨٢٤) ، والبخارى في الأدب المفرد حديث رقم (٢٩١) ، والترمذى في الطب ، باب ما جاء في الدواء والحدث عليه حديث رقم (٢٠٣٨) ، وأبو داود في الطب ، باب الرجل يتناولى حديث رقم (٣٨٥٥) ، وأبن ماجه في الطب ، باب ما أنزل الله داء إلا نزل له دواء حديث رقم (٣٤٣٦) ، والنمسائى في الكبرى كتاب الطب ، باب الأمر بالدواء حديث رقم (٧٥٥٣) - (٧٥٥٤) ، وأبن الجعدي في مسنده حديث رقم (٢٦٨٠) ، وأبن أبي الدنيا في التواضع والتحمول حديث رقم (١٧١) ، وقام في فوائد حديث رقم (١٠١٣) - الروض ، وهناد في الزهد رقم (١٢٦) ، والطحاوى في شرح المثانى / ٤ ، ٢٣ ، وأبن حبان (١٣٩٥ ، ١٩٤٤) ، والبيهقي / ٩ ، والحاكم / ١ ، ١٢١ / ٤ ، ١٩٨ ، والخطيب في تاريخه / ٩ ، وأبن أبي عاصم في الأحاديث المثانى حديث رقم (١٤٦٧) - (١٤٦٨) ، وأبن أبي شيبة في كتاب الأدب / ٨ ، ٥١٤ رقم (٥٣٦٧) ، والطیلیسی / ١ ، ٣٤٣ رقم (١٧٤٧) - منحة ، والطبرانى / ١ ، ١٤٤ - ١٥٢ من طرق عن زياد بن عبد الله به ، وهذا إسناد صحيح ، قال الحاكم : « هذا حديث أسانيد كلها صحيحة على شرط الشعixin و لم يخرجاه ، والعلة عندهم فيه أن أسماء بن شريك ليس له روا غير زياد بن علاقة ... إلخ » وافقه الذهبي .

(٤٦) - أخرجه أحمد / ٦ ، ٤٤٢ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، وعبد بن حميد في مسنده حديث رقم (٢٠٤) ، والبخارى في الأدب المفرد (٢٧٠) ، وأبو داود في الأدب ، باب في حسن الخلق حديث رقم (٤٧٩٩) ، والترمذى في البر والصلة ، باب ما جاء في حسن الخلق حديث رقم (٢٠٠٣) ، وأبو نعيم في الحلية / ٧ ، ١٠٧ ، والتراتبى في مكارم الأخلاق ص ٩ - ١٠ ، وأبن أبي شيبة / ٨ ، ٣٢٨ وأبن أبي الدنيا في التواضع والتحمول حديث رقم (١٧٣) من طريق الحسن بن مسلم والقاسم بن أبي زنة ومطرف ، ثلاثتهم عن عطاء ابن نافع الكيخارانى عن أم الدرداء به مرفوعاً ، والحديث أخرجه هناد في الزهد رقم (١٢٥٨) من طريق أبان وهو ابن أبي عياش عن عطاء عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : « ما يوضع في الميزان ... فذكر الحديث » من قوله وليس مرفوعاً ، وأبان ضعيف ، وخالقه غيره فرفعه ، ورواه ابن أبي الدنيا في التواضع والتحمول من طريق يعلى بن مملوك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء به مرفوعاً ، وهذا متابعة جيدة لعطاء . وفي الباب أحاديث صحيحة عن أبي هريرة وعائشة وأنس وابن عمر وغيرهما ، وقد سبق طرف منها .

وَعَنْ [١] مُسْرِفَقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا : « إِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا » ^(٤٧) .

حَدَثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَدْرٍ ، حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبِيدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَارَةَ ، عَنْ الْحَسْنِ ابْنِ عَلَيْهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الشَّوَّابِ عَلَى حَسْنِ الْخَلْقِ ، كَمَا يُعْطِي الْمُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، يَغْدُ عَلَيْهِ الْأَجْرُ وَيَرُوحُ » ^(٤٨) .

وَعَنْ [٢] مَكْحُولٍ ، عَنْ أَبِي ثَلْبَةَ مَرْفُوعًا : « إِنَّ أَحْبَكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنَّ أَبْغَضُكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدُكُمْ مِنِّي مَنْزِلًا فِي الْجَنَّةِ مَسَاوِيَكُمْ أَخْلَاقًا ، الْثَّرَاثُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ الْمُتَشَهِّدُونَ » ^(٤٩) .

[وَعَنْ أَبِي] ^[٣] أُوْيِسَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النَّكْرِ ، عَنْ جَابِرٍ مَرْفُوعًا : « أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَكْمَلِكُمْ إِيمَانًا ؟ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا ، الْمُوَطَّعُونَ أَكْنَافًا ، الَّذِينَ يَؤْلُفُونَ وَيَأْلُفُونَ » ^(٥٠) .

وَقَالَ الْلَّيْثُ : عَنْ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسَمَّةَ ، عَنْ بَكْرِ بْنِ أَبِي الْفَرَاتِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا حَسِّنَ اللَّهُ خَلْقَ رَجُلٍ وَخَلْقَهُ فَقْطَعَهُ النَّارُ » ^(٥١) .

وَعَنْ [٤] عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَالِبِ الْحَدَانِيِّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا : « خَصْلَتَانِ لَا يَجْتَمِعُانِ فِي مَؤْمِنٍ : الْبَخْلُ وَسُوءُ الْخَلْقِ » ^(٥٢) .

(٤٧) - أَخْرَجَ الْبَخَارِيُّ فِي الْمَنَاقِبِ مِنْ صَحِيحِهِ بَابَ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثُ رَقْمِ (٣٥٥٩) ، وَفِي فَضَائِلِ الصِّحَّاَةِ بَابَ مَنَاقِبِ ابْنِ مُسَعُودٍ حَدِيثُ رَقْمِ (٣٧٥٩) ، وَفِي الْأَدْبِ بَابَ لِمَ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحْشَا وَلَا مَفْحُوشًا حَدِيثُ رَقْمِ (٦٠٢٩) ، وَبَابَ حَسْنِ الْخَلْقِ حَدِيثُ رَقْمِ (٦٠٣٥) وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمُ فِي الْفَضَائِلِ بَابَ كُثْرَةِ حَيَاةِ ﷺ حَدِيثُ رَقْمِ (٢٣٢١) ، وَالْتَّرْمِذِيُّ فِي الْبَرِّ وَالصَّلَةِ ، بَابَ مَا جَاءَ فِي الْفَحْشَ حَدِيثُ رَقْمِ (١٨٧٥) وَغَيْرُهُمْ .

(٤٨) - التَّواضُّعُ وَالْخَمْلُ أَثْرُ رَقْمِ (١٧٦) .

(٤٩) - أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (١٩٤، ١٩٣/٤) مِنْ طَرِيقِيْنَ عَنْ دَاؤِدَ عَنْ مَكْحُولٍ بِهِ ، وَالْحَدِيثُ عَزَاهُ الْهَيْشِمِيُّ فِي مُجَمِّعِ الزَّوَائِدِ (٨/٢٤) إِلَى أَحْمَدَ وَالْطَّبَرَانِيِّ ، وَقَالَ : رَجُلُ أَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِّيْحِ .

(٥٠) - التَّواضُّعُ وَالْخَمْلُ أَثْرُ رَقْمِ (١٧٨) .

(٥١) - ذَكَرَ السَّيُوطِيُّ فِي الْلَّاْكَى (١١٩/١) هَذَا الْحَدِيثُ عَنِ الْإِمَامِ السَّلْفِيِّ بِسْنَدِهِ إِلَى الْلَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ بَكْرِ بْنِ الْفَرَاتِ عَنْ أَنْسٍ ، وَقَالَ : أُورَدَهُ الْحَافِظُ شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ الْجُوزِيِّ فِي كِتَابِهِ أَحَاسِنُ الْمَنْ ، وَقَالَ : (رَجَالُ ثَنَاتٍ) ، وَتَعَقِّبَهُ الْعَلَامَةُ الْيَمَانِيُّ فِي تَعْلِيقِهِ عَلَى الْفَوَائِدِ الْمُجَمُوعَةِ [ص ٢٩] ، وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ ابْنُ الْجُوزِيِّ فِي الْمُوْضِعَاتِ (١٦٥/١) مِنْ طَرِيقِ أَخْرَى عَنْ أَنْسٍ وَفِي إِسْنَادِهِ أَبُو سَعِيدِ الْعَدْوِيِّ ، وَخَرَاشٌ وَكَلَاهُما كَذَابٌ . وَيُنْظَرُ طَرَقُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي الْمُوْضِعَاتِ الْلَّاْكَى ، وَالْفَوَائِدِ الْمُجَمُوعَةِ ، وَتَنْزِيهِ الشَّرِيعَةِ ٢٠١/١ .

(٥٢) - أَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنِ حَمِيدٍ (٩٩٦) ، وَالْبَخَارِيُّ فِي الْأَدْبِ الْمُفَرْدِ (٢٨٢) ، وَالْتَّرْمِذِيُّ فِي الْبَرِّ وَالصَّلَةِ =

[١] - سَقْطٌ مِنْ : زِ .

[٢] - سَقْطٌ مِنْ : زِ .

[٣] - مَا بَيْنَ الْمُعْكُوفَيْنَ سَقْطٌ مِنْ : زِ .

وقال ميمون بن مهران ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من ذنب أعظم عند الله من سوء الخلق ، وذلك أن صاحبه لا يخرج من ذنب إلا وقع في آخر » ^(٥٣) .

حدثنا علي بن الجعدي ، حدثنا أبو المغيرة الأحمسبي ، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن رجل من قريش قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الخلق الحسن ليذيب الذنوب كما تذيب الشمس الجليد ، وإن الخلق السيئ ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل » ^(٥٤) .

وقال عبد الله بن إدريس ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي هريرة مرفوعاً : « إلكم لا تسعون الناس بأموالكم ، ولكن يسعهم منكم بسط وجوه وحسن خلق » ^(٥٥) .

وقال محمد بن سيرين : حسن الخلق عون على الدين ^(٥٦) .

فصل في ذم الكبر

قال علقة ، عن ابن مسعود - رفعه - : « لا يدخل الجنة من كان ^(١) في قلبه مثقال حبة من كبر ، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال حبة ^(٢) من إيمان » ^(٥٧) .

وقال إبراهيم بن أبي عبد الله ^(٣) ، عن أبي سلمة ، عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً : « من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، أكبه الله على وجهه في النار » ^(٥٨) .

حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدثنا أبو معاوية ، عن عمر بن راشد ، عن إياض بن سلمة ،
باب : ما جاء في البخل ، حديث (١٩٦٢) من طرق عن صدقة بن موسى عن مالك بن دينار عن عبد الله
ابن غالب به .

(٥٣) - عزاه المندرى في الترغيب والترهيب (٢٦٥/٣) إلى الأصبهانى في ترغيبه ثم قال : وهذا مرسل .

(٥٤) - التواضع والحمل رقم (١٨٣)

(٥٥) - أخرجه البزار في مسنده (١٩٧٩ - كشف) بسنده إلى ابن إدريس به ورجاله إسناده ثقات ، وأخرجه أبو يعلى في مسنده (١٥٥٠) والبزار (١٩٧٧ - كشف) من طريق المقبري عن أبي هريرة به مرفوعاً دون ذكر (حسن الخلق) . وأخرجه أيضاً البزار في (١٠٧٨ - كشف) من طريق عطاء عن أبي هريرة . والحديث ذكره المندرى في الترغيب (٢٦٤/٣) وقال : رواه أبو يعلى والبزار من طرق أحدهما حسن جيد .

(٥٦) - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، حديث (٩١) من طريقين عن إبراهيم عن علقة به .

(٥٧) - المسند (٢١٥/٢)

(٥٨) - أخرجه الترمذى في البر والصلة ، باب ما جاء في الكبر حديث (٢٠٠) عن أبي كريب عن أبي معاوية به .

[١] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « ذرة » .

[٢] - في خ ، ز : « ذرة » .

عن أبيه مرفوعاً : « لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب عند الله من المبارين ، فيصييه ما أصابهم من العذاب » ^(٥٩) .

وقال مالك بن دينار : ركب سليمان بن داود - عليهما السلام - ذات يوم البساط في مائتي ألف من الإنس ، ومائتي ألف من الجن ، فرتفع حتى سمع تسبيح الملائكة في السماء ، ثم خفضوه حتى مست قدمه ماء البحر ، فسمعوا صوتاً : لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة ^(٦٠) . من كبر لخسف به أبعد مما رفع ^(٦١) .

حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال : كان أبو بكر يخطبنا فيذكر بدء خلق الإنسان ، حتى إن أحدهنا ليقدر نفسه ، يقول : خرج من مجرى البول ، مرتين ^(٦٢) .

وقال الشعبي : من قتل اثنين فهو جبار ، ثم تلا : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض ^(٦٣) .

وقال الحسن : عجبًا لابن آدم ! يغسل الخراء ^(٦٤) بيده في اليوم مرتين ثم يتکبر ! يعارض جبار السماوات .

قال ^(٦٥) : حدثنا خالد بن خداش ، حدثنا حماد بن زيد ، عن علي عن ^(٦٦) الحسن ، عن الضحاك بن سفيان ، فذكر حديث : « ضرب مثل الدنيا بما يخرج من ابن آدم » ^(٦٧) .

وقال الحسن ، عن عتي ^(٦٨) ، عن أبيه قال : إن مطعم ابن آدم ضرب مثلًا للدنيا ، وإن فرنخه ^(٦٩) وملحه ^(٧٠) .

(٥٩) - التواضع والخمول رقم (١٩٨)

(٦٠) - التواضع والخمول رقم (١٩٩)

(٦١) - التواضع والخمول رقم (٢٠٠)

(٦٢) - التواضع والخمول رقم (٢١٠)

(٦٣) - التواضع والخمول رقم (٢١١)

[١] - في ز : « حبة » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ت : ابن ، والمثبت من التواضع ، وعلى هو ابن زيد .

[٤] - في ت : يحيى ، والمثبت من التواضع .

[٥] - في ز : « فرنخة » . تؤبه ، من القوچ وهو النابل الذي يطرح في القدر ، كالكمون والكزبرة ونحو ذلك

[٦] - (النهاية ٤/٥٨)

وقال محمد بن الحسين بن علي - من ولد علي رضي الله عنه - : ما دخل قلب رجل شيء من كبر إلا نقص من عقله بقدر ذلك ^(٤) .

وقال يونس بن عبيد : ليس مع السجود كبر ، وليس ^[١] مع التوحيد نفاق .

ونظر طاوس إلى عمر بن عبد العزيز ، وهو يختال في مشيته ، وذلك قبل أن يستخلف ، فطعن طاوس في جبهة بأصبعه ، وقال : ليس هذا شأن ^[٢] من في ^[٣] بطنه خروء ^[٤] ؟ . فقال له كالمعتذر إليه : يا عم ؛ لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها ^(٥) .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا ، كانت بنو أمية يضربون أولادهم حتى يتعلموا ^[٦] هذه المشية .

فصل في الاختيال

عن ^[٧] ابن أبي ليلى ، عن ابن بريدة ، عن أبيه مرفوعاً : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه » ^(٨) .

ورواه عن إسحاق بن إسماعيل ، عن سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر مرفوعاً مثله ^(٩) .

وحدثنا محمد بن بكار ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة مرفوعاً : « لا ينظر الله يوم القيمة إلى من جر إزاره » ^(١٠) .

و« بينما رجل يبغضه في برديه ، أعجبته نفسه ، خسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيمة » ^(١١) .

(٦٤) - التواضع والخمول رقم (٢٢٦) .

(٦٥) - التواضع والخمول رقم (٢٤١) .

(٦٦) - التواضع والخمول رقم (٢٣٨) .

(٦٧) - أخرجه أحمد في المسند (١٤٧/٢) من طريق معمر عن زيد بن أسلم به ، وأصل الحديث في الصحيحين عن ابن عمر .

(٦٨) - أخرجه البخاري في اللباس ، باب من جر ثوبه من الخيلاء ، حديث (٥٧٨٨) من طريق مالك عن أبي الزناد به .

(٦٩) - أخرجه أحمد في المسند (٥٣١/٢) ، ومسلم في كتاب اللباس ، حديث (٢٠٨٨) من طرق عن أبي هريرة .

[١] - في ز : « ولا » .

[٢] - في ز : « شيء » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز : « يتعلمون » .

وروبي الزهري عن سالم عن أبيه : « بينما رجل ... » إلى آخره^(٧٠) .

أَنْرَ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ
ظَلَاهَرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَدِّلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ
مُّبِينٍ^(٧١) وَلَذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَيْعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ أَبَاءَنَا
أَوْنَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ^(٧٢)

يقول تعالى منها خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة ، بأنه^[١] سخر لهم ما في السماوات من نجوم يستضيفون بها في ليتهم ونهارهم ، وما يخلق فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد ، وجعله^[٢] لياما لهم سقفاً محفوظاً ، وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار . وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة ، من إرسال الرسل وإنزال الكتب ، وإزاحة الشبهة^[٣] والعلل ، ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم ، بل منهم من يجادل في الله ، أي : في توحيده وإرسال الرسل . ومجادلته في ذلك بغير علم [ولا مستند من حجة صحيحة] ، ولا كتاب مأثور صحيح ، ولهذا قال تعالى : « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم^[٤] [ولا هدى ولا كتاب منير^[٥]] ، أي : مبين مضيء .

« وإذا قيل لهم^(٦) ، أي : لهؤلاء المجادلين في توحيد الله : « أتبعوا ما أنزل الله^(٧) » ، أي : على رسوله من الشرائع المطهرة ، « قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا^(٨) » ، أي : لم يكن لهم حجة إلا اتباع الآباء الأقدمين ، قال الله : « أولو كان آباءهم لا يعقلون شيئاً ولا يهددون^(٩) » ، أي : فما ظنكم أيها المحتجون بصنع آبائهم ، أنهم كانوا على ضلاله ، وأنتم خلف لهم فيما كانوا فيه ؛ ولهذا قال : « أو لو كان الشيطان يدعوهם إلى عذاب السعير^(١٠) .

﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْفَةِ الْوَقِيقَةِ ﴾

(٧٠) - أخرجه أحمد (٦٦/٢) ، والبخاري في أحاديث الأنبياء ، حديث (٣٤٨٥) ، وظرفه في (٥٧٩٠)
والنسائي (٢٠٦/٨) من طريق الزهري به .

[١] - في ز : « فإنه » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ت : « الشبه » .

وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢١﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يُحِزِّنْكَ كُفُورُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ
فَنَتَسِّهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى مخبراً عن أسلم وجهه لله^[١] ، أي : أخلص له العمل ، وانقاد لأوامره^[٢] ، واتبع شرعيه ، ولهذا قال : ﴿وَهُوَ مُحَسِّنٌ﴾ وهو محسن^[٣] ، أي : في عمله ، باتباع ما به^[٤] أمر ، وترك ما عنه زجر ، ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوْةِ الْوُثْقَى﴾ فقد استمسك بالعروة الوثقى^[٥] ، أي : فقد أخذ موئلاً من الله متيماً ، أنه لا يعذبه ، ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ومن كفر فلا يحزنك كفوه^[٦] ، أي : لا تخزن يا محمد عليهم في كفرهم بالله وما جئت به ؛ فإن قدر الله ناذد فيهم ، إلى الله^[٧] مرجعهم فيبيتهم بما عملوا^[٨] ، أي : فيجزيهم عليه ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فلا تخفي عليه خافية .

ثم قال : ﴿نَمْتَهُمْ قَلِيلًا﴾ ، أي : في الدنيا ، ﴿ثُمَّ نَضْطَرُهُمْ﴾ ، أي نلجمهم^[٩] إلى عذاب غليظ^[١٠] ، أي : نطيع صعب شاق^[١١] على النفوس ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذْبَ لَا يَفْلُحُونَ﴾ مداع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم لذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون^[١٢]

نَمْتَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ حَلَّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء المشركين به : إنهم يعرفون أن الله خالق السموات والأرض ، وحده لا شريك له ، ومع هذا يبعدون معه شركاء^[١٣] ، يعتقدون أنها خالق له وملك له ، ولهذا قال : ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ، [أي] : إذ قامت عليكم الحجة باعترافكم^[١٤] ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

ثم قال : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، أي : هو خلقه وملكه ، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ، أي : الغني عمما سواه ، وكل شيء فقير إليه ، الحميد في جميع ما خلق ، له الحمد في السموات والأرض على ما خلق وشرع ، وهو المحمود في الأمور كلها .

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّا فِي الْأَرْضِ

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المكوفين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ت : « لأمره » .

[٥] - في ز : « شريكاً » .

[٦] - في ز : « شريكاً » .

مِنْ شَجَرَةِ أَقْلَامٍ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةً أَبْخَرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعْثَكُمْ إِلَّا كَنَفِيسٍ وَجَهَدَ إِنَّ اللَّهَ

سَمِيعٌ بَصِيرٌ

يقول تعالى مخبراً عن عظمته وكبرياته وجلاله ، وأسمائه الحسنى وصفاته العلا ، وكلماته الناتمة التي لا يحيط بها أحد ، ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها ، كما قال سيد البشر وخاتم الرسل : « لا أخصي ثناء عليك ، أنت كما أثبتت على نفسك » ^(١) . فقال تعالى : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله » ، [أي] : ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلاما ، وجعل البحر مداداً ومتده سبعة أبحر ^(٢) معه ، فنكبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت ^(٣) الأقلام ، ونفذ ماء البحر ، ولو جاء أمثالها مدادا .

إنما ذكرت « السبعة » على وجه المبالغة ، ولم يرد المحصر ولا أن ^(٤) ثم سبعة أبحر موجودة تحيط بالعالم ، كما يقوله من تلقاه من كلام الإسرائيلين التي لا تصدق ولا تكذب ، بل كما قال تعالى في الآية الأخرى : « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جتنا بمثله مدادا » ^(٥) ، فيليس المراد بقوله : « بمثله » آخر فقط ، بل بمثله ثم بمثله [ثم بمثله ^(٦) ، ثم هلم جرا] ، لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته .

وقال الحسن البصري : لو جعل شجر الأرض أقلاما ، وجعل البحر مدادا ، و قال الله : إن من أمري كذا ، ومن أمري كذا . لننفذ ما في البحور ، وتكسرت الأقلام .

وقال قنادة : قال المشركون : إنما هذا كلام يوشك أن ينفذ . فقال الله تعالى : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام » ^(٧) . أي : لو كان شجر الأرض أقلاما ، ومع ^(٨) البحر سبعة أبحر ، ما كان لننفذ عجائب ربى وحكمته وخلقه وعلمه .

وقال الريبع بن أنس : إن مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها ، وقد أنزل الله ذلك : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ... » الآية .

(٧١) - مسلم الصلاة (٢٢٢) .

[١] - ما بين المعقودين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز : « فكسرت » .

[٣] - سقط من : ز . [٤] - ما بين المعقودين سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز : « أو » . [٦] - في ز : « بلغ » .

يقول : لو كان ذلك البحر مداداً لكلمات الله ، والأشجار^[١] كلها أفلاماً ، لأنكسرت الأقلام ، وفني ماء البحر ، وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء ، لأن أحداً لا يستطيع أن يقدر قدره ، ولا يبني عليه كما ينبغي ، حتى يكون هو الذي يبني على نفسه ، إن ربنا كما يقول ، وفرق ما نقول .

وقد روی أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود ، قال ابن إسحاق : حدثني ابن أبي محمد ، عن سعيد بن جبیر أو عکرمة ، عن ابن عباس : أن أحبار يهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدینة : يا محمد ، أرأیت قولك : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إِيَّاكَ تَرِيدُ أَمْ قَوْمَكَ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلَا » ، فقالوا : أَلَسْتَ تَنْلُو فِيمَا جَاءَكَ أَنَا قَدْ أُوتِيْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا تَبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهَا فِي عِلْمِ اللَّهِ قَلِيلٌ ، وَعِنْكُمْ مَنْ [٣] ذَلِكَ مَا يَكْفِيكُمْ » . وأنزل الله فيما سأله عنه من ذلك : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ... ﴾ الآية .

وهكذا روی عن عکرمة ، وعطاء بن يسار : وهذا يقتضي أن هذه الآية مدنیة لا مکیة ، والمشهور أنها مکیة ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ، أي : عزيز قد عز كل شيء وقهره وغله ، فلا مانع لما أراد ، ولا مخالف^[٤] ، ولا معقب لحكمه ، ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في خلقه وأمره ، وأقواله وأفعاله ، وشرعه وجميع شئونه .

وقوله : ﴿ مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعْثَكُمْ إِلَّا كَنْفُسَ وَاحِدَةٍ ﴾ ، أي : ما خلّق جميع الناس وبعثهم يوم المیاد - بالنسبة إلى قدرته - إلا كسبة خلق^[٥] نفس واحدة ، الجميع هيّن عليه ، ﴿ إِنَّمَا أَمْرَهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿ وَمَا أَمْرَنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلْمَحٌ بِالْبَصَرِ ﴾ أي : لا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة ، فيكون ذلك الشيء لا يحتاج إلى تكرره وتوجده . ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ . فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ .

وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ، أي : كما هو سميع لأقوالهم بصير بأفعالهم ، كسمعه وبصره بالنسبة إلى نفس واحدة ، كذلك قدرته عليهم كقدرته على نفس واحدة ؛ ولهذا قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعْثَكُمْ إِلَّا كَنْفُسَ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ .

أَلَرَّ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ الْأَيَّلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الْأَيَّلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ

[١] - في ز : « الشجر » .

[٢] - في ز : « كل » .

[٣] - في ز : « في » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ز .

وَالْقَمَرُ كُلُّ يَجْرِيَ إِلَّا أَجْلٌ مُسَمٌّ وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ إِنَّ
اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَإِنَّ مَا يَتَعْنَوْنَ مِنْ دُونِهِ الْبَطَلُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ



يخبر تعالى أنه **﴿يولج الليل في النهار﴾** ، بمعنى يأخذ منه في النهار ، فيطول ذلك^[١] ويقصر هذا ، وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية ، ثم يشرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار ، وهذا يكون في الشتاء ، **﴿وَسَخَرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلُّ يَجْرِيَ إِلَى أَجْلٍ مُسَمٍّ﴾** ، قيل : إلى غاية محدودة ، وقيل : إلى يوم القيمة . وكل المعنيين صحيح . ويستشهد للقول الأول بحديث أبي ذر - رضي الله عنه - الذي في الصحيحين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا أبا ذر ، أتدرى أين تذهب هذه الشمس ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « فلينها تذهب فتسجد تحت العرش ، ثم تستأذن ربها فيوشك أن يقال لها : ارجعي من حيث جئت »^[٢] .

وقال ابن أبي حاتم^(٧٢) : حدثنا أبو صالح ، حدثنا يحيى بن أبیوب ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس أنه قال : الشمس بمنزلة الساقية ، تجري بالنهار في السماء في فلكها ، فإذا غربت جرت بالليل في فلكها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها ، قال : وكذلك القمر . إسناده صحيح .

وقوله : **﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾** كقوله : **﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** .

ويعنى هذا أنه تعالى الخالق العالم بجميع الأشياء ، ك قوله : **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مَثَلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾** .

وقوله : **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُولَهِ الْبَاطِلُ﴾** ، أي : إنما يظهر لكم آياته ل تستدلوا بها على أنه الحق ، أي : الموجود الحق الإله^[٢] الحق ، وأن كل ما سواه

(٧٢) - أخرجه البخاري في بدء الخلق ، باب صفة الشمس والقمر . حديث (٣١٩٩) وأطرافه في (٤٨٠٢ ، ٤٨٠٣ ، ٧٤٢٤ ، ٧٤٣٣) ، ومسلم في الإيمان حديث (١٥٩) من طريق سليمان التيمي عن أبي ذر .

(٧٣) - عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٢٢/٥) إلى ابن إسحاق وابن جرير ، وابن أبي حاتم .

[١] - في ز : « ذلك » .

[٢] - في ز : « إلا أنه » .

باطل ، فإنه الغني عما سواه ، وكل شيء فغير إليه ، لأن كل ما في السماوات والأرض الجميع خلقه وعيشه ، لا يقدر أحد منهم على تحريك ذرة إلا بإذنه ، ولو اجتمع كل أهل الأرض على أن يخلقو ذاتياً لعجزوا عن ذلك . ولهذا قال : ﴿ ذَلِكَ بَأْنَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُولَهُ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ ، [١] أي : [١] العلی : الذي لا أعلى منه ، الكبير : الذي هو أكبر من كل شيء ، فكل شيء خاضع حقير بالنسبة إليه .

الَّرَّ تَرَ أَنَّ الْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْعَمِتُ اللَّهُ لِرِبِّكُرٍ مِنْ إِيمَانِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَذِكْرٍ لِكُلِّ صَبَارٍ شَكُورٍ ﴿٢١﴾ وَإِذَا غَشِيْهِمْ مَوْجٌ كَالظَّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الَّذِينَ قَلَمَّا بَحَثُوكُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَمْحَدُ إِيمَانَنَا إِلَّا كُلُّ
خَتَارٍ كَفُورٍ ﴿٢٢﴾

يخبر تعالى أنه هو الذي سخر البحر لتجري فيه الفلك بأمره ، أي : بطشه وتسييره ، فإنه لولا ما جعل في الماء من [٢] قوة يحمل بها السفن لما جرت ، ولهذا قال : ﴿ لِرِبِّكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ﴾ ، أي : من [٣] قدرته ، ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَارٍ شَكُورٍ ﴾ ، أي : صبار في الضراء ، شكور في الرخاء .

ثم قال : ﴿ وَإِذَا غَشِيْهِمْ مَوْجٌ كَالظَّلَلِ ﴾ ، أي : كالجبال والغمام ﴿ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَكَمُ الضر في البحر ضل من تدعون إلا إيه ﴾ وقال : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوكُمْ فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ ﴾ ثم قال : ﴿ فَلَمَّا نَجَاهُوكُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يَشْرُكُونَ ﴾ . وقال ابن [٤] زيد : هو المتوسط في العمل ، وهذا الذي قاله ابن زيد هو المراد في قوله : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ فالمقصود هاهنا هو : المتوسط في العمل . ويحتمل أن يكون مراداً هنا أيضاً ، ويكون من باب الإنكار على من شاهد تلك الأهوال والأمور العظام ، والآيات الباهرات في البحر ، ثم بعد ما أنعم الله عليه من الخلاص ، كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل النافع ، والدعوة في العبادة ، والمبادرة إلى الخيرات . فمن اقصد بعد ذلك كان مقصراً والحالة هذه ، والله أعلم .

[١] - ما بين المukoفين سقط من : ز .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ت : « أبو » .

[٣] - سقط من : ز .

وقوله : ﴿ وَمَا يَجْحِدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَارٍ كَفُورٌ ﴾ ، فالختار : هو الغدار^[١] . قاله مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، ومالك ، عن زيد بن أسلم ، وهو الذي كلما عاهد نقض عهده ، والختار : أتم الغدر وأبلغه ، قال عمرو بن معد يكرب :

وائِكَ لَوْ رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرَ مَلَائِكَةَ يَدِيكِ مِنْ غَدِيرٍ وَخَتَرَ
وقوله : ﴿ كَفُورٌ ﴾ أي : جحود للنعم لا يشكراها ، بل يتناساها ولا يذكراها .

يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَعْزِيزُ وَالَّذِيْنَ عَنْ وَالِدِيهِ وَلَا مَوْلُودٍ هُوَ
جَازِي عَنْ وَالِدِيهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرِيَنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا
يَغْرِيَنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ



يقول تعالى منذراً للناس يوم المعاش ، وأمراً لهم بتقواه والخوف منه ، والخشية من^[٢] يوم القيمة حيث ﴿ لَا يَعْزِيزُ وَالَّذِيْنَ عَنْ وَالِدِيهِ ﴾ أي : لو أراد أن يفديه بنفسه لما قيل منه^[٣] . وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يقل منه .

ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله : ﴿ فَلَا تَغْرِيَنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ ، [أي] : لا تلهينكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة^[٤] ، ﴿ وَلَا يَغْرِيَنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ ، يعني : الشيطان . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة . فإنه يغر بن آدم ويؤثه وينبه ، وليس من ذلك شيء ، بل كما قال تعالى : ﴿ يَعْدُهُمْ وَيُنَيِّهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غَرُورًا ﴾ .

قال وهب بن منبه : قال عزير - عليه السلام - : « لما رأيت بلاء قومي اشتد حزني وكثير همي ، وأرق نومي ، فضررت^[٥] إلى ربي وصلت وصمت ، فأنا في ذلك أتضى ورأبكي ؛ إذ أتاني الملك ، قلت له : أخبرني ، هل تشفع أرواح المصدقين للظلمة ، أو الآباء لأنبيائهم ؟ قال : إن القيمة فيها فضل القضاء وملك ظاهر ، ليس فيه رخصة ، لا يتكلم فيه أحد إلا بإذن الرحمن ، ولا يؤخذ فيه والد عن ولده ، ولا ولد عن والده ، ولا أخ عن أخيه ، ولا عبد عن سيده ، ولا يهتم أحد [بهم غيره]^[٦] ، ولا يحزن لحزنه ، ولا أحد يرحمه ، كل مشق على نفسه ، ولا يؤخذ إنسان عن إنسان ، كل يهم همه ، ويذكر عوله ، ويحمل وزره ، ولا يحمل وزره معه غيره ». رواه ابن أبي حاتم .

[١] - في ز : « العذاب » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعکوفین سقط من : ز ، ز .

[٤] - ما بين المعکوفین في ت : « بغیره » .

[٥] - في ز : « تضررت » .

إِنَّ اللَّهَ عِنْدُهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيَنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ خَيْرٌ



هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمه ، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها ، فعلم وقت الساعة لا يعلمه النبي مرسلا ، ولا ملك مقرب ، ﴿ لا يجعلها لوقتها إلا هو ﴾ ، وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله ، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة المركون بذلك ، ومن شاء الله من خلقه . وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه ، ولكن إذا أمر بكونه ذكرا أو أنثى ، أو [شقيا أو سعيدا] ^[١] ، علم الملائكة المركون بذلك ، ومن شاء الله من خلقه . وكذلك لا تدرى نفس ماذا تكسب غدا في دنياه وأخراها ، ﴿ وما تدرى نفس بأي أرض تموت ﴾ أفي بلدها أم ^[٢] غيره من أي بلاد الله كان ، لا علم لأحد بذلك ، وهذه شبيهة بقوله تعالى : ﴿ وعنه مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ... ﴾ الآية . وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس مفاتيح الغيب :

قال الإمام أحمد ^(٧٤) : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني حسين بن واقد ، حدثني عبد الله بن بيريدة ، سمعت أبي بيريدة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « خمس لا يعلمهن إلا الله - عز وجل - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدُهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيَنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ خَيْرٌ ﴾ ». هنا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجوا .

(حديث ابن عمر) قال الإمام أحمد ^(٧٥) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن عبد الله ابن دينار ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدُهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيَنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ خَيْرٌ ﴾ » .

انفرد بإخراجه البخاري ، فرواه في كتاب « الاستسقاء » من صحيحه ^(٧٦) ، عن محمد بن

- المسند (٣٥٣/٥) وقال الهيثمي في مجمع الروايد (٩٢/٧) : رواه أحمد والزار ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٧٥) - المسند (٢٤/٢ ، ٥٨) ، وأخرجه في ٥٢/٢ ، وعبد بن حميد (٧٩١) ، والبخاري في التوحيد باب قول الله تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيره أحدا » حديث (٧٣٧٩) من حديث عبد الله بن دينار .

(٧٦) - صحيح البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب : لا يدرى متى يجيء المطر إلا الله ، حديث (١٠٣٩) ، وانظر السابق .

[١] - ما بين الم Kutuفتين في ز : « شقي أو سعيد ». [٢] - في ت : « أو » .

يوسف الفريابي ، عن سفيان بن سعيد الثوري ، به .

ورواه في التفسير من وجه آخر فقال (٧٧) :

حدثنا يحيى بن سليمان ، حدثنا ابن وهب ، حدثني عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر : أن أباه حدثه ، أن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مفاتيح الغيب خمس ، ثم قرأ : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيَنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ . انفرد به أيضاً .

ورواه الإمام أحمد (٧٨) عن عئذ ، عن شعبة ، عن عمر بن محمد : أنه سمع أباه يحدث ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيَنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ . ماذا تكسب غداً وما تدربي نفسك بأي أرض تموت إن الله عظيم خيره » .

[(حديث ابن مسعود - رضي الله عنه -) قال الإمام أحمد (٧٩) : حدثنا يحيى ، عن شعبة ، حدثني عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة قال : قال عبد الله : أتيت نبيكم صلى الله عليه وسلم مفاتيح كل شيء غير خمس : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيَنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ . وكذا رواه عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة به . وزاد في آخره : « قال : قلت له : أنت سمعته من عبد الله ؟ قال : نعم . أكثر من خمسين مرة .

ورواه أيضاً عن وكيع عن مسعود عن عمرو [١] بن مرة به .

وهذا إسناد حسن على شرط أصحاب [٢] السنن ولم يخرجوه .

(حديث أبي هريرة) قال البخاري عند تفسير هذه الآية (٨٠) : حدثنا إسحاق ، عن جرير ، عن أبي حيان [٤] عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن رسول الله صلى الله

(٧٧) - صحيح البخاري في التفسير ، باب : « إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ » ، حديث (٤٧٧٨) .

(٧٨) - المسنن (٨٥/٢) .

(٧٩) - المسنن (٣٨٦/١) ، وأخرجه الحميدى (١٢٤) وأحمد في (٤٣٨/١) عن محمد بن جعفر عن شعبة به .

(٨٠) - صحيح البخاري في التفسير ، باب (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) ، حديث (٤٧٧٧) ، والحديث عند البخاري في الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإيمان ، حديث (٥٠) ، ومسلم في الإيمان ، حديث (٩) من طريق أبي حيان به .

[١] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز : « عمر » .

[٤] - في خ ، ز : « حصان » .

[٣] - سقط من : ز .

عليه وسلم كان يوماً بارزاً للناس ، إذ أتاه رجل يمشي ، فقال : يا رسول الله ، ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه ، وتؤمن بالبعث الآخر . قال : يا رسول الله ، ما الإسلام ؟ قال : « الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتحمي الزكاة الفروضية ، وتصوم رمضان ». قال : يا رسول الله ، ما الإحسان ؟ قال : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ». قال : يا رسول الله ، متى [١] الساعة ؟ قال : « ما المستول عنها بأعلم من السائل ، ولكن سأحدثك عن أشراطها [٢] : إذا ولدت الأمة ربها ، فذاك من أشراطها ، وإذا كان الحفاة العراة رعوس الناس ، فذاك من أشراطها ، في خمس لا يعلمهن إلا الله : « إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ». ثم انصرف الرجل فقال : « رُدْوَهُ عَلَيَّ » . فأخذوا [٣] ليزدوه ، فلم يروا شيئاً ، فقال : « هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم » .

ورواه البخاري في كتاب الإيمان أيضاً ، ومسلم من طرق ، عن أبي حيان ، به . وقد تكلمنا عليه في أول « شرح البخاري » . وذكرنا ثم حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في ذلك بطوله ، وهو من أفراد مسلم (٨١) .

(حديث ابن عباس) قال الإمام أحمد (٨٢) : حدثنا أبو النضر ، حدثنا عبد الحميد ، حدثنا شهر [٤] ، حدثنا عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلستا له [٥] ، فأتاه جبريل فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأضاءت كفيه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، حدثني [٦] ما الإسلام ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإسلام أن تسلم وجهك لله عز وجل ، وتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ». قال : فإذا [٧] فعلت ذلك فقد أسلمت ؟ قال : « إذا فعلت ذلك فقد أسلمت ». قال : يا رسول الله ، حدثني [٨] ما الإيمان ؟ قال : « الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان وتؤمن بالقدر كله خيرة وشره ». قال : فإذا فعلت ذلك فقد آمنت ؟ قال : « إذا فعلت ذلك فقد آمنت ». قال : يا رسول

(٨١) - صحيح مسلم في الإيمان ، حديث (٨) من حديث عبد الله بن عمر عن أبيه .

(٨٢) - المسند (٣١٨/١) وفي إسناده شهر بن حوشب ، وانظر الحديث في مجمع الزوائد (٤٢/١) .

[١] - في ز : « ما » .

[٢] - ما بين المعقودين في ز : « قال » .

[٤] - في خ ، ز : « بهز » .

[٦] - سقط من : خ ، ز .

[٨] - في ت : « فحدثني » .

[٣] - في ت : « فأخذوه » .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز : « إذا » .

الله ، حدثني ما الإحسان ؟ قال رسول الله صلی الله عليه وسلم : « الإحسان أن تعمل لله كمالك ترها ، فإن كنت لا تراه فإنه يراك ». قال : يا رسول الله ، فحدثني متى الساعة ؟ قال رسول الله - صلی الله عليه وسلم - : « سبحان الله ! في خمس لا يعلمهم إلا هو : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمٌ السَّاعَةِ وَيَنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ﴾ ولكن إن شئت حدثتك بمعالم لها دون ذلك ». قال : أجل ، يا رسول الله ، فحدثني . قال رسول الله صلی الله عليه وسلم : « إِذَا رأَيْتَ الْأُمَّةَ وَلَدْتَ رَبِّهَا - أُو : رَبِّهَا - وَرَأَيْتَ أَصْحَابَ الشَّاءِ[١] يَطَافُولُونَ فِي الْبَنِيَانِ ، وَرَأَيْتَ الْحَفَّةَ الْجَيَاعَ الْعَالَةَ [كَانُوا رَءُومَ النَّاسَ ، فَذَلِكُمْ مِنْ مَعَالِمِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطَهَا] ». قال : يا رسول الله ، ومن أصحاب الشاء والحفة الجياع العالة ؟ [٢] قال : « العرب »[٣] . حديث غريب ولم يخرجوه .

(حديث رجل من بني عامر) [روى الإمام أحمد]^[٤] : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن منصور [٤] ، عن ربيعي بن حراش [٥] ، عن رجل من بني عامر : أنه استأذن على النبي صلی الله عليه وسلم فقال : ألاج [٦] ؟ فقال النبي صلی الله عليه وسلم لخادمه : « اخرجي إليه فإنه لا يحسن الاستئذان فقولي له : فليقل : السلام عليكم . الأدخل ؟ ». قال [٧] : فسمعته يقول ذلك ، فقلت : السلام عليكم ، الأدخل ؟ فأذن فدخلت ، فقلت : بم أتيتنا به ؟ قال : « لم آتكم إلا بخير ، أتتكم أن تعبدوا الله وحده لا شريك له ، وأن تدعوا الالات والعزى ، وأن تصلوا بالليل والنهر خمس صلوات ، وأن تصوموا من السنة شهرًا ، وأن تحجوا البيت ، وأن تأخذوا الزكاة من مال أغيايكم فتردوها على فقرائهم ». قال : فقال : فهل [٨] بقي من العلم شيء لا تعلمه ؟ قال : « قد علم الله - عز وجل - خيراً ، وإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله - عز وجل - الخمس : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمٌ السَّاعَةِ وَيَنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ﴾ . وهذا إسناد صحيح .

(٨٣) - المستند (٣٦٨/٥) ، وأخرجه أبو داود في السنن (٥١٧٧، ٥١٧٩) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٣١٦) من طريق منصور به . وأخرجه أبو داود في (٥١٧٨) من طريق أبي الأحوص عن منصور عن ربيعي قال : حدث أن رجلاً من بني عامر استأذن على النبي - صلی الله عليه وسلم - بمعناه .

[١] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « العرب » .

[٤] - في ز : « خرash » .

[٥] - في ز : « هل » .

[٦] - في ز : « النيان » .

[٧] - في ز : « تعلم » .

[٨] - في ز : « أيلج » .

[٩] - في ز : « تعلم » .

وقال ابن أبي نجيح ^(٨٤) ، عن مجاهد : جاء رجل من أهل الادية فقال : إن امرأتي حبلني ، فأخبرني ^[١] ما تلد ؟ وبلا دنا بجذبة فأخبرني متى ينزل الغيث ؟ وقد علمت متى ولدث فأخبارني متى أموت ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْهُ عِلْمٌ السَّاعَةِ﴾ إلى قوله ^{﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرِهِ﴾} . قال مجاهد : وهي مفاتيح الغيب التي قال الله تعالى : ^{﴿وَعِنْهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾} . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

وقال الشعبي ^(٨٥) ، عن مسروق ، عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت : ^{﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾} .

وقوله : ^{﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾} قال قتادة : أشياء استثير الله بهن ، فلم يطلع عليهم ملكاً مقرها ، ولا نبياً مرسلاً : ^{﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْهُ عِلْمٌ السَّاعَةِ﴾} ، فلا يدرى أحد من الناس متى تقوم الساعة ، في أي سنة أو في أي ^[٢] شهر ، أو ليل أو نهار ، ^{﴿وَيَنْزَلُ الْغَيْثَ﴾} فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ، ليلاً أو نهاراً ، ^{﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾} ، فلا يعلم أحد ما في الأرحام ، أذكر ^[٣] أم أئشى ، أحمر أو أسود ، وما هو . ^{﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾} ، أخير أم شر ، ولا تدرى يا بن آدم متى تموت ؟ لعلك الميت غداً ، لعلك المصاب غداً ، ^{﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾} ليس أحد من الناس يدرى أين مضجعه من الأرض ، أفي بحر ^[٤] بر ، أو سهل أو جبل .

وقد جاء في الحديث : «إذا أراد الله قبض عبد بأرض ، جعل له إليها حاجة» . فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في «معجممه الكبير» ^(٨٦) ، في مسنده أسمة بن زيد :

حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معاشر ، عن أئوب ، عن أبي الملحي ، عن أسمة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما جعل الله ميتة عبد بأرض إلا جعل له فيها حاجة» .

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد ^(٨٧) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو داود

(٨٤) - أخرجه الطبراني في تفسيره (٨٧/٢١) من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح به .

(٨٥) - أخرجه الطبراني (٨٨/٢١) من طريق مغيرة عن الشعبي به .

(٨٦) - المعجم الكبير (٤٦١) ، وقال الهيثمي في الجمجم (١٩٦/٧) : رجاله رجال الصحيح .

(٨٧) - المسند (٢٢٧/٥) ، وأخرجه الترمذى في القراء ، باب : ما جاء أن النفس تموت حينما كتب لها حديث (٢١٤٦) من طريق أبي داود الخنري به .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : «ذكر» .

[٤] - في ز : «أو» .

الْحَفَرِي ، عن سفيان ، عن أبِيهِ إسْحَاق ، عن مطر بن عَكَامَس^[١] قال : قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا قَضَى اللَّهُ مِيتَةً عَبْدًا بِأَرْضٍ ، جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً » .

وهكذا رواه الترمذى في « القدر » ، من حديث سفيان الثورى ، به : ثم قال : حسن غريب ، ولا يعرف لمطر عن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير هذا الحديث . وقد رواه أبو داود في « المراسيل » قاله أعلم .

وقال الإمام أحمد^(٨٨) : حدثنا إسماعيل ، حدثنا أبوب ، عن أبي الملحق بن أسامه ، عن أبي عزَّة قال : قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ قَبْضَ رُوحِ عَبْدًا بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ فِيهَا - أَوْ قَالَ : بِهَا - حَاجَةً » .

وأبو عزَّة هذا هو : يسار^[٢] بن عبد^[٣] الله ، ويقال : ابن عبد الهذلي . وأخرجه الترمذى من حديث إسماعيل [بن إبراهيم] وهو ابن عَلَيَّة - وقال : صحيح .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أَحْمَدُ بْنُ عَصَمَ الْأَصْفَهَانِيُّ ، حدثنا المُؤْمِلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ^[٤] ، حدثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَمِيدٍ ، عن أَبِي الْمَلِحِ ، عن أَبِي عزَّةِ الْهَذَلِيِّ قال : قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ قَبْضَ عَبْدًا بِأَرْضٍ ، جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً ، فَلَمْ يَتَّهِنْ حَتَّى يَقْدِمَهَا » . ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيَنْزِلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَوْتُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » .

(حديث آخر) ، قال الحافظ أبو بكر البزار^(٨٩) : حدثنا أَحْمَدُ بْنُ ثَابَتَ الْجَحدَريُّ وَمُحَمَّدُ ابْنُ يَحْيَى الْقُطَّاعِيُّ قالا : حدثنا عَمْرَ بْنُ عَلَيِّ ، حدثنا إسماعيل ، عن قيس ، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ قَبْضَ عَبْدًا بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً » . ثُمَّ قال البزار : وهذا الحديث لا نعلم أحدًا يرفعه إلا عَمْرَ بْنُ عَلَيِّ الْمُقدَّميِّ .

وقال ابن أبي الدنيا^(٩٠) : حدثني سليمان بن أبي مسيح قال : أنسدَنِي محمد بن الحكم

(٨٨) - المسند (٤٢٩/٤) ، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٠) والترمذى في القدر ، باب : ما جاء أن النفس تموت حيثما كتب لها ، حديث (٢١٤٧) من طريقين عن إسماعيل به .

(٨٩) - مسنَدُ البزار (١٨٩٩) ، وأخرجه ابن ماجة في الزهد ، باب ذكر الموت والاستعداد له ، حديث (٤٢٦٣) عن أَحْمَدَ بْنِ ثَابَتَ الْجَحدَريِّ وَعُمَرَ بْنِ شَبَّةَ بْنِ عَبِيدَةَ قالا : ثَانِا عَمْرَ بْنَ عَلَيِّ بْنَهِ .

(٩٠) - أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠٠٥/٩) (محظوظ) بسنده إلى ابن أبي الدنيا به .

[١] - في خ ، ز : « عَكَاسٌ » .

[٢] - في ز : « بَشَارٌ » .

[٤] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « عَبِيدٌ » .

لأعشى همدان :

فَمَا تَرَوْدَ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ
وَغَيْرَ [٢] نَفْحَةٌ أَغْوَادٌ ثُثَبَ لَهُ
لَا تَأْسِئَ [٣] عَلَى شَيءٍ ، فَكُلُّ فَتَى
وَكُلُّ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْمَوْتَ يُخْطِفُهُ
بِأَيْمَانَ بَلْدَةٍ تُقْدَزْ مِنْيَةً

أورده [٤] الحافظ ابن عساكر - رحمه الله - في ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث ، وهو أعشى همدان ، وكان الشعبي زوج أخيه ، وهو مزوج بأخت الشعبي أيضا ، وقد كان من طلب العلم وتقنه ، ثم عدل إلى صناعة الشعر [٥] فنُعرف به .

وقد رواه ابن ماجة عن أحمد بن ثابت وعمر بن شيبة [٦] ، كلامها عن عمر بن علي [٧] مرفوعا : « إذا كان أجل أحدكم بأرض [أنت له] [٨] إليها حاجة ، فإذا بلغ أقصى أثره [٩] قبضه الله - عز وجل - فتقول الأرض يوم القيمة رب [١٠] ؛ هذا ما أودعتني » .

قال الطبراني [١١] : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن أيوب ، عن أبي المليح ، عن أسامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما جعل الله منية عبد بأرض ، إلا جعل له إليها حاجة » .

آخر تفسير سورة لقمان ، والحمد لله رب العالمين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .



• (٩١) - تقدم بسنده ومتنه في (٨٦) .

[١] - في ز : « حنوطاً » .

[٢] - في ز : « تَأْسِئَ » .

[٣] - في ز : « أورد » .

[٤] - في ز : « شيبة » .

[٥] - ما بين المعقوتين في م : « أوثنه » .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - في خ ، ز : « و » .

[٨] - في ز : « عَسْقَ » .

[٩] - سقط من : خ ، و .

[١٠] - في خ ، ز : « عَكْرَمَةً » .

[١١] - في خ : « أُمْرَهُ » .

تفسير سورة [الم] [١١] السجدة

وهي مكية

قال البخاري^(١) في «كتاب الجمعة» : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يقرأ في الفجر يوم الجمعة : ﴿الْمِ تَنْزِيل﴾ السجدة ، و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَان﴾ . ورواه مسلم أيضاً من حديث سفيان الثوري ، به^[٢] .

وقال الإمام أحمد^(٣) : حدثنا أسود بن عامر ، أخبرنا الحسن بن صالح ، عن ليث ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لا ينام حتى يقرأ : ﴿الْمِ تَنْزِيل﴾ السجدة ، و﴿هَلْ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْك﴾ . تفرد به أحمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمِ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(١) - صحيح البخاري برقم (٨٩١) ، صحيح مسلم برقم (٨٨٠) .

(٢) المسند (٣٤٠/٣) . وإننا نهاد ضعيف من أجل الليث بن أبي سليم . ورواه الترمذى في فضائل القرآن ، باب : ما جاء في فضل سورة الملك (١٥٢/٥) حدث (٢٨٩٢) . وقال أبو عيسى : هذا حديث رواه غير واحد عن ليث بن أبي سليم مثل هذا ، ورواه مغيرة بن مسلم عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا . وروى زهير قال : قلت لأبي الزبير : سمعت من جابر ذكر هذا الحديث ؟ فقال أبو الزبير : أخبرنيه صفوان - أو ابن صفوان - وكان زهيراً أنكر أن يكون هذا الحديث عن أبي الزبير عن جابر .

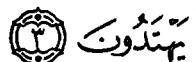
وقال الترمذى : وحدثنا هناد ، ثنا أبو الأحوص ، عن ليث ، عن أبي الزبير ، عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه . ورواه الترمذى أيضاً من حديث ليث في الدعوات ، باب : في قراءة سورة الكافرون ، حدث (٤٠٤) . وقال الترمذى : وهكذا روى الثوري وغير واحد هذا الحديث عن ليث عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه . ورواه عبد بن حميد من طريق ليث حدث (١٠٤٠) .

وروأه الدارمي من حديث ليث في كتاب فضائل القرآن ، باب : فضل سورة تنزيل^{﴿السجدة﴾} وبارك^{﴿وبارك﴾} (٣٢٧/٢) رقم (٣٤١٤) . والبخاري في الأدب المفرد من حديث ليث حدث (١٢٠٩) . ورواه النسائي من حديث مغيرة بن سلمة السراج أخى عبد العزيز بن مسلم القسملى عن أبي الزبير عن جابر ، حدث (٧٠٦) . والبخاري في الأدب المفرد حدث (١٢٠٧) . وروأه النسائي في الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة من طرق عن أبي الزبير عن جابر ، به (١٧٨/٦) رقم (١٠٥٤٢) من حديث مغيرة عن أبي الزبير ، وحديث (١٠٥٤٣) من حديث الحسن بن صالح عن ليث عن أبي الزبير ، وحديث (١٠٥٤٥) من حديث زهير عن ليث عن أبي الزبير عن جابر . وحديث (١٠٥٤٤) من حديث زهير عن ليث عن أبي الزبير وفيه : ليس جابر حدثيه ولكن صفوان أو أبو صفوان .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[١] - سقط من ت .

أَفَتَرَيْهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَنَّهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ

 يَهْتَدُونَ

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول « سورة البقرة » بما أعني عن إعادته .

وقوله : **﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَبِّ فِيهِ ﴾** أي : لا شك فيه ولا مرية أنه نزل **﴿ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾** .

ثم قال مخبراً عن المشركين : **﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾** ، [١] أي : اختلقه من تلقاء نفسه ، **﴿ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَنَّهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾** ، أي : يتبعون الحق .

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا مِنْ سَبَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٌ أَفَلَا لَتَذَكَّرُونَ  يَدِيرُ الْأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعْدُونَ

 ذَلِكَ عِلْمٌ أَغْيَبَ وَالشَّهَدَةُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

يخبر تعالى أنه الخالق للأشياء ، فخلق السموات والأرض وما ينهمما في ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، وقد تقدم الكلام على ذلك .

﴿ مَا لَكُمْ مِنْ دُولَةٍ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ ، أي : بل هو المالك لأزمة الأمور ، الخالق لكل شيء ، المدير لكل شيء ، القاهر [٢] على كل شيء ، فلا ولد لخلقه سواه ، ولا شفيع إلا من بعد إذنه .

﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ، يعني : أيها العابدون غيره ، المتوكلون على من عداه ، تعالى وتقديس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو نديد ، أو وزير أو عديل ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه .

وقد أورد النسائي هاهنا حديثاً^(٣) فقال : حدثنا إبراهيم بن يعقوب ، حدثني محمد بن

(٣) النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٩٢) .

[١] - ما بين المukoftin في ت : بل يقولون افتراه .

[٢] - في ت : « القادر ». .

الصباح ، حدثنا أبو عبيدة الحداد ، حدثنا الأخضر بن عجلان ، عن ابن جريج المكي ، عن عطاء ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أخذ بيدي فقال : « إن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ثم استوى على العرش في اليوم السابع ، فخلق التربية يوم السبت ، والجبال يوم الأحد ، والشجر يوم الإثنين ، والمكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ، والدواب يوم الخميس ، وآدم يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار بعد العصر ، وخلقه من أديم الأرض ، بأحمرها وأسودها ، وطيفها وخبيثها ، من أجل [ذلك جعل]^[١] الله من بني^[٢] آدم [الخيث والطيب]^[٣] » .

هكذا أورد هذا الحديث إسناداً ومتناً . وقد أخرج مسلم والنسائي أيضاً^[٤] من حديث الحجاج ابن محمد الأعور ، عن ابن شريح ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أبوبن خالد ، عن عبد الله ابن رافع ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بنحو من هذا السياق .

وقد علل البخاري في كتاب « التاريخ الكبير »^[٥] فقال : وقال بعضهم : أبو هريرة عن كعب الأحبار - وهو أصح . وكذا علل غير واحد من الحفاظ ، والله أعلم .

وقوله : « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يرجع إليه »^[٦] ، أي : يتنزل أمره من أعلى السموات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة ، [كما]^[٧] قال الله تعالى : « الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قادر وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً »^[٨] وتترفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا ، ومسافة ما بينها وبين الأرض مسيرة^[٩] خمسمائة سنة ، وسمك السماء خمسمائة سنة .

وقال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك : التزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام ، وصعوده في مسيرة^[١٠] خمسمائة عام ، ولكنه يقطعها في طرفة عين ، ولهذا قال تعالى : « في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون »^[١١] .

« ذلك عالم الغيب والشهادة »^[١٢] ، أي : المدير لهذه الأمور ، الذي هو شهيد على أعمال عباده ، يرفع إليه جليلها وحقيرها ، وصغيرها وكبيرها - هو « العزيز »^[١٣] الذي قد عزّ كل شيء يحتاج إلى بحث ، والله أعلم .

(٤) صحيح مسلم برقم (٢٧٨٩) ، والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٠١) .

(٥) - التاريخ الكبير للبخاري (٤١٣/١) ، (٤١٤) ومن أعلى من الحفاظ ابن المديني كما نقل ذلك البيهقي في الأسماء والصفات ص (٢٧٥) ، وقد رد ذلك الشيخ ناصر الآلباني في صحيحته برقم (١٨٣٣) ، والحديث يحتاج إلى بحث ، والله أعلم .

[١] - ما بين المكرفين مكرر في ز ، خ .

[٢] - ما بين المكرفين سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « مسافة » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

فَقَهْرُهُ وَغَلْبُهُ ، وَدَانَتْ لَهُ الْعِبَادُ وَالرَّقَابُ ، ﴿٦﴾ الرَّحِيمُ ﴿٧﴾ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنُونَ فَهُوَ عَزِيزٌ فِي رَحْمَتِهِ ، رَحِيمٌ فِي عَزَّتِهِ .

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَيَدًا خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّهُهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْتَدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

يقول تعالى : إنه الذي أحسن خلق الأشياء ، وأثبتها^[١] وأحكمها .

وقال مالك : عن زيد بن أسلم : ﴿٦﴾ الذي أحسن كل شيء خلقه ، قال : « أحسن خلق كل شيء ». كأنه جعله من المقدم والمؤخر .

ثم لما ذكر خلق السماوات والأرض^[٢] ، شرع في ذكر خلق الإنسان فقال : ﴿٧﴾ وَيَدًا خلق الإنسان من طين^[٣] ، يعني : خلق أي^[٤] البشر آدم من طين ﴿٨﴾ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين^[٥] أي : يتسللون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة : ﴿٩﴾ ثُمَّ سَوَّهُهُ ، يعني : آدم ، لما خلق^[٦] من تراب خلقه سوياً مستقيماً ، ﴿١٠﴾ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْتَدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١١﴾ أي : بهذه القوى التي رزقكموها الله - عز وجل - فالسعيد من استعملها في طاعة ربها عز وجل .

وَقَالُوا إِذَا ضَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئْنَا لَنِي خَلَقْتِي جَدِيدًا بَلْ هُمْ يُلْقَاءُونَ رَتْهُمْ كُفَّارُونَ ﴿١٢﴾ ◆ قُلْ يَنْوَفُكُمْ مَلْكُ الْمَوْتِ الَّذِي وَكِلَّ بِكُمْ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكُمْ تَرْجِعُونَ ﴿١٣﴾

﴿١٢﴾

﴿١٣﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا : ﴿١﴾ أَنَّا ضَلَّلْنَا فِي الأرض^[٧] ، أي : تزرت أجيالنا ، وتفرقنا في أجزاء الأرض وذهبنا ، ﴿٢﴾ أَنَّا لَفِي خلقٍ جَدِيدٍ^[٨] ؟ أي : أَنَّا لَنَفُودُ بَعْدَ تَلْكَ الْحَالِ ؟ ! يَسْتَبْعَدُونَ [٩] تَلْكَ الْحَالَ ، وهذا إنما هو بعيد بالنسبة إلى قدرهم العاجزة ، لا بالنسبة إلى قُدرةِ الذي بِدَاهُمْ وَخَلَقَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ، الذي إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كنْ فَيَكُونُ ، ولهذا قال : ﴿٣﴾ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ

[١] - في ت : « أَنْتَنَاهَا » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ت : « أَبَا » .

[٤] - ما يَنْعِنُ الْمَعْكُوفُينَ فِي ت : « ذَلِكَ » .

كافرون ۴۰ .

ثم قال : ﴿ قل يَتَوَفَّكُم مَلِكُ الْمَوْتِي وَكُلُّ بَكْمٍ ۝ ، الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة ، كما هو المتادر من حديث البراء المتقدم ذكره في « سورة إبراهيم » ، وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل ، وهو المشهور ؛ قاله قنادة وغير واحد ، وله أعران . وهكذا ورد في الحديث أن أعرانه يتربعون الأرواح من سائر الجسد ، حتى إذا بلغت الحلقون تناولها ملك الموت .

قال مجاهد : حويت له الأرض فجعلت له مثل الطست ، يتناول منها حيث يشاء .

ورواه زهير بن محمد عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بحotope مرسلًا ، وقاله ابن عباس رضي الله عنهما .

وقال ابن أبي حاتم ^(١) : حدثنا أبي ، حدثنا يحيى بن أبي يحيى المقربي ، حدثنا عمرو ^[١] بن شير ^[٢] [عن جعفر بن محمد ^[٣] قال : سمعت أبي يقول : نظر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « يا ملك الموت ، ارتفق بصاحبي فإنه مؤمن . لقال ملك الموت : يا محمد ، طب لفاسا ، وقر علينا ، فإني بكل مؤمن رفيق ، واعلم أن ما في الأرض بيت مدر ولا شعر ، في بر ولا بحر ، إلا وأنا أتصفحة في كل يوم خمس مرات ، حتى إني أعرف بصفيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم ، والله يا محمد ، لو أني أردت أن أقبض روح بوعضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الأمر بقبضها » .

قال ^[٤] جعفر : بلغني أنه ^[٥] إنما يتصرف لهم عند مواقف الصلاة ، فإذا حضرهم عند الموت فإن ^[٦] كان من يحافظ على الصلاة دنا منه الملك ، ودفع عنه الشيطان ، ولقنه الملك : « لا إله

(١) رواه الطبراني في المجمع الكبير (٤٢٠/٤) ، والبزار في مسنده برقم (٧٨٤) « كشف الأستار » من طريق إسماعيل بن أبيأن ، عن عمرو ابن شمر الجعفي ، عن جعفر بن محمد عن أبيه ، عن الحارث بن الخزرج عن أبيه ، أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر نحوه ، فأنسنده ولم يوصله ، ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة وقال : « عمرو بن شمر متوك الحديث » .

[١] - في ت : « عمر » وهو تحريف .

[٢] - في خ ، ز سمرة . وهو تحريف . وانظر ترجمته في اللسان [٤٢٢/٤] .

[٣] - ما بين المعکوفین سقط من : خ ، ز .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : خ .

إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ » فِي تِلْكَ الْحَالِ الْعَظِيمَةِ .

وقال عبد الرزاق^(١) : حدثنا محمد بن مسلم ، عن إبراهيم بن ميسرة ؛ قال : سمعت مجاهدنا يقول : ما على ظهر الأرض من بيت شعر أو مدر إلا وملك الموت يطيف^(٢) به كل يوم مرتين .

وقال كعب الأحبار : والله ما من بيت فيه أحد من أهل الدنيا إلا وملك الموت [يطيف به كل يوم مرتين^(٣) يقوم على بيته كل يوم سبع مرات ، ينظر هل فيه أحد أمر أن ينوفاه . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿ ثُمَّ إِلَى رِبِّكُمْ تَوْجِعُونَ ﴾ أي : يوم معادكم وقيامكم من قبوركم لحزائكم .

وَلَوْ تَرَى إِذَا الْمُجْرِمُونَ نَأْكُسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبِّنَا أَبْصَرَنَا وَسَمِعَنَا فَأَرْجِعْنَا نَعَمْ صَلِحًا إِنَّا مُؤْفِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شَتَّنَا لَأَنِّنَا كُلُّ نَقِيسٍ هُدُنُهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُووْقُوا بِمَا نَسِيَّتُمْ لِقَاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَكُمْ وَذُووْقُوا عَذَابَ الْخَلِيلِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيمة وقال لهم حين عاينوا البعث ، وقاموا بين يدي الله حقيرين ذليلين ﴿ ناكسو^(١) رءوسهم^(٢) ﴾ أي : من الحياة والتحجل ، يقولون : ﴿ رينا أبصرنا وسمعنا^(٣) ﴾ ، أي : نحن الآن نسمع قولك ، ونطيع أمرك ، كما قال تعالى : ﴿ أَسْمَعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَا^(٤) ﴾ . وكذلك يعودون على أنفسهم باللاملة إذا دخلوا النار بقولهم : ﴿ لَوْ كَانَا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقَلُ مَا كَنَا فِي أَصْحَابِ السَّعْيِ^(٥) ﴾ . وهكذا هؤلاء يقولون : ﴿ رينا أبصرنا وسمعنا فارجعنا^(٦) ﴾ ، أي : إلى الدار الدنيا ، ﴿ نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُؤْفِنُونَ^(٧) ﴾ ، أي : قد أيقنا وتحققنا أن وعدك حق ولقاءك حق ، وقد علم الرب تعالى منهم أنه لو أعادهم إلى الدار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفاري ، يكذبون آيات الله ويخالفون رسle ؛ كما قال : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا لَرَدْ وَلَا نَكَذَبْ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَلَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يَخْفُونَ

(١) تفسير الطبرى (٢١/٦٣).

[١] - في ت : « يطوف » .

[٢] - ما بين المعقوفين سقط من : ت .

[٣] - في ت : « ناكسي » .

من قبـل ولو رـدوا لـعادوا مـا نـهـوا عـنـهـ وـالـهـمـ لـكـاذـبـونـ وـقـالـوا إـنـ هـيـ إـلاـ حـيـاتـنـاـ الـدـنـيـاـ نـمـوتـ وـلـحـيـاـ وـمـاـ نـهـنـ بـعـيـوـثـينـ ». وـقـالـ هـاهـنـاـ : «**وـلـوـ شـتـاـ لـأـتـيـنـاـ كـلـ نـفـسـ هـدـاـهـاـ** » كـمـاـ قـالـ عـالـىـ : «**وـلـوـ شـاءـ رـبـكـ لـأـمـنـ مـنـ فـيـ الـأـرـضـ كـلـهـمـ جـمـيـعـاـ** » .

«**وـلـكـ حـقـ القـولـ مـنـ لـأـمـلـأـنـ جـهـنـمـ مـنـ الجـنـةـ وـالـنـاسـ أـجـمـعـينـ** » ، أـيـ : مـنـ الصـنـفـينـ ، فـدـارـهـمـ النـارـ لـاـ مـحـيدـ لـهـمـ عـنـهـ ، وـلـاـ مـحـيـصـ لـهـمـ مـنـهـ ، تـعـوذـ بـالـلـهـ وـكـلـمـاتـهـ التـامـةـ مـنـ ذـلـكـ .

«**فـذـوقـواـ بـاـ لـسـيـتـ لـقـاءـ يـوـمـكـمـ هـذـاـ** » ، أـيـ : يـقـالـ لـأـهـلـ النـارـ - عـلـىـ سـبـيلـ التـقـرـيبـ وـالتـوـبـيـخـ - : ذـوقـواـ العـذـابـ بـسـبـبـ تـكـذـيـبـكـمـ بـهـ ، وـاستـبعـادـكـمـ وـقـوعـهـ ، وـتـنـاسـيـكـمـ لـهـ ، إـذـ عـاـمـلـتـهـمـ مـعـاـمـلـةـ مـنـ هـوـ نـاسـ لـهـ ، «**إـنـاـ نـسـيـاـكـمـ** » ، أـيـ : سـنـعـاـمـلـكـمـ مـعـاـمـلـةـ النـاسـيـ ، لـأـنـهـ عـالـىـ [لاـ يـنـسـيـ شـيـءـ] ، وـ[١] لاـ يـضـلـ عـنـهـ شـيـءـ ، بـلـ مـنـ بـابـ المـقـاـبـلـةـ ، كـمـاـ قـالـ عـالـىـ : «**الـيـوـمـ** [٢] **لـنـسـاـكـمـ كـمـاـ لـسـيـتـ لـقـاءـ يـوـمـكـمـ هـذـاـ** » .

وـقـولـهـ : «**وـذـوقـواـ عـذـابـ الـخـلـدـ بـاـ كـنـتـ تـعـمـلـونـ** » ، أـيـ : بـسـبـبـ [كـفـرـهـمـ وـتـكـذـيـبـهـمـ] [٣] ، كـمـاـ قـالـ فـيـ الـآـيـةـ الـأـخـرـىـ : «**لـاـ يـذـوقـونـ فـيـهـ بـرـدـاـ وـلـاـ شـرـابـاـ وـلـاـ حـمـيـماـ وـغـسـاقـاـ** » جـزـاءـ وـفـاقـاـ » إـلـهـمـ كـانـواـ لـاـ يـرـجـونـ حـسـابـاـ » وـكـذـبـواـ بـأـيـاتـنـاـ كـذـابـاـ » وـكـلـ شـيـءـ أـحـسـيـنـاهـ كـتـابـاـ » فـذـوقـواـ فـلـنـ زـيـدـكـمـ إـلـاـ عـذـابـاـ » .

إـنـمـاـ يـؤـمـنـ بـأـيـاتـنـاـ الـذـينـ إـذـ ذـكـرـوـاـ بـهـ خـرـوـاـ سـجـدـاـ وـسـبـحـوـ بـحـمـدـ رـبـهـمـ
وـهـمـ لـاـ يـسـتـكـبـرـونـ ١٥ ﴿ تـنـجـافـ جـنـوـبـهـمـ عـنـ الـمـضـاجـعـ يـدـعـونـ رـبـهـمـ خـوـفاـ
وـطـمـعاـ وـمـمـاـ رـزـقـنـهـمـ يـنـفـقـونـ ١٦ ﴾ فـلـأـ تـعـلـمـ نـفـسـ مـاـ أـخـفـيـ لـهـمـ مـنـ فـرـةـ آعـيـنـ
جزـاءـ بـمـاـ كـانـواـ يـعـمـلـونـ ١٧ ﴾

يـقـولـ عـالـىـ : «**إـنـمـاـ يـؤـمـنـ بـأـيـاتـنـاـ** » ، أـيـ : إـنـمـاـ يـصـدـقـ بـهـ الـذـينـ إـذـ ذـكـرـوـاـ بـهـ خـرـوـاـ سـجـدـاـ » ، أـيـ : اـسـتـمـعـوـاـ لـهـاـ وـأـطـاعـوـهـاـ قـوـلـاـ وـفـقـلـاـ ، «**وـسـبـحـوـ بـحـمـدـ رـبـهـمـ وـهـمـ لـاـ**
يـسـتـكـبـرـونـ » عـنـ اـتـابـعـهـاـ وـالـأـنـبـادـ لـهـاـ ، كـمـاـ يـفـعـلـهـ الـجـهـلـةـ مـنـ الـكـفـرـةـ الـفـجـرـةـ ؛ قـالـ اللـهـ عـالـىـ : «**إـنـ الـذـينـ يـسـتـكـبـرـونـ عـنـ عـبـادـيـ سـيـدـخـلـونـ جـهـنـمـ دـاخـرـينـ** » .

ثـمـ قـالـ عـالـىـ : «**تـنـجـافـ جـنـوـبـهـمـ عـنـ الـمـضـاجـعـ** » ، يـعـنيـ بـذـلـكـ قـيـامـ الـلـيلـ ، [وـتـرـكـ النـومـ]
وـالـاضـطـجـاعـ عـلـىـ النـفـرـشـ الـوـطـيـةـ . قـالـ مجـاهـدـ وـالـحـسـنـ فـيـ قـوـلـهـ عـالـىـ «**تـنـجـافـ جـنـوـبـهـمـ** »

[١] - ما بين المكوفين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : «**فـالـيـوـمـ** » .

يعني بذلك : قيام الليل [١] . وعن أنس ، وعكرمة ، ومحمد بن المنكدر ، وأبي حازم ، وفتادة : هو الصلاة بين العشرين . وعن أنس أيضًا : هو انتظار صلاة العتمة . رواه ابن جرير بإسناد جيد .

وقال الضحاك : هو صلاة العشاء في جماعة ، وصلاة الغداة في جماعة .

﴿ يَدْعُونَ رِبَّهُمْ خَوْفًا وَطُمْقًا ﴾ ، أي : خوفاً من وبال عقابه ، وطمئناً في جزيل ثوابه .
 ﴿ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يَنْفَعُونَ ﴾ ، فيجمعون بين فعل القربات الالزمة والمعدية ، ومقدم هؤلاء ، وسيدتهم ، وفخرهم في الدنيا والآخرة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كما قال عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - :

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَثْلُو كَتَابَهُ إِذَا أَنْشَقَ مَغْرُوفٌ مِنَ الصُّبْحِ سَاطِعًا [٢]
 [أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى، فَقُلْوَنَا بِهِ مُؤْنَثٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعٌ [٣]
 يَبْيَسْتُ يُبَحَّافِي جَنْبِهِ عَنْ فَرَاسِهِ إِذَا اسْتَقَلَّتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمُصَاجِعُ
 وقال الإمام أحمد [٤] : حدثنا روح وعفان قالا : حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن مرتة الهمданى ، عن ابن مسعود ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « عجب رينا من رجلين : رجل ثار من وطائه وخلفه ، من بين أهله وحيه إلى صلاته ، [فيقول رينا : أيا ملاتكتى ، انظروا إلى عبدي ، ثار من فراشه ووطاته ، ومن بين حيه وأهله إلى صلاته [٥] ، رغبة فيما عندي ، وشفقة مما عندي . ورجل غزا في سبيل الله - عز وجل - فانهزموا ، فعلم ما عليه من الفرار ، وما له في الرجوع ، فرجع حتى أهريق دمه ، رغبة فيما عندي ، وشفقة مما عندي . فيقول الله - عز وجل - للملائكة : انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي ، ورهبة مما عندي ، حتى أهريق دمه » . وهكذا رواه أبو داود في الجهاد ، عن موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، به بنحوه .

وقال الإمام أحمد [٦] : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي وايل ، عن معاذ بن جبل قال : كتت مع النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في سفر ، فأصبحت يوماً قريباً منه ، ونحن نسير ، قلت : يا رسول الله ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة

[١] المستند (٤١٦/١) ، وسنن أبي داود برقم (٥٢٣٦) .

[٢] المستند (٢٣١/٥) وأخرجه الترمذى في كتاب الإيمان ، باب : ما جاء في حرمة الصلاة (١٢، ١١ / ٥) رقم : ٢٦١٦ . وقال : هذا حديث حسن صحيح . والنمسائي في الكبرى في كتاب التفسير ، باب : قوله =

[٣] - في ز : « صاطع » .

[٤] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٥] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٦] - في ت : «نبي» .

[٧] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

ويياعدني من النار . قال : « لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه : تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتقضي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتخرج البيت . ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة ، وصلاة الرجل في [١] جوف الليل - ثم قرأ : ﴿تَجَافِي جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمُضَاجِعِ﴾ ، حتى بلغ ﴿يَعْمَلُون﴾ . ثم قال - : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ » فقلت : بلى ، يا رسول الله . فقال : « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله » ثم قال : « ألا أخبرك بملأ ذلك كله ؟ » فقلت : بلى ، يا نبي الله ، فأخذ بلسانه ثم قال : « كُفْ عَلَيْكَ هَذَا » ، فقلت : يا رسول الله ، وإنما لموالخدون بما تتكلم به ، فقال : « ثُكْلَتْكَ أُمَّكَ يَا مَعَادَ ، وَهُلْ يَكْبُ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِمْ - أوْ قَالَ : عَلَى [٢] مَنْاخِرِهِمْ - إِلَّا حُصَانَدُ أَسْنَتِهِمْ » .

رواه الترمذى ، والنمسائى ، وابن ماجة فى سننهم ، من طرق عن معاذ ، به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

[وقد [٣] رواه ابن حجر [٤] من حديث شعبة عن الحكم ؛ قال : سمعت عروة بن النزال يحدث عن معاذ بن جبل : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له [٥] : « ألا أدلك على أبواب الخير : الصوم جنة ، والصدقة تکفر الخطيئة ، وقيام العبد في جوف الليل » وتلا هذه الآية : ﴿تَجَافِي جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمُضَاجِعِ﴾ يدعون ربهم خوفاً وطمئناً وما رزقناهم يتفقون [٦] .

ورواه أيضاً من حديث الثوري [٧] ، عن منصور بن المعتمر ، عن الحكم ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ب نحوه ، ومن حديث الأعمش ، عن حبيب ابن أبي ثابت [٨] ، والحكم ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ مرفوعاً ب نحوه .

ومن حديث حماد بن سلمة ، عن عاصم بن أبي التجدود ، عن شهر ، عن معاذ بن جبل ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في قوله تعالى : ﴿تَجَافِي جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمُضَاجِعِ﴾ ، قال : « قيام العبد من الليل » .

= تعالى : ﴿تَجَافِي جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمُضَاجِعِ﴾ (٦/٤٢٨ : ١١٣٩٤) . وابن ماجة في كتاب الفتن ، باب : كف اللسان في الفتنة (٢/١٣١٤ ، ١٣١٥/ رقم : ٣٩٧٣) .

(١٠) تفسير الطبرى (٦٤/٢١) .

(١١) تفسير الطبرى (٦٤/٢١ ، ٦٥) .

[١] - في ز ، خ : « من » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « و » .

[٤] - ما بين المكوفين في خ ، ز : « أبي حبيب ابن ثابت » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا فطر ابن خليفة ، عن حبيب بن أبي ثابت ، والحكم ، وحكيم بن جبير ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ بن جبل قال : كنت مع النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في غزوة تبوك فقال : « إن شئت أبأتك بباب الخير : الصوم جنة ، والصدقة طفيف الخطيئة ، وقيام الرجل في جوف الليل » ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وما رزقناهم ينفقون » .

ثم قال : حدثنا أبي ^(١) ، حدثنا سعيد بن سعيد ، حدثنا علي بن مسهر ، عن عبد الرحمن ابن إسحاق ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيمة ، جاء مناد فنادى بصوت يسمعه الخلق : سيعلم أهل الجموع اليوم من أولى بالكرم . ثم يرجع فينادي : ليقم الذين كانت

﴿ تتجافي جنوبهم عن المضاجع ... ﴾ الآية ، فيقومون وهم قليل » .

وقال البزار ^(٢) : حدثنا عبد الله بن شبيب ، حدثنا الوليد بن عطاء بن الأغر ، حدثنا عبد الحميد ابن سليمان ، حدثني مصعب ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال : قال بلال لما نزلت هذه الآية : « تتجافي جنوبهم عن المضاجع » ، كنا نجلس في المجلس ، وناس من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يصلون بعد المغرب إلى العشاء ، فنزلت هذه الآية : « تتجافي جنوبهم عن المضاجع » .

ثم قال لا نعلم روئي أسلم عن بلال سواه ، وليس له طريق عن بلال غير هذه الطريق .

وقوله : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » ، أي : فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من التعيم المقيم ، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد ، لما أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من التواب ، جزاء وفاما ، فإن الجزاء من جنس العمل .

قال الحسن : أخفى قوم عملهم ^(١) فأخفى الله لهم ما لم تر عين ، ولا ^(٢) يخطر على قلب بشر . رواه ابن أبي حاتم .

(١) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده ، وأبو يعلى في المسند الكبير كما في المطالب العالية (٤) ٣٧٣ من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها .

(٢) « كشف الأستار » (٢٢٥٠) ، وقال الهيثمي في الجمع (٩٠/٧) : « فيه عبد الله بن شبيب وهو ضعيف » .

قال البخاري ^(١) : قوله : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قَرْأَةٍ أَعْيُنٍ...﴾ الآية ، حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « قال الله تعالى : أعددت لعبادتي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ». قال أبو هريرة : فاقرعوا إن شتم : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قَرْأَةٍ أَعْيُنٍ﴾ .

قال : وحدثنا سفيان ، حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال الله تعالى ... [١] مثله [٢] . قيل لسفيان : رواية ؟ قال : فائي شيء ؟

ورواه مسلم والترمذى من حديث سفيان بن عيينة ، به ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

ثم قال البخاري ^(٣) : حدثنا إسحاق بن نصر ، حدثنا أبوأسامة ، عن الأعمش ، [عن أبي] صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى : أعددت لعبادتي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ذُخراً من بله ما اطلعتم عليه . ثم قرأ : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قَرْأَةٍ أَعْيُنٍ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ » .

قال أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح : قرأ أبو هريرة : (قرأت أعين) . انفرد به البخاري من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد ^(٤) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى قال : أعددت لعبادتي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

آخر جاه في الصحيحين من رواية عبد الرزاق ، ورواه الترمذى ^(٥) في التفسير ، وابن جرير ، من حديث عبد الرحيم بن سليمان ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهته . ثم قال الترمذى : هذا حديث

(١) صحيح البخاري برقم (٤٧٧٩) ، وصحح مسلم برقم (٢٨٢٤) ، وسنن الترمذى برقم (٣١٩٧) .

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٧٨٠) وفي البخاري « رواية أبي معاوية » بعد الحديث المقدم .

(٣) المسند (٣١٣/٢) ، وصحح البخاري برقم (٨٤٩٨) من طريق عبد الله عن معمر به ، ولم أجده في الصحيحين من رواية عبد الرزاق .

(٤) سنن الترمذى برقم (٣٢٩٢) ، وتفسير الطبرى (٦٦/٢١) .

[١] - ما بين المukoفين سقط من ز ، خ .

[٢] - ما بين المukoفين في ت : « حدثنا أبو » .

حسن صحيح .

وقال حماد بن سلمة ، عن ثابت بن أبي رانع ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه ، قال حماد : أحسبه - عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « من يدخل الجنة ينعم لا ي AIS ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفني شبابه في الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ». رواه مسلم^[١] من حديث حماد بن سلمة به^(١) .

وقال^[٢] الإمام أحمد^(٢) : حدثنا ابن وهب ، حدثني أبو صخر ، أن أبا حازم حدثه قال : سمعت سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - يقول : شهدت من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مجلستا وصف فيه الجنة ، حتى انتهى ، ثم قال في آخر حديثه : « فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » ، ثم اقترا^[٣] هذه الآية : ﴿ تَجَافِي جَنَّبِهِمْ عَنِ الْمُضَاجِعِ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ . وأخرج مسلم في صحيحه عن هارون ابن معروف ، وهارون بن سعيد ، كليهما^[٤] عن ابن وهب به .

وقال ابن حير^(٥) : حدثني العباس بن أبي طالب ، حدثنا معلى بنأسد ، حدثنا سلام بن أبي مطبيع ، عن قتادة ، عن عقبة بن عبد الغفار ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يروي عن ربه عز وجل ، قال : « أعددت لعبادتي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » لم يخرجوه .

وقال مسلم أيضاً في صحيحه^(٦) : حدثنا ابن أبي عمر وغيره ، حدثنا سفيان ، حدثنا^[٧] مطرف ابن طريف ، وعبد الملك بن سعيد ، سمعا الشعبي يخبر عن المغيرة بن شعبة قال : سمعته^[٨] على المنبر - يرفعه إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم - قال : « سأله موسى عليه السلام ربه عز وجل : ما أدلى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء بعد ما دخل أهل

(١) صحيح مسلم برقم (٢٨٣٦) .

(٢) المسند (٣٣٤/٥) ، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٥) .

(٣) تفسير الطبراني (٦٧/٢١) .

(٤) صحيح مسلم برقم (١٨٩) ، وسنن الترمذى برقم (٣١٩٨) .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ت : « وروى » .

[٣] - في ت : « قرأ » .

[٤] - في ز ، خ : « كلاهما » .

[٥] - في خ ، ز : « بن » ويدلوا أنها كانت « عن » فتحرت من الناسخ إلى « ابن » .

[٦] - في ز ، خ : « سمعت » .

الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة . فيقول : أي رب ، كيف وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذدوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملوك ملوك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب . فيقول : للك ذلك ، ومثله ، ومثله ، ومثله ، فقال في السادسة : رضيت رب [١] . فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما استهت نفسك ، ولذلت عينك . فيقول : رضيت رب . قال : رب ، فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت ، عزّشت كرامتهم بيدي ، وختمت عليها ، فلم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر ، قال : ومصداقه من كتاب الله : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قَرْأَةٍ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

ورواه الترمذى عن ابن أبي عمر ، وقال : حسن صحيح ، قال : ورواه بعضهم عن الشعبي ، عن المغيرة ولم يرفعه ، والمرفوع أصح .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا جعفر [٢] بن منير المدائى ، حدثنا أبو بدر [٣] شجاع بن الوليد ، حدثنا زياد بن [٤] خيثمة ، عن محمد بن مجحادة ، عن عامر [٥] بن عبد الواحد قال : بلغنى أن الرجل من أهل الجنة يمكث في مكانه سبعين سنة ، ثم [٦] يلتفت فإذا هو بأمرأة أحسن مما كان فيه ، فتقول له : قد أنت [٧] لك أن يكون لنا منك نصيب ؟ فيقول : من أنت ؟ فتقول : أنا من الرؤيد . فيمكث معها سبعين سنة ، ثم [٨] يلتفت فإذا هو بأمرأة أحسن مما كان فيه ، [٩] فتقول له : قد أنت لك أن يكون لنا [١٠] منك نصيب ، فيقول : من أنت ؟ فتقول : أنا التي [١١] قال الله : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قَرْأَةٍ﴾ .

وقال ابن لهيعة : حدثني عطاء بن دينار ، عن سعيد بن ثجثير قال : تدخل عليهم الملائكة في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاثة مرات ، معهم التحف من الله من جنات عدن ما ليس في جناته ، وذلك قوله : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قَرْأَةٍ﴾ ، ويخبرون أن الله عنهم راض .

وقال ابن جرير [١٢] : حدثنا سهل بن موسى الرازى ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن صفوان

(٢٢) تفسير الطبرى (٦٦/٢١) .

[١] - في ت : « ربى » .

[٢] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « بن » .

[٣] - في خ ، ز : « عباس » .

[٤] - أنت : حان .

[٥] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٦] - في ز ، خ : « الذي » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - في ز ، خ : « عن » .

[٩] - ياض في : ز ، خ .

[١٠] - في ز ، خ : « و » .

بن عمرو ، عن أبي اليمان الهوزني - أو غيره - قال : الجنة مائة درجة ، أولها درجة فضة ، وأرضها فضة ، ومساكنها فضة ، [وأنيتها فضة]^[١] ، وترابها المسك . والثانية ذهب ، وأرضها ذهب ، ومساكنها ذهب ، وأنيتها ذهب ، وترابها المسك . والثالثة لؤلؤ ، وأرضها لؤلؤ ، ومساكنها اللؤلؤ ، وأنيتها اللؤلؤ ، وترابها المسك . وسبع وتسعمون بعد ذلك ، ما لا عن رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . ثم تلا هذه الآية : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قَرْأَةِ أَعْيُنٍ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

وقال ابن جرير^(٢) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن الحكم بن أبيان ، عن الغطريف ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عن الروح الأمين قال^[٣] : « يُؤْتَى بِحُسْنَاتِ الْعَبْدِ وَسَيِّئَاتِهِ ، يَنْقُصُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، فَإِنْ بَقِيَتْ حُسْنَةٌ وَاحِدَةٌ [٤] وَسَعَ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ » ، قال : فَدَخَلَتْ عَلَى « يَزِدادَ »^[٥] فَحَدَّثَ^[٦] بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ ، قَالَ : قَلْتَ : فَلَمَّا ذَهَبَتِ الْحُسْنَةُ ؟ قَالَ : « أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَّبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنُ مَا عَمِلُوا وَنَجَازُوا عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّدَقُ الَّذِي كَانُوا يَوْعَدُونَ ». قَلْتَ : قَوْلَهُ تَعَالَى : « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قَرْأَةِ أَعْيُنٍ » ، قَالَ : الْعَبْدُ يَعْمَلُ سَرًّا أَسْرَهُ إِلَى اللَّهِ ، لَمْ يَعْلَمْ بِهِ النَّاسُ ، فَأَسْرَ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرْأَةَ أَعْيُنٍ^[٧] .

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوْنَ ١٨ ﴾
 أَصْنَلَحَتِ فَلَهُمْ جَنَّتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٩ ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا وَنَهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعْيَدُوا فِيهَا وَقَبْلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ٢٠ ﴾ وَلَنُذَاقُنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لِعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٢١ ﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذِكْرِ بِشَاءَتْ رَبِّهِ ثُمَّ أَغْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ٢٢ ﴾

يخبر تعالى عن عدله ، أنه لا يساوي في حكمه يوم القيمة من كان مؤمناً بآياته متبعاً

(٢٣) تفسير الطبرى (٦٧/٢١).

[١] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - هو يزداد - أو أزداد بن فساعة . له ترجمة في التقريب رقم (٣٠٠) .

[٥] - في ، ز ، خ : « فَحَدَثَ ». [٦] - في ز ، خ : « عَيْنٌ » .

لرسله ، من كان فاسقاً ، أي : خارجاً عن طاعة ربها ، مكذباً لرسله إليه ، كما قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَجْعَلُهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَا هُمْ وَمَا تَهْمَمُهُ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَقْنِينَ كَالْمُجَاهِرِ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ لَا يَسْتُرِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائزُونَ ﴾ ، ولهذا قال تعالى هامنا : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتُرُونَ ﴾ ، أي : عند الله يوم القيمة .

وقد ذكر عطاء بن يسار والسدسي وغيرهما : أنها نزلت في علي بن أبي طالب ، وعقبة بن أبي معيط . ولهذا قُضِيَ حكمهم فقال : ﴿ أَمَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ، أي : صدقوا قولهم بأيات الله وعملوا بمقتضاها ، وهي الصالحات ، ﴿ فَلِهِمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى ﴾ ، أي : التي فيها المساكن والدور والغرف العالية ، ﴿ لَنْ لَا ﴾ ، أي : ضيافة وكراهة ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، ﴿ وَأَمَا الَّذِينَ فَسَقُوا ﴾ ، أي : خرجوا عن الطاعة ، ﴿ فَمَا وَاهِمُ النَّارَ كُلُّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أَعْيَدُوا فِيهَا ﴾ ، [قوله : ﴿ كُلُّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍ أَعْيَدُوا فِيهَا ... ﴾] الآية [١] قال الفضيل بن عياض : والله إن الأيدي لوثقة ، وإن الأرجل مقيدة ، وإن اللهب ليرفعهم والملائكة تعمهم .

﴿ وَقُيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كَتَمْتُ بِهِ تَكَذِّبُونَ ﴾ ، أي : يقال لهم ذلك [٢] تجريعاً وتوبيناً .

وقوله : ﴿ وَلَنْذِيقُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ ، قال ابن عباس : يعني بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأقسامها وأفاتها ، وما يحل بأهلها مما يبتلي الله به عباده ليتبوا إلىه . وروى مثله عن أبي بن كعب ، [وأبي العالية [٣] ، والحسن ، وإبراهيم التخعي ، والضحاك ، وعلقمة ، وعطاء ، ومجاحد ، وقادة ، وعبد الكريم الحزري ، وخصيف .

وقال ابن عباس في رواية عنه : يعني به إقامة الحدود عليهم .

وقال البراء بن عازب ، ومجاد ، وأبو عبيدة : يعني به عذاب القبر .

وقال النسائي [٤] : أخبرنا عمرو بن علي ، أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص وأبي عبيدة ، عن عبد الله : ﴿ وَلَنْذِيقُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ ، قال : سنون أصحابهم .

[٤] النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٩٥) .

[١] - ما بين المukoفين سقط من : ز ، ز .

[٢]

-

.

[٣] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

-

.

وقال عبد الله بن الإمام أحمد^(٣٥) : حديثي عبيد^(١) الله بن عمر القواريري ، حدثنا يحيى ابن سعيد ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن عزّة^(٢) ، عن الحسن العزّني ، عن يحيى بن الجزار ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب في هذه الآية : ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾ ، قال : القمر^(٣) والدخان قد مضيا ، والبطشة واللزماء . ورواه مسلم من حديث شعبة به^(٤) موقوفاً نحوه .

وعند البخاري^(٥) عن ابن مسعود ، [نحوه] .

وقال عبد الله بن مسعود^(٥) أيضاً في رواية عنه : العذاب الأدنى : ما أصابهم من القتل والسيبي يوم بدر . وكذا قال مالك ، عن زيد بن أسلم .

قال السدي وغيره : لم يق بيت بمكة إلا دخله الحزن على قتيل لهم أو أسير ، فأصيروا أو غرموا^(٦) ، ومنهم من جمع له الأمران .

وقوله : ﴿ومن أظلم من ذكر آيات ربه ثم أعرض عنها﴾ ، أي : لا أظلم من^(٧) ذكره الله بأياته ، وبينها له ووضاحتها ، ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناسها ، كأنه لا يعرفها .

قال قتادة - رحمة الله - : إياكم والإعراض عن ذكر الله ! فإن من أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغرزة ، وأعزز أشد العوز ، وعظم من أعظم الذنوب .

ولهذا قال تعالى متهدداً لمن فعل ذلك : ﴿إِنَّمَا مِنَ الْجُرْمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ أي : سأنتقم من فعل ذلك^(٨) أشد الانتقام .

[قال] ابن حجر^(٩) : حديثي عمران بن يكار الكلاعي ، حدثنا محمد بن المبارك ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا عبد العزيز بن عبيد الله ، عن عبادة بن نعيم ، عن جنادة بن

(٢٥) زوائد المستند (١٢٨/٥) . وأخرجه مسلم في كتاب صفات النافقين وأحكامهم ، باب : نزول أهل الجنّة (٤/٤ ، ٢١٥٧ ، ٢١٥٨ ، رقم : ٢٧٩٩) من طرق عن غندر ، عن شعبة به . وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤/٤٢٧ - ٤٢٨) من طريق شعبة ، عن قتادة به . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢٦) صحيح البخاري برقم (٤٨٢٠) ولفظه : «مضى خمس : الدخان والروم والقمر والبطشة واللزماء» .

(٢٧) تفسير الطبراني (٦٩/٢١) .

[٢] - في خ ، ز : « عبد » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « هرموا » .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

[١] - في ز ، خ : « عبد » .

[٣] - في خ ، ز : « الضمار » .

[٥] - ما بين المكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز ، خ : « من » .

أبي أمية ، عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول^[١] : « ثلاثة من فعلهن فقد أجرم ، من عقد لواة في غير حق ، أو عق والديه ، أو مشى مع ظالم ينصره ، فقد أجرم » يقول الله تعالى : « إنا من المجرمين منتقمون » . ورواه ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل بن عياش ، به^[٢] ، هذا حديث غريب جداً .

وَلَقَدْ عَلِمْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرَيْغَةٍ مِّنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِ إِسْرَائِيلَ^[٣] وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ يَا مَرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا^[٤]
يَعَلِمْنَا يُؤْتَنَ^[٥]

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله موسى - عليه السلام - إنه أتاه الكتاب ، وهو التوراة .

وقوله : « فلا تكن في مرمية من لقائه » ، قال قنادة : يعني به ليلة الإسراء . ثم روى عن أبي العالية الرياحي قال : حدثني ابن عم نبيكم - يعني ابن عباس - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم^[٦] - : « أُرِيَتْ ليلة أسرى بي موسى بن عمران ، وجلأ آدم^[٧] طوالاً ، جعداً ، كأنه من رجال شنوة ، ورأيت عيسى رجلاً مربوع الخلق ، إلى الحمرة والياسن ، سبط الرأس ، ورأيت مالكا خازن النار والدجال » ، في آيات أراهن الله إيه ، « فلا تكن في مرمية من لقائه » ، أنه قد رأى موسى ، ولقي موسى ليلة أسرى به .

وقال الطبراني^[٨] : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا الحسن بن علي الحلواني ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا سعيد بن أبي عزرونة ، عن قنادة ، عن أبي العالية ، عن ابن عباس عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في قوله : « وجعلناه هدى لبني إسرائيل » ، قال : « جعل موسى هدى لبني إسرائيل » ، وفي قوله : « فلا تكن في مرمية من لقائه » ، قال : « من لقاء موسى ربه عز وجل » .

وقوله : « وجعلناه » ، أي : الكتاب الذي آتياه موسى^[٩] « هدى لبني إسرائيل » ، كما قال تعالى في سورة الإسراء : « وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل^[١٠] » أن لا تخذلوا من دولي وكيلًا^[١١] قوله : « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا و كانوا

(٢٨) - انظر تفسير الآية الأولى من سورة الإسراء وقد تقدم تخرجه هناك .

(٢٩) المعجم الكبير للطبراني (١٦٠/١٢) ، وقال الهيثمي في الجمجم (٩٠/٧) : « رجاله رجال الصحيح » .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعرفتين سقط من : خ ، ز .

بأيّاتنا يوْقِنُونَ^[١] ، أي : لما كانوا صابرين على أوامر الله ، وترك زواجره ، وتصدّيق رسّله ، واتّبعهم فيما جاءوهم به - كان منهم أئمّة يهدون إلى الحق بأمر الله ، ويدعون إلى الخير ، وأيّامون بالمعروف ، وينهون عن المنكر . ثم لما بدلوا وحرّفوا وأؤلوا ، سلّبوا ذلك المقام ، وصارت قلوبهم قاسية ، يحرّفون الكلم عن مواضعه ، فلا عمل [صالحاً] ، ولا اعتقاد صحيحًا^[٢] . ولهذا قال : [وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئمّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَا صَبَرُوا^[٣]] قال قتادة وسفّيان : لما صبروا عن الدنيا . وكذلك قال الحسن بن صالح .

قال سفيان : هكذا كان هؤلاء ، ولا^[٤] ينبغي للرجل أن يكون [إماماً] يقتدى به حتى يتحامى عن الدنيا .

قال وكيع : قال سفيان : لابد للدين من العلم ، كما لابد للجسد من الخنزير^[٥] .

وقال ابن بنت الشافعي [قال^[٦]] : قرأ أبي على عمي - أو عمي على أبي - سهل سفيان عن قول علي - رضي الله عنه - : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ألم تسمع قوله : [وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ^[٧] أئمّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَا صَبَرُوا^[٨]] ، قال : لما أخذنا برأس الأمر صاروا رعوساً .

[قال بعض العلماء : بالصبر واليقين ثنا الإمام في الدين ؛ ولهذا قال تعالى^[٩]] :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بْنَي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأُمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ۚ ۝ كَمَا قَالَ هُنَّا : إِنْ رِبُّكُمْ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كُمْ أَهْلَكَنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنَتِ ۝ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ۝ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوْقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ ۝

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ أَوْلَمْ

يَهْدِ لَهُمْ كُمْ أَهْلَكَنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنَتِ ۝ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ۝ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوْقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ ۝

[١] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « صحيحًا ولا اعتقاد صالحًا » .

[٢] - ما بين المعقوفين في ز : « ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز ، خ : « الخير » .

[٥] - ما بين المعقوفين سقط من ت .

[٦] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « وجعلناهم » .

[٧] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٨] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

﴿فَتَخْرِيجُ يَهُودَ رَجُلًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْفُسُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يَبْصِرُونَ﴾

يقول تعالى : أو لم يهد لهؤلاء المكذبين بالرسل ما أهلك الله قبلهم من الأمم الماضية ، بتکذيبهم بالرسل [١] ، ومخالفتهم إياهم فيما جاعوهم به من قوم [٢] السبل ، فلم يق منهم باقية ولا عين ولا أثر ؟ ﴿ هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ？ ﴾ . ولهذا قال : ﴿ يمشون في مساكنهم ﴾ ، أي : وهؤلاء المكذبون يمشون في مساكن أولئك المكذبين ، فلا يرون فيها أحداً من كان يسكنها ويعمرها ، ذهبوا منها ﴿ كأن لم ي penetروا فيها ﴾ كما قال : ﴿ فتكل يوطهم خاوية بما ظلموا ﴾ . وقال : ﴿ فكأين من قرية أهلكتناها ﴾ [٣] وهي ظالمه فهي خاوية على عروشها وبغير معطلة وقصر مشيد * أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ﴾ . ولهذا قال هاهنا : ﴿ إن في ذلك لآيات ﴾ ، أي : إن [٤] في ذهاب أولئك القوم ، وذمارهم وما حل بهم بسبب تکذيبهم الرسل ، ونجاة من آمن بهم - لآيات [٥] وعبر [٦] . ومواعظ [٧] ، ودلائل متظاهرة [٨] .

﴿ أَفَلَا يسمعون ﴾ أي : أخبار من تقدم ، كيف كان أمرهم ؟ .

وقوله : ﴿ أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز ﴾ ، بين تعالى لطفه بخلقه ، وإحسانه إليهم في إرساله الماء ، إما من السماء أو من السبح ، وهو [٩] : ما تحمله الأنهر ويتحدر [١٠] من الجبال ، إلى الأرضي الحاجة إليه في أوقاته ، ولهذا قال : ﴿ إلى الأرض الجرز ﴾ ، وهي : التي لا نبات فيها ؛ كما قال تعالى : ﴿ وإنما جعلون ما عليها صعيداً جرزأً ﴾ ، أي : يسألاً لا تنت شيناً . وليس المراد من قوله : ﴿ إلى الأرض الجرز ﴾ ، أرض مصر فقط ، بل هي بعض المقصود ، وإن مثل بها كثير من المفسرين فليست المقصودة وحدها ، ولكنها مراده قطعاً من هذه الآية ، فإنها في نفسها أرض رخوة غليظة ، تحتاج من الماء ما لو نزل عليها مطرًا لتهدمت أبنيتها ، فيسوق الله إليها النيل بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة ، وفيه طين أحمر ، فيغشى أرض مصر ، وهي أرض سبخة مرملة ، محتاجة إلى ذلك الماء ، وذلك الطين أيضاً ، ليثبت الزرع فيه ، فيستغلون كل سنة على ماء جديد مطمور في غير بلادهم ، وطين جديد من غير أرضهم ، فسبحان الحكيم الكريم المنان ، المحمود ابتداء .

[١] - في ت : « الرسل » . [٢] - في ز ، خ : « تبريم » .

[٣] - في ز : « أهلكتها » وهي قراءة أبي عمرو ، وروها أبو بكر عن عاصم .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المقوفين في خ ، ز : « عبرة ومواعظ » . [٦] - في خ : « متناظرة » .

[٧] - سقط من : خ ، ز .

[٨] - في ت : « ينحدر » .

قال ابن لهيعة ، عن قيس بن حجاج ، عنمن حدثه قال : لما فتحت مصر ، أتى أهلها عمرو ابن العاص حين دخل بعونة - من أشهر العجم - فقالوا : أيها الأمير ، إن ليتنا شئلاً لا يجري إلا بها ، قال : وما ذلك ؟ قالوا : إذا كانت ثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عَمِدْنَا إلى جارية يُكْرَبُ بين أبويها ، فأُلْظِيَّنا أبوهما ، وجعلنا عليها من الخلي والثياب أفضل ما يكون ، ثم أقيمتا في هذا التل . فقال لهم عمرو : إن هذا ما لا يكون في الإسلام ، إن الإسلام بهدم ما كان قبله . فأقاموا بعونة والنيل لا يجري ، حتى هموا بالجلاء ، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه : إنك قد أصبت بالذي فعلت ، وقد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي هذا ، فألقها في النيل . فلما قدم كتابه ، أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر ، أما بعد ، فإنك إن كتبت إنما تجري من قبلك فلا تجر ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك ، فنسأله أن يحرسك . قال : فألقني البطاقة في النيل ، وأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراغاً في ليلة واحدة ، وقطع الله تلك الشَّيْءَةَ عن أهل مصر إلى اليوم . رواه الحافظ أبو القاسم الالكائي الطبراني في كتاب « السنة » له (٤) .

ولهذا قال تعالى : ﴿أَوْ لَمْ يُرِرَا أَنَا نُسَقِّي الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجَرَزِ فَخَرَجَ بِهِ زَرْعًا تَأْكِلُ مِنْ أَعْمَاهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَفَلَا يَسْرُونَ﴾ ؟ كما قال تعالى : ﴿فَلَيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ . أَنَا صَبَّيْنَا الْمَاءَ صَبَّاً ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَّاً فَأَبْيَتْنَا فِيهَا حَبَّاً وَعَنْبَانِ وَقَبْنَانِ وَزَيْتُونَانِ وَنَخْلَانِ وَحَدَائِقَ غَلَبَانِ وَفَاكِهَةَ وَأَيَّاً مَتَّغَا لَكُمْ وَلَا نَعَامِكُمْ﴾ ولهذا قال هاهنا : ﴿أَفَلَا يَسْرُونَ﴾ [١] .

وقال ابن أبي نجيح ، عن رجل ، عن ابن عباس في قوله : ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجَرَزِ﴾ ، قال : هي التي لا تُنْطَلِقُ إِلَّا مَطْرداً لا يُغْنِي عنها شيئاً ، إِلَّا مَا يَأْتِيَهَا مِنَ السَّيْوِلِ .
وعن ابن عباس ومجاحد : هي أرض باليمن . وقال الحسن - رحمه الله - : هي قرى فيما بين اليمن والشام .

وقال عكرمة ، والضحاك ، وقادة ، والسدسي ، وابن زيد : الأرض الجرز التي لا نبات فيها وهي [٢] مغبرة .

قلت : وهذا كقوله : ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمِيَّةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبَّاً فَمَنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ لَحْيَلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَرْنَا فِيهَا مِنَ الْعَيْوَنِ . لِيَأْكُلُوا مِنْ ثُمَرِهِ وَمَا عَمِلَهُ﴾

(٣٠) كتاب السنة للالكائي برقم (٦٦) « قسم كرامات الأولياء » : حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا محمد بن مخلد ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا عبد الله بن صالح ، عن ابن لهيعة به ، وهو مرسل .

[١] - في ز ، خ : « تبصرون » .
[٢] - سقط من ز ، خ .

أَيْدِيهِمْ أَفْلَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٨﴾ .

وَقَوْلُوكَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا
يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُرُبٌ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْظُرْ
إِنَّهُمْ مُّتَنَظِّرُونَ ﴿٣٠﴾

يقول تعالى مخبراً عن استعجال الكفار وقوع بأس الله بهم، وحلول^[١] غضبه ونقمته عليهم، استبعاداً وتكذيباً وعناداً ﴿٢﴾ ويقولون متى هذا الفتح ﴿٣﴾ ؟ ، أي : متى تنصر علينا يا محمد ؟ كما تزعم أن لك وقتاً ثدائ^[٤] علينا ، ويتنقم لك منا ، فمتى يكون هذا ؟ ما زاك أنت وأصحابك إلا مختلفين خائفين ذليلين ! قال الله تعالى : ﴿٤﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ ﴿٥﴾ ، أي : إذا حلّ بكم بأس الله وسخطه وغضبه في الدنيا وفي الآخرة ، ﴿٦﴾ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يَنْظَرُونَ ﴿٧﴾ ، كما قال تعالى : ﴿٨﴾ فَلَمَا جاءَتْهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عَنْهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزَئُونَ . فَلَمَّا رَأَوْا بِأَنْسَنَا قَالُوا آتَنَا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كَانَ بِهِ مُشْرِكِينَ . فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَا رَأَوْا بِأَنْسَنَا سَنَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عَابِدِهِ وَخَسَرَ هَنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٩﴾ .

ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد التجعة ، وأخطأ فأفحش ، فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إسلام الطلاقاء ، وقد كانوا قريباً من ألفين ، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم ، لقوله : ﴿١٠﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يَنْظَرُونَ ﴿١١﴾ ، وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل ؛ كقوله تعالى : ﴿١٢﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجْنِي وَمِنْ مَعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ وكقوله : ﴿١٤﴾ قُلْ يَجْمِعْ بَيْنَنَا رَبِّنَا ثُمَّ يَفْتَحْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَحُ الْعَلِيمُ ﴿١٥﴾ وقال تعالى : ﴿١٦﴾ وَاسْتَفْتُحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَارٍ عَنِيدٍ ﴿١٧﴾ ، وقال : ﴿١٨﴾ وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتُحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿١٩﴾ وقال : ﴿٢٠﴾ إِنْ تَسْتَفْتُحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴿٢١﴾ .

ثم قال : ﴿٢٢﴾ فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظُرْ إِنَّهُمْ مُّتَنَظِّرُونَ ﴿٢٣﴾ ، أي : أعرض عن هؤلاء المشركين وبلغ ما أنزل إليك من ربك ، كقوله : ﴿٢٤﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٥﴾ وانتظر ، فإن الله سينجز لك ما وعدك وسينصرك على من خالفك ، إنه لا يخلف الميعاد .

وقوله : ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ مُّتَنَظِّرُونَ ﴿٢٧﴾ ، أي : أنت متنظر ، وهم متظرون ، ويتربصون بكم الدوائر ،

[١] - في خ : « وطول ». [٢] - في ز ، خ : « يدال » .

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرِيصُ بِهِ رَبِّ الْمَوْنَ﴾ ، وَسْتَرِي أَنْتَ عَاقِبَةُ صَبْرِكَ عَلَيْهِمْ ، وَعَلَى أَدَاءِ
رَسَالَةِ اللَّهِ ، فِي نَصْرَتِكَ وَتَأْيِيْدِكَ ، وَسِيَجِدُونَ غَبْتَ مَا يَنْتَظِرُونَهُ فِيْكَ وَفِيْ أَصْحَابِكَ ، مِنْ وَبِيلِ
عَقَابِ اللَّهِ لَهُمْ ، وَحَلُولُ عَذَابِهِ بِهِمْ ، وَحَسِبَنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ .



تفسير سورة الأحزاب

وهي مدنية

[قال عبد الله بن الإمام أحمد^(١) : حدثنا خلف بن هشام ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زر قال : قال لي أبي بن كعب : كَائِنٌ^(٢) تقرأ^(٣) سورة الأحزاب ؟ أو كَائِنٌ^(٤) تعدها^(٥) ؟ قال : قلت : ثلاثاً وسبعين آية . فقال : قَطْ ! لقد رأيتها وإنها لتعادل « سورة البقرة » ، ولقد قرأنا فيها : « الشیخ والشیخة إذا زیا فارجموهما ألبته ، نکالاً من الله . والله علیم حکیم ».]

ورواه النسائي من وجه آخر ، عن عاصم - وهو ابن أبي النجود ، وهو ابن بهدلة - به . وهذا إسناد حسن ، وهو يقتضي أنه قد^(٦) كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه أيضاً ، والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَكْتَبُهَا الَّذِي أَنْقَلَ اللَّهَ وَلَا تُطْعِنَ الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْهَا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَأَتَيْتُكَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رِبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَنِي بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾

هذا تنبیه بالأعلى على الأدنی ، فإنه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا فلأن يأمر من دونه بذلك بطريق الأولى والأخرى . وقد قال طلق بن حبيب : التقوی أن تعمل بطاعة

(١) - المسند (١٣٢/٥) (١٣٢/٧)، وأخرجه أيضاً (١٣٢/٥) (٢١٢٨٦)، والنمسائي في الكبير ، كتاب الرجم ، باب : نسخ الجلد عن الشیب ، حدیث (٧١٥٠). وأخرجه الحاکم أيضاً في المستدرک (٤١٥/٢) (٣٥٩/٤). من طرق ، عن عاصم ، عن زر به . ورواه ابن حبان كما في الإحسان (٣٠٢/٦) - (٣٠١/٦) حدیث ٤٤١١ . عن عبد الله بن محمد الأزدي عن إسحاق بن إبراهیم - بنحوه - عن النضر ابن شمیل عن حماد بن سلمة ، عن عاصم .

[١] - ما بين المukoفتین في خ : « قال الإمام أحمد إنما قاله عبد الله بن أحمد » ويدوا أن عباره « إنما قاله عبد الله بن أحمد » يدوا أنها كانت لبعض المعلقين على الكتاب فأدخلتها الناسخ سهوا في صلب الكتاب .

[٢] - في خ ، ز : « كان ». [٣] - في ز ، خ : « يقرأ ». [٤] - في خ ، ز : « كان ». [٥] - في ز : « يعدها ». [٦] - سقط من : ت .

الله ، على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وأن ترك معصية الله ، على نور من الله [لله]^[١] ، مخافة عذاب الله .

وقوله : ﴿ وَلَا تطعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ ، أي : لا تسمع منهم ولا تستشيرهم^[٢] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْهِ حَكِيمًا ﴾ ، فهو أحق أن تتبع أوامره وتطيعه ، فإنه عليم بعواقب الأمور ، حكيم في أقواله وأفعاله ، ولهذا قال : ﴿ وَاتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ، أي : من قرآن وسنته ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ ، أي : فلا تخفي عليه خافية . ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ ، أي : في جميع أمورك وأحوالك ، ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ أي : وكفى به وكيلًا لمن توكل عليه وأناب إليه .

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْتِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ الَّتِي تُظَاهِرُونَ
مِنْهُنَّ أَمْتَهِنَكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ
الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّكِيلَ ﴿ أَدْعُوهُمْ لِأَبَارِيهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنَّ لَمْ
تَعْلَمُوا أَبَاءَهُمْ فَلِخُونُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَيُكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا
أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعْمَدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾^[٣]

يقول تعالى موطئًا قبل المقصود المعنوي أمراً حسياً معروفاً ، وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه ، ولا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله : أنت على كفافه أهي - أمّا له ، كذلك لا يصير الذئعي ولذا للرجل إذا تباذه فدعاه ابنا له ، فقال : ﴿ مَا جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجاكم اللاتي تظاهرون منهن أمهاتكم ﴾ ، كقوله : ﴿ ما ماهن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهما وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا ﴾ .

وقوله : ﴿ وَمَا جعل أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ ، هذا هو المقصود بالمعنى ، فإنها نزلت في شأن زيد بن حارثة مولى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قد تباذه قبل النبوة ، وكان يقال له : « زيد بن محمد » ، فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاد وهذه النسبة بقوله : ﴿ وَمَا جعل أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ ، كما قال في آياته السورة : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدًا مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ﴾ ، يعني تبكيكم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابناً حقيقياً ، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر ، مما يمكن أن يكون له أبوان ، كما لا يمكن أن

[١] - ما بين المقوفين سقط من ت .

[٢] - في ز ، خ : « تستشيرهم » .

يكون للبشر الواحد قلبان .

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ، قال سعيد بن جبير : ﴿يَقُولُ الْحَقَّ﴾ ، أي : العدل . وقال قتادة : ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ، أي : الصراط المستقيم .

وقد ذكر غير واحد : أن هذه الآية نزلت في رجل من قريش ، كان يقال له : « ذو القلين » ، وأنه كان يزعم أن له قلين ، كل منهما بعقل وأفر . فأنزل الله هذه الآية رداً عليه . هكذا روى العوفي عن ابن عباس . وقاله مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وفتادة . واختاره ابن جرير .

وقال الإمام أحمد^(٢) : حدثنا حسن ، حدثنا زهير ، عن قابوس - يعني : ابن أبي ظبيان - أن أبياه حدثه قال : قلت لابن عباس : أرأيت قول الله تعالى : ﴿مَا جعلَ اللَّهُ لرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ ، ما عنى بذلك ؟ قال : قام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يوماً يصلّي ، فخطّر خطرة^(١) . فقال المنافقون الذين يصلّون معه : ألا ترون له قلين ، قليباً معكم وقلباً معهم ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿مَا جعلَ اللَّهُ لرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ .

وهكذا رواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ، عن صاعد الحرانى - [١] و [٢] عن عبد بن حميد ، عن أحمد بن يونس - كليهما^(٣) عن زهير - وهو ابن معاوية - به ، ثم قال : وهذا حديث حسن . وكذا رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم من حديث زهير ، به .

وقال عبد الرزاق^(٤) : أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، في قوله : ﴿مَا جعلَ اللَّهُ لرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ ، قال : بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ، ضرب له مثل ، يقول : ليس ابن رجل آخر ابنك .

وكذا قال مجاهد ، وفتادة ، وابن زيد : إنها نزلت في زيد بن حارثة . وهذا يوافق ما قدمناه من التفسير ، والله أعلم .

وقوله : ﴿أَدْعُوهُمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ، هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجنبية ، وهم الأدعية ، فأمر تعالى برد تسبهم إلى آبائهم في الحقيقة ، وأن هذا هو العدل والقسط .

(١) - المسند (٢٦٧)، وأخرجه الترمذى في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأحزاب ، حديث (٣١٩٩) وابن حزم (٨٦٥) من طريق قابوس به .

(٢) - تفسير عبد الرزاق (١١٢)، ومن طريقه أخرجه ابن جرير .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - أي وسوس .

[٣] - في ز : « كلاماً » .

قال البخاري^(٤) - رحمة الله - : حدثنا معلى بن أسد ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، حدثنا موسى بن عقبة قال : حدثني سالم ، عن عبد الله بن عمر : أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما كنّا ندعوه إلا زيد بن محمد ، حتى نزل القرآن : ﴿أَدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وأخرجـه مسلم والترمذـي والنـسائي من طرقـه عن موسـى بن عقبـة ، به .

وقد كانوا يعاملونـهم معاملـة الـأـباء من^[١] كل وجه ، في الخلـوة بالـحـارـم وغـير ذـلـك ؛ ولـهـذا قـالـت سـهـلـة بـنـتـ سـهـيلـ بـنـتـ سـهـيلـ اـمـرـأـ أـيـ حـذـيفـةـ : يا رـسـولـ اللـهـ ؛ [إـنـا]^[٢] كـنـا نـدـعـوـ سـالـمـاـ إـبـاـءـاـ ، وإن اللـهـ قـدـ أـنـزـلـ مـاـ أـنـزـلـ ، وإنـهـ كـانـ يـدـخـلـ عـلـيـ ، وإنـيـ أـجـدـ فـيـ نـفـسـ أـيـ حـذـيفـةـ مـنـ ذـلـكـ شـيـئـاـ^[٣] ، فـقـالـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـ وـسـلـمـ : «أـرـضـعـهـ تـحـرـمـ عـلـيـ ...». الحـدـيـثـ^(٥) .

ولـهـذاـ لـمـ نـسـخـ هـذـاـ حـكـمـ ، أـبـاحـ تـعـالـىـ زـوـجـ الدـعـيـ ، وـتـزـوـجـ رـسـولـ اللـهـ ، صـلـيـ اللـهـ عـلـيـ وـسـلـمـ ، زـينـبـ بـنـتـ جـحـشـ زـوـجـ زـيـدـ بـنـ حـارـثـةـ^(٦) ، وـقـالـ : ﴿لـكـلاـ يـكـونـ عـلـىـ الـمـؤـمـنـينـ حـرـجـ فـيـ أـرـوـاجـ أـدـعـيـاهـمـ إـذـ قـضـواـ مـنـهـنـ وـطـرـاـ﴾ ، وـقـالـ فـيـ آـيـةـ التـحـرـمـ : ﴿وـحـلـائـلـ أـبـانـاـكـمـ الـذـيـنـ مـنـ أـصـلـاـبـكـمـ﴾ اـحـتـرـازـاـ عـنـ زـوـجـ الدـعـيـ ، فـإـنـهـ لـيـسـ مـنـ الـصـلـبـ ، فـأـمـاـ الـابـنـ مـنـ الرـضـاعـةـ فـمـنـزـلـةـ^[٤] اـبـنـ الـصـلـبـ شـرـغاـ ، بـقـولـهـ - عـلـيـ السـلـامـ - فـيـ الصـحـيـحـينـ^(٧) : «ـحـرـمـواـ مـنـ الرـضـاعـةـ مـاـ يـحـرـمـ مـنـ النـسـبـ» .

(٤) - صحيح البخاري في التفسير ، باب : ﴿أَدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ حـدـيـثـ (٤٧٨٢) ، وأـخـرـجـهـ مـسـلـمـ فـيـ فـضـائلـ الصـحـابـةـ حـدـيـثـ (٢٤٢٥) والـترـمـذـيـ فـيـ تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ ، بـابـ : وـمـنـ سـوـرـةـ الـأـحـزـابـ ، حـدـيـثـ (٣٢٠٩) وـفـيـ الـمـنـاقـبـ ، بـابـ : مـنـاقـبـ زـيـدـ بـنـ حـارـثـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ ، حـدـيـثـ (٣٨١٤) وـالـنـسـائـيـ فـيـ التـفـسـيرـ (٤١٦) مـنـ طـرـيقـ مـوـسـىـ بـنـ عـقبـةـ بـهـ .

(٥) - أـخـرـجـهـ مـسـلـمـ فـيـ الرـضـاعـ ، حـدـيـثـ (٢٧/١٤٥٣) مـنـ طـرـيقـ الـقـاسـمـ عـنـ عـائـشـةـ ، وـأـصـلـ الـحـدـيـثـ عـنـ الـبـخـارـيـ فـيـ الـمـغـازـيـ : حـدـيـثـ (٤٠٠٠) وـفـيـ الـنـكـاحـ ، بـابـ : الـأـكـفـاءـ فـيـ الـدـيـنـ ، حـدـيـثـ (٥٠٨٨) مـنـ طـرـيقـ عـرـوـةـ عـنـ عـائـشـةـ .

(٦) - أحـادـيـثـ زـوـاجـ رـسـولـ اللـهـ - صـلـيـ اللـهـ عـلـيـ وـسـلـمـ - زـينـبـ بـنـتـ جـحـشـ كـثـيرـ ، وـانـظـرـ تـارـيـخـ دـمـشـقـ (١/ ١٤٤، ١٣٧) - السـيـرـةـ .

(٧) - الـحـدـيـثـ فـيـ الـمـسـنـدـ (٧٢/٦) بـلـفـظـ : «ـحـرـمـواـ مـنـ الرـضـاعـةـ مـاـ تـحـرـمـواـ مـنـ الـوـلـادـةـ» مـنـ طـرـيقـ أـيـ بـكـرـ بـنـ صـخـيرـ عـنـ عـرـوـةـ عـنـ عـائـشـةـ بـهـ مـرـفـوعـاـ ، وـالـحـدـيـثـ عـنـ الـبـخـارـيـ فـيـ الـنـكـاحـ حـدـيـثـ (٥٠٩٩) ، وـمـسـلـمـ فـيـ الرـضـاعـ حـدـيـثـ (١٤٤٤) بـلـفـظـ : «ـإـنـ الرـضـاعـةـ تـحـرـمـ مـاـ تـحـرـمـ الـوـلـادـةـ» . وـفـيـ لـفـظـ مـسـلـمـ : «ـيـحـرـمـ مـنـ الرـضـاعـةـ مـاـ يـحـرـمـ مـنـ الـوـلـادـةـ» .

[١] - في ز ، خ : «في» .

[٢] - ما بين المعکوفین سقط من ت .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ت : خ ، ز .

فاما دعوة الغير ابنا على سبيل التكريم والتحبيب ، فليس مما نهي عنه في هذه الآية ، بدليل ما رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا الترمذى ، من حديث سفيان الثورى ^(٨) ، عن سلمة ابن كهيل ، عن الحسن الفزنى ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أغلظمة بنى عبد المطلب على حمرات لها من جمْع . فجعل يلطم أخاذنا ويقول : « أَبَتِي ^[١] لَا ترموا الجمر حتى تطلع الشمس » .

قال أبو عبيد وغيره : « أَبَتِي ^[٢] : تصغير ابنتي ^[٣] ». وهذا ظاهر الدلالة ، فإن هذا كان في حجة الوداع سنة عشر .

وقوله : « ادعوهم لآبائهم ^٤ » في شأن زيد بن حارثة ، وقد قتل في يوم مؤتة سنة ثمان ، وأيضاً ففي صحيح مسلم ^(٩) ، من حديث أبي عوانة الوضاح بن عبد الله اليشكري ، [عن الجعد] ^[٤] أبي عثمان البصري ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال لي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « يا بني ». ورواه أبو داود والترمذى .

وقوله : « فإن لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم ^٥ » ، أمر تعالى برد أنساب الأدباء إلى آبائهم ، إن عرفوا ، فإن لم يعرفوا آبائهم فهم إخوانهم في الدين ومواليهم ، أي : عوضاً عمما فاتهم من النسب ؛ ولهذا قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يوم خرج من مكة عام عمرة القضاء ، وتبعتهم ابنة حمزة تبادي : يا عم ، يا عم . فأخذها علي وقال لفاطمة : دونك ابنة عمك [فاحتملتها] ^[٦] فيها علي ، وزيد ، وجعفر في أئتم يكفلها ، فكل أدلى بحجه ، فقال علي : أنا أحق بها وهي ابنة عمي . وقال زيد : ابنة أخي . وقال جعفر بن أبي طالب : ابنة عمي ، وحالها تختفي - يعني أسماء بنت عميس - فقضى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لحالتها ، وقال : « الخالة بمنزلة الأم ». وقال علي : « أنت

(٨) - أخرجه أحمد (١/٢٣٤، ٣٤٣، ٣١١)، وأبو داود في المسنن ، باب : التعجيل من جمع ، حديث (١٩٤٠) ، والنمساني في الحج ، باب : النهي عن رمي جمرة العقبة قبل طلوع الشمس (٥/٢٧٠، ٢٢) وابن ماجة في الحج ، باب : من تقدم من جمع إلى مني ، حديث (٢٥٠) من طريق سفيان به .

والحديث أخرجه الحميدى (٤٦٥) ، وأحمد (١/٢٣٤) من طريق مسمر وسفيان عن سلمة به .

(٩) - صحيح مسلم ، كتاب الآداب ، حديث (٢١٥١) ، وأخرجه أحمد (٣/٤٩٦٤) وأبو داود في الأدب ، باب : في الرجل يقول لابن غيره : يا بني ، حديث (٤٩٦٤) والترمذى في الأدب ، باب : ما جاء في باب ، حديث (٢٨٣١) من طريق عن أبي عوانة به .

[١] - في ز : « ابني » .

[٢] - في ز : « ابني » .

[٣] - في ز : « ابني » .

[٤] - ما بين المعقوفين في خ ، ز : « الجعدى » .

[٥] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « فاحتملتها واحتتصم » .

مني ، وأنا منك » . وقال جعفر : « أشهدت خلقي وخلقي » . وقال نزيد : « أنت أخونا ومولانا » ^(١٠) .

ففي هذا الحديث أحكام كثيرة من أحسنها أنه عليه الصلاة والسلام حكم بالحق ، وأرضى كلاً من المتنازعين ، وقال نزيد : « أنت أخونا ومولانا » ، كما قال تعالى : ﴿فَإِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ .

وقال ابن جرير ^(١١) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علي ، عن عيينة بن عبد الرحمن ، عن أبيه قال : قال اللهم عز وجل : ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءِهِمْ فَإِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ ، فأنما من لا يعرف أبوه ، وأنما من إخوانكم في الدين . قال أبي : والله ، إني لأعلم أنه لو علم أن أباً كان حماراً لاتنمى إليه .

وقد جاء في الحديث : « من ادعى لغير أبيه وهو يعلم إلا كفر » ^(١٢) .

وهذا تشديد وتهديد ، ووعيد أكيد ، في التبرير من النسب المعلوم ؛ ولهذا قال : ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءِهِمْ فَإِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ .

ثم قال : ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ أي : إذا نسبتم بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة خطأ ، بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع ، فإن الله قد وضع الحرج في الخطأ ورفع إثمه ، كما أرشد إليه في قوله أمراً عباده أن يقولوا : ﴿رَبُّنَا لَا تَوَلَّنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ .

وثبت في صحيح مسلم ^(١٣) أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « قال الله : قد فعلت ». .

وفي صحيح البخاري ^(١٤) ، عن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه

(١٠) - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلح ، باب : كيف يكتب «هذا ما صالح فلان بن فلان ...» حديث (٢٦٩٩) ، وفي المغازى ، باب : عمرة القضاء ، حديث (٤٢٥١) ، والترمذى في البر والصلة ، باب : ما جاء في بر الخالة ، حديث (١٩٠٤) ، وفي المناقب حديث (٣٧١٦) ، (٣٧٦٥) من طريق أبي إسحاق عن البراء بن عازب .

(١١) - تفسير الطبرى (٢١/٢١) (١٢١) .

(١٢) - رواه البخاري ، في كتاب المتاب ، حديث (٣٥٠٨) بمعناه . وطرفه (٦٠٤٥) .

(١٣) - صحيح مسلم حديث (١٢٦) ..

(١٤) - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ، باب : أجر الحكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ، حديث (٧٣٥٢) ولفظه : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » والحديث أخرجه أيضاً مسلم في الأقضية حديث (١٧١٦) من طريق أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو به مثل لفظ البخاري . وقد تقدم تخریج الحديث في سورة الأنبياء الآية (٧٩) .

وسلم : « إِذَا اجتهدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرٌ ، وَإِنْ اجتهدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ ».

وفي الحديث الآخر : « إِنَّ اللَّهَ رَفَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَا وَالنُّسْيَانَ وَمَا يَكْرَهُونَ عَلَيْهِ »^(١٥) .

وقال ها هنا : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جَنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكُنْ مَا تَعْمَدُتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ . أي : وإنما الإثم على من تعمد^(١٦) الباطل كما قال تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيَّامِكُمْ وَلَكُنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسْبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ .

وفي الحديث المتقدم^(١٧) : « مَنْ ادْعَى إِلَى غَيْرِ أَيْهِ ، وَهُوَ يَعْلَمُهُ ، إِلَّا كُفَّرٌ ». وفي القرآن المنسوخ : « فَلَمْ كُفَّرُوكُمْ أَنْ تَرْغِبُوا عَنْ آبَائِكُمْ ».

قال الإمام أحمد^(١٨) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس ، عن عمر أنه قال : بعث الله محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، بالحق ، وأنزل معه الكتاب ، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم ، فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، ثم قال : قد كنا نقرأ : « وَلَا تَرْغِبُوا عَنْ آبَائِكُمْ [فَلَمْ كُفَّرُوكُمْ - أو : إِنْ كُفَّرُوكُمْ - أَنْ تَرْغِبُوا عَنْ آبَائِكُمْ]^(١٩) . وإن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « لَا تَنْظُرُونِي [كَمَا أَطْرَى]^(٢٠) عِيسَى ابْنُ مُرْيَمَ ، فَلَمَّا أَنَا عَبْدٌ ، فَقُولُوا : عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ». وربما قال معمر : « كَمَا أَطْرَطَ النَّصَارَى ابْنُ مُرْيَمَ ».

ورواه في الحديث الآخر : « ثَلَاثٌ فِي النَّاسِ كُفَّارٌ : الطَّعْنُ فِي النَّسْبِ ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيْتِ ، وَالْأَسْتِسْقَاءُ بِالنَّجُومِ »^(٢١) .

أَلَيْهِ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَرْوَاهُمْ أَمْهَلَهُمْ وَأَوْلَوْا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِعَضِّنِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيْهِ أَوْلَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا كَمَا ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا

[١٥] - تقدم تخریجه في تفسیر سورة الأعراف الآية (١٥٧) .

[١٦] - تقدم في رقم (١٢) .

[١٧] - المستند (٤٧/١) ، والحديث أخرجه البخاري في الحدود ، باب : رجم الحلي من الزنا إذا أحصنت ، حديث (٦٨٣٠) مطولاً من طريق صالح بن كيسان عن الزهرى به .

[١٨] - (٣٤٢/٥) (٢٣٠١٠) ، وأخرجه مسلم في كتاب الجنائز ، باب : التشديد في النياحة (٦٤٤ / ٢) رقم : ٩٣٤ . من حدث أبي مالك الأشعري مرفوعاً به .

[١] - في خ : « تعلم ». [٢] - ما بين المعکوفین سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعکوفین في خ ، ز : « كاطراء ».

قد علم الله تعالى شفقة رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، على أمته ، ونصحه لهم ، فجعله أولى بهم من أنفسهم ، ومحكمه فيهم مُقدماً على اختيارهم لأنفسهم ، كما قال تعالى : ﴿فَلَا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجرو بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ما قضيتم ، ويسلموا تسليماً﴾ .

وفي الصحيح^(١٩) : «والذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله ولداته والناس أجمعين» .

وفي الصحيح^(٢٠) أيضاً أن عمر - رضي الله عنه - قال : يا رسول الله ، والله لأنت أحب إلي من كل شيء^[١] إلا من نفسي . فقال : «لا يا عمر ، حتى أكون أحب إليك من نفسك» . فقال : يا رسول الله ، لأنت أحب إلي من كل شيء حتى من نفسي . فقال : «الآن يا عمر» . ولهذا قال تعالى في هذه الآية : ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ .

وقال البخاري^(٢١) عندها : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا [محمد بن]^[٢] فليح ، حدثنا أبي ، عن هلال بن علي ، عن عبد الرحمن بن أبي عمّرة ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة ، اقرعوا إن شئتم : ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ فأياماً مؤمن ترك مالاً فلبيثه عصبه من كانوا ، فلن ترك ديناً أو ضياغاً ، فليأتني فأنا مولاً» . تفرد به البخاري .

ورواه أيضاً في «الاستقرار» ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، من طرق ، عن فليح ، به مثله .

ورواه الإمام أحمد^(٢٢) ، من حديث أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن

(١٩) - صحيح البخاري في الإيمان ، باب : حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان ، حديث (٤) من حديث أنس بلفظ «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده» وأخرجه البخاري في الموضع السابق ، حديث (١٥) ، ومسلم في الإيمان حديث (٤٤) من حديث أنس نحوه .

(٢٠) - صحيح البخاري في الأيمان والندور ، باب : كيف كانت ميّن النبي صلى الله عليه وسلم ، حديث (٦٦٣٢) من طريق أبي عقيل زهرة بن معبد عن جده عبدالله بن هشام به .

(٢١) - صحيح البخاري في التفسير ، حديث (٤٧٨١) ، وأخرجه أيضاً في الاستعراض ، باب الصلاة على من ترك ديناً ، حديث (٢٣٩٩) والطبرى () من طريق فليح به .

(٢٢) - المسند (٣٥٦/٢) ، والحديث في صحيح البخاري ، كتاب الفرائض ، باب : ابنى عم أحدهما أخ للأم والآخر زوج ، حديث (٦٧٤٥) من طريق أبي حصين به أيضاً .

[١] - ما بين المعقودتين في ز ، خ : «والله» .

[٢] - ما بين المعقودتين سقط من : ز ، خ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

وقال الإمام أحمد^(٢٣) : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى في قوله تعالى : **«النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم»** عن أبي سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، كان يقول : «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، فأيما رجال مات وترك دينًا فالي ، ومن ترك مالًا فلورته». ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل به نحوه .

وقوله : **« وأزواجه أمهاتهم»** ، أي : في الحرج والاحترام ، والإكرام والتوقير والإعظام ، ولكن لا تجوز الخلوة بهن ، ولا ينتشر التحرم إلى بناهن وأخواتهن بالإجماع ، وإن سمي بعض العلماء بناهن آخرات المؤمنين ، كما هو منصوص الشافعى في «الختصر» ، وهو من باب إطلاق العبارة لا إثبات الحكم . وهل يقال لمعاوية وأمثاله : حال المؤمنين ؟ فيه قولان للعلماء ، ونص الشافعى على أنه يقال ذلك . وهل يقال لهن : أمهات المؤمنات^[١] ، فيدخل النساء في جمع المذكر السالم تغليباً^[٢] فيه قولان ، صح عن عائشة - رضي الله عنها - أنها^[٣] قالت : لا يقال ذلك . وهذا أصح الوجهين في مذهب الشافعى رحمة الله .

وقد روى عن أبي بن كعب ، وابن عباس أنها قرأوا : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) . وروي نحو هذا عن معاوية ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وهو أحد الوجهين في مذهب الشافعى . حكاها البغوي وغيره . واستأنسوا عليه بالحديث الذي رواه أبو داود^(٤) :

حدثنا عبد الله بن محمد النفيلى ، حدثنا ابن المبارك ، عن محمد بن عجلان ، عن القعاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أَعْلَمُكُمْ ، فَإِذَا أَتَيْتُكُمُ الْفَائِطَ فَلَا يَسْتَقِبِلُ الْقَبْلَةَ وَلَا يَسْتَدِبُرُهَا ، وَلَا يَسْتَطِبُ بِيَمِينِهِ» ، وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمءة .

وآخرجه النسائي وابن ماجة من حديث ابن عجلان .

والوجه الثاني : أنه لا يقال ذلك ، واحتجوا بقوله : **« ما كان محمد أبا أحد من**

(٢٣) - المسند (٢٩٦/٣) ، وعنه أبو داود في المخرج والإمارة والفيء ، حديث (٢٩٥٣) ، وأخرجه أبو داود في البيوع والإجرارات ، باب : في التشديد في الدين ، حديث (٣٣٤٣) والنمسائي في الجنائز ، باب : الصلاة على من عليه دين (٦٥/٤) من طريق عبد الرزاق به .

(٢٤) - سنن أبي داود في الطهارة ، باب : كراهة استقبال القبلة عند قضاء الحاجة ، حديث (٨) ، والنمسائي في الطهارة ، باب : النهى عن الاستطابة بالروث (١/٣٨) ، وابن ماجه في الطهارة باب : الاستنجاء بالحجارة والنهى عن الروث والرمءة ، حديث (٣١٣) من طريق ابن عجلان به .

[١] - في ز ، خ : « المؤمنين » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

رجالكم》 . قوله : ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أُولَى بِعِصْمٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ ، أي : في حكم الله^[١] من المؤمنين والماهجرين》 ، أي : القراءات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار . وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالخلف والمؤاخاة التي كانت بينهم ، كما قال ابن عباس وغيره : كان المهاجر يرث الأنصار دون قرياته وذوي رحمة ، للأخوة التي آتتى بينهما رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وكذا قال سعيد بن جبير ، وغير واحد من السلف والخلف .

وقد أورد فيه ابن أبي حاتم حديثاً عن الزبير بن العوام - رضي الله عنه - فقال : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن أبي بكر المصعي - من ساكني بغداد - عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن هشام بن عمرو ، عن أبيه ، عن الزبير بن العوام قال : أُنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِيمَا خَاصَّةً - مُعْشَرَ قُرِيشٍ وَالْأَنْصَارِ - ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أُولَى بِعِصْمٍ﴾ ، وذلك أنا - معاشر قريش - لما قدمنا المدينة قدمنا ولا أموال لنا ، فوجدنا الأنصار نعم الإخوان ، فواخيناهم ووارثاهم ، فواحى أبو بكر خارجة بن زيد ، وأخى عمر فلاناً ، وأخى عثمان بن عفان رجلاً من بني زريق^[٢] سعد الزرقى^[٣] - ويقول بعض الناس غيره - قال الزبير : وواخيت أنا كعب بن مالك ، فجئته فابلغته فوجدت السلاح قد ثقله فيما يرى ، فوالله يا بى^[٤] ، لو مات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري ، حتى أُنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةُ فِيمَا خَاصَّةً معاشر قريش والأنصار خاصة ، فرجعنا إلى مواطننا .

وقوله : ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أُولَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ ، أي : ذهب الميراث ، وبقي النصر والبر والصلة والإحسان والوصية .

وقوله : ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ ، أي : هذا الحكم ، وهو أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض ، حكم من الله مقدر مكتوب في الكتاب الأول ، الذي لا يبدل ، ولا يغير . قاله مجاهد وغير واحد . وإن كان قد يقال : قد^[٥] شرع خلافه في وقت ماله في ذلك من الحكمة البالغة ، وهو يعلم أنه سينسخه إلى ما هو جار في قدره الأزلية ، وقضائه القديسي الشرعي .

وَلَذِّ أَخْذَنَا مِنَ النَّيَّنَ مِيشَقَهُمْ وَمِنْكَ وَنِنْ فُوحٌ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَبْنَ مَرِيمٍ وَلَذِّ أَخْذَنَا مِنْهُمْ مِيشَقًا غَلِظًا ﴿٧﴾ لِيَسْتَكَ الْصَّدِيقَيْنَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في خ ، ز : « الدرقي » .

[٣] - في خ ، ز : « رزيق » .

[٤] - في خ ، ز : « مابى » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - سقط من : ز .

لِكَفَّارِينَ عَذَابًا أَلِيمًا

يقول تعالى مخيراً عن أولي العزم الخمسة ، وبقية الأنبياء : إنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله ، وإبلاغ رسالته ، والتعاون والتناصر والاتفاق ، كما قال تعالى : « وَإِذْ أَخْذَ اللَّهَ مِيثَاقَ الْبَيْنَ لَمَا أَتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مَصْدِقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتَؤْمِنُنَّ بِهِ وَلِتَتَّصَرَّلُهُ قَالَ أَلْقُرُوتُمْ وَأَخْدُمُونَ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَلْقَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُو وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ». فهذا العهد والميثاق أخذ عليهم بعد إرسالهم ، وكذلك هذا . ونص من بينهم على هؤلاء الخمسة ، وهم أولو العزم ، وهو من باب عطف الخاص على العام ، وقد صرخ بذكرهم أيضاً في هذه الآية ، وفي قوله : « شَرْعٌ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّلَيْتُ لَكُمْ بِهِ تُوْحِدُوا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ وَمَا وَصَّلَيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ » ، فذكر الطرفين والمتوسط ، الفاتح^[١] والخاتم ، ومن بينهما على الترتيب . فههذه هي الوصية التي أخذ عليهم الميثاق بها ، كما قال : « وَإِذْ أَخْذَنَا مِنَ الْبَيْنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكُمْ وَمِنْ نُوحَ إِبْرَاهِيمَ » ، فبدأ في هذه الآية بالخاتم ، لشرفه - صلوات الله عليه - ثم ربهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم .

قال ابن أبي حاتم^(٢٥) : حدثنا أبو زرعة الدمشقي ، حدثنا محمد بن بكار ، حدثنا سعيد ابن بشير ، حدثني قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، [في قول الله تعالى : « وَإِذْ أَخْذَنَا مِنَ الْبَيْنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكُمْ وَمِنْ نُوحَ »] الآية قال النبي ، صلى الله عليه وسلم^[٢] : « كُنْتُ أَوَّلَ الْبَيْنَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرُهُمْ فِي الْبَعْثِ ، [فَبَدَئْتُ بِي]^[٣] قَبْلَهُمْ » . سعيد ابن بشير فيه ضعف .

وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلًا ، وهو أشبه ، ورواه بعضهم عن قتادة موققاً ، فالله أعلم .

وقال أبو بكر البزار^(٢٦) : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا حمزة الزيات ، حدثنا عدي بن ثابت ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : خيار ولد آدم خمسة : نوح ،

(٢٥) - أخرجه أبو نعيم في الدلائل^(٣) ، والبغري في تفسيره كما في البداية والنهاية^(٤) - مجرد من طريق سعيد بن بشير به وزاد السيوطي في الدر المنشور^(٥) نسبته إلى الحسن بن سفيان وابن مردويه والديلمي ، وابن عساكر . وانظر مسلسلة الأحاديث الضعيفة للشيخ الألباني^(٦) .

(٢٦) - كشف الأستار^(٧) قال الهيثمي في مجمع الزوائد^(٨) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

[١] - في خ ، ز : « الناتج » .

[٢] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعقوفين ياض في ز ، خ .

ولابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، وخيرهم محمد ، صلى الله عليه وسلم ، أجمعين .
موقوف ، وحمزة فيه ضعف .

وقد قيل : إن المراد بهذا الميثاق الذي أخذ منهم حين أخرجوا في صورة الذر من صلب آدم ، كما قال أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب قال : ورفع أباهم آدم ، فنظر إليهم - يعني : ذريته - وأن فيهم الغنى والفقير ، وحسن الصورة ، ودون ذلك ، فقال : رب ، لو سويت بين عبادك ؟ فقال : إني أحبيت أنأشكر . وأرأي فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم كالنور ، وخصوصاً ميثاق آخر من الرسالة والنبوة فهو الذي يقول الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخْذَنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ الآية . وهذا قول مجاهد أيضاً .

وقال ابن عباس : الميثاق الغليظ : المعهد .

وقوله : ﴿لِيَسَأَلُ الصَّادِقِينَ عَنْ صَدْقَهُمْ﴾ ، قال مجاهد : المبلغين المؤذنين عن [١] الرسل .

وقوله : ﴿وَأَعَدَ لِلْكَافِرِينَ﴾ ، أي : من أئمهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ، أي : موجعاً ، فنحن نشهد أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم ، ونصحوا الأمم وأفصحوا لهم عن الحق المبين ، الواضح الجلى ، الذي لا ليس فيه ولا شك ولا امتراء ، وإن كذبهم من كذبهم من الجهلة والمعاذدين والمارقين والقاسطين ، فما جاءت به الرسل هو الحق ، ومن خالفهم فهو على الضلال .

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا بِقُمَّةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِحْمًا
وَمَحْمُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٤﴾ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ
وَمَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَرُ وَلَغَّتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاحِرَ وَتَنَطُّونَ
بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿٥﴾

يقول تعالى مخيراً عن نعمته وفضله وإحسانه إلى عباده المؤمنين ، في صرفه أعداءهم وهزمه أيام عام تأبوا عليهم وتحذبوا وذلك عام الحندق ، وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح المشهور . وقال موسى [بن عقبة][٢] وغيره : كانت في سنة أربع .

وكان سبب قدوم الأحزاب أن نفراً من أشراف يهودبني التضير ، الذين كانوا قد أجلalam رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من المدينة إلى خير ، منهم : سلام بن أبي [٣] الحقيق ،

[١] - ما بين المعقودتين مكرر في ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « من » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

وسلام بن مشكם ، وكتانة بن الربيع ، خرجوا إلى مكة واجتمعوا بأشراف قريش ، وألبيوهم على حرب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ووعدوهم من أنفسهم النصر والإعنة ، فأجابوهم إلى ذلك . ثم خرجوا إلى^[١] غطفان فدعوهם فاستجابوا لهم أيضاً . وخرجت قريش في أحديشها ومن تابعها ، وقائدتهم أبو سفيان صخر بن حرب ، وعلى غطفان عبيدة بن حصن بن بدر ، والجميع قريب من عشرة آلاف ، فلما سمع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة مما يلي الشرق ، وذلك بإشارة سلمان الفارسي فعمل المسلمون فيه واجتهدوا ، ونقل معهم^[٢] رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، التراب وحفز ، وكان في حفره ذلك آيات بينات ودلائل واضحات . وجاء المشركون فنزلوا شرق المدينة قريباً من أحد ، وزلت طائفة منهم في أعلى أراضي^[٣] المدينة ، كما قال الله تعالى : ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلِكُمْ﴾ ، وخرج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ومن معه من المسلمين ، وهم نحو ثلاثة آلاف - وقيل : سبعمائة - وأسندوا ظهورهم إلى سلع ووجوههم إلى نحو العدو ، والخندق حفير ليس فيه ماء بينهم وبينهم يحجب الرجال والخيالة أن تصل إلهم ، وجعل النساء والذراري في آطام^[٤] المدينة ، وكانت بني قريطة - وهو طائفة من اليهود - لهم حصن شرق المدينة ، ولهم عهد من النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وذمة ، وهم قريب من ثمانمائة مقاتل ، فذهب إليهم خبيث بن أخطب النضري ، فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد ، وما لئوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعظم الخطب واشتد الأمر ، وضاق الحال ؛ كما قال الله تعالى : ﴿هَنالِكَ ابْنَىٰ الْمُؤْمِنُونَ وَزَلَّلُوا زَلَّالًا شَدِيدًا﴾ .

ومكثوا محاصرين للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه قريباً من شهر ، إلا أنهم لا يصلون إلهم ، ولم يقع بينهم قتال إلا أن عمرو بن عبد ود العامري - وكان من الفرسان الشجعان المشهورين في الجاهلية - ركب ومعه فوارس فاقتحموا الخندق ، وخلصوا إلى ناحية المسلمين وندب^[٥] رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خيل المسلمين إليه ، فلم يرِز إله أحد ، فامر عليهما فخرج إليه ، فتجاولا ساعة ، ثم قتله علي رضي الله عنه ، فكان علامه على النصر .

ثم أرسل الله - عز وجل - على الأحزاب ريحًا شديدة الهبوب قوية ، حتى لم تبق لهم خيمة ولا شيء ولا ثوقد لهم نار ، ولم يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين ؛ كما قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نَعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودًا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ .

(٤) قال ابن الأثير : هم أحياء القراء انضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشاً . والتحبس : التجمع . وقيل : حالفوا قريش تحت جبل يسمى حشياً فشُمُوا بذلك .

(٥) الآطام : جمع أطم ؛ وهو البناء المرتفع .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ت : « فندب » .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « أرض » .

قال مجاهد : وهي الصبا . ويؤيده الحديث الآخر : « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالذبور » .

وقال ابن جرير^(٢٧) : حدثني محمد بن المنقى ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا داود ، عن عكرمة قال : قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب : انطلقي نصرا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فقالت الشمال : إن الحرة لا تسرى بالليل . قال : فكانت^[١] الريح التي أرسلت عليهم الصبا . ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبي سعيد الأشعج ، عن حفص بن غياث ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فذكره .

وقال ابن جرير أيضاً^(٢٨) : حدثنا يونس ، حدثنا ابن وهب ، حدثني عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر قال : أرسلني خالي عبد الله^[٢] بن مطعون ليلة الخندق في برد شديد وريح إلى المدينة ، فقال : ائتنا ب الطعام والخاف ، قال : فاستأذنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأذن لي ، وقال : « من أتيت من أصحابي فمرهم يرجعوا » . قال : فذهبت والريح تسفي^[٣] كل شيء ، فجعلت لا ألقى أحداً إلا أمرته بالرجوع إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : فما يلوى أحد منهم عنقه . قال : وكان معه ترس لي ، فكانت الريح تضرره على^[٤] ، قال : وكأن فيه حديد ، قال : فضررته الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفني ، فأنفدها^[٥] إلى الأرض .

وقوله : « وجندوا لم تروها » ، وهم الملائكة ، زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف ، فكان رئيس كل قبيلة يقول : يا بني فلان إلىي . فيجتمعون إليه فيقول : النجاء ، لما ألقى الله تعالى في قلوبهم من الرعب .

وقال محمد بن إسحاق^(٢٩) ، عن يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي قال : قال فتى من أهل الكوفة لخديفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، رأيتم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وصحبته؟ قال : نعم يا بن أخي . قال : وكيف كنتم تصنعون؟ قال : والله لقد

[١] - في ز ، خ : « وكانت » .

[٢] - تفسير الطبرى (١٢٧/٢١) .

[٣] - تفسير الطبرى (١٢٧/٢١) .

[٤] - سيرة ابن هشام (١٨٦/٣) وأخرجه في مسنده (٣٩٢/٥) بسنده إلى ابن إسحاق به ، وانظر التالي .

[٥] - في ت : عثمان . وهو تحريف عجيب ؛ حيث إن عثمان بن مطعون لم يشهد سوى بدر ، ومات في السنة الثانية للهجرة . أما أخوه عبد الله بن مطعون فقد توفي في سنة ثلاثين للهجرة . انظر أسد الغابة [٣/٣٩٤ ، ٥٩٨] .

[٦] - سفت الريح التراب : أذرته أو حملته .

[٧] - ما بين المعقودين سقط من ت .

[٨] - في خ : « ما بعدها » ، وفي ز : « فأبعدها » .

كنا نجهد . قال الفتى : والله لو أدر كناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا . قال : قال حذيفة : يا بن أخي ، والله لو رأيتنا مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بالختندق وصلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، هوئا من الليل ، ثم التفت فقال : « من رجل يقوم فيظير لنا ما فعل القوم ؟ » - يشرط^[١] له النبي صلى الله عليه وسلم أنه يرجع - أدخله الله الجنة ». قال : فما قام رجل . ثم صلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، هوئا من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال مثله ، فما قام معاً رجل . ثم صلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، هوئا من الليل ثم التفت إلينا فقال : « من رجل يقوم فينظير لنا ما فعل القوم ثم يرجع - يشرط^[٢] له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة - أسأله أن يكون رفيقي في الجنة » . فما قام رجل مِنَ القوم ؛ من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد ، دعاني رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لي بد مِنَ القيام حين دعاني فقال : « يا حذيفة ، اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ، ولا تحدث شيئاً حتى تأتينا » . قال : فذهبت فدخلت [في القوم]^[٣] ، والريح وجند الله - عز وجل - تفعل بهم ما تفعل ، لا تُثْرِي لهم قدراً^[٤] ولا ناراً ولا بناة ، فقام أبو سفيان فقال : يا معاشر قريش ، لينظر أمرؤ من جليسه . قال حذيفة : فأخذت ييد الرجل الذي إلى جنبي ، فقلت : من أنت ؟ فقال : أنا فلان بن فلان ، ثم قال أبو سفيان : يا معاشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراز والخلف ، وأختلفتنا بني قريظة ، وبتلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من هذه الريح الذي ترون ، والله ما تطمئن لنا قدر^[٥] ، ولا تثوم لنا نار^[٦] ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإنني مُرْتَحِل ، ثم قام إلى جمله وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه ، فوثب به على ثلاث ، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولو لا عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى : « أن لا تحدث شيئاً حتى تأتينا » ثم شَرَّتْ لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو قائم يصلى في مروط^[٧] بعض نسائه مرتاحل - فلما رأني أدخلني بين رجليه ، وطرح على طرف المروط ، ثم رکع ، وسجد ، واني لفيفه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت عطافان بما فعلت قريش ، فانشروا^[٨] راجعين إلى بلادهم .

وقد رواه مسلم في صحيحه^(٣٠) من حديث الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه قال :
 (٣٠) - صحيح مسلم في الجهاد والسير ، حديث (١٧٨٨).

[١] - في ت : « يشرط » .

[٢] - ما بين المعقوفين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : قدراً .

[٤] - في ز : « مرض » .

[٥] - انشروا : مطابع شمره ، المراد : أسرعوا .

كنا عند حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - فقال له رجل : لو أدركك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قاتلـتـ معه وأبـلـتـ . فقال له حذيفة : أنت كـنـتـ تـفـعـلـ ذـلـكـ ؟ لـقـدـ رـأـيـشـاـ مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليلة الأحزاب في ليلة ذات [ربـيعـ شـدـيـدـ] [١] و[قـرـ] [٢] ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « أـلـاـ رـجـلـ يـأـتـيـ بـخـبـرـ الـقـوـمـ ، يـكـوـنـ مـعـيـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ ». فـلـمـ يـجـبـهـ مـنـاـ أـحـدـ ، ثـمـ الثـانـيـةـ مـثـلـهـ . ثـمـ قـالـ : « يـاـ حـذـيـفـةـ ، قـمـ فـأـتـاـ بـخـبـرـ الـقـوـمـ ». فـلـمـ أـجـدـ بـنـدـاـ إـذـ دـعـانـيـ بـاسـمـيـ أـنـ قـوـمـ ، فـقـالـ : « اـتـتـيـ بـخـبـرـ الـقـوـمـ ، وـلـاـ تـذـعـزـهـمـ » [٣] . قالـ : فـمضـيـتـ كـائـنـاـ أـمـشـيـ فـيـ حـمـمـ ، حـتـىـ أـتـيـتـهـ ، فـإـذـأـبـوـ سـفـيـانـ يـصـلـيـ ظـهـرـهـ بـالـنـارـ ، فـوضـعـتـ سـهـمـاـ فـيـ كـبـدـ قـوـسـيـ وـأـرـدـتـ أـنـ أـرمـيـهـ ، ثـمـ ذـكـرـتـ قـولـ رسولـ اللهـ ، صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، : « لـاـ تـذـعـزـهـمـ عـلـيـ ». وـلـوـ رـأـيـتـهـ لـأـصـبـتـهـ . قالـ : فـرجـعـتـ كـائـنـاـ أـمـشـيـ فـيـ حـمـمـ ، فـأـتـيـتـ رـسـولـ اللهـ ، صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، ثـمـ أـصـابـنـيـ الـبرـدـ حـيـنـ فـرـغـثـ وـفـرـغـثـ ، فـأـنـجـبـرـتـ رـسـولـ اللهـ ، صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، وـأـلـبـسـنـيـ مـنـ فـضـلـ عـبـاعـةـ [٤] كـانـتـ عـلـيـهـ يـصـلـيـ فـيـهـ ، فـلـمـ أـرـلـ نـائـمـاـ حـتـىـ الصـبـحـ ، فـلـمـ أـنـصـبـحـ قـالـ رـسـولـ اللهـ ، صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، : « قـمـ يـاـ نـوـمـانـ » [٥] .

ورواه يونس بن بکير [١] ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم أن رجلاً قال لـ حـذـيـفـةـ - رضـيـ اللهـ عـنـهـ - نـشـكـوـ إـلـىـ اللهـ صـحـبـتـكـ لـرـسـولـ اللهـ ، صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، إـنـكـ أـدـرـكـمـوهـ وـلـمـ نـدـرـكـهـ ، وـرـأـيـمـوـهـ وـلـمـ نـرـهـ . فـقـالـ حـذـيـفـةـ : وـنـحـنـ نـشـكـوـ إـلـىـ اللهـ إـيمـانـكـمـ بـهـ وـلـمـ تـرـوـهـ ، وـالـلهـ لـاـ تـئـرـيـ يـاـ بـنـ أـخـيـ لـوـ أـدـرـكـهـ كـيـفـ كـنـتـ تـكـونـ ؟ لـقـدـ رـأـيـتـاـ مـعـ رـسـولـ اللهـ ، صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، لـيـلـةـ الـخـنـدقـ فـيـ لـيـلـةـ بـارـدـةـ مـطـيـرـةـ ... ثـمـ ذـكـرـ نـحـوـ مـاـ تـقـدـمـ مـطـولاـ .

وروى بلال بن يحيى العبيسي عن حذيفة نحو ذلك أيضـاـ [٢] .

وقد أخرج الحاكم والبيهقي في « الدلائل » [٣] ، من حديث عكرمة بن عمـار ، عن محمد ابن عبد الله الدؤلي ، عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة قال : ذـكـرـ حـذـيـفـةـ مشـاهـدـهـ مـعـ رـسـولـ اللهـ ، صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، فـقـالـ جـلـساـهـ : أـمـاـ وـالـلـهـ لـوـ شـهـدـنـاـ ذـلـكـ لـكـ فـعـلـنـاـ وـفـعـلـنـاـ . فـقـالـ

[١] - دلائل البرة (٤٥٤/٤٥٥) بـسـنـدـهـ إـلـىـ يـونـسـ بـنـ بـكـيرـ بـهـ .

[٢] - الدلائل (٤٥٠/٣ - ٤٥١) بـسـنـدـهـ إـلـىـ بـلـالـ .

[٣] - المستدرك (٣١/٣) ، ودلائل البرة (٤٥١/٣ - ٤٥٢) ، ومن طريق البيهقي أخرجـهـ ابنـ عـساـكـرـ فـيـ تـارـيخـهـ (١٢/٢٨٢، ٢٨٣) .

[٤] - ما بين المعقوفين في خـ ، زـ : « بـرـدـ شـدـيـدـ ». [٥] - الـقـرـ : الـبـرـ .

[٦] - الدـعـرـ : الفـزعـ الشـدـيـدـ ، بـرـيدـ : لـاـ تـقـلـيـمـهـ بـنـفـسـكـ وـامـشـ فـيـ خـفـيـةـ لـيـلـاـ يـفـرـوـاـ مـنـكـ وـيـقـبـلـوـ عـلـيـ .

[٧] - فيـ زـ ، خـ : « هـنـاءـ » وـهـوـ تـحـرـيفـ .

[٨] - النـوـمـ : كـبـيرـ النـوـمـ .

حذيفة : لا تمنوا ذلك . لقد رأينا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعود : أبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوتنا ، وقريطة اليهود أسفل منا نخافهم على ذارينا ، وما أتت علينا [ليلة]^[١] أشد ظلمة ولا أشد ريحًا ، في أصوات ريحها أمثال الصواعق ، وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه . فجعل المناقون يستاذون النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ويقولون : « إن بيوتنا عورة وما هي بعورة » . فما يستاذنه أحد منهم إلا أذن له ، ويأذن لهم فيتسلون ، ونحن ثلاثة من على جمته من العدو ولا من البرد إلا مرتل لأمرأتي ، لا^[٢] يجاوز ركبتي . قال : فأثاني ، صلى الله عليه وسلم ، وأنا جاث على ركبتي فقال : « من هذا؟ » . فقلت : حذيفة . قال : « حذيفة » . فتقاصرت بالأرض^[٣] ، فقلت : بلى يا رسول الله ، كراهية أن أقوم . [قال : « قم »]^[٤] فقمت فقال : « إنه كان^[٥] في القوم خبر فاتشي بخبر القوم » - قال^[٦] : وأنا من أشد الناس^[٧] فزعًا ، وأشدتهم قرءا - قال : فخرجت ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « اللهم ، احفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته » . قال : فوالله ما خلق الله فزعًا ولا قرءًا في جوفي إلا خرج من جوفي ، فما أجد فيه شيئاً . قال : فلما وليت قال : « يا حذيفة ، لا تحيلئن في القوم شيئاً حتى تأينني » . قال : فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم تقد ، وإذا رجل أدهم ضخم يقول يده على النار ، ويمسح خاصرته ، ويقول : [الرحيل الرحيل]^[٨] . ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك ، فانتزعت سهلاً من كناتي أيض الريش ، فأضجه في كبد قوسى لأرميه به في ضوء النار ، فذكرت قول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لا تحدثن فيهم شيئاً حتى تأينني » . فأمسكت ورددت^[٩] سهلي إلى كناتي ، ثم لاني شجعت نفسي حتى دخلت العسكرية ، فإذا أدنى الناس مني^[١٠] بنو عامر يقولون : يا آل عامر ؛ الرحيل الرحيل لا مقام لكم . وإذا الربيع في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شيئاً ، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرستهم^[١١] الربيع تضرفهم بها ثم خرجت نحو النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فلما انتصفت في الطريق أو نحوها من ذلك ، إذا^[١٢] أنا بنحو من عشرين فارساً أو^[١٣] أنا بنحو ذلك

[١] - سقط من ز ، خ . وثبت من الدلائل . [٢] - في ت : « ما » .

[٣] - في ز ، خ : « الأرض » .

[٤] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز والثبت من الدلائل .

[٥] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « إن كان » . [٦] - سقط من : ز والثبت من الدلائل .

[٧] - سقط من : ز والثبت من الدلائل .

[٨] - ما بين المعكوفين في خ ، ز : « الرجل الرجل » . [٩] - في ز : « فرددت » .

[١٠] - في خ ، ز : « معى » . [١١] - في خ ، ز : « ورشهم » .

[١٢] - فرستهم : فكت بهم . وهو على سبيل الاستعارة .

[١٣] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « نحن » . [١٤] - في ز ، خ : « و » .

مُعَقِّمِين^[١] ، فقالوا : أَخْبَرَ صَاحِبَكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَفَاهُ الْقَوْمُ . فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ مُشْتَمِلٌ فِي شَمْلَةٍ يَصْلِي ، فَوَاللَّهِ مَا عَدَا أَنْ رَجَعَتْ رَاجِعَتِي الْقُرْبَى وَجَعَلَتْ أَقْرَقَ^[٢] إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَدِهِ^[٣] وَهُوَ يَصْلِي ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ ، فَأَسْبَلَ عَلَيْهِ شَمْلَتِهِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذَا حَزَبَهُ^[٤] أَمْرٌ صَلَّى ، فَأَخْبَرَهُ بَحْرَ الْقَوْمِ ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَرَكَهُمْ يَتَرَحَّلُونَ ، وَأَنَّهُ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرِّبُوكُمْ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودًا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجَنَودًا لَمْ تَرُوهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا »^[٥] .

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ فِي سَنْتَهُ^[٦] مِنْهُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ . مِنْ حَدِيثِ عَكْرَمَةَ بْنَ عَمَّارٍ ، بِهِ .

وَقُولُهُ : « إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقَكُمْ »^[٧] ، أَيْ : الْأَحْزَاب^[٨] « وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ »^[٩] ، تَقْدِيمُ عَنْ حَذِيفَةَ أَنَّهُمْ بْنُ قَرِيبَةَ ، « وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْخَنَاجِرُ »^[١٠] ، أَيْ : مِنْ شَدَّةِ الْخُوفِ وَالْفَزَعِ ، « وَتَظَنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا »^[١١] .

قَالَ ابْنُ جَرِيرَ : ظَنَّ بَعْضُهُمْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّ الدَّائِرَةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيَفْعُلُ ذَلِكَ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي قُولِهِ : « وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْخَنَاجِرُ وَتَظَنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا »^[١٢] : ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ كُلَّ ظَنٍّ ، وَنَجَمَ النَّفَاقُ حَتَّى قَالَ مُعَقَّبُ بْنُ بَشِيرٍ^[١٣] - أَخْوَيْ بَنِي عُمَرَ بْنِ عَوْفٍ - : كَانَ مُحَمَّدٌ يَعْدُنَا أَنْ نَأْكُلَ كَنْوَزَ كَسْرَى وَقِيسَرَ ، وَأَحَدُنَا لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْفَاطِطِ .

وَقَالَ الْحَسَنُ فِي قُولِهِ : « وَتَظَنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا »^[١٤] : ظَنُونٌ مُخْتَلِفٌ ، ظَنُونٌ مُخْتَلِفُونَ أَنْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ سَيَسْتَأْصِلُونَ^[١٥] ، وَأَيْقَنَ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ مَا وَعَدَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقٌّ . وَأَنَّهُ سَيَظْهُرُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ .

(٣٤) - سَنْنَةُ أَبِي دَاوُدَ فِي الصَّلَاةِ ، بَابٌ : وَقْتُ قِيَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ ، حَدِيثٌ (١٣١٩) ، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي (٣٨٨/٥) مِنْ طَرِيقِ عَكْرَمَةَ بْنَ عَمَّارٍ بِهِ أَيْضًا .

[١] - فِي خَ ، زَ : « مَقِيمِينَ » .

[٢] - قَرْقَفَ : أَرْعَدَ .

[٣] - سَقَطَ مِنْ : خَ ، زَ .

[٤] - سَقَطَ مِنْ : زَ .

[٥] - فِي تَ : « قَشِيرٌ » وَقَدْ حَكَى ابْنُ الْأَثِيرِ فِي أَسْدِ الْعَابَةِ كَلَا الْقَوْلِينَ [٥/٢٢٥] .

[٦] - فِي تَ : « يَسْتَأْصِلُونَ » .

[٧] - فِي تَ : « يَسْتَأْصِلُونَ » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عاصم^[١] الأنباري . حدثنا أبو عامر (ح) وحدثنا أبي ، حدثنا أبو عامر العقدي ، حدثنا الزبير - يعني ابن عبد الله ، مولى عثمان بن عفان - عن رُبِيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد، عن أبيه، عن أبي سعيد قال: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله ، هل من شيء تقول ، فقد بلغت القلوب الحناجر؟ قال صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نعم ، قولوا : اللهم ، استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ». قال : فضرب وجوه أعدائه بالرياح ، فهزهم بالرياح . وكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل عن أبي عامر العقدي^(٣٥) .

هُنَالِكَ أَبْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزَلُوا زَلَّاً شَدِيدًا ﴿١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَفَّقُونَ وَالَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا عُزُورًا ﴿٢﴾ وَإِذْ قَاتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ
يَأْهَلَ يَرِبَّ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَأَرْجِعُوهُمْ وَيَسْتَعْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ أَنَّهُ يَقُولُونَ إِنَّ بَيْوتَنَا^{عَوْرَةٌ} وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٣﴾

يقول تعالى مخبراً عن ذلك الحال ، حين نزلت الأحزاب حول المدينة ، وال المسلمين محصورون في غاية الجهد والضيق ، ورسول الله ، صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بين أظهرهم ، لأنهم ابتلوا واحتُериوا وزُلزلوا زللاً شديداً ، فحيثند ظهر النفاق ، وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في

(٣٥) - وأخرجه أحمد (٣/٣) وإسناده ضعيف لضعف الزبير بن عبد الله ، وريح بن أبي سعيد . الزبير بن عبد الله : هو ابن أبي خالد الأموي ، مولاهم ، مولى عثمان بن عفان ، وأبوه يقال له : ابن رهمة ، وهي أمها . قال أبو حاتم : صالح . وذكره ابن جبان في الثقات . وقال ابن معين : الزبير بن عبد الله يكتب حديثه . وذكر له ابن عدي أحاديث وقال : أحاديثه منكرة المتن والإسناد . وقال الحافظ في التقريب : مقبول . وريح بن أبي سعيد : هو ريح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، قال أحمد : ريح رجل ليس بمعلوم . وقال أبو زرعة : شيخ . وقال ابن عدي : أرجو أنه لا يأس به . وذكره ابن جبان في الثقات . وقيل : إن اسمه سعيد ، وأن لقبه ريح . وقال الترمذى في العلل الكبير عن البخارى : ريح مكر الحديث . (التهذيب ٢٣٨/٣) . وفي التقريب : مقبول . والحديث أخرجه ابن جير في تفسيره - (٢١/١٢٧) . وذكره الهيثمى في «الجمع» - (١٣٩/١٠) وقال : رواه أبو محمد والبزار وإنسان البزار متصل رجاله ثقات ، وكذلك رجال أبو حميد إلا أن في نسختي من المستند عن ريح بن أبي سعيد ، عن أبيه وهو في البزار : عن أبيه ، عن جده . وزاد نسبة السيوطي في الدر المثمر - (٣٥٥/٥) لابن المطر . قلت : والصحيح ما في مسنن البزار وقد أثبتناه هنا ، ثم إن ريح هذا لم يجد أحداً ذكر أنه يروي عن جده مباشرةً ، ودون واسطة . فرحم الله سلفنا الصالح كم عانوا من سوء النسخ ، ونحن بين الطبعات الفاخرة ومع ذلك فحدث ولا حرج عن الأخطاء التي توجد في الكتب المحققة في هذا الأيام وإلى الله المشتكى .

[١] - في ت : « عاصم » وهو تحريف . انظر الجرح والتعديل [٢ / ٦٦] .

نفوسهم ، ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ مَا وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولَهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ، أما المنافق فنجم^[١] نفقة ، والذى في قلبه شبهة أو حسيكة^[٢] ، ضعف حاله فتنفس بما يجده من الوساد في نفسه ، لضعف إيمانه ، وشدة ما هو فيه من ضيق الحال . وقوم آخرون قالوا كما قال اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَإِذْ قَالَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرَبَ﴾ ، يعني المدينة كما جاء في الصحيح : « أربت [في النَّام]^[٣] دَارَ هَجْرَتُكُمْ أَرْضَ بَيْنَ حَرَقَيْنِ فَذَهَبَ وَهَلَى أَنَّهَا هَجْرٌ ، فَإِذَا هِيَ يَثْرَبَ ». وفي لفظ : « المدينة » .

فاما الحديث الذي رواه الإمام أحمد^(٤) : حدثنا إبراهيم بن مهدي ، حدثنا صالح بن عمر ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلي ، عن البراء - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من سمي المدينة يثرب ^(٥) فليستغفر الله » .

(٣٦) - المستند (٤/٢٨٥). والحديث أخرجه أبو يعلى في « مستنه » (١٦٨٨) (٣/٢٤٧ - ٢٤٨) . وعمر ابن شيبة في « تاريخ المدينة » (١/١٦٥) . من طريق صالح بن عمر عن يزيد بن أبي زياد به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣/٣٠) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ورجالة ثقات . والحديث ذكره ابن حجر في « القول المسدد » (ص ٤١ ، ٤٠) وقال : ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من طريق أحمد بن إبراهيم الموصلى عن صالح بن عمر به . وأعلمه يزيد بن أبي زياد ولم يصب ، فإن يزيد وإن ضعفه بعضهم من قبل حفظه وبكونه كان يلقن فيتلقن في آخر عمره ؛ فلا يلزم من شيء من ذلك أن يكون حمل ما يحدث به موضوعاً . وقد أورده الدارقطني في « الأفراد » وقال : تفرد به صالح بن عمر عن يزيد - يعني بهذا الإسناد وأخرجه ابن عدى في « الكامل » في ترجمته يزيد بن أبي زياد وضعف يزيد ، وقد رواه أبو بكر بن مردوه في « تفسيره » من طريق أبي يوسف القاضى عن يزيد بن أبي زياد قال : عن ابن عباس بدل : البراء ، ولفظه : « لاندعوها » **يُثْرَبُ** فإنها طيبة - يعني المدينة ، ومن قال : « يُثْرَبُ » فليستغفر الله ثلاث مرات ، هي طيبة : هي طيبة ، وشاهده ما أخرجه مالك والبخاري ومسلم والنسائي من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أموت بقرية تأكل القرى يقولون : يُثْرَبُ ، وهي المدينة ». اهـ والحديث ضعفه الشيخ الألباني في « ضعيف الجامع » (٥٦٤٧) .

(٦) يُثْرَبُ : قال ابن الأثير : هي اسم مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، قديمة ، ففيها وسماؤها : طيبة ، وطابة ؛ كراهة للشرب ، وهو اللوم والتغير . وقيل : هو اسم أرضها . وقيل : سُمِّيَ باسم رجل من العمالقة . نهاية [٥/٢٩٣] .

قال المناوى : لأن اليُثْرَبَ : الفساد ، والشرب : التوبيخ والمؤاخذة بالذنب واللوم ، ولا يليق بها ذلك . وظاهر أمره بالاستغفار أن تسميتها بذلك حرام ، لأن استغفارنا إنما هو عن خطيبة ، وهو ظاهر كلام جمع منهم الدميري ، قالوا : وتسميتها في التزيل حكمة لقول المنافقين أو من باس مخاطبة الناس بما يعرفونه . ا . هـ والأكثر على الكراهة ، ولا ينافي الكراهة ما في الصحيحين في حديث الهجرة : فإذا هي المدينة يُثْرَبُ ، وفي رواية : « لا أرها إلا يُثْرَبُ » لأن ذلك كان قبل النهي كما ذكره السمهودي تبعاً لصلاح الجوهري . فيض التقدير شرح الجامع الصغير [٦/١٥٦] .

[١] - نجم الشيء : طلع وظهر . ونعم له رأي : بدا . [٢] - الحسيكة : الحقد والعداوة .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

هي طابة ، هي طابة ». تفرد به الإمام أحمد ، - ففي [١] إسناده ضعف ، والله أعلم .

ويقال : إنما كان أصل تسميتها « يثرب » ب الرجل نزلها من العمالق ، يقال له : يثرب بن عبيل ابن مهلايل بن عوص بن عملق بن [لاؤذ بن لرم][٢] بن سام بن نوح . قاله السهيلي ، قال : وروي عن بعضهم أنه قال : إن لها أحد عشر اسمًا : المدينة ، وطابة ، وطيبة ، والمسكينة ، والجارة ، والحبة ، والمحبوبة ، والقادمة ، والمجبرة ، والعذراء ، والمرحومة .

وعن كعب الأ江北 قال : إننا نجد في التوراة : يقول الله للمدينة : يا طيبة ، ويا طابة ، ويا مسكينة [٣] ، [لا تقلِّي الكتُوز ، أرفع أحاجرك على أحاجر القرى] .

وقوله [٤] : ﴿ لَا مَقْامٌ لَكُمْ ﴾ : أي ، هاهنا ، يعنون عند النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في مقام المراقبة ، ﴿ فَارْجِعوا ﴾ ، أي [٥] : إلى بيتك ومنازلكم . ﴿ وَرِسْتَأْذِنُ فِرِيقَ مِنْهُمْ ﴾ ، قال العوفي ، عن ابن عباس : هم بنو حارثة قالوا : بيوتنا نخاف [٦] عليها الشرق . وكذا قال غير واحد .

وذكر ابن إسحاق أن القائل لذلك هو أوس بن قيظي [٧] ، يعني : اعتذروا في الرجوع إلى منازلهم بأنها عورة ، أي : ليس دونها ما يحجبها عن العدو ، فهم يخشون عليها منهم . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا هِيَ بِعُورَةٍ ﴾ ، أي : ليست كما يزعمون ، ﴿ إِنْ يَرِيدُونَ إِلَّا فَرَازًا ﴾ ، أي : هرثاً من الزحف .

وَلَوْ دُخِلْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُلِّلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنَّوْهَا وَمَا تَلْبَسُوهَا إِلَّا
يَسِيرًا ⑭ وَلَقَدْ كَانُوا عَنْهُمْ دُوَّا لَهُمْ مِنْ قَبْلٍ لَا يُؤْلُمُنَّ الْأَذْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ
اللَّهِ مَسْتَوْلًا ⑮ قُلْ لَنَّ يَنْفَعُكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَّتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَلَذَا
لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ⑯ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعِصِّمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ شَوْءًا
أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِدُّونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيَّا وَلَا نَصِيرًا ⑰

[١] - في ز ، خ : في . وصوبتها لكي يستقيم الكلام .

[٢] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « لاؤذ بن آدم ». [٣] - في خ ، ز : « سكينة » .

[٤] - ما بين المعقوفين ياض في خ ، ز بقدار سطر . [٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : ز ، خ . [٧] - في ز ، خ : « قيظي » .

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ ﴿٦﴾ يَقُولُونَ إِنْ بَيْتُنَا عُورَةٌ وَمَا هِيَ بِعُورَةٍ إِنْ يَرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٧﴾ : أَنَّهُمْ لَوْ دَخَلُوا عَلَيْهِمُ الْأَعْدَاءَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جُوَانِبِ الْمَدِينَةِ ، وَقَطْرٌ مِنْ أَقْطَارِهَا ، ثُمَّ سَلَّمُوا الْفَتْنَةَ - وَهِيَ الدُّخُولُ فِي الْكُفْرِ - لَكَفَرُوا سَرِيعًا ، وَهُمْ لَا يَحْفَظُونَ عَلَى الإِيمَانِ ، وَلَا يَسْتَمْكُونَ بِهِ مَعَ أَذْنِي خَوْفٌ وَفَرْعٌ .

هَكُذا فَسَرَهَا^[١] قَنَادَةُ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ ، وَابْنُ جَرِيرٍ ، وَهَذَا ذَمٌ لَهُمْ فِي غَایَةِ النَّمَاءِ .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى يَذْكُرُهُمْ بِمَا كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْخَوْفِ ، أَنْ لَا يَوْلُوا الْأَدْبَارَ وَلَا يَفْرُوا^[٢] مِنِ الرَّحْفِ ؛ ﴿٨﴾ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا ﴿٩﴾ أَيْ : إِنَّ اللَّهَ سَيَسْأَلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ الْعَهْدِ ، لَابِدُ مِنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ فَرَارَهُمْ ذَلِكَ لَا يُؤْخِرُ آجَالَهُمْ ، وَلَا يَطْوُلُ أَعْمَارَهُمْ ، بَلْ رِبَّا كَانَ ذَلِكَ سَبِيلًا فِي تَعْجِيلِ أَخْدَهُمْ غَرَةً ؛ وَلَهُذَا قَالَ : ﴿١٠﴾ وَإِذَا لَا تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١١﴾ أَيْ : بَعْدَ هَرْبِكُمْ وَفَرَارِكُمْ ﴿١٢﴾ قُلْ مَنْعِلُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ مِنْ أَنْفُقِي^[٣] .

ثُمَّ قَالَ : ﴿١٣﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ ﴿١٤﴾ ، أَيْ : يَمْنَعُكُمْ ، ﴿١٥﴾ مَنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَبْجُودُنَّ لَهُمْ مِنْ دُنْيَا وَلِيَّا وَلَا نَصِيرًا^[٤] ، أَيْ : لَيْسَ لَهُمْ وَلَا لِغَيْرِهِمْ مِنْ دُنْيَا مَجِيرًا وَلَا مَغِيْثًا^[٥] .

﴿١٦﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَاتِلِينَ لِإِخْرَاجِهِمْ هُلُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ أَبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفَ رَأَيْتُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدْوِرُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يَعْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسَّيْنَةِ حَدَادٌ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَلَاحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

١٩
يَسِيرًا

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ إِحْاطَةِ عِلْمِهِ بِالْمَعْوِقِينَ لِغَيْرِهِمْ عَنْ شَهُودِ الْحَرْبِ ، وَالْقَاتِلِينَ لِإِخْرَاجِهِمْ ، أَيْ أَصْحَابِهِمْ وَعُشَرَائِهِمْ وَخُلْطَائِهِمْ ﴿١٨﴾ هُلُمْ إِلَيْنَا^[٦] ، أَيْ : إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنِ الْإِقَامَةِ فِي الظَّلَالِ وَالشَّمَارِ ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ ﴿١٩﴾ لَا يَأْتُونَ أَبَاسًا إِلَّا قَلِيلًا أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ^[٧] أَيْ : بَخْلَاءُ بِالْمَوْدَةِ وَالشَّفَقَةِ عَلَيْكُمْ . وَقَالَ السَّدِيْدُ : ﴿٢٠﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ^[٨] أَيْ فِي الْغَنَائِمِ .

﴿٢١﴾ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفَ رَأَيْتُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدْوِرُ أَعْيُنِهِمْ كَالَّذِي يَعْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ^[٩] ، أَيْ : مِنْ شَدَّةِ خَوْفِهِ وَجْزَعِهِ ، وَهَكُذا خَوْفُ هُؤُلَاءِ الْجَنَانِ مِنِ الْقَتَالِ^[١٠] فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ

[١] - فِي ز ، خ : « فَسَرَهُ » .

[٢] - فِي ز ، خ : « فَسَرَهُ » .

[٣] - فِي خ ، ز : « مَعِينًا » .

سلقوكم **بِالْسَّنَةِ حَدَادٍ** ﴿٤﴾ ، أي : فإذا كان الأمن تكلموا كلاماً بليغاً فصيحاً عالياً ، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة ، وهم يكذبون في ذلك .

وقال ابن عباس : **﴿ سلقوكم ﴾** أي : استقبلوكم .

وقال قتادة : أما عند الغيبة فأشح قوم ، وأسوؤه مقاومة : أعطونا ، أعطونا ، قد شهدنا معكم . وأما عند البأس فأجبن قوم ، وأخذله للحق وهم مع ذلك أشحة على الخير ، أي : ليس فيهم خير ، قد جمعوا الحين والكذب وقلة الخير ، فهم كما قال في أمثالهم الشاعر :

أفي السلم أعياراً جفأة وغلظةٌ وفي الحزب أمثال النساء العوارك
أي : في حال المسالة كأنهم الخمير . والأعيار : جمع غير ، وهو الحمار . وفي الحرب كأنهم النساء الحيتضن ؛ ولهذا قال تعالى : **﴿ أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً ﴾** ، أي : سهلاً هيناً عنده .

يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَلِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْمًا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُورُنَّ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُرُنَّ عَنْ أَبَابِيكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا



وهذا أيضاً من صفاتهم القبيحة في الحين والخوف والخور ، **﴿ يَحْسِبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾** ، بل هم قريب منهم ، وإن لهم عودة إليهم **﴿ وَلِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْمًا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُورُنَّ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُرُنَّ عَنْ أَبَابِيكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾** .

وَلَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُشْوَى حَسَنَةٌ لِعَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَهُ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في أقواله وأفعاله وأحواله ؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ، صلى الله عليه وسلم ، يوم الأحزاب ، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه - عز وجل - صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ؛ ولهذا قال تعالى للذين [تقلقوا] وتضجروا ونزلزروا واضطربوا في

أمرهم يوم الأحزاب : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةً حَسَنَةٌ﴾ ، أي : هلا اقتديتم به وتأسيتم بسمائله ؟ ولهذا قال : ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكْرَ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ .

ثم قال تعالى مخبراً عن عباده المؤمنين الصدقين بموعد الله لهم ، وجعله العاقبة حاصلة لهم في الدنيا والآخرة ، فقال : ﴿وَمَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ .

قال ابن عباس وقتادة : يعنيون قوله تعالى في « سورة البقرة » : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجنةَ وَلَا يَأْتُكُمْ مِثْلُ الَّذِينَ خَلُوا مِنْ قَبْلِكُمْ مُسْتَهْمِنِي إِلَيْهِمُ الْإِيمَانُ وَالضَّرَاءُ وَزَلَّلُوا حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنْ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ أي هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابلاء والاختبار والامتحان الذي يعقب النصر قريب ؟ ولهذا قالوا^[١] : ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ .

وقوله : ﴿وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ ، دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم ، كما قاله جمهور الأئمة : إنه يزيد وينقص . وقد قررنا ذلك في أول « شرح البخاري » ، والله الحمد والمنة .

ومعنى قوله : ﴿وَمَا زَادُهُمْ﴾ ، أي : ذلك الحال والضيق والشدة ﴿إِلَّا إِيمَانًا﴾ بالله ، ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ أي : انتقاداً لأوامره ، وطاعة لرسوله .

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَمُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْرِيَ اللَّهُ الصَّدِيقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذَّبَ الْمُنَفِّقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾

لما ذكر عن المنافقين أنهم نقضوا العهد الذي كانوا عاهدوا الله عليه^[٢] لا يللون الأدباء - وصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد والميثاق و ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَم﴾ ، قال بعضهم : أجله . وقال البخاري : عهده ، وهو يرجع إلى الأول .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ، أي : وما غيروا عهد الله ، ولا نقضوه ولا بدلوه .

قال البخاري^(٣٧) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهرى ؛ قال : أخبرني خارجة

(٣٧) - صحيح البخاري في التفسير ، باب ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَمْ﴾ حديث (٤٧٨٤) ، =

[١] - في ت : « قال ». [٢] - سقط من : ز ، خ .

ابن زيد ابن ثابت ، عن أبيه قال : لما نسخنا المصحف فقذت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقرؤها ، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة بن ثابت الأنباري - الذي جعل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، شهادته بشهادة رجلين - : ﴿٦﴾ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴿٧﴾ .

انفرد به البخاري دون مسلم . وأخرجه أحمد في مسنده ، والترمذى والنمسائى - في التفسير من سننهما - من حديث الزهرى ، به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال البخارى أيضًا^(٣٨) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنباري ، حدثني أبي ، عن ثعامة ، عن أنس بن مالك قال : نری هذه الآية نزلت في أنس بن النضر : ﴿٨﴾ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴿٩﴾ . انفرد به البخاري من هذا الوجه ، ولكن له شواهد من طرق آخر ، قال الإمام أحمد^(٣٩) :

حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت قال : قال أنس : عَنِّي أَنْسَابِ النَّضْرِ شَعِيتُ بِهِ ، لَمْ يَشْهُدْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَوْمَ بَدْرٍ ، فَشَقَّ عَلَيْهِ وَقَالَ : أَوْلَى مَشْهُدِ شَهْدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، غَيْبَتْ عَنْهُ ، لَئِنْ أَرَانِي اللَّهُ مَشْهُدًا فِيمَا بَعْدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ . قَالَ : فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرُهَا ، فَشَهَدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَوْمًا^(١) أَحَدٌ ، فَاسْتَقْبَلَ سَعْدَ بْنَ مَعَازٍ فَقَالَ لَهُ أَنْسٌ : يَا أَبَا عُمَرٍ^(٢) ؟ أَنْسٌ ؟ وَأَهَا^(٣) لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجَدَهُ دُونَ أَحَدٍ ! قَالَ : فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّىٰ قُتُلُوا ، قَالَ : فَوُجِدُوا فِي جَسَدِهِ بَضْعًا^(٤) وَثَمَانُونَ مِنْ ضَرَبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ ، فَقَاتَلَ أَخْتَهُ - عَمْتِي الرَّبِيعَ بْنَ النَّضْرِ - : فَمَا عَرَفَ أَخِي إِلَّا بِيَنَاهُ . قَالَ : فَنَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿٦﴾ رَجُالٌ صَدَقُوا مَا

= وأطراfe عند البخارى في (٢٠٧) ، وأخرجه أحمد (٥) / (١٨٩، ١٨٨) والترمذى في تفسير القرآن باب : ومن سورة التوبه ، حديث (٤٠٤) ، والنمسائى في التفسير (٤٢١) من طريق الزهرى به .

(٣٨) - صحيح البخارى في التفسير ، باب ﴿٦﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ . . . ﴿٧﴾ الحديث (٤٧٨٣) .

(٣٩) - المسند (١٩٤/٣) ، وفيه قال أَحْمَدُ : ثَنَا بَهْزُ وَثَنَا هَاشِمٌ قَالَ : ثَنَا سَلِيمَانُ بْنُ الْمَغِيرَةِ فَذَكَرَهُ . وأخرجه مسلم في الإمارة ، حديث (١٩٠١) من طرق عن هاشم بن القاسم به .

وأخرجه مسلم في نفس الموضع ، حديث (١٩٠٣) ، والترمذى في التفسير ، باب : « ومن سورة الأحزاب » ، حديث (٣٢٠٠) ، والنمسائى في فضائل الصحابة (١٨٦) ، وفي التفسير (٤٢٢) من طريق سليمان بن المغيرة به .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « عمر » .

[٣] - وَاهَا : كَلْمَةٌ تَحْنَنُ وَتَلْهُفُ . وَالْقَائِلُ هُوَ أَنْسُ بْنُ النَّضْرِ .

[٤] - في ز ، خ : « بَضْعَةٌ » .

عاهدوا الله عليه فم منهم من قضى لجنه ومنهم من يتظاهر وما بدلوا تبديلاً ﴿٢﴾ قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه .

ورواه مسلم والترمذى والنمسائى ، من حديث سليمان بن المغيرة . ورواه النمسائى أيضاً وابن جرير ^(٤٠) ، من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، به نحوه .

وقال ابن أبي حاتم ^(٤١) : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا حميد ، عن أنس : أن عمه - يعني أنس بن النضر - غاب عن قتال بدر فقال : غيّث عن أول قتال قاتله رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، المشركين ، لعن الله أشهدني قتالاً للمشركين لعنة الله ما أصنع . قال : فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ، فقال : اللهم ، إني اعتذر إليك ما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبراً إليك مما جاء به هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فلم يمه سعد - يعني ابن معاذ - دون أحد ، فقال : أنا معك . قال سعد : فلم أستطع أن أصنع ما صنع . قال : فوجد فيه بضع وثمانون ضربة سيف ، وطعنة رمح ، ورمية سهم . وكانوا يقولون فيه وفي أصحابه : ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى لجنه وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَظَاهِرُ﴾ .

وأخرجه الترمذى في التفسير عن عبد بن حميد ، والنمسائى فيه أيضاً عن إسحاق بن إبراهيم ، كلامهما ، عن يزيد بن هارون ، به . وقال الترمذى : حسن .

وقد رواه البخارى ^(٤٢) في المغازى عن حسان بن حسان ، عن محمد بن طلحة بن مُصرّف ، عن حميد ، عن ^[١] أنس ، به . ولم يذكر نزول الآية .

ورواه ابن جرير ^(٤٣) من حديث المعتمر بن سليمان ، عن حميد ، عن أنس ، به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن الفضيل العسقلانى ، حدثنا سليمان بن أبوبن سليمان ابن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ، حدثني أبي ، عن جدي ، عن موسى بن طلحة ، عن أبيه طلحة قال : لما رجع النبي ، صلى الله عليه وسلم ، من أحد صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وعزّى المسلمين بما أصابهم ، وأخبرهم بما لهم فيه من الأجر والذخر ،

(٤٠) - أخرجه النمسائى في التفسير ^(٤٤٢) ، وأحمد ^(٤٢٢) ، وعبد بن حميد ^(٤٣٣) ، والطبرى من طريق حماد به .

(٤١) - الحديث أخرجه أحمد ^(٤٢٠) ، وعبد بن حميد ^(٤٣٩) ، والترمذى في التفسير ، باب : ومن سورة الأحزاب ، حديث ^(٤٣٠) ، والنمسائى في التفسير ^(٤٤٣) من طريق يزيد بن هارون به .

(٤٢) - صحيح البخارى في المغازى ، باب غزوة أحد ، حديث ^(٤٠٤٨) والحديث عند البخارى أيضاً في الجهاد والسير ، باب قول الله عز وجل ^{هـ} من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه حديث ^(٤٢٠٥) من طريق حميد الطويل به نحوه .

(٤٣) - تفسير الطبرى ^(٤٧١) .

[١] - في ز ، خ : « بن » .

ثم قرأ هذه الآية : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » الآية كلها . فقام إليه رجل^[١] من المسلمين فقال : يا رسول الله ، من هؤلاء ؟ فأقبلت وغلى ثوبان أخضر مئان فقال : « أيها السائل ، هذا منهم ». .

وكذا رواه ابن جرير^(٤٤) من حديث سليمان بن أبوب الطلحي به .

وأخرجه الترمذى في التفسير والمناقب أيضاً ، وابن جرير^(٤٥) ، من حديث يونس بن بكر ، عن طلحة بن يحيى ، عن موسى وعيسى ابني^[٢] طلحة ، عن أبيهما ، به . وقال : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث يونس .

وقال أيضاً^(٤٦) : حدثنا أحمد بن عاصم الأنباري ، حدثنا أبو عامر - يعني العقدي - حدثنا إسحاق - يعني ابن طلحة بن عبد الله - عن موسى بن طلحة قال : [دخلت على معاوية - رضي الله عنه - فلما خرجت دعاني فقال : ألا أضع عنك يا بن أخي حدبياً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد لسمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « طلحة من قضى نحبه ». .

ورواه ابن جرير^(٤٧) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبد الحميد الحناتي ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة الطلحي ، عن موسى بن طلحة قال^[٣] : قام معاوية بن أبي سفيان فقال : إني سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « طلحة من قضى نحبه ». .

ولهذا قال مجاهد في قوله : « فمنهم من قضى نحبه » ، قال : عهده ، « ومنهم من يتضرر » ، قال : يوماً فيه قتال فيصدق في اللقاء .

وقال الحسن : « فمنهم من قضى نحبه » ، يعني موته على الصدق والوفاء ، « ومنهم من يتضرر » الموت على مثل ذلك ، ومنهم من لم يبدل تبديلاً ، وكذا قال قتادة وابن زيد . و قال بعضهم : « نحبه » : نذره وقوله : « وما بدلوا تبديلاً » أي : وما غيروا عهدهم ، وبدلوا

(٤٤) - تفسير الطبرى (١٤٧/٢١).

(٤٥) - سنن الترمذى في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأحزاب ، حديث (٣٢٠٣) ، وفي المناقب ، باب : مناقب طلحة بن عبد الله حديث (٣٧٤٢) ، الطبرى (١٤٧/٢١) من طريق يونس بن بكر به .

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٣٩٩) ، وأبو يعلى في مستنه (٦٦٣) من طريق يونس به .

(٤٦) - سنن الترمذى في تفسير القرآن ، حديث (٣٢٠٢) ، وفي المناقب ، حديث (٣٧٤٠) وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٤٠١) وابن ماجه في المقدمة حديث (١٢٧، ١٢٦) من طريق إسحاق بن يحيى به .

(٤٧) - تفسير الطبرى (١٤٧/٢١) ، وانظر السابق .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « بن ». .

[٣] - ما بين المقوفين سقط من : خ ، ز .

الوفاء بالغدر ، بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه ، وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا : ﴿ إِنْ بَيْوَتْنَا عُورَةٌ وَمَا هِيَ بِعُورَةٍ إِلَّا فَرَازًا ﴾ ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ لَا يُولُونَ الْأَدْبَارَ ﴾ .

وقوله : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصَدْقِهِمْ وَيَعْذِبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، أي : إنما يختبر عباده بالخوف والزلزال فيميز^[١] الحديث من الطيب ، فيظهر أمر هذا بالفعل ، وأمر^[٢] هذا بالفعل . مع أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه ، ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم ، حتى يعملوا بما يعلمه فيهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلِبَلُونَكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَبَلُو أَخْبَارَكُمْ ﴾ فهذا علم بالشيء بعد كونه وإن كان العلم السابق حاصلاً به قبل وجوده . وكذا قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذْرُرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَبْيَضَ الْحَيْثُ مِنَ الطَّيْبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَطْعَلُكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصَدْقِهِمْ ﴾ ، أي : بصيرهم على ما عاهدوا الله عليه ، وقيامهم به ، ومحافظتهم عليه . ﴿ وَيَعْذِبُ الْمُنَافِقِينَ ﴾ ، وهم الناقضون لعهد الله ، المخالفون لأوامره ، فاستحقوا بذلك عقابه وعداهم ، ولكنهم تحت مشيتهم في الدنيا ، إن شاء^[٣] استمر بهم على ما فعلوه حتى يلقوه به فيعذبهم عليه ، وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى التزوع عن النفاق إلى الإيمان ، وعمل الصالحة بعد الفسق والعصيان^[٤] . ولما كانت رحمته ورأفته بخلقه هي الغالبة^[٥] لغضبه قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ .

وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَىَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَلْفَتَالًا

وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا



يقول تعالى مخبراً عن الأحزاب ، لما أجلهم عن المدينة ، بما أرسل عليهم من الريح والجنود الإلهية – ولو لا أن جعل الله رسوله رحمة للعالمين ؛ لكانـت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم على عاد ، ولكن قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَعْذِبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ ، فسلط عليهم هواء فرق شملهم ، كما كان سبب اجتماعهم من الهوى ، وهم أخلاقـط من قبائل شتى ، أحزاب وأراء ، فتناسب أن يرسل عليهم الهواء الذي فرق جماعـتهم ، وردهـم خائبين خاسرين بغيظـهم وحـنـقـهم ، لم يـنـالـوا خـيـرـاً لـا فـي الدـنـيـا ، مـا كـانـ في أـنـفـسـهـمـ من الظـفـرـ والمـغـنمـ ، ولا فـي الـآخـرـةـ مـا تـحـمـلـوهـ من الـآثـامـ فـي مـيـازـةـ الرـسـوـلـ ، صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، بـالـعـدـاوـةـ ، وـهـمـ بـقـتـلـهـ ، وـاستـصـالـ جـيـشـهـ . ومن هـمـ بـشـيءـ وـصـدـقـ هـمـ بـفـعـلـهـ فـهـوـ فـيـ الـحـقـيقـةـ كـفـاعـلـهـ .

[١] - في ت : « ليميز » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعقوفتين في ز ، خ : « إن » .

[٤] - في خ ، ز : « الغالية » .

[٥] - في خ ، ز : « الغالية » .

وقوله : ﴿ وَكُفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ القَتَالَ ﴾ ، أي : لم يحتاجوا إلى منازلتهم وبمارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم ؛ بل كفى الله وحده^[١] ، ونصر عبده ، وأعز جنده ؛ ولهذا قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ، صَدَقَ وَعْدُهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَأَعْزَجَ جَنَدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، فَلَا شَيْءٌ بَعْدَهُ » . أخرجاه من حديث أبي هريرة^[٤٨] .

وفي الصحيحين^[٤٩] من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : دعا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على الأحزاب فقال : « اللهم ، منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم ، اهزمهم وزلزلهم » .

وفي قوله : ﴿ وَكُفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ القَتَالَ ﴾ - إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش ، وهكذا وقع بعدها ، لم يغزهم المشركون بل غزاهم المسلمون في بلادهم .

قال محمد بن إسحاق^[٥٠] : لما انصرف أهل الخندق عن الخندق ؛ قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - : « لَنْ تَغْزُوكُمْ قُرَيْشٌ بَعْدَ عَامِكُمْ هَذَا ، وَلَكُمْ تَغْزِيَنَّهُمْ »^[٥١] . فلم تغز قريش بعد ذلك ، وكان هو يغزوهם بعد ذلك ، حتى فتح الله عليه مكة .

وهذا الحديث الذي ذكره محمد بن إسحاق ، حديث صحيح ، كما قال الإمام أحمد^[٥٢] : حدثنا يحيى ، عن سفيان حدثني أبو إسحاق قال^[٥٣] : سمعت سليمان بن صرد يقول : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يوم الأحزاب : « الآن نغزوهم ولا يغزونا » .

وهكذا رواه البخاري في صحيحه من حديث الثوري وإسرائيل عن أبي إسحاق به .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ ، أي : بحوله وقوته ، ردهم خائبين ، لم ينالوا

(٤٨) - صحيح البخاري في المغازى ، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب حديث (٤١١٣) ، وصحيح مسلم في الذكر والدعاء والتوبية والاستغفار ، حديث (٢٧٢٤) من طريق أبي سعيد المقرئ عن أبي هريرة .

(٤٩) - صحيح البخاري في الجهاد والسير ، باب : الدعاء على المشركين بالهزيمة والزللة ، حديث (٢٩٣٣) ، وفي المغازى ، باب غزوة الخندق ، حديث (٤١١٥) ، وفي الدعوات ، باب : الدعاء على المشركين ، حديث (٦٣٩٢) ، وفي التوحيد ، باب : قوله تعالى : ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمٍ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهُدُونَ ﴾ ، حديث (٧٤٨٩) ، ومسلم في الجهاد والسير ، باب : استحباب الدعاء والنصر عند لقاء العدو ، حديث (١٧٤١) من طريق إسماعيل بن أبي خالد به .

(٥٠) - سيرة ابن هشام (٢٠٦/٣) ورواية البيهقي في دلائل النبوة بسنده إلى ابن إسحاق .

(٥١) - المسند (٤/٢٦٢) ، (٦/٢٩٤) ، وأخرجه البخاري في المغازى ، باب غزوة الخندق ، حديث (٤١٠٩) من طريق عن أبي إسحاق به .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ : « تغزوهم » .

[٣] - سقط في : ز ، خ .

خيراً ، وأعز الله الإسلام وأهله ، وصدق وعده ، ونصر رسوله وعده ، فله الحمد والمنة .

وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِبِهِمْ وَقَدَّفَ فِي قُلُوبِهِمْ
الرُّغْبَ فِرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فِرِيقًا ٢٦ وَأَوْرَثُوكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيرَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْغَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ٢٧

قد تقدم أن بني قريظة لما قدمت جنود الأحزاب ونزلوا على المدينة ، نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من العهد ، وكان ذلك بسفارة حبيبي بن أخطب الأضربي - لعنه الله - دخل حصنهم ، ولم ينزل بسيدهم كعب بن أسد حتى نقض العهد ، وقال له فيما قال : ويحك . قد جئتكم بعذ الدهر ، أتيتك بقريش وأحابيشها ، وغطفان وأتباعها ، ولا يزالون هاهنا حتى يستأصلوا محمداً وأصحابه .

قال له كعب : بِلَ وَاللَّهِ أَتَيْتَنِي بِذِلِّ الدَّهْرِ ، وَيَحْكُ يَا حَبِي ، إِنَّكَ مُشَتَّمٌ ، فَدَعْنَا مِنْكَ .
فَلَمْ يَرِلْ يَفْتَلْ فِي التُّرْوَةِ وَالْغَارِبِ [١] حَتَّى أَجَابَهُ ، وَاشْتَرَطَ لَهُ حَبِي إِنْ ذَهَبَ الْأَحْزَابُ ، وَلَمْ
يَكُنْ مِنْ أَمْرِهِمْ شَيْءٌ ، أَنْ يَدْخُلَ مَعَهُمْ فِي الْحَصْنِ ، فَيَكُونُ لَهُ أَسْوَتُهُمْ ، فَلَمَا تَقْضَتْ قَرِيظَةُ ،
وَيَلْغُ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، سَاعَهُ ، وَشَقَّ عَلَيْهِ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ جَدًا ، فَلَمَّا
أَيْدَ اللَّهُ وَنَصَرَ ، وَكَبَتِ الْأَعْدَاءُ وَرَدَهُمْ خَائِبِينَ بِأَنْخَسِ صِفَقَةً ، وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى الْمَدِينَةِ مُؤْيَدًا مُنْصُورًا ، وَوَضَعَ النَّاسُ السَّلَاحَ ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَغْنِسُ مِنْ وَعْنَاءَ [٢] تَلْكَ الْمَرَابِطَةَ فِي بَيْتِ أَمْ سَلَمَةَ إِذْ تَبَدَّلُ لَهُ جَبَرِيلُ مَعْجَرًا [٣]
بِعَمَامَةِ مِنْ إِسْتِرِقَ ، عَلَى بَغْلَةِ عَلَيْهَا قَطْفَةِ دِيَاجَ ، قَالَ : أَوْضَعْتِ السَّلَاحَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ : « نَعَمْ » . قَالَ : لَكِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ تَضْعِ أَسْلَحَتَهَا ، وَهَذَا الآنَ رَجُوعِي مِنْ طَلَبِ الْقَوْمِ .
ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَنْهَضَ إِلَيَّ بَنِي قَرِيظَةَ - وَفِي رَوَايَةِ قَالَ لَهُ : عَذِيزُكَ مِنْ مَقَاتِلِ ،
أَوْضَعْتِ السَّلَاحَ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . قَالَ : لَكَنَا لَمْ تَضْعِ أَسْلَحَتَنَا بَعْدَ ، انْهَضْ إِلَى هُؤُلَاءِ ، قَالَ :
« أَيْنَ؟ » قَالَ : بَنِي قَرِيظَةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَمْرَنِي أَنْ أَزْلِزَ عَلَيْهِمْ . فَنَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ فَوْرِهِ ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْمَسِيرِ إِلَيْ بَنِي قَرِيظَةَ ، وَكَانَتْ عَلَى أَمْيَالِ مِنَ الْمَدِينَةِ ،
وَذَلِكَ بَعْدَ صَلَاةِ الظَّهَرِ ، وَقَالَ : « لَا يَصْلِيْنَ أَحَدًا مِنْكُمُ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قَرِيظَةَ » [٤] .

[٥٢) - روى ذلك عن البيهقي في دلائل النبوة (٤/٨، ٧/٨) من حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن عممه عبد الله بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه الأمة =

[١] - الغارب : مُقَدَّمُ الشَّتَّامِ ، وَالدُّرُّوْرَ أَعْلَاهُ . أَرَادَ أَنَّهُ مَا زَالَ يَخَادِعُهُ وَيَنْطَلِفُهُ حَتَّى وَافَقَهُ .

[٢] - الوعناء : المشقة والتعب .

[٣] - في ت : « مَعْجَرًا » . والمعجم بالعمامة : هو أَنْ يَلْفَهَا عَلَى رَأْسِهِ وَيَرْدَ طَرْفَهَا عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَا يَعْمَلُ مِنْهَا شَيْئًا تَحْتَ ذَفْنَهِ . النَّهَايَةَ [٣/١٨٥] .

فسار الناس ، فأدركتهم الصلاة في الطريق ، فصلّى بعضهم في الطريق وقالوا : لم يرد منا رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم ، إلا تعجّيل السير ، وقال آخرون : لا نصلّيها إلا في بني قريظة . فلم يُعْتَنَفْ واحداً من الفريقين . وتبعهم رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم ، وقد استختلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وأعطى الرأيّة لعليّ بن أبي طالب .

ثم نازلهم رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم ، وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، فلما طال عليهم الحال نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس ، لأنّهم كانوا حلفاءهم في المهاجرة ، واعتقدوا أنّه يحسن إليهم في ذلك ، كما فعل عبد الله بن أبي ابن سلول في مواليه بني قينقاع ، حين استطلقهم من رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فظنّ هؤلاء أنّ سعداً سي فعل فيهم كما فعل ابن أبي في أولئك ، ولم يعلموا أنّ سعداً - رضي الله عنه - كان قد أصابه سهم في أكحله أيام الخندق ، فكواه رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - في أكحله ، وأنزله في قبة في المسجد ليعوده من قريب .

وقال سعد فيما دعا به ، اللهم ، إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقي لها . وإن كنت وضعست الحرب بيننا وبينهم ، فافجرها ولا تختفي حتى تُغَرِّ عيني من بني قريظة . فاستجابة لله دعاه ، وفَدَرَ عليهم أن نزلوا على حكمه باختيارهم طلبًا^[١] من تلقاء أنفسهم ، فعند ذلك استدعاه رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم ، من المدينة ليحكم فيهم ، فلما أقبل وهو راكب [على حمار]^[٢] قد وطّروا له عليه ؛ جعل الأوس يلوذون به ويقولون : يا سعد ؛ إنّهم مواليك ، فأحسن فيهم ، ويرفقونه^[٣] عليهم ويعطفونه ، وهو ساكت لا يرد عليهم ، فلما أكثروا عليه قال : لقد آن لسعد أن لا تأخذنـه في الله لومة لائم . فعرفوا أنه غير مستيقيم . فلما دنا من الخيمة التي فيها رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم ، قال رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم : « قوموا إلى سيدكم » . فقام إليه المسلمون ، فأنزلوه إعظاماً وإكراماً واحتراماً له في محل ولايته ، ليكون أفندي لحكمه فيهم ، فلما جلس قال له رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم : « إن هؤلاء - وأشار إليهم - قد نزلوا على حكمك ، فاحكم فيهم بما شئت » . قال : وحكمي نافذ عليهم ؟ قال : « نعم » . قال : وعلى من في هذه الخيمة ؟ قال : « نعم » . قال : وعلى من هاهنا . وأشار إلى الجانب الذي فيه رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم ، وهو معرض بوجهه عن رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم ، إجلالاً وإكراماً وإعظاماً ، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « نعم » . فقال : إني أحكم أن تقتل مقاتلتهم ، وتسبّ ذريتهم وأموالهم . فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة

= واغتسل . . . بالحديث وأصل القصة في البخاري كتاب المغازي ، حديث (٤١٢٢) من حديث عائشة .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ت : « يرافقونه » .

أرقعة » وفي رواية : « لقد حكمت بحكم الملك » ^(٥٣) .

ثم أمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بالأحاديد فُحْدُثَ في الأرض ، وجيء بهم مكتفين ، فضرب أعناقهم ، وكانتوا ما بين السبعمائة إلى الشمامائة ، وسيئ من لم يتب منهم مع النساء ، وأموالهم . وهذا كله مقرر مفصّل بأدله وأحاديثه وبسطه في كتاب السيرة ، الذي أفردناه موجزاً ومختصاً ، ولله الحمد والمنة .

ولهذا قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوْهُمْ ﴾ ، أي : عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ يعنيبني قريطة من اليهود ، من بعض أسباطبني إسرائيل ، كان قد نزل آباءُهم الحجاز قديماً ، طمّعاً في اتباع النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل ، ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ فعليهم لعنة الله .

وقوله : ﴿ مِنْ صِيَاصِيهِمْ ﴾ يعني : حصونهم . كذا قال مجاهد وعكرمة ، وعطاء والسدي ، وقناة ، وغيرهم ، ومنهم سميت صياصي البقر ، وهي قرونها لأنها أعلى شيء فيها ﴿ وَقَدْفَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَهُ ﴾ ، وهو الحرف ؛ لأنهم كانوا مالقاً المشركين على حرب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وليس من يعلم كمن لا يعلم ، فأخافوا المسلمين وراموا قتلهم ليعززوا [في الدنيا] ^(١) ، فانعكّس عليهم الحال ، وانقلب الفال ، انشعر المشركون ففازوا بصفقة المغلوبين ، فكما راموا العز أذلوا ^(٢) ، وأرادوا استحصال المسلمين فاستحصلوا ، وأضيف إلى ذلك شقاوة الآخرة ، فصارت الجملة أن هذه هي الصفة الخاسرة ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فَرِيقًا تَقْتَلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ ، فالذين قتلوا هم المقاتلة ، والأسراء هم الأصغر والنساء .

قال الإمام أحمد ^(٥٤) : حدثنا هشيم بن بشير ، أخبرنا عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظي قال : عرضت على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يوم قريطة فشكوا في ، فأمر بي النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أن ينظروا : هل أنت بعد ؟ فنظروا فلم يجدونني أنت [بعد] ^(٣) . فخلت عني وألحقني بالسيسي .

١٩٣/٣ - السيرة النبوية (٥٣) .

(٥٤) - المسند (٤/٣٨٣)، (٥/٣١)، وأنترجه أحمد (٤/٣٨٣، ٣٨٣/٥)، وأبو داود في الحدود ، باب : في الغلام يصيب الحد ، حديث (٤٤٠٤، ٤٤٠٥)، والترمذى في السير ، باب في التزول على الحكم ، حديث (٦/١٥٨٤)، والسائلى في الطلاق ، باب : متى يقع طلاق الصبي (٦/١٥٥)، وفي قطع السارق ، باب حد البلوغ (٨/٩٢)، وابن ماجه في الحدود ، باب : من لا يجب عليه الحد ، حديث (٤١/٢٥٤٢) من طرق عن عبد الملك بن عمير ^٤ .

[١] - ما بين المعقوفين سقط من : خ .

[٢] - في ت : « ذلوا » .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من ت .

وكذا رواه أهل السنن كلهم من طرق ، عن عبد الملك بن عمير ، به . وقال الترمذى :
حسن صحيح .

ورواه النسائي ^(٥٥) أيضاً ، من حديث ابن جرير ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن عطية ، بنحوه .

وقوله : « وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم » ، أي : جعلها لكم من قتلكم لهم
« وأرضاً لم تطئوها » ، قيل : خبيث . وقيل : مكة . رواه مالك ، عن زيد بن أسلم ، وقيل :
فارس والروم . وقال ابن جرير : يجوز أن يكون الجميع مراداً .

« وكان الله على كل شيء قدراً » قال الإمام أحمد ^(٥٦) :

حدثنا يزيد ، أخبرنا محمد بن عمرو ، عن أبيه ، عن جده علقمة بن وقاص قال : أخبرتني
عائشة قالت : خرجت يوم الخندق أقفو الناس ، فسمعت وَيَدَهُ ^[١] [٢] الأرض ورأي ، فإذا أنا
بسعد ابن معاذ ^[٣] [٤] معه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه ، قالت : فجلست إلى الأرض
فمر سعد وعليه درع من حديد ^[٤] [٥] قد خرجت منه أطراقه ، فأنأ أخوف على أطراف سعد ،
قالت : وكان سعد من أعظم الناس وأطلولهم ، فمر وهو يرتجز ويقول :

ليت قليلاً ^[٥] يشهد الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل !

قالت : فقمت فاقتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين ، وإذا فيها عمر بن الخطاب ،
وفيهم رجل عليه تشيبة ^[٦] [٧] له - تعنى المفتر - فقال عمر : ما جاء بك ؟ لعمري والله إنك
لحربي ^[٨] ، وما يؤمنك أن يكون بلاء أو ^[٩] يكون تهوز ^[١٠] . قالت : فما زال يلومني حتى

(٥٥) - سنن النسائي الكبير ، كتاب السير ، باب : حد الإدراك حديث (٨٦١٩) ، وأخرجه الحميدى
(٨٨٩) عن سفيان عن ابن أبي نجح عن مجاهد قال : سمعت رجلاً في مسجد الكوفة يقول : كنت يوم
كلم سعد ابن معاذ في بني قريظة غلاماً فشكوا في ، فنظروا إلى فلم يجدوا المواس جرت على فاستبقيت .

(٥٦) - المسند (٦/١٤١-١٤٢) ، وانظر التالي .

[١] - في ز ، خ : « وير » .

[٢] - الويد : صوت شديدة الوطء على الأرض يُشْتَعِنُ كالدُّويِّ من يُقْدِ .

[٣] - سقط في : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « حدیث » .

[٥] - مكررة في خ ، ز .

[٦] - جاء في المعجم الوسيط (سبيغ) : تسبيحة الخوزة : ما توصل به من حلائق الدروع فتسير العنق .

[٧] - في ز رسمت هكذا : « نخرية » وفي خ : تحرير ^[٩] [٨] - في ز : « أَنْ » .

[٨] - قال ابن الأثير [٤٥٩/٥] : هو من قوله تعالى : « أو متخيزاً إلى فته ^[٧] أي منضماً إليها .

[٩] - قال ابن الأثير [٤٥٩/٥] : هو من قوله تعالى : « أو متخيزاً إلى فته ^[٧] أي منضماً إليها .

تمنيت أن الأرض انشقت بي^[١] ساعيئذ ، فدخلت فيها . فرفع الرجل التسبعة^[٢] عن وجهه ، فإذا هو طلحة بن عبيد الله فقال : يا عمر ، ويحك ! إنك قد أكثرت منذ اليوم ، وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله تعالى ؟ قالت : ويرمي سعداً رجل من قريش ، يقال له : ابن العرققة بسهم له وقال له : خذها وأنا ابن العرققة ! فأصاب^[٣] أكحله فقطعه ، فدعا الله سعد فقال : اللهم ؛ لا تمني حتى تُثْرِ عيني من قريظة . قالت : وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية ، قالت : فرقا^[٤] كُلُّهُ ، وبعث الله الريح على المشركين ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً . فلحق أبو سفيان ومن معه بهامة ، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بتجدد ، ورجعت بنو قريظة فتحصنتوا في صياصيهم ، ورجع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى المدينة وأمر بقبة من أدم فضررت على سعد في المسجد ، قالت : فجاءه جبريل - عليه السلام - وإن على ثناياه لنفع الغبار ، فقال : أو قد وضعت السلاح ؟ لا ، والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح ، اخرج إلىبني قريظة فقاتلهم . قالت^[٥] : فليس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوها ، [فخرج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم]^[٦] ، فمر على بنى غنم^[٧] وهو جيران المسجد حوله ، فقال : من مر بكم ؟ قالوا : من بنا دحية الكلبي - وكان دحية الكلبي تشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل - عليه الصلاة والسلام - فتأتهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، فلما استد حصارهم واشتد البلاء قيل لهم : انزلوا على حكم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر ، فأشار إليهم أنه الذي ينزل على حكم سعد بن معاذ^[٨] . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « انزلوا على حكم سعد بن معاذ^[٩] » . فأذروا وبعث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى سعد بن معاذ^[١٠] فأتى به على حمار عليه إكاف^[١١] من ليف قد حمل عليه ، وخف به قومه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، حلفاؤك ومواليك وأهل التكالبة^[١٢] ومن قد علمت . قالت : ولا يزوجن إليهم شيئاً ، ولا يلتفت إليهم ، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال : قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم ، قال : قال أبو سعيد : فلما طلع قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « قوموا إلى سيدكم فأنزلوه ». فقال عمر : سيدنا الله . قال : « أنزلوه ». فأنزلوه ، قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « أحكم فيهم ». قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وتسبى ذرائهم ، وتقسم أموالهم ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

[١] - في ز ، خ : « لي » .

[٢] - في ز ، خ : « المسبحة » .

[٣] - في ز ، خ : « فأصابات » .

[٤] - رقا الدم : سكن وجف وانقطع بعد جريانه . والكلم : الحرج .

[٥] - في ز ، خ : « قال » .

[٦] - ما بين المكوفين سقط من : خ ، ز .

[٧] - في خ ، ز : « تميم » .

[٨] - الإكاف : البرذعة التي توضع على ظهر الحمار . [٩] - في ز ، خ : « الكتابة » .

«لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله». ثم دعا سعد فقال : اللهم ؟ إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقي لها ، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقضني إليك . قال : فانفجر كُلُّه ، وكان قد برأ منه إلا مثل الخُرُص^[١] ، ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

قالت عائشة : فَخَضَرَه^[٢] رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبوا^[٣] بكر ، وعمر .
قالت : فوالذي نفس محمد بيده ، إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر ، وأنا في حجرتي ، وكانوا كما قال الله تعالى : ﴿ رَحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ ﴾ .

قال علامة : قلت : أني أمه ؟ فكيف^[٤] كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يصنع ؟
قالت : كانت عينه لا تدمع على أحد ، ولكنه كان إذا وجد فلاناً هو آخذ بلحيته .

وقد أخرج البخاري ومسلم^[٥] من حديث عبد الله بن نمير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة نحوـ من هذا ، ولكنـه^[٦] أخصـرـ منه ، وفيـه دعـاءـ سـعدـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ .

يَتَأَمَّلُهَا النَّقْرُ قُلْ لِأَزْوَجِكَ إِنْ كُنْتُنَ تُرِدُّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِيَّنَتْهَا فَنَعَالَيْنَ
أَمْتَعَكُنَّ وَأَسْرِيَكُنَّ سَرَّاً حِيلًا ﴿٢٨﴾ وَلَنْ كُنْتُنَ تُرِدُّنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ
الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

هذا أمر من الله لرسوله^[٧] ، صلى الله عليه وسلم ، بأن يُخْيِر نساعه بين أن يفارقهـنـ ، فيذهبـنـ إلىـ غيرـهـ منـ يـحـصـلـ لـهـنـ [منـ]ـ عنـهـ الـحـيـاـةـ الـدـنـيـاـ وـزـيـّـنـهـاـ فـنـعـالـيـنـ
منـ ضـيقـ الـحـالـ ، وـلـهـنـ عـنـدـ اللـهـ فـيـ ذـلـكـ التـوـابـ الـجـزـيلـ :ـ فـاخـترـنـ -ـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ
أـرـضـاهـنـ -ـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ وـالـدـارـ الـآخـرـةـ ،ـ فـجـمـعـ اللـهـ لـهـنـ بـعـدـ ذـلـكـ بـيـنـ خـيرـ الـدـنـيـاـ وـسـعـادـةـ
الـآخـرـةـ .

(٥٧) - صحيح البخاري في المغازى ، باب فرج النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخوجه إلى بني قريظة ، حديث (٤١٢٢) ، ومسلم في الجهاد والسير ، باب : إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، حديث (١٧٦٩) من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة .

[١] - الخرص : الحلقة الصغيرة من الذهب أو الفضة . [٢] - في ز ، خ : « ويحضره » .

[٣] - في ز ، خ : « أني » .

[٤] - في ز ، خ : « كيف » .

[٦] - في ز ، خ : « رسوله » .

[٥] - في ز ، خ : « لكن » .

قال البخاري ^(٥٨) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، قال ^[١] : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبرته : أن رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم جاءها حين أمره الله أن يخیر أزواجه ، فبدأ بي رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم فقال : « إِلَيْكَ ذَاكِرَ لَكَ أُمْرًا ، فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَعْجِلَ حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبْوِيْكَ ». وقد علم أن أبيي لم يكونا يأمراني بفراقه ، قالت : ثم قال : إن الله قال : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَا زَوْاجَكَ إِلَى تَمَامِ الْآيَتِينَ » ، فقلت له : ففي أي هذا استأمر أبيي ، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ؟

وكذا رواه معلقاً عن الليث : حدثني يونس ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن عائشة ، فذكره وزاد ، قالت : ثم فعل أزواج النبي صلی اللہ علیہ وسلم مثل ما فعلت ^(٥٩) .

وقد حكى البخاري أن معمرًا اضطرب ، فتارة رواه عن الزهري ، عن أبي سلمة ، وتارة رواه عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة .

وقال ابن جرير ^(٦٠) : حدثنا أبو عبد الله الصبي ، حدثنا أبو عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه قال : قالت عائشة : لما نزل الخيار قال لي رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم : « إِلَيْكَ ذَاكِرَ لَكَ أُمْرًا ، فَلَا تَقْضِي فِيهِ شَيْئًا حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبْوِيْكَ ». قالت : قلت : وما هو يا رسول الله ؟ قال ^[٢] : فردها عليها فقالت : بما هو يا رسول الله ؟ قالت : فقرأ عليها : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَا زَوْاجَكَ إِنْ كُنْتَ تَرْدَنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِزْقَهَا » إلى آخر الآية ، قالت : قلت : بل تختر الله ورسوله والدار الآخرة . قالت : ففرح بذلك النبي صلی اللہ علیہ وسلم .

وحدثنا ابن وكيع ^(٦١) ، حدثنا محمد بن بشر ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : لما نزلت آية التخدير ، بدأ بي رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم ، فقال : « يَا عائشة ؛ إِنِّي عَارِضُ عَلَيْكَ أُمْرًا ، فَلَا تَفْتَأِرِي فِيهِ بَشِيءٌ ^[٣] حَتَّى تَعْرِضِيهِ عَلَى أَبْوِيْكَ أَبْيِ بَكْرٍ وَأُمِّ رُومَانَ ». قلت : يا رسول الله ؛ وما هو ؟ قال : قال الله عز وجل :

(٥٨) - صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب : « قُلْ لَا زَوْاجَكَ إِنْ كُنْتَ تَرْدَنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . . . » . . . حديث (٤٧٨٥) ، وأخرجه مسلم في الطلاق ، حديث (١٤٧٥) من طريق يونس بن يزيد عن الزهري به .

(٥٩) - صحيح البخاري في التفسير ، باب : « إِنْ كُنْتَ تَرْدَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْدَ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْ كُنْ أَجْرًا عَظِيمًا ». . .

(٦٠) - تفسير الطبرى (١٥٧/٢١) ، وأخرجه أحمد (١٥٢،٧٧/٦) من طريق أبي عوانة به .

(٦١) - تفسير الطبرى (١٥٨/٢١) ، وأخرجه أحمد (٢١١/٦) عن محمد بن بشر به .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ز ، خ : « قالت » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزبتهما ففعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلاً وإن كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم أجراً عظيماً ﴾ . قالت : فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ، ولا أوامر في ذلك أبوي أبا بكر وأم رومان ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقرأ الحجر فقال : « إن عائشة قالت كذا وكذا » . فقلن : ونحن نقول مثل ما قالت عائشة . رضي الله عنهن كلهن .

ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبي سعيد الأشجع ، عن أبيأسامة ، عن محمد بن عمرو ، به .

قال ابن جرير ^(١) : وحدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، حدثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة ، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل إلى نسائه أمر أن يخирهن ، فدخل عليّ فقال : « سأذكر لك أمراً فلا تعجلني حتى تستشيري أباك » : فقلت . وما هو يا نبي الله؟ قال : « إني أمرت أن أخierكن » ، وتلا عليها آية التخدير ، إلى آخر الآيتين . قالت : فقلت : وما الذي تقول لا تستعجلني ^[١] حتى تستشيري أباك ؟ فإني اختار الله ورسوله . فَيَشَرِّبُ بِذَلِكَ ، وَغَرَضُ عَلَى نِسَاءِ فَتَابَعْنَاهُ كُلُّهُنَّ ، فاخترن الله ورسوله .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يزيد بن سنان البصري ، حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح ، حدثني الليث ، حدثني ثقييل ، عن الزهرى ، أخبرنى عبيد الله بن [عبد الله بن] ^[٢] أبي ثور ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قالت عائشة - رضي الله عنها - : أزلت آية التخدير ، فبدأ بي أول امرأة من نسائه ، فقال : إني ذاكر لك أمراً ، فلا عليك أن لا تعجلني حتى تستأمرني أبويك » . قالت : قد علِمْتُ أن أبوي لم يكونا يأمراني برفقه . قالت : ثم قال : إن الله قال : « يا أيها النبي قل لأزواجك ... » الآيتين . قالت عائشة : فقلت : أفي هذا استأمر أبوي ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة . ثم خير نساعه كلهن ، فقلن مثل ما قالت عائشة رضي الله عنهم .

وأنخرجه البخاري ومسلم جميماً ^(٣) عن قتيبة عن الليث عن الزهرى عن عروة عن عائشة مثله .

وقال الإمام أحمد ^(٤) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن مسلم بن صبيح ، عن

^(١) - تفسير الطبرى (٢١/١٥٨) .

^(٢) - لم أجده بهذا الإسناد فيما ، ولا ذكره الحافظ المزي في تحفة الأشراف .

^(٣) - المسند (٦/٤٥، ٤٧، ٤٨) ، وأنخرجه البخاري في الطلاق باب : من خير أزواجها ، حديث (٥٢٦٢) ، ومسلم في الطلاق حديث (٢٨) (١٤٧٧) من طريق الأعمش به .

^[١] - في ت : « تعجلني » .

^[٢] - سقط في : ز ، خ .

مسروق ، عن عائشة قالت : خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ، فلم يعدها علينا شيئاً . أخرجاه من حديث الأعمش .

وقال الإمام أحمد^(٦٥) : حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ، حدثنا زكريا بن إسحاق ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : أقبل أبو بكر - رضي الله عنه - يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والنبي صلى الله عليه وسلم جالس . فلم يؤذن له . ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له . ثم أذن لأبي بكر وعمر فدخلوا ، والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نساوه ، وهو ساكت ، فقال عمر : يا رسول الله ؛ لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سأئتي النفقة آنفًا ، فضحك ، فقال عمر : يا رسول الله ؛ لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سأئتي النفقة آنفًا ، فوجئت غنقتها ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدا تاجنه . وقال : « هن حولي يسألنني النفقة » . فقام أبو بكر رضي الله عنه إلى عائشة ليضربيها ، وقام عمر - رضي الله عنه - إلى حفصة ، كلامهما يقولان : تسألان النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده ! فتهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن نساوه : والله لا نسأل رسول الله بعد هذا المجلس ما ليس عنده . قال : وأنزل الله - عز وجل - الخيار ، فبدأ بعائشة فقال : « إني أذكر لك أمراً ما أحب أن تعجل في فيه حتى تستأمرني أبيك » . قالت : وما هو ؟ قال : فتلا عليها : « يا أيها النبي قل لأزواجك ... الآية . قالت عائشة - رضي الله عنها - : أفيك استأمر أبي ؟ بل اختار الله ورسوله ، وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت . فقال : « إن الله تعالى لم يعشني معيًّا ، ولكن يعشني معلمًا ميسراً ، لا تسألني امرأة منهم عمما اخترت إلا أخبرتها » . انفرد بإخراجه مسلم^(٦٦) دون البخاري ، فرواه هو والنسائي ، من حديث زكريا بن إسحاق المكي به .

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد^(٦٧) : حدثنا سريج^(٦٨) بن يونس ، حدثنا علي بن هاشم بن البريد ، عن محمد بن عبيد [الله بن علي^(٦٩)] بن أبي رافع ، عن عثمان بن علي بن الحسين ،

(٦٥) - المسند (٣٢٨/٣) ، وأخرجه مسلم في الطلاق ، حديث (١٤٧٨) ، والسawai في الكبرى كتاب عشرة النساء ، باب : إذا لم يجد الرجل ما ينفق على امراته هل يخير امرأته ، حديث (٩٢٠٨) من طريق زكريا بن إسحاق به .

(٦٦) - المسند (٢٨/١) ، وأخرجه في نفس الموضع عن يحيى بن أبوب عن علي بن هاشم به . ومحمد بن عبد الله أبي رافع منكراً الحديث وقد وقع اسمه في جميع النسخ « محمد بن عبد الله بن أبي رافع » والصواب « عبد الله أبي رافع » بدون (ابن) وهو منكراً الحديث ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري (١٧١/١) ، وانظر تعليق العلامة أحمد شاكر على المسند (٣٠/٢) حديث (٥٨٩،٥٨٨) .

[٦٢] - في ز ، خ : « شريح » .

[٦١] - سقط في : ز ، خ .

[٦٣] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

عن أبيه ، عن علي رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خَيَّر نساء الدنيا والآخرة ، ولم يخرين الطلاق .

وهذا منقطع ، وقد رُوي عن الحسن وقتادة وغيرهما نحو ذلك . وهو خلاف الظاهر من الآية ، فإنه قال : ﴿فَتَعَالَى مِنْكُنَّ أَمْتَعْكُنْ وَأَسْرَحْكُنْ سَرَاخًا جَمِيلًا﴾ أي : أعطيكن حقوقكن ، وأطلق سراحكن .

وقد اختلف العلماء في جواز تزويع غيره لهن لو طلقهن ، على قولين ، وأصحهما : نعم لو وقع ، ليحصل المقصود من السراح ، والله أعلم .

قال عكرمة : وكان تخته يومئذ تسع نسوة ، خمس من قريش : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وسودة ، وأم سلمة ، وكانت تخته صلى الله عليه وسلم صافية بنت حتّي النضرية ، وميمونة بنت الحارث الهمالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية ، رضي الله عنهن وأراضاهن .

يَنِسَاءَ الَّتِي مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ يُفَحِّشُهُ مُبِينَةً يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ
ضَعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ٢٠ ◊ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتَعْمَلْ صَنْلِحًا ثُتُّبَتْهَا أَجْرَهَا مَرَرَيْنِ وَاعْتَدَنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ٢١ ◊

يقول تعالى واعظاً نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، واستقر أمرهن تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبرهن^[١] بحكمهن دون سائر النساء ، لأن^[٢] من يأت منهن بفاحشة مبينة - قال ابن عباس : وهي التشوز وسوء الخلق - وعلى كل تقدير فهو شرط ، والشرط لا يقضى الواقع ، كقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتِ لِيَحْبِطَ عَمَلَكَ﴾ ، وك قوله : ﴿وَلَوَا أَشْرَكُوا لَهُبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فـ قـلـ إـنـ كـانـ لـلـرـحـمـنـ وـلـدـ فـأـلـأـوـلـ العـابـدـيـنـ ﴿وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَخَذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سَبَحَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ فـلـمـ كـانـ مـحـلـتـهـنـ رـفـعـةـ ، نـاسـبـ أـنـ يـجـعـلـ الذـنـبـ لـوـ وـقـعـ مـنـهـ مـغـلـظـاـ ، صـيـانـةـ لـجـنـابـهـنـ وـحـجـابـهـنـ الرـفـعـ ؛ وـلـهـذاـ قـالـ : ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَ بِفَاحشَةٍ مَبِينَةٍ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضَعْفَيْنِ﴾ . قال مالك عن زيد ابن أسلم : ﴿يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضَعْفَيْنِ﴾ . قال : في الدنيا والآخرة .

وعن ابن أبي نجيح ، [عن مجاهد^[٣] مثله .

[١] - في ز ، خ : « يخترن » .

[٢] - ما بين المukoتفين سقط من : خ ، ز .

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يُسِرًا﴾ أي : سهلاً هيئاً ثم ، ذكر عده وفضله في قوله : ﴿وَمَنْ يَقْتَنِنَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ، أي : يطعن^[١] الله ورسوله ويستجيب[﴾] نعمتها أجراها مرتين وأعدنا لها رزقاً كريماً[﴾] ، أي : في الجنة ، فإنهن في منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في أعلى علين ، فوق منازل جميع الخالقين ، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش .

يَنِسَاءَ الَّتِي لَسْتَنَ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنْ أَنْقَنْتَنَ فَلَا تَخْضُنَ بِالْقَوْلِ فَيُطْمَعُ
الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرَنَ فِي بَيْوِتِكُنَّ وَلَا تَبْرُجْ
تَبْرُجَ الْجَهَلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقْمَنَ الْأَصْلَوَةَ وَأَنْتَنَ الرَّكْوَةَ وَأَطْعَنَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَهِّبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطْهِرُكُمْ
نَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرْنَ مَا يُشَلَّ فِي بَيْوِتِكُنَّ مِنْ إِيمَانِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ
الَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا ﴿٣٤﴾

هذه آداب أمر الله بها نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، ونساء الأمة تبع لهن في ذلك ، فقال مخاطباً نساء النبي بأنهن إذا اتقنن الله كما أمرهن ، فإنهن^[٢] لا يشبههن أحد من النساء ، ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة ، ثم قال : ﴿فَلَا تَخْضُنَ بِالْقَوْلِ﴾ . قال السدي وغيره : يعني بذلك ترقق الكلام إذا خطبن الرجال ، ولهذا قال : ﴿فَيُطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ ، أي : دَغْلٌ ، ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ قال ابن زيد : قولًا حسنًا جميلاً معروفاً في الخير ، ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترهيم ، أي : لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها .

وقوله : ﴿وَقَرَنَ فِي بَيْوِتِكُنَّ﴾ ، أي : الزمن بيونكن فلا تخرجن لغير حاجة . ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ، وليخرون وهن تفلاث)^[٣] . وفي رواية : «ويوبهن خير لهن»^[٤] .

[٦٧] - أخرجه أحمد (٥٢٨، ٤٧٥، ٤٣٨/٢) ، وأبو داود في الصلاة ، باب : ما جاء في خروج النساء إلى المسجد ، حدث (٥٦٥) والدارمي (١٢٨٢) ، وابن خزيمة (١٦٧٩) من طرق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به مرفوعاً .

[١] - في ت : «يطعن» .

[٢] - في ت : «فأنه» .

[٣] - غير معطرات .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا حميد بن مسعدة^[١] ، حدثنا أبو رجاء الكلبي : روح بن المسيب - ثقة - حدثنا ثابت البناني ، عن أنسٍ - رضي الله عنه - قال : جئن النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن : يا رسول الله ؛ ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى ، فمالنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قعد - أو كلمة نحوها - من肯 في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهد^[٢] في سبيل الله ». .

ثم قال : لا نعلم رواه عن ثابت إلا روح بن المسيب وهو رجل من أهل البصرة مشهور .
وقال البزار^(٦٨) أيضًا : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا عمرو بن عاصم ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن مورق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن المرأة عورة ، فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون بروحها ربها وهي في قعر بيتها ». .

ورواه الترمذى عن بندار عن عمرو بن العاص به نحوه .

وروى البزار بإسناده المتقدم ، وأبوداود أيضًا^(٦٩) ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « صلاة المرأة في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها ، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها ». وهذا إسناد جيد .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُبَرِّجْنَ تَبْرِيجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ ، قال مجاهد : كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال ، فذلك تبرج الجاهلية .

وقال قتادة : ﴿ وَلَا تُبَرِّجْنَ تَبْرِيجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ يقول : إذا خرجن من بيوتكن - وكانت لهن مشية وتتسرب وتنجع^[٣] - فنهى الله عن ذلك .

= وروى أوله البخارى في صحيحه في الجمعة ، حديث (٩٠٠) ، ومسلم في الصلاة ، حديث (٤٤٢)
(١٣٦) من حديث عبد الله بن عمر ، والرواية الثانية : « وبيوتهن خير لهن » عند أبي داود في الصلاة ، باب ما جاء في خروج النساء إلى المسجد ، حديث (٥٦٧) من حديث ابن عمر .

(٦٨) - مسند البزار (٢٠٦١) وأخرجه الترمذى في الرضاع ، باب : (١٨) ، حديث (١١٧٣) عن محمد ابن بشار عن عمرو بن العاص به مختصرًا ، وأخرجه ابن خزيمة (١٦٨٥) عن أبي موسى عن عمرو بن العاص به .

(٦٩) - مسند البزار (٢٠٦٠) ، وسنن أبي داود في الصلاة ، باب : التشديد في ذلك ، حديث (٥٧٠) عن ابن المثنى بإسناد البزار السابق . وأخرجه ابن خزيمة (١٦٨٨) ، (١٦٩٠) من طريقين عن عمرو بن العاص به .

[١] - في خ ، ز : « مسعود ». .

[٢] - في ز ، خ : « وتبغ ». .

وقال مقاتل بن حيان : ﴿ وَلَا تُبَرِّجْ الْجَاهِلِيَّةَ الْأُولَى ﴾ ، والتبريج : أنها تلقي [١] الحمار على رأسها ، ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ، ويبدو ذلك كلّه منها ، وذلك التبريج ، ثم عمت نساء المؤمنين في التبريج .

وقال ابن جرير [٢] : حدثني ابن زهير ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا داود - يعني ابن أبي الفرات - حدثنا علي بن أحمر ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : تلا هذه الآية : ﴿ وَلَا تُبَرِّجْ الْجَاهِلِيَّةَ الْأُولَى ﴾ . قال : كانت فيما بين نوح وادريس ، فكانت [٣] ألف سنة ، وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل ، والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال الجبل صباحاً وفي النساء دمامه ، وكان نساء السهل صباحاً وفي الرجال دمامه ، وإن إبليس أتى رجالاً من أهل السهل في صورة غلام ، فاجر [٤] نفسه منه ، فكان يخدمه واتخذ إبليس شيئاً مثل الذي يُزَمِّر فيه الرعاء ، ف جاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله ، فبلغ ذلك من حوله ، فاتنا بهم يسمعون إليه ، واتخذوا عيذاً يجتمعون إليه في السنة ، فيتبرّج [٥] النساء للرجال [٦] . قال : ويتزرين [٦] الرجال لهن ، وإن رجالاً من أهل الجبل هاجم عليهم في عيدهم ذلك ، فرأى النساء وصاحت بهن ، فأتى أصحابه فأخبارهم بذلك ، فتحولوا إليهن . فنزلوا معهن وظهرت الفاحشة فيهن ، فهو قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُبَرِّجْ الْجَاهِلِيَّةَ الْأُولَى ﴾

وقوله : ﴿ وَأَقْمِنِ الصَّلَاةَ وَأَطْعِنِ الذِّكَارَ وَأَطْعِنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ نهاهن أولًا عن الشر ثم أمرهن بالخير ، من إقامة الصلاة - وهي : عبادة الله وحده لا شريك له - ولبياء الزكارة ، وهي : الإحسان إلى المخلوقين ، ﴿ وَأَطْعِنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ، وهذا من باب عطف العام على الخاص .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُظَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ وهذا نص في دخول أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - في أهل البيت ها هنا . لأنهن سبب نزول هذه [٧] الآية ، وسبب النزول داخل فيه قولًا واحدًا إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح .

وروى ابن جرير ، عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُظَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ، نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، (٧٠) - تفسير الطبراني (٤/٢٢) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان (٥٤٥١) ، وزاد السيوطي في الدر المثور (٣٧٤/٥) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم وابن مردويه .

[١] - في خ : « ترمي » .

[٢] - في ت : « وكانت » .

[٣] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « الرجال للنساء » . [٤] - في خ ، ز : « وينزل » .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

وهكذا روى ابن أبي حاتم قال^(١) : حدثنا علي بن حرب الموصلي ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا حسين بن واقد ، عن يزيد التحوي ، عن عكرمة عن ابن عباس في قوله : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ﴾ ، قال : نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة .

وقال عكرمة : من شاء باهله^(٢) أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم^(٣) . فإن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن ف صحيح ، وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن ، ففي هذا نظر ؛ فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك :

(الحديث الأول) : قال الإمام أحمد^(٤) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، أخبرنا علي بن زيد ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر ، يقول : الصلاة يا أهل البيت ، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ .

ورواه الترمذى عن عبد بن حميد عن عفان به ، وقال : حسن غريب .

(الحديث آخر) ، قال ابن حirir^(٥) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، أخْرَنِي أبو داود ، عن أبي الحمراء قال : رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم]^(٦) إذا طلع الفجر ، جاء إلى باب فاطمة فقال : « الصلاة الصلاة » ، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ .

أبو داود الأعمى هو نفيع^(٧) بن الحارث كذاب .

(١) باهل القوم بعضهم بعضاً : اجتمعوا وتذاعوا ، فاستنزلوا لعنة الله على الظالم منهم .

(٢) - عزاه السيوطي في الدر المشور (٣٧٦/٥) إلى ابن أبي حاتم وابن عساكر .

(٣) - المسند (٢٨٥/٣) ، وأخرجه عبد بن حميد (١٢٣٠ م منتخب) - وعنه الترمذى في السنن ، كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأحزاب حديث (٣٢٠٦) - عن عفان به . وأخرجه أحمد (٢٥٩/٣) من طريق حماد بن سلمة به .

(٤) - تفسير الطبرى (٦/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المشور (٣٧٨/٥) إلى ابن مردوه ، واستناد الحديث ضعيف جداً ؛ نفيع بن الحارث أبو داود الأعمى متروك كذبه ابن معين ، وهو من رجال التهذيب روى له الترمذى وابن ماجة .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز ، خ : « بعض » .

(حديث آخر) : وقال الإمام أحمد أيضًا^(٧٤) : حدثنا محمد بن مصعب ، حدثنا الأوزاعي ، حدثنا شداد أبو^[١] عمار قال: دخلت على واثلة بن الأسعق وعنده قوم، فذكروا عليًّا - رضي الله عنه - فلما قاموا قال لي : ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : بلى . قال : أتيت فاطمة سائلها عن عليٍّ فقالت : توجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عليٌّ^[٢] وحسن وحسين ، آخذ كل واحد منهم بيده حتى دخل ، فأداني عليًّا وفاطمة وأجلسهما بين يديه ، وأجلس حسنًا وحسينا كل واحد منهم على فخذه ، ثم لف عليهم ثوبه - أو قال : كساهه - ثم تلا هذه الآية : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ، وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ، « اللهم ؛ هؤلاء أهل بيتي ، وأهل بيتي أحق ». .

وقد رواه أبو جعفر بن جرير^(٧٥) عن عبد الكريم بن^[٣] أبي عمير ، عن الوليد بن مسلم ، عن أبي عمرو الأوزاعي بسنده نحوه ، زاد في آخره : قال واثلة : قلت : وأنا ، يا رسول الله - صلى الله عليك - من أهلك ؟ قال : « وأنت من أهلي ». قال واثلة : إنها من أرجح ما أرجي .

ثم رواه أيضًا^(٧٦) عن عبد الأعلى بن واصل^[٤] ، عن الفضل بن دكين ، عن عبد السلام بن حرب ، عن كلثوم الحاربي ، عن شداد أبي^[٥] عمار قال^[٦] : إني لجالس عند واثلة بن الأسعق ، إذ ذكروا عليًّا فشتموه ، فلما قاموا قال : اجلس حتى أخبرك عن الذي شتموه : إني عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء عليٍّ وفاطمة وحسن وحسين فالقليل صلى الله عليه وسلم عليهم كساء له ، ثم قال : « اللهم ؛ هؤلاء أهل بيتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا ». قلت: يا رسول الله ؛ وأنا ؟ قال : « وأنت ». قال : فوالله إنها لأوثق عملي عندى .

[حديث آخر^[٧] : قال الإمام أحمد^(٧٧) : حدثنا عبد الله بن نمير ، حدثنا عبد الملك بن

- المسند (٤٠٧/٤) ، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٠١/٧) عن محمد بن مصعب به ، وأخرجه الحاكم (٤١٦/٢) والبيهقي في السنن (١٥٢/٢) من طريق الوليد بن مزيد عن الأوزاعي به . وانظر الحديثين التاليين .

(٧٨) - تفسير الطبرى (٧/٢٢) .

(٧٩) - تفسير الطبرى (٦/٢٢) .

(٧٧) - المسند (٦/٢٩٢) وللحديث طرق أخرى عن أم سلمة يأتي تحريرها عند المصنف .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في خ ، ز : « بن » .

[٣] - في ز : عن ، وسقط من : خ .

[٤] - في خ ، ز : « زامل » .

[٥] - في ز ، خ : ابن أبي .

[٦] - سقط في : ز ، خ .

[٧] - ما بين المعقوفين سقط في : ز ، خ .

أبي سليمان ، عن عطاء بن أبي رياح ، حدثني من سمع أم سلمة تذكر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان في بيتها ، فاتته فاطمة - رضي الله عنها - ببرمة فيها خزيرة^(١) ، فدخلت بها عليه فقال لها : « ادعني زوجك وابنيك^(٢) ». قالت : فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه ، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة ، وهو على منامة^(٣) له على دكان تحته كساء خيري ، قالت : وأنا في الحجرة أصلي ، فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبُ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ، وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٤) قالت : فأخذ فضل الكسائ فغطاهم به ، ثم أخرج^(٥) يده فألوي بها إلى السماء ، ثم قال : « اللهم ؛ هؤلاء أهل بيتي وحالي^(٦) ، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا ». قالت : فأدخلت رأسي البيت ، فقلت : وأنا معكم يا رسول الله ؟ فقال : « إنك إلى خير إلك إلى خير ».

في إسناده من لم يسم^(٧) وهو شيخ عطاء وبقية رجاله ثقات .

(طريق أخرى^(٨)) ، قال الإمام أحمد^(٩) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، عن أبي المعدل [عطية]^(١٠) الطفاوي ، عن أبيه أن أم سلمة حدثه قالت : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي يوماً ، [إذ] قالت^(١١) الخادم : إن فاطمة وعلئا بالسدة^(١٢) قالت : فقال لي : قومي فتحي عن أهل بيتي . قالت : فقمت فتحيت في البيت قريباً ، فدخل علي وفاطمة ، ومعهما الحسن والحسين ، وهما صبيان صغيران ، فأخذ الصبيان فوضعهما في حجره قبلهما ، واعتنق علئاً بإحدى يديه وفاطمة باليد الأخرى ، وقبل فاطمة وقبل علئاً ، وأغدق^(١٣) عليهم خميضة سوداء وقال : « اللهم ؛ إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي ». قالت : قلت^(١٤) : وأنا يا رسول الله ؟ صلى الله عليك ! قال : « وأنت » .

(١) الخزيرة : لحم يقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير ، فإذا نضج ذر عليه الدقيق .

(٢) أي قطيفة .

(٣) في ت : خاصتي ، كلها في مطبوعة المسند ، والمثبت من ز ، خ ، وكلها هو في مخطوطه المسند الأزهرية ، وحامة الإنسان : خاصته ومن يقرب منه ، وهو الحميم أيضاً . [النهاية ٤٤٦/١] .

(٤) المسند (٢٩٦/٦) ، وأخرجه في (٣٠٤/٦) عن عبد الوهاب بن عطاء عن عوف به .

(٥) في ز ، خ : عن عطية ، وهو تعريف ؛ لأن عطية هو نفسه أبو المعدل .

(٦) السدة كالظللة على الباب ، لتنقى الباب من المطر ، وقيل : هي الباب نفسه ، وقيل : الساحة بين يديه . [النهاية ٣٥٣/٢] .

(٧) أي : أرسلها وأسلبها .

[١] - في ز ، خ : « وابنيك » .

[٢] - في ت : « أخرجه » .

[٣] - في خ ، ز : « يسمع » .

[٤] - ما بين المعقوفين في ز : « قالت » .

[٥] - في ز : « أغرف » .

[٦] - في ت : « قلت » .

(طريق أخرى) قال ابن جرير^(٧٩) : حدثنا أبو كريب ، [حدثنا الحسن بن عطية ^[١]] ، حدثنا فضيل بن مزروق ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، عن أم سلمة أن هذه الآية نزلت في بيتها ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُظْهِرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ، قالت : وأنا جالسة على باب البيت قلت : يا رسول الله ؛ ألسن من أهل البيت ؟ فقال : « إِنَّكَ إِلَيْيِ خَيْرٍ ، أَنْتَ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ » صلى الله عليه وسلم ، قالت : وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلىي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، رضي الله عنهم .

(طريق أخرى) : رواه ابن جرير أيضاً^(٨٠) ، عن أبي كريب ، عن وكيع ، عن عبد الحميد ابن بهرام ، عن شهر بن حوشب عن أم سلمة بنحوه .

(طريق أخرى) : قال ابن جرير^(٨١) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا خالد بن مخلد ، حدثني موسى بن يعقوب ، حدثني هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال : أخبرتني أم سلمة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع فاطمة والحسن والحسين ، ثم أدخلهم تحت ثوبه ، ثم جأر إلى الله - عز وجل - ثم قال : « هؤلاء أهل بيتي ». قالت أم سلمة : فقلت : يا رسول الله ؛ أدخلني معهم . فقال : « أنت من أهلي » .

(طريق أخرى) : رواه ابن جرير أيضاً^(٨٢) عن أحمد بن محمد الطوسي ، عن عبد الرحمن ابن صالح ، عن محمد بن سليمان الأصبهاني ، عن يحيى بن عبد المكي ، عن عطاء ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أمه بنحو ذلك .

(طريق أخرى) : قال ابن جرير^(٨٣) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا مصعب بن المقدام ، حدثنا سعيد ابن زهبي ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن أم سلمة قالت : جاءت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بِئْرَمَةً لها ، قد صنعت فيها عصيدة تحملها على

(٧٩) - تفسير الطبرى (٢/٧)، وأخرجه الخطيب فى تاريخه (١٠/٢٢٨) من طريق عمران بن مسلم عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري نحوه .

(٨٠) - المصدر السابق (٧/٢٢).

(٨١) - أخرجه الطبرى فى تفسيره (٧/٢٢) عن أبي كريب عن وكيع عن عبد الحميد عن شهر عن فضيل بن مزروق بنفس الإسناد السابق ، وأخرجه فى (٦/٢٢) عن موسى بن عبد الرحمن المسروقى عن يحيى بن إبراهيم عن هلال بن مقلас ، عن زيد عن شهر عن أم سلمة .

(٨٢) - تفسير الطبرى (٨/٢٢).

(٨٣) - تفسير الطبرى (٧/٢٢).

طبق ، فوضعتها بين يديه فقال : « أين ابن عمك وابناك ؟ » قالت : في البيت . قال : « ادعهم » ، فجاءت إلى عليٍّ فقالت : أحب رسول الله أنت وابناك . قالت أم سلمة : فلما رأهم مقبلين مد يده إلى كساء كان على المنامة ، فمده وبسطه ، وأجلسهم عليه ، ثم أخذ بأطراف الكسأ الأربعة بشماله ، فضمه فوق رءوسهم ، وأوْمأ يده اليمنى إلى ربه - عز وجل - فقال : « اللهم ، هؤلاء^[١] أهل البيت ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا » .

(طريق أخرى) : قال ابن حجر^(٤) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا عبد الله بن عبد القدس ، عن الأعمش ، عن حكيم بن سعد قال : ذكرنا علي بن أبي طالب عند أم سلمة ، فقالت : في بيتي نزلت : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُظْهِرُكُمْ تَطْهِيرًا » . قالت أم سلمة : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتي فقال^[٢] : « لا تاذني لأحد » . فجاءت فاطمة فلم تستطع أن أحجبها عن أبيها . ثم جاء الحسن فلم يستطع أن أحجبه عن أمه وحده . ثم جاء الحسين فلم يستطع أن أحجبه ، ثم جاء عليٌّ فلم يستطع أن أحجبه . فاجتمعوا فجئلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكساء كان عليه ، ثم قال : « هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا » . فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط ، قالت : فقلت : يا رسول الله ، وأنا^[٣] ؟ قالت : فوالله ما أنعم وقال : « إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ » .

(حديث آخر) : قال ابن حجر^(٥) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا محمد بن بشر ، عن زكريٰ ، عن مصعب بن شيبة ، عن صفية بنت شيبة قالت : قالت عائشة رضي الله عنها : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غدٰة ، وعليه مرتل مرحلي من شعر أسود ، فجاء الحسن فأدخله معه ، [ثم جاء الحسين فأدخله معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معه]^[٤] ، ثم جاء عليٌّ فأدخله معه ، ثم قال : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُظْهِرُكُمْ تَطْهِيرًا » .

ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن بشر به .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ : « فَانَا » .

[٣] - ما بين المقوتين سقط من : خ .

[٤] - تفسير الطبرى (٨/٢٢) .

(٤) - تفسير الطبرى (٦/٢٢) ، وأخرجه أحمد (١٦٢/٦) ، ومسلم في اللباس والزينة ، حديث (٢٠٨١) ، وفي فضائل الصحابة ، حديث (٢٤٢٤) وأبو داود في اللباس ، باب : في ليس الصوف والشعر حديث (٤٠٣٢) ، والترمذى في الأدب ، باب : ما جاء في الثوب الأسود من حديث (٢٨٣١) من طريق زكريا بن أبي زائدة به .

(طريق أخرى) : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا شريح^[١] بن يونس أبو الحارث ، حدثنا محمد بن يزيد ، عن العوام - يعني ابن حوشب - عن عم له قال : دخلت مع أبي على عائشة ، فسألتها عن علي - رضي الله عنه - فقالت - رضي الله عنها - : تسألني عن رجل كان من أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت تحته ابنته وأحب الناس إليه ؟ لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً . فألقى عليهم ثواباً فقال : « اللهم ؛ هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهراهم تطهيراً ». قالت : فدنت منه قلت : يا رسول الله ؛ وأنا من أهل بيتك ؟ فقال : « تَحْمِي ، فَلَنْكَ عَلَى خَيْرٍ » .

(حديث آخر) قال ابن جرير^[٢] : حدثنا ابن المثنى ، حدثنا بكر بن يحيى بن زيان العتزي^[٣] ، حدثنا مندل ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نزلت هذه الآية في خمسة : في ، وفي علي ، وحسن ، وحسين ، وفاطمة : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيذَهِبَ عَنْكُمُ الْرَجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا﴾ وقد تقدم أن فضيل بن مزروق رواه عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة كما تقدم . وروى ابن أبي حاتم من حديث هارون بن سعد^[٤] العجلي ، عن عطية ، عن أبي سعيد موقعاً ، فالله أعلم .

(حديث آخر) قال ابن جرير^[٥] : حدثنا ابن المثنى ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، حدثنا بكر بن مسمار قال^[٦] : سمعت عامر بن سعد قال : قال سعد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه الوحي ، فأخذ علیاً وابيه وفاطمة فأدخلهم تحت ثوبه ، ثم قال : « رب هؤلاء أهلي وأهل بيتي » .

(حديث آخر) : وقال مسلم في صحيحه^[٧] : حدثي زهير بن حرب ، وشجاع بن مخلد - جميماً - عن ابن علية قال زهير : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثني أبو^[٨] حيّان ، حدثني يزيد بن حيّان قال : انطلقت أنا وحصين بن سمرة وعمر بن مسلم^[٩] إلى زيد بن أرقم ، فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً ؛ [رأيت رسول الله صلى الله عليه

(٨٦) - تفسير الطبرى (٦/٢٢)، وأخرجه الطبراني .

(٨٧) - تفسير الطبرى (٨/٢٢)، وأخرجه الحاكم (١٤٧/٣) من طريق بكر بن مسمار به . وزاد السيوطي في الدر (٣٧٧/٥) نسبة إلى ابن مردوه .

(٨٨) - صحيح مسلم في فضائل الصحابة ، حديث (٢٤٠٨) (٣٦)، وانظر التالي .

[١] - في ز ، خ : « شريح » .

[٢] - في ز : « سعيد » .

[٣] - في ز : « بن » .

[٤] - في ز ، خ : « العري » .

[٥] - في ز : « بن » .

وسلم وسمعت حديثه ، وغزوت معه ، وصلت خلفه ، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً [حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال [١] : يا بن أخي ، والله لقد كبرت سنى ، وقدم عهدي ، ونسألا بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما حدثكم فاقبوا ، وما لا تكلفونيه [٢] . ثم قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خطيباً يباء يدعى خُمَّاً [٣] - بين مكة والمدينة - فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ، ثم قال : « أما بعد ، ألا أيها الناس ؟ فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربِي فأحبيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين ، وأولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذلوا بكتاب الله واستمسكوا به ». ففتح على كتاب الله ورَغَبَ فيه ، ثم قال : « وأهل بيتي ، أذْكُرُكُمُ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أذْكُرُكُمُ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي » ثلاثة - فقال له حسين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساوه من أهل بيته قال : نساوه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده . قال : ومن هم ؟ قال : هم آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس . قال : كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم .

ثم [٤] رواه [٨٩] عن محمد بن بكار بن الرئان ، عن حسان بن إبراهيم ، عن سعيد بن مسروق ، عن يزيد بن حبيان ، عن زيد بن أرقم ، ذكر الحديث كنحو [٥] ما تقدم ، وفيه : فقلنا له : من أهل بيته نساوه [٦] ؟ قال : لا [٧] أيم الله ، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها [٨] ، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده .

هكذا وقع في هذه الرواية والأولى [٩] أولى ، والأخذ بها أخرى . وهذه الثانية تحمل أنه أراد تفسير الأهل المذكورين في الحديث الذي رواه ، إنما المراد بهم آله الذين حرموا الصدقة ، أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط ، بل هم مع آله ، وهذا الاحتمال أرجح ، جمِعاً بينها وبين الرواية التي قبلها ، وجمِعاً أيضاً بين القرآن والأحاديث المتقدمة إن صحت ، فإن في بعض أسانيدها نظراً [١٠] ، والله أعلم .

(٨٩) - صحيح مسلم الموضع السابق حديث (٢٤٠٨) (٣٧) . والحديث أخرجه أحمد في مسنده (٤/٣٦٦) ، وأبو داود (٤٩٧٣٩) . مختصرًا على (أماً بعد) وابن خزيمة (٢٣٥٧) من طريق أبي حيان التيمي به .

[١] - ما بين الم Kutuفين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « تكلفونه » .

[٣] - في ز ، خ : « سقط في » .

[٤] - سقط في : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « كندا » : « فناوه » .

[٦] - في خ ، ز : « وأمهما » .

[٧] - في ز ، خ : « نظر » .

[٨] - في ز ، خ : « الأول » .

[٩] - في ز ، خ : « الأول » .

ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم داولات في قوله : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهيركم تطهيرًا » ، فإن سياق الكلام معهن ؛ ولهذا قال بعد هذا كله : « واذكرن ما يتلى في بيتكن من آيات الله والحكمة » ، أي : اعملن بما نزل [١] الله على رسوله في بيتكن من الكتاب والسنة ، قاله قتادة وغير واحد . واذكرن هذه التعلمة التي [خصصتن بها] [٢] من بين الناس ، إن الوحي ينزل في بيتكن دون سائر الناس ، وعائشة بنت الصديق أولاهن بهذه التعلمة ، وأحظهاهن بهذه الغنيمة ، وأخصهاهن من هذه الرحمة العظيمة ، فإنه لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي في فراش امرأة سواها ، كما نص على ذلك صلى الله عليه وسلم [٣] .

قال بعض العلماء - رحمة الله - : لأنه لم يتزوج بكرًا سواها ، ولم يتم معها رجل في فراشها سواه ، فناسب أن تخصص بهذه المزية ، وأن تفرد بهذه الرتبة العالية ، ولكن إذا كان أزواجاً من أهل بيته ، فقرباته أحقر بهذه التسمية ، كما تقدم في الحديث : « وأهل بيتي أحقر » [٤] .

وهذا يشبه ما ثبت في صحيح مسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم ، فقال : « هو مسجدي هذا » [٥] .

فهذا من هذا القبيل ؛ فإن الآية إنما نزلت في مسجد قباء ، كما ورد في الأحاديث الأخرى [٦] . ولكن إذا كان ذاك أسس على التقوى من أول يوم ، فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بتسميته بذلك ، والله أعلم .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي [٧] ، حدثنا أبو [٨] الوليد ، حدثنا أبو عوانة ، عن خصين بن عبد الرحمن ، عن أبي [٩] جميلة قال [١٠] : إن الحسن بن علي استخلف حين قُتل علي - رضي

(٩٠) - أخرج البخاري في صحيحه في الهبة ، باب : من أهدى إلى صاحبه وتحري بعض نسائه دون بعض ، حديث ، ٢٥٨١) من حديث عروة بن الزبير عن عائشة بحديث طويل فيه : « لا تؤذني في عائشة فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة » .

(٩١) - تقدم من حديث واثلة برقم (٧٧) .

(٩٢) - صحيح مسلم في الحج ، حديث (١٣٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري . بلطف : « هو مسجدكم هذا » .

(٩٣) - تقدم في التوبة الآية (١٠٨) .

[١] - في ت : « ينزل » .

[٢] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « خصصتهن » .

[٤] - في خ ، ز : « ابن » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - سقط في : ز ، خ .

الله عنهما - قال : في بينما هو يصلبي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجره^[١] ، وزعم حسين أنه بلغه أن الذي طعنه رجل منبني أسد ، وحسن ساجد ، قال : فيزعمون أن الطعنة وقعت في وركه ، فمرض منها أشهراً ، ثم ترأّف قعده على المنبر ، فقال : يا أهل العراق ؛ اتقوا الله فيما ، فإنما أمراؤكم وضيوفانكم ، ونحن أهل البيت الذي قال الله : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُظْهِرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ، قال : مما زال يقولها حتى ما بقي أحد من أهل المسجد إلا وهو^[٢] يجهن بكاء .

وقال السدي ، عن أبي الدليم قال : قال علي بن الحسين لرجل من أهل^[٣] الشام : أما قرأت في الأحزاب : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُظْهِرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ؟ قال : نعم ، ولأنتم هم ؟ قال : نعم .

وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لطِيفًا خَيْرًا﴾ ، أي : بلطفه بكل بلغته هذه المنزلة ، وبخبرته^[٤] بكل وأنك أهل لذلك ، أعطاكن ذلك وخصسكن بذلك .

قال ابن جرير ، رحمة الله : واذكرن نعمة الله عليكم بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة ، فاشكرن الله على ذلك واحمدنه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لطِيفًا خَيْرًا﴾ ، أي : ذا لطف بكل ، إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آياته والحكمة . وهي السنة ، خيراً بكل إذ اختاركن لرسوله أزواجاً .

وقال قتادة : ﴿وَادْكُرْنَ مَا يَتْلَى فِي بَيْوْتَكُنْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ قال : «يَقْتُلُ عَلَيْهِنَّ بِذَلِكَ» . رواه ابن جرير .

وقال عطيه العوفي في قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لطِيفًا خَيْرًا﴾ ، يعني : لطيف باستخراجها ، خيراً بموضعها . رواه ابن أبي حاتم ، ثم^[٥] قال : وكذا روي عن^[٦] الريبع بن أنس ، و^[٧] قتادة .

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَاتِ وَالصَّدِيقِينَ وَالصَّدِيقَاتِ وَالصَّدِيرِينَ وَالصَّدِيرَاتِ وَالخَشِيعِينَ وَالخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّنَاعِمِينَ وَالصَّنَاعِمَاتِ وَالْمَحْفُظِينَ فُرُوجُهُمْ وَالْمَحْفُظَاتِ وَالذَّكِيرَاتِ اللَّهُ كَثِيرًا

[١] - في ت : « بخنجر » .

[٢] - سقط في : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « بخيرته » .

[٦] - سقط في : ز ، خ .

[٣] - سقط في : ز ، خ .

[٥] - سقط في : ز ، خ .

[٧] - في ت : « عن » .

وَالذِّكْرَ أَعْدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

قال الإمام أحمد ^(٩٤) : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عثمان بن حكيم ، حدثنا عبد الرحمن بن شيبة ، سمعت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم يقول : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال ؟ قالت : فلم يرعني ^(١١) منه ذات يوم إلا ونداه على المنبر ، قالت : وأنا أسرح شعري ، فلفتت شعري ، ثم خرجت إلى [حجرة من] ^(١٢) حجر ^(١٣) يعني، فجعلت سمعي عند الجريد، فإذا هو يقول عند المنبر : « يا أيها الناس ، إن الله يقول : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾ » إلى آخر الآية .

وهكذا رواه النسائي وابن جرير من حديث عبد الواحد بن زياد ، به مثله .

(طريق أخرى عنها) قال النسائي أيضًا ^(٩٥) : حدثنا محمد بن حاتم ، حدثنا سعيد ، أخبرنا عبد الله عن ^(٤) شريك ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أم سلمة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : يا نبي الله ؛ ما لي أسمع الرجال يذكرون في القرآن ، والنساء لا يذكرون ^(٥) ؟ فأنزل الله : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ .

وقد رواه ابن جرير ^(٩٦) ، عن أبي كريب ، عن أبي معاوية ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة : أن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، حدثه عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : قلت ^(٦) : يا رسول الله ؛ أيد ذكر الرجال في كل شيء ولا نذكر ؟ فأنزل الله ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ...﴾ الآية .

(طريق أخرى) قال سفيان الثوري ^(٩٧) ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : قالت أم

(٩٤) - المسند (٣٠١/٦، ٣٠٥)، وأخرجه النسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١٨١٩١) وهو في التفسير برقم (٤٢٥) من طريق عبد الواحد بن زياد به .

(٩٥) - أخرجه النسائي في التفسير (٤٢٤) ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٦٣/٢٣) (٥٥٤) من طريق محمد بن عمرو به .

(٩٦) - تفسير الطبراني (١٠/٢٢) .

(٩٧) - أخرجه الطبراني في تفسيره (١٠/٢٢) والحاكم (٤١٦/٢) كلاهما من حديث سفيان الثوري به .

[١] - في ت : « يرعنى » .

[٢] - في ز ، خ : « حجرة » .

[٣] - في ز ، خ : « يذكرون » .

[٤] - في ت : « بن » .

[٥] - سقط في : ز ، خ .

سلمة : يا رسول الله ؟ يذكر الرجال ولا نذكر ؟ فأنزل الله : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ... ﴾ الآية .

(حدیث آخر) قال ابن جریر ^(٩٨) : [حدثنا أبو كریب ، قال ^[١] : حدثنا سنان ^[٢] بن مظاہر الغنّزی ^[٣] ، حدثنا أبو كدینة يحیی بن المھلہ ، عن قابوس بن أبي طلیان ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال النساء للنبي صلی اللہ علیہ وسلم : ما له يذكر المؤمنین ولا يذكر المؤمنات ؟ فأنزل الله : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ... ﴾ الآية .

وحدثنا بشر ^(٩٩) ، حدثنا یزید ، حدثنا سعید ، عن قتادة ، قال : دخل نساء على نساء النبي صلی اللہ علیہ وسلم ، فقلن : قد ذکر کن اللہ في القرآن ، ولم تذکر بشيء ، أما فيما ما يذكر ^[٤] ؟ فأنزل الله - عز وجل - : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ... ﴾ الآية .

فقوله : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ... ﴾ دليل على أن الإيمان غير الإسلام ، وهو أخص منه ، لقوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ أَمَا قُلْ لَمْ تَؤْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا وَمَا يَدْخُلُ الْإِيمَانَ فِي قَلْوِيكُمْ ... ﴾ . وفي الصحيحين ^(١٠٠) « لا يزني الزاني حين يزلي وهو مؤمن » فسلبه ^[٥] الإيمان ، ولا يلزم من ذلك كفره بإجماع المسلمين ، فدل على أنه أخص ^[٦] منه كما قررناه في أول شرح البخاري .

﴿ والقانتين والقانتات ... ﴾ القنوت : هو الطاعة في سكون ، ﴿ أَمْنٌ هُوَ قَاتِ آنَاءَ اللَّيلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ... ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَاتُونٌ ... ﴾ ﴿ يَا مَرِيمُ اقْتَنِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدْيَ وَارْكُعْيَ مَعَ الرَّاكِعِينَ ... ﴾ . ﴿ وَقَوْمُوا لَهُ قَاتِنِينٍ ... ﴾ فالإسلام بعده مرتبة يرتقي إليها ، ثم القنوت ناشيء عنهما .

﴿ والصادقين والصادقات ... ﴾ هذا في الأقوال ، فإن الصدق تحصلة محمودة ؛ ولهذا كان بعض الصحابة لم تُغُرب عليه كذبة لا في الجاهلية ولا [في الإسلام] ^[٧] ، وهو علامة على الإيمان ، كما أن الكذب أمارة على النفاق ، ومن صدق نجا ، [« عَلَيْكُمْ بِالصَّدْقِ ، فَإِنَّ

(٩٨) - تفسير الطبری (٢٢/١٠) ، وأخرجه الطبرانی في الكبير (١٢/٨٠) (١٤٦٦/١٢) من طريق قابوس به . قال الهیشی فی مجمع الزوائد (٧/٩٤) : فيه قابوس وهو ضعیف وقد وثق وبقیة رجاله ثقات .

(٩٩) - تفسیر الطبری (٢٢/١٠) .

[١] - ما بين المکونفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ت ، وابن جریر : « سیار » .

[٣] - في ز ، خ : « العرى » .

[٤] - في ز ، خ : « نذکر » .

[٥] - في خ : « أحق » ، وفي ز : « أخف » .

[٦] - ما بين المکونفين في ز ، خ : « إسلام » .

الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإياكم والكذب ؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار [١] ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً [٢] . والأحاديث فيه كثيرة جداً.

﴿والصابرين والصابرات﴾ ، هذه سجية [٣] الأثبات ، وهي الصبر على المصائب ، والعلم بأن المقدور كائن لا محالة ، وتأتي ذلك بالصبر والثبات ، وإنما الصبر عند الصدمة الأولى ، أي : أصعبه في أول وهلة ، ثم ما بعده أسهل منه ، وهو صدق السجية وثباتها .

﴿والخاشعين والخاشعات﴾ ، الخشوع [٤] : السكون والطمأنينة ، والتؤدة والرقار والتواضع . والحاصل عليه الخوف من الله ومراقبته ، « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » [٥] .

﴿والمتصدقين والمتصدقات﴾ ، الصدقة: هي الإحسان إلى الناس المحاويخ الضعفاء ، الذين لا كسب لهم ولا كاسب ، يعطون من فضول الأموال طاعة لله ، وإحساناً إلى حلقه ، وقد ثبت في الصحيحين [٦] : « سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله - فذكر منهم - : ورجل تصدق بصدقه فأخفها ، حتى لا تعلم شماليه ما تفق يمينه ». وفي الحديث الآخر [٧] : « والصدقة تطفئ الخطية ، كما يطفئ [٨] الماء النار ». والأحاديث في الحث عليها كثيرة جداً، له موضع بذاته .

﴿والصائمين والصائمات﴾ ، في الحديث الذي رواه ابن ماجه [٩] : « والصوم زكاة

(١٠٠) - تقدم تخرجه في تفسير المائدة الآية (٩١) .

(١٠١) - حديث عبد الله بن مسعود تقدم تخرجه في تفسير سورة التوبه الآية (١١٩) .

(١٠٢) - يأتي تخرجه في سورة الحديد عند الآية (٦) .

(١٠٣) - تقدم تخرجه في تفسير سورة البقرة الآية (٢٧١) .

(١٠٤) - آخر جه ابن ماجة في الزهد ، باب الحسد ، حديث (٤٢١) وأبو يعلى في مسنده (٣٦٥٦) من حديث أنس وإسناده ضعيف جداً فيه عيسى بن أبي عيسى ميسرة ، متروك الحديث ، وانظر مصباح الرجاحة (٢٩٨/٣) .

(١٠٥) - سنن ابن ماجة في الصيام ، باب : في الصوم زكاة الجسد ، حديث (١٧٤٥) من حديث أبي هريرة ، وفيه موسى بن عبيدة الترمذى وهو مجمع على ضعفه ، وانظر مصباح الزجاجة (٣٤/٢) .

[١] - ما بين المukoفين هذه الفقرة جاءت في خ ، ز بعد قوله : « عند الله كذاباً » .

[٢] - في خ ، ز : « نتيجة » .

[٣] - سقط من : خ ، وفي ز : « أي » .

[٤] - في ت : « تطفئ » .

البدن » . أي : ترکيئه وتطهيره وتنقیه من الأخلال الرديئة طبعاً وشرعاً .

قال^[١] سعيد بن جبیر: من صام رمضان ، وثلاثة أيام من كل شهر ؛ دخل في قوله: « والصالمين والصالمات » .

ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة - كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معاشر الشباب ؛ من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحسن للفرح ، ومن لم يستطع فعله بالصوم فإنه له وجاء » ^(١) - ناسب أن يذكر بعده : « والحافظين فروجهم والحافظات » ، أي : عن المحارم والمأثم إلا عن المباح ، كما قال تعالى : « والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » .

وقوله « والذاكرين الله كثيراً والذاكريات » : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عبيد الله ، حدثنا محمد بن جابر ، عن علي بن الأقرم ، عن الأغر أبي مسلم ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل ، فصليا ركعتين ، كتب^[٢] تلك الليلة من الذاكرين الله كثيراً والذاكريات » .

وقد رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة ^(١٠٧) ، من حديث الأعمش عن الأغر أبي مسلم ، عن أبي سعيد وأبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بهاته .

وقال الإمام أحمد ^(١٠٨) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه قال : قلت : يا رسول الله ؛ أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيمة ؟ قال : « الذاكرون الله كثيراً والذاكريات ». قال ^[٣] : قلت : يا رسول الله ؛ ومن الغاري في سبيل الله ؟ قال : « لو ضرب بيسيه في الكفار والمشركين حتى

[١٠٦] - تقدم تخرجه في تفسير البقرة الآية (١٨٣) .

[١٠٧] - سنن أبي داود في الصلاة ، باب : قيام الليل ، حديث (١٣٩٠) وفي باب : الحث على قيام الليل ، حديث (١٤٥١) ، والنسائي في قيام الليل ، باب : ثواب من استيقظ وأيقظ امرأته فصليا حديث (١٣١٠) ، وابن ماجة في إقامة الصلاة والستة فيها باب : ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل ، حديث (١٣٣٥) من طريق شبيان عن الأعمش به .

[١٠٨] - المستند (٧٥/٣) ، وأخرجه الترمذى في الدعاء ، حديث (٣٣٧٦) عن قتيبة عن ابن لهيعة به . وقال الترمذى : حديث غريب إنما نعرفه من حديث دراج .

[٢] - في ز ، خ : « كانوا » .

[١] - سقط في : ز .

[٣] - سقط من : خ .

ينكسر ويختضب دمًا لكان الذاكرون الله أفضل منه .

وقال الإمام أحمد ^(١٠٩) : حدثنا عفان ، حدثنا [عبد الرحمن بن إبراهيم] ^[١] ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة ، فاتى على جمدان ^[٢] . فقال : هذا جمدان ، سيراً فقد سبق المفردون قالوا : وما المفردون ؟ قال : « الذاكرون الله كثيراً » . ثم قال : « اللهم ، اغفر للمحلقين » . قالوا : والمقصرين ؟ قال : « اللهم ، اغفر للمحلقين » . قالوا : والمقصرين ؟ قال : « والمقصرين » .

تفرد به من هذا الوجه ، ورواه مسلم دون آخره .

وقال الإمام أحمد ^(١١٠) : حدثنا مجذن ^[٣] بن المثنى ، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة ، عن زياد بن أبي زياد - مولى عبد الله بن عياش ^[٤] بن أبي ربيعة - أنه بلغه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما عمل آدمي عملاً قط أبغى له من عذاب الله من ذكر الله » .

وقال معاذ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بخير أعمالكم [لكم] ^[٤] ، و [٥] أزكها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم غداً ^[٦] فتضربوا أنفاسهم ويسربوا أنفاسكم ؟ » . قالوا : بل ، يا رسول الله . قال : « ذكر الله عز وجل » .

وقال الإمام أحمد ^(١١١) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زيان بن فائد ، عن سهل ابن معاذ بن أنس الجهني ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن رجلاً سأله فقال : أي المجاهدين أعظم أجراً يا رسول الله ؟ فقال : « أكثرهم لله ذكرًا » . قال : فأي

(١) - المستند (٤١١/٢) ، وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبه والاستغفار ، حديث (٢٦٧٦) من طريق روح بن القاسم عن العلاء به . دون قوله : « ثم قال : اللهم اغفر للمحلقين الخ » .

(٢) جمدان : جبل على بعد ليلة من المدينة .

(٣) - المستند (٢٣٩/٥) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٧٧٦) : رجاله رجال الصحيح إلا أن زياد بن أبي زياد مولى ابن عياش لم يدرك معادزاً .

(٤) - المستند (٤٣٨/٣) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٧٧٧) : رواه أحمد ، والطبراني ... وفيه زيان بن فائد وهو ضعيف وقد وثق وكذلك ابن لهيعة ، وبقيه رجاله ثقات .

[١] - ما بين المukoفين في خ ، ز : « إبراهيم بن عبد الرحمن » .

[٢] - في ز ، خ : « حجير » .

[٣] - في ز ، خ : « عباس » .

[٤] - ما بين المukoفين سقط من ت .

[٥] - سقط في : ز ، خ .

[٦] - سقط في : ز ، خ .

الصائمين أكثر أجرًا؟ قال : «أكثُرُهُمْ لِلَّهِ ذُكْرًا». ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة ، كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أكثُرُهُمْ لِلَّهِ ذُكْرًا». فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما : ذهب النذرون بكل خير ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أجل».

و سنذكر بقية الأحاديث الواردة في كثرة الذكر عند قوله تعالى في هذه السورة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذُكْرًا كَثِيرًا وَسُبُّوهُ بَكْرَةً وَأَصِيلًا ... ﴾ الآية . إن شاء الله تعالى .

وقوله : ﴿ أَعْدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ، أي : هيأ لهم منه لذنبهم مغفرة وأجرًا عظيماً وهو الجنة .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمْ أَخْيَرَةٌ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا



قال العوفي ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ... ﴾ الآية . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة ، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها ، قالت : لست بناكحته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بل فانكحيه ». قالت : يا رسول الله ؛ أوامر في نفسي ؟ فيبينما هما يتحادثان أنزل الله هذه الآية على رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا ... ﴾ الآية . قالت : قد رضيته لي منكحا يا رسول الله ؟ قال : نعم . قالت : إذا لا أعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أنكحته نفسي .

وقال ابن لهيعة ، عن ابن أبي عمرة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة ، فاستنكت ^(*) منه ، وقالت : أنا خير منه حسبا - وكانت امرأة فيها حدة - فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ... ﴾ الآية كلها .

وهكذا قال مجاهد ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان : إنها نزلت في زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة ، فامتنعت ثم أجبت .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وكانت

(*) استنكت من الشيء : امتنع عنه بكثير .

أول من هاجر من النساء - يعني بعد صلح الحديبية - فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : قد قبلت . فزوجها زيد بن حارثة - يعني ، والله أعلم ، بعد فراقه زينب - فسخطت هي وأنوتها وقالا : إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده ، قال : فنزل القرآن : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ إِذَا قُضِيَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُمِرَاً ... ﴾ إلى آخر الآية . قال : وجاء أمر أجمع من هذا : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ ، قال : فذاك خاص وهذا جماع .

وقال الإمام أحمد^(١٢) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن ثابت الثباني ، عن أنس ، قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم على مجليبيب امرأة من الأنصار إلى أبيها ، فقال : حتى استأمر أمها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « فنعم^[١] إذا ». قال : فانطلق الرجل إلى امرأته [فذكر ذلك لها]^[٢] ، فقالت : لاها [الله]^[٣] ذا^[٤] ، ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جليبيبا^[٥] ، وقد معناها من فلان وفلان . قال : والجارية في سترها تسمع ، قال : فانطلق الرجل يريد أن يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك . قالت الجارية : أتريدون أن ترددوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ، إن كان قد رضي لكم فأنكحوه . قال : فكانها جلت عن أبيها ، وقالا : صدقت فذهب أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن كنت رضيته فقد رضيناها . قال : « فإلي قدم رضيتك ». قال : فزوجها ، ثم فزع أهل المدينة ، فركب مجليبيب فوجدوه قد قتل ، وحوله ناس من المشركين قد قتلهم ، قال أنس : فلقد رأيتها وإنها^[٦] لم أنفق^(**) بيت بالمدينة .

وقال الإمام أحمد^(١٣) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - عن ثابت ، عن كنانة بن نعيم العدوبي ، عن أبي بزرة الأسلمي أن جليبيباً كان امرأة يدخل على النساء يُرَبَّهن

(١٢) - المسند (١٣٦/٣) ، وأخرجه عبد بن حميد (١٢٤٥ - منتخب) عن عبد الرزاق به . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٧١/٩) : رواه أحمد والبزار ... ورجال أحمد رجال الصحيح .

(*) الهماء - هاهنا - داخلة في القسم على لفظ الجلالة ، وحرف القسم محذوف . وفي هذا الإسلوب لغات آخر ، وإعرابات كثيرة فانظر شرح الكافية الشافية لابن مالك (٢/٢ ، ٨٦٥ ، ٨٥٩ ، ٨٦٦) والمصباح المنير (٢/٦٤٤) .

(**) اسم تفضيل من الفقاق - بفتح التون - وهو الرواج . يقال : نفقة السلعة والمرأة نفقة : كبر طلابها وخطابها .

(١٣) - المسند (٤٢٢/٤) ، وقد أخرجه أحمد (٤٢١/٤ ، ٤٢٥) ، ومسلم في فضائل الصحابة ، حديث

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز ، خ : « جليبيب » .

[٥] - سقط في : ز .

[٣] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « والله » .

ويلاعبهن ، فقلت لامرائي : لا يدخلن اليوم عليكم جليسبي^[١] ، فإنه إن دخل عليكن^[٢] لأفعلن ولأفعلن . قال : وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أئم لم يزوجها حتى يعلم : هل النبي الله صلى الله عليه وسلم فيها حاجة أم لا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار : « زوجني ابنتك ». قال : نعم ، وكرامة يا رسول الله ، وتعمة عين . فقال : « إني لست أريدها لنفسي ». قال : فلمن [يا رسول الله]^[٣] ؟ قال : « جليسبي ». فقال^[٤] : يا رسول الله ؛ أشاور أنها . فأتأتي أنها فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ابنتك ؟ فقالت : عمر وتعمة عين . فقال : إنه ليس يخطبها نفسه ، إنما يخطبها جليسبي . فقالت : أجياليسبي إنيه^[٥] ؟ أجياليسبي إنيه^[٦] لا ، لعمر الله لا تزوجه . فلما أراد أن يقوم ليأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره بما قالت أنها ، قالت الجارية : من خطبني إليكم ؟ فأخبرتها أنها . قالت : أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ؟ ! ادفعوني إليه ، فإنه لن يضيعني . فانطلق أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : شائكة بها . فزوجها جليسبيا . قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزارة له ، فلما أفاء الله عليه قال لأصحابه : « هل تفقدون من أحد ؟ ». قالوا : فقدنا فلاناً وفقدنا فلاناً . قال : « انظروا هل تفقدون من أحد ؟ ». قالوا : لا . قال : « لكنني فقد جليسبيا ». قال : « فاطليوه في القتلني ». فطلبوه موجودو إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوا . [قالوا : يا رسول الله ، ها هو ذا إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوا]^[٧] ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عليه ، فقال : « قتل سبعة وقتلوا^[٨] ، هذا مني وأنا منه » - مرتين أو ثلاثة - ، ثم وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ساعديه [وحرر له ، ما له سرير إلا ساعده النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم^[٩] وضعه في قبره ، ولم يذكر أنه غسله - رضي الله عنه - قال ثابت : مما كان في الأنصار أئم^[١٠] أنفق منها . وحدث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ثابتًا : هل تعلم ما دعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : « اللهم صب عليها الخير^[١١] صبًا ، [ولا تجعل عيشها كدًا^[١٢]] ». كذا قال فيما كان في الأنصار ، أئم أنفق منها . هكذا أورده الإمام أحمد بطروله ، وأخرج منه مسلم والنمسائي في الفضائل قصة قتلها .

= (٢٤٧٢)، والنمسائي في فضائل الصحابة (١٤٢) من طرق عن حماد بن سلمة به مختصراً على (قصة الفزو).

(*) لحظة تستعملها العرب في الإنكار ، يقول لك القائل : جاء زيد . فقول أنت : أزيد نيه ! أو أزيد إيه ! كأنك استبعدت مجيهه . وقيل في معناها ولفظها غير ذلك ، فانتظر النهاية لابن الأثير (١/٧٨ ، ٧٩).

[١] - في ز ، خ : « جليسبيا ». [٢] - في ت : « عليكم » .

[٣] - ما بين المukoفين سقط في : ز ، خ . [٤] - في ز ، خ : « قال » .

[٥] - كررت في ز ، خ بلقط : « جليسبي إيه ». [٦] - ما بين المukoفين سقط من : خ .

[٧] - سقط في : ز ، خ .

[٨] - في ز ، خ : « تأم » .

[٩] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[١٠] - سقط في : ز ، خ .

[١١] - ما بين المukoفين في خ ، ز : « واجعل عيشها كذا ». .

وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر في «الاستيعاب» أن الجارية لما قالت في خدرها : أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ؟ تلت هذه الآية : ﴿ وَمَا كَانَ مُؤْمِنٌ وَلَا مُؤْمِنَةٌ إِذَا قُضِيَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ .

وقال ابن حريج : [أخبرني عامر بن مصعب ، عن طاوس ، قال : إنه سأله ابن عباس عن ركتين بعد العصر ، فنهاه ، وقرأ ابن عباس - رضي الله عنه - : ﴿ وَمَا كَانَ مُؤْمِنٌ وَلَا مُؤْمِنَةٌ إِذَا قُضِيَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾] [١] .

فهذه [٢] الآية عامة في جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء ، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد ها هنا ولارأي ولا قول ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرِبَّكَ لَا يَؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَعْدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرْجًا مَا قُضِيَتْ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

وفي الحديث [٣] : « والذى نفسي بيده ، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به ». ولهذا شدد في خلاف ذلك ، فقال : ﴿ وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ كقوله تعالى : ﴿ فَلَيَحْذِرُ الظَّالِمُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فَتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا أَلَّهُ مُبِدِيهٌ وَتَخْشِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرَا زَوْجَنِكَهَا لَكَنَّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرجٌ فِي أَرْوَاحِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرَّا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً



يقول تعالى مخبرًا عن نبيه - صلى الله عليه وسلم - : إنه قال لولاه زيد بن حارثة ، وهو الذي ﴿ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ ، أي : بالإسلام ومتابة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام : ﴿ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ ، أي : بالعتق من الرق ، وكان سيده كبير الشأن جليل القدر ، حبيباً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، يقال له : الحب ، ويقال لابنه أسامة : الحب ابن الحب . قالت عائشة - رضي الله عنها - : ما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية إلا أمره عليهم ، ولو عاش بعده لاستخلفه .

(١٤) - تقدم تحريرجه في تفسير التوبه الآية (٢٤) .

[١] - ما بين المكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ : « هذه » .

رواه أَحْمَدُ^(١١٥) ، عن سعيد بن محمد الوراق ومحمد بن عبيد ، عن وائل بن داود ، عن عبد الله البهوي ، عنها .

وقال البزار : حدثنا خالد بن يوسف ، حدثنا أبو عوانة (ح) ، وحدثنا محمد بن معمر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا أبو عوانة ، أخبرني عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه : حدثني أسامة بن زيد ، قال : كنت في المسجد ، فأتاني العباس وعليّ بن أبي طالب - رضي الله عنهما - فقالا : يا أسامة ؟ استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فلأثث رسول الله فأخبرته ، فقلت : عليّ والعباس يستأذنان . فقال : « أتدري ما حاجتهما ؟ ». قلت : لا يا رسول الله . فقال : « لكنني أدرى ». قال : « فأذن لهما ». قال : يا رسول الله ، جئناك لتخبرنا : أيُّ أهلك أحبُّ إلَيْكَ ؟ فقال : « أحب أهلي إِلَيْيَ فاطمة بنت محمد ». قال : يا رسول الله ، ما نسألك عن فاطمة . قال : « فأسامهه بن زيد [ابن] حارثة ، الذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية - وأمها أميمة بنت عبد المطلب - وأصدقها عشرة دنانير ، وستين درهما ، وخمارا ، وملحفة ، وذرعا ، وخمسين مثلا من طعام ، وعشرة أمداد من قمر . قاله مقاتل بن حيان - فمكثت عنده قريتا من سنة أو فوقها ، ثم وقع بيتهما ، فجاء زيد يشكوكها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم^[١] يقول له: « أمسك عليك زوجك ، واق لله ». قال الله تعالى : « وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشي الناس والله أحق أن تخشاه » .

ذكر ابن جرير ، وابن أبي حاتم - هاهنا - آثاراً عن بعض السلف رضي الله عنهم ، أححبنا أن نضرب عنها صفحًا [لعدم صحتها]^[٢] فلا نوردها .

وقد روى الإمام أَحْمَدُ^(١١٦) هاهنا أيضًا حديثا ، من رواية حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، فيه غرابة تركنا سياقه أيضًا .

وقد روى البخاري أيضًا^(١١٧) بعضه مختصراً فقال : حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا

(١١٥) - المستند (٢٨١/٦) ، وأخرجه أَحْمَدُ (٢٥٤، ٢٢٦/٦) ، والنمسائي في الكبرى (٨١٨٢) من طريق وائل بن داود به .

(١١٦) - المستند (١٤٩/٣) ، (١٥٠) عن مؤمل به سليمان عن حماد به .

(١١٧) - صحيح البخاري في التفسير ، باب : « وتخفي في نفسك ما الله مبديه » حدث (٤٧٨٧) ، وأخرجه البخاري أيضًا في التوحيد ، باب : « وكان عرشه على الماء » حدث (٧٤٢٠) من طريق =

[١] - ما بين المukoفين سقط من : ز ، خ . [٢] - ما بين المukoفين سقط في : ز ، خ .

معلى بن منصور ، عن حماد بن زيد ، حدثنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : إن هذه الآية : ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه ﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش ، وزيد بن حارثة رضي الله عنهما .

وقال ابن أبي حاتم (١١٨) : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن هاشم بن مزروق ، حدثنا ابن عبيدة ، عن علي بن زيد بن مجذع ، قال : سأليني علي بن الحسين ما يقول الحسن في قوله : ﴿ و تخفي في نفسك ما الله مبديه ﴾ فذكرت له فقال : لا ، ولكن الله أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجها قبل أن يتزوجها ، فلما أتاه زيد ليشكوها إليه قال : « أتق الله ، وأمسك عليك زوجك » . فقال : قد أخبرتك أني مُرْجِجُكَها ، وتخفي في نفسك ما الله مبديه . وهكذا روي عن السدي أنه قال نحو ذلك .

وقال ابن جرير (١١٩) : حدثني إسحاق بن شاهين ، حدثني خالد عن داود ، عن عامر ، عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : لو كتم محمد - صلى الله عليه وسلم - شيئاً مما أوحى إليه من كتاب الله لكتم : ﴿ و تخفي في نفسك ما الله مبديه و تخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾ .

وقوله : ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا زوجناها ﴾ ، الوطر : هو الحاجة والأرب ، أي : لما فرغ منها وفارقتها زوجناها ، وكان الذي ولّي تزويجها منه هو [١] الله - عز وجل - بمعنى : أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولّي ولا مهر ولا عقد ولا شهد من البشر .

قال الإمام أحمد (١٢٠) : حدثنا هاشم - يعني : ابن القاسم - أبو [٢] النضر ، حدثنا سليمان ابن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس - رضي الله عنه - قال : لما انقضت عدة زبيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة : « اذهب فاذكرها علي » فانطلق حتى أتاهما وهي تُخْتَر عجinya ، قال : فلما رأيتها عظمت في صدرها ، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها ، وأن

= أبي بكر المقدمي عن حماد بن زيد به نحوه .

(١١٨) - آخرجه الطبرى (١٣/٢٢) ، والباقى في الدلائل (٤٦٦/٣) من طريق سفيان بن عبيدة به وليس فيه عند ابن جرير ذكر الحسن . وعزاه السيوطي في الدر المنشور (٣٨٤/٥) أيضاً إلى الحكيم الرمذانى .

(١١٩) - تفسير الطبرى (١٣/٢٢) ، وأخرجه أحمد فى المسند (٢٤١/٦) ومسلم فى الإيمان ، حدثنا (٢٢٨) من طريق داود به .

(١٢٠) - المسند (١٩٥/٣) ، وفيه حدثنا بهز ، حدثنا هاشم قالا : حدثنا سليمان بن المغيرة به . وأخرجه مسلم فى النكاح ، حدثنا (١٤٢٨) ، والنمساوى فى النكاح ، باب : صلاة المرأة إذا خطبت واستخارتها ربها . وفي الكبرى (٥٣٩٩) ، (١١٤١٠) من طريق سليمان بن المغيرة به .

[١] - سقط في : ز ، خ .

[٢] - في ز : « أبا » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها ، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي ، وقلت : يا زينب ؛ أبشرني ، أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك . قالت : ما أنا بصناعة شيئاً حتى أوامر ربي عز وجل . فقامت إلى مسجدها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن . وقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمتنا عليها الخبز واللحم ، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته^[١] فجعل يتبَع^[٢] حجر نسائه يسلم عليهم ، ويقلن : يا رسول الله ؟ كيف وجدت أهلك ؟ فما أدرى أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرـ قال : فانطلق حتى دخل البيت ، فذهبت أدخل معه ، فألقى الستر بيديه وبيني ، ونزل الحجاب ، ووُعظَ القوم بما وعظوا به : ﴿ لَا تدْخُلُوا بيوت النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ... ﴾ الآية . [٣] .

ورواه^[٤] مسلم والنسائي من طرق عن سليمان بن المغيرة به .

وقد روى البخاري^(٤١) - رحمة الله - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول : زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات .

وقد قدمنا في « سورة النور » عن محمد بن عبد الله بن جحش قال : تفاخرت زينب وعائشة ، فقالت زينب - رضي الله عنها - : أنا التي نزل^[٥] تزويجي من السماء . وقالت عائشة : أنا التي نزل عندي من السماء . فاعترفت لها زينب رضي الله عنها .

وقال ابن جرير^(٤٢) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن المغيرة ، عن الشعبي ، قال^[٦] : كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم : إني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن : إن جدي وجدى واحد ، وإنى أنكحنيك الله من السماء ، وإن السفير جبريل عليه السلام .

وقوله : ﴿ لَكِيلًا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ خَرْجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَاهُمْ إِذَا قَضُوا مِنْهُنَّ وَطَرَأْ ﴾ أي : إنما أبحنا لك تزويجها و فعلنا ذلك ، لكيلا يقى حرث على المؤمنين في تزويع مطلقات الأدعية ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة قد تبني زيد بن حارنة ،

(٤١) - صحيح البخاري في التوحيد ، باب : « وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم » ، حديث (٧٤٢١) من حديث عيسى بن طمهان عن أنس به .

(٤٢) - تفسير الطبرى (١٤/٢٢) ، وأخرجه الحاكم (٢٥/٢) من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي نحوه .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « يَتَبَعُ » .

[٣] - في ت : به .

[٤] - رواه .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

فكان يقال له : « زيد بن محمد » ، فلما قطع الله هذه النسبة بقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْتُ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلَكُمْ بِأَفْرَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ . ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ، ثم زاد ذلك بياناً وتأكيداً بوقوع تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لما طلقها زيد بن حارثة ولهذا قال في آية التحرير : ﴿ وَحَالَتِ الْأَنْبَاتُ كَمِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾ ليحتذر من ابن الداعي ؛ فإن ذلك كان كثيراً فيهم .

وقوله : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ أي : وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره الله تعالى وحْقَّهُ ، وهو كائن لا محالة ، كانت زينب في علم الله ستتصير من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم .

مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَمْ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلٍ

وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا ﴿٢٨﴾

يقول تعالى : ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴾ ، أي : فيما أحل له وأمره به من تزويج زينب التي طلقها ذعيه زيد بن حارثة .

وقوله : ﴿ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلٍ ﴾ ، أي : هذا حكم الله في الأنبياء قبله ، لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج ، وهذا ردًّا على من توهם من المنافقين نقصاً في تزويجه امرأة زيد مولاه وذعيه الذي كان قد تباه .

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا ﴾ ، أي : وكان أمره الذي يقدره كائناً لا محالة ، وواقعاً لا محيد عنه ولا معدل ، مما شاء كان ، وما لم يشاً لم يكن .

الَّذِينَ يَلْعَنُونَ رِسَالَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ

حَسِيبًا ﴿٢٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ

النَّبِيِّنَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِما

ي مدح تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَلْعَنُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ ﴾ ، أي : إلى خلقه ويؤدونها ^[١] بأمانتها ، ﴿ وَيَخْشَوْنَهُ ﴾ أي : يخافونه ولا يخافون أحداً سواه ، فلا يمنعهم ^[٢] سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله ، ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ ، أي : وكفى بالله ناصراً ومعيناً . وسيد الناس في هذا المقام -

[١] - في ز ، خ: « ويؤديها » .

[٢] - في ز ، خ: « يمنعهم » .

بل وفي كل مقام - محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشرق والمغارب ، إلى جميع أنواع بني آدم ، وأظهر الله كلامته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع ، فإنه قد كان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وأما هو - صلوات الله وسلامه عليه - فإنه بعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم ، ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميـعاً ﴾^١، ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده ، فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه - رضي الله عنهم - بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله ، في ليله ونهاره ، وحضره وسفره ، وسره وعلانيته ، فرضي الله عنهم وأرضاهم . ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا ، فبنورهم يقتدي المهدون ، وعلى منهجهم يسلك الموقدون . فسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم .

قال الإمام أحمد^(١٢٣) : حدثنا ابن نمير ، أخبرنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البخري ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لا يخرون أحدكم نفسه أن يرى أمر الله فيه مقال ثم لا يقوله ، فيقول الله : ما ينفعك أن تقول فيه^[١]؟ فيقول : رب ، خشيت الناس ، فيقول : فانا أحق أن يخشى ».

ورواه أيضا عبد الرزاق عن الثوري عن زيد عن عمرو بن مرة .

ورواه ابن ماجة عن أبي كريب عن عبد الله بن نمير وأبي معاوية كلامهما عن الأعمش به .

وقوله : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ﴾^٢ ، نهى أن يقال بعد هذا : « زيد بن محمد » ، أي : لم يكن أبا وإن كان قد تبناه ، فإنه - صلوات الله عليه وسلم - لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم ، فإنه ولد له القاسم ، والطيب ، والطاهر ، من خديجة فماتوا صغاراً ، وولد له إبراهيم من مارية القبطية ، فمات أيضاً رضيغاً . وكان له من خديجة أربع بنات : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين - فماتت في حياته ثلاثة وتأخرت فاطمة حتى أصيخت به - صلى الله عليه وسلم - ثم ماتت بعده لستة أشهر .

وقوله : ﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً ﴾^٣ كقوله : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده ، وإذا كان لا نبي بعده فلا

(١٢٣) - المسند (٣٠/٣) ، وأخرجه ابن ماجة في الفتن ، باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حديث (٤٠٠٨) وعبد بن حميد (٩٧١) متنخب) من طريق الأعمش به .

ورواه عبد الرزاق ، وعنه أحمد في المسند (٤٧/٣ ، ٧٣) عن سفيان الثوري عن زيد عن عمرو بن مرة به وأخرجه عبد بن حميد (٩٧٢) عن أبي نعيم عن سفيان به .

[١] - في ز ، خ: « منه » .

رسول بطريق الأولى والأخرى ؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة ، فإن كل رسولنبي ، ولا ينعكس . وبذلك وردت الأحاديث المواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة .

قال الإمام أحمد^(١٤) : حدثنا أبو عامر الأزدي ، حدثنا زهير بن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيلي بن أبيه بن كعب ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثلي في النبيين كمثل رجل يبني داراً فاحسنها^[١] وأكملها ، وترك فيها موضع لبنة لم يضعها ، يجعل الناس يطوفون بالبيان ويعجبون منه ، ويقولون : لو تم موضع هذه اللبنة ! فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة ». ورواه الترمذى عن أبي عامر العقدي به ، وقال : حسن صحيح .

(Hadith آخر) قال الإمام أحمد^(١٥) : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا المختار بن فلؤل ، [قال^[٢]] حدثنا أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت ، فلا رسول بعدي ولانبي ». قال : فشق ذلك على الناس ، قال : « ولكن المبشرات ». قالوا : يا رسول الله ؟ وما المبشرات ؟ قال : « رؤيا الرجل المسلم ، وهي^[٣] جزء من أجزاء النبوة » .

وهكذا روى الترمذى ، عن الحسن بن محمد الزعفرانى ، عن عفان بن مسلم ، به ، وقال : صحيح غريب من حديث المختار بن فلؤل .

(Hadith آخر) قال أبو داود الطيالسى^(١٦) : حدثنا سليم بن حبيان ، عن سعيد بن ميناء ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل يبني داراً فاكملها وأحسنها إلا موضع لبنة ، فكان من دخلها فنظر إليها قال : ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة ! فأنا موضع اللبنة ، ختم بي الأنبياء عليهم السلام ».

(١٤) - المسند (١٣٦/٥) وفيه قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، وأبو عامر قالا : حدثنا زهير محمد به . وأخرجه الترمذى في المناقب ، باب في فضل النبي ﷺ ، حديث (٣٦١٣) عن محمد بن بشار عن أبي عامر به .

(١٤) - المسند (٢٦٧/٣) ، وأخرجه الترمذى في الرؤيا ، باب : ذهبت النبوة وبقيت المبشرات ، حدث (٢٢٢٢) عن الحسن بن محمد الزعفرانى عن عفان بن مسلم به .

(١٦) - وأخرجه البخارى في المناقب باب : خاتم النبيين ﷺ ، حديث (٣٥٣٤) ، ومسلم في الفضائل ، حدث (٢٢٨٧) ، والترمذى في الأمثال ، باب : ما جاء في مثل النبي ﷺ والأنبياء قبله ، حدث (٢٨٦٢) ، من طريق سليم بن حيان به .

[١] - في خ ، ز : « فأحكمنها » .

[٢] - في ز ، خ : « وهو » .

ورواه البخاري ، ومسلم ، والترمذى ، من طرق ، عن سليم بن حيان ، به . وقال الترمذى : صحيح غريب من هذا الوجه .

[حديث آخر]^[١] قال الإمام أحمد^(١٢٧) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثلي ومثل النبيين [من قبلي]^[٢] كمثل رجل بنى داراً فأقمنها إلا لبنة واحدة ، فجئت أنا فأقمت تلك اللبنة ». .

انفرد بإخراجه مسلم من روایة الأعمش به .

(حديث آخر) قال أحمد^(١٢٨) : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا عثمان ابن عبيد الراسي ، قال^[٣] : سمعت أبي الطفيلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نبوة بعدي إلا المبشرات ». قال : قيل : وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : « الرؤيا الحسنة ». أو قال : « الرؤيا الصالحة » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد^(١٢٩) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن همام بن ثنبه ، قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابنتي بيوتاً فأحسنها وأكملاها وأجملها ، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها ، يجعل الناس يطوفون وبعدهم البنيان ويقولون : لا وضعت لها لبنة فيتيم بنيالك ؟ ! ». قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فكنت أنا اللبنة ». أخرجاه من حديث عبد الرزاق .

(حديث آخر ، عن أبي هريرة أيضاً) قال الإمام مسلم^(١٣٠) : حدثنا يحيى بن أيوب وقبيبة وعليه بن حجر^[٤] ، قالوا : حدثنا إسماعيل بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فُضلت على الأنبياء بست :

(١٢٧) - المسند (٩/٣) ، وأخرجه مسلم في الفضائل ، حديث (٢٢٨٦) عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب عن أبي معوية به .

(١٢٨) - المسند (٤٥٤/٥) ، وقال الهيثمي في مجمع الروايد (١٧٦/٧) : رجاله ثقات .

(١٢٩) - المسند (٣١٢/٢) ، وأخرجه مسلم في الفضائل ، حديث (٢٢٨٦٩) عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به . والحديث ليس عند البخاري من طريق عبد الرزاق إنما رواه من غير طريقه .

(١٣٠) - صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث (٥٢٣) ، وأخرجه أحمد (٤١١/٢) ، والترمذى في المسير ، باب : ما جاء في الغيبة حديث (١٥٥٣) ، وابن ماجة في الطهارة وستتها ، ما =

[١] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - سقط في : ز ، خ .

أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغائم ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون ». ورواه الترمذى وابن ماجة من حديث إسماعيل بن جعفر ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد ^(١) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثلى ومثل الآباء من قبلى ، كمثل رجل بنى دارا فأنهى ^[١] إلا موضع لبنة واحدة ^[٢] ، فجئت أنا فأقمت تلك اللبنة ». .

ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب كليهما ^[٣] عن أبي معاوية به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد ^(٤) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن شويد الكلبي ، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي ، عن العراباض بن سارية قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إني عند الله خاتم ^[٤] النبيين وإن آدم لم ينجدل في طينته ». .

(حديث آخر) قال الزهرى : أخبرنى محمد بن جبير ^[٥] بن مطعم ، عن أبيه - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذى يحيى الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى ». . أخرجه فى الصحيحين ^(٦) .

وقال الإمام أحمد ^(٧) : حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عبد الله بن

= جاء في السبب من حديث (٥٦٧) مختصرًا - من طريق العلاء بن عبد الرحمن به .

(٨) - تقدم تخرجه في رقم (١٣٥)

(٩) - المسند (٤/١٢٧) وفي المطبوع منه : « سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الله بن هلال السلمي » ثم رواه أحمد عن أبي العلاء وهو الحسين بن سوار عن ليث عن معاوية عن سعيد بن سويد عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن عراباض بن سارية .

(١٠) أي ملقي على الجندلة وهي الأرض .

(١١) - صحيح البخاري في المناقب ، باب : ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ، حديث (٣٥٣٢) ، وفي التفسير ، باب : سورة الصاف ، حديث (٤٨٩٦) ، ومسلم الفضائل ، حديث (٢٣٥٤) من طريق الزهرى به .

(١٢) - المسند (٢/١٧٢، ١٧٢/٢١٢، ٦٦٠٧) (٢١٢، ٦٦٠٧ - ٦٩٨١ - شاكر) .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط في : خ ، ز .

[٣] - في ز ، خ : « كلامها » .

[٤] - في ز ، خ : « خاتم » .

[٥] - في خ ، ز : « حسين » .

هُبَيرَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَبِيرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا كَالْمَوْدَعِ ، فَقَالَ : أَنَا مُحَمَّدُ النَّبِيُّ^[١] الْأَمِيُّ - ثَلَاثًا - وَلَا نَبِيٌّ بَعْدِي أُوتِيتُ فَوْاتِحَ الْكَلْمَ وَجَوَامِعَهُ وَخَواَمَهُ ، وَعَلِمْتُ كُمْ خَزَنَةَ النَّارِ وَحَمْلَةَ الْعَرْشِ ، وَتَجَوزُ بِي ، [وَغُوفِيْتُ وَغُوفِيْتُ]^[٢] أَمْتِي ؛ فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا مَادِمْتُ فِيكُمْ ، فَإِذَا ذَهَبْتُ بِي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ ، أَحْلَوْا حَلَالَهُ وَحَرَمُوا حَرَامَهُ » . تَفَرَّدَ بِهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ .

وَرَوَاهُ أَحْمَدُ أَيْضًا^(١٣٥) عَنْ يَحْيَى بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي لَهِيْعَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هُبَيرَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ^(٤) بْنِ مَرِيجَ^(٣) الْخَوَلَانِيِّ عَنْ أَبِي قَيْسٍ - مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْعَاصِ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، فَذَكَرَ مُثْلَهُ سَوَاءً .

وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ ، فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادِ إِرْسَالُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ مِنْ تَشْرِيفِهِ لِهِ خَتْمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ بِهِ ، وَإِكْمَالُ الدِّينِ الْخَيْفُ لَهُ . وَقَدْ أَخْبَرَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ، وَرَسُولُهُ فِي السَّنَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَنْهُ : أَنَّهُ لَا تَبِعِي بَعْدَهُ لِيَعْلَمُوا^(٤) أَنَّ كُلَّ مَنْ أَدْعَى هَذَا الْمَقَامَ بَعْدِهِ فَهُوَ كَذَابٌ أَفَاكٌ ، دُجَالٌ ضَالٌّ مُضَلٌّ ، وَلَوْ تَخْرَقَ^(٥) وَشَعْبَدَ ، وَأَتَى بِأَنْوَاعِ السُّحُورِ وَالظِّلَاسِمِ وَالنَّيْرَجِيَّاتِ^(٦) ، فَكُلُّهُمْ مَحَالٌ وَضَلَالٌ عِنْدَ أُولَئِكَ الْأَبَابِ ، كَمَا أَجْرَى اللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى يَدِي^(٧) الْأَسْوَدِ الْقَنْصِيِّ بِالْيَمِنِ ، وَمُسَيْلَمَةِ الْكَذَابِ بِالْيَمَامَةِ ، مِنَ الْأَحْوَالِ الْفَاسِدَةِ وَالْأَقْوَالِ الْبَارِدَةِ ، مَا عَلِمَ كُلُّ ذِي لَبِ وَفَهْمٍ وَحْجَنِي أَنَّهُمَا كَاذِبَانِ ضَالَّانِ ، لِعْنَهُمَا اللَّهُ . وَكَذَلِكَ كُلُّ مَدْعٍ لِذَلِكَ^(٨) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَخْتَمُوا بِالْمُسِيحِ الدُّجَالِ ، يَخْلُقُ اللَّهُ مَعَهُ مِنَ الْأَمْوَارِ مَا يَشَهِدُ الْعُلَمَاءُ وَالْأُئْمَانُ بِكَذِبِهِمْ مِنْ جَاءَ بِهَا . وَهَذَا مِنْ تَامَ لَطْفِ اللَّهِ تَعَالَى بِخَلْقِهِ ، فَإِنَّهُمْ بِضُرُورَةِ الْوَاقِعِ لَا يَأْمُرُونَ بِمَا يَعْرُفُونَ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْإِنْفَاقِ ، أَوْ لَمَّا لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْمَقَاصِدِ إِلَى غَيْرِهِ ، وَيَكُونُ فِي غَايَةِ الْإِلْفَكِ وَالْفَجُورِ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : هُلْ أَنْبَكُمْ عَلَى مِنْ تَنْزَلِ الشَّيَاطِينِ . تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَاكٍ أَثْيَمْ...^(٩) الْآيَةِ . وَهَذَا بِخَلْفِ حَالِ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - فَإِنَّهُمْ فِي غَايَةِ الْبَرِّ وَالصَّدْقِ

(١٣٥) - المُسْنَد (١٧٢/٢) (٦٦٠٦- شَاكِرَ) .

(٤) كَذَا ، وَقَدْ أُورَدَهُ كُلُّ مَنْ أَبَنَ أَبِي حَاتِمَ فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ (٢٨٧/٥) وَالذَّهَبِيُّ فِي الْمِيزَانِ (٣٠٣/٣) ، وَابْنِ حِجْرِ فِي الْلِّسَانِ (٣/٥٢٩) : عَبْدُ الرَّحْمَنَ ، وَكُلَّهُمَا صَحِيحٌ .

(٥) تَخْرَقُ الْكَذَبِ : اخْتَلَقَهُ .

(٦) قَالَ فِي الْقَامُوسِ : التَّرْجِعُ : أَخْذُ كَالْسَّرِ .

[١] - سَقْطٌ مِنْ : زَ ، خَ .

[٢] - مَا بَيْنَ الْمَعْكُوفَيْنِ فِي زَ ، خَ : وَعْرَفْتُ وَعْرَفْتُ^(١) - فِي خَ ، زَ : (سَرِيعٌ) .

[٤] - فِي زَ ، خَ : (لَعْلَمُوا) .

[٥] - فِي زَ : (تَخْرَقٌ) .

[٦] - فِي تَ : (يَدٌ) .

والرشد والاستقامة فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرنون به وينهون عنه ، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات ، والأدلة الواضحات ، والبراهين الباهرات . فصلوات الله وسلامه عليهم دائمًا مستمئراً مادامت الأرض والسماءات .

يَتَبَّعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَيَحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ
الَّذِي يُصَلِّ عَلَيْكُمْ وَمَلَئِكَتُهُ لِتُخْرِجُكُمْ مِّنَ الظُّلْمَةِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَجِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتْهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعْدَ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالى المنعم عليهم بأنواع النعم وأصناف الم恩 ، لما لهم في ذلك من جزيل الثواب ، وجميل المآب .

قال الإمام أحمد ^(١٣٦) : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عبد الله بن سعيد ، حدثني ^[١] مولى ابن عياش ، عن أبي بحرية ، عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأذاكها عند مليككم ، وأرفها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء ^[٢] الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أنفاسهم ويضربوا أنفاسكم » . قالوا : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « ذكر الله عز وجل » .

وهكذا رواه الترمذى وابن ماجة ، من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند ، عن زياد - مولى ابن عياش - عن أبي بحرية - واسمه عبد الله بن قيس التراغبى - عن أبي الدرداء به .

قال الترمذى : ورواه بعضهم عنه فأرسله .

قلت : وقد تقدم هذا الحديث عند قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِكْرُ بِاللَّهِ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ هُنَّ فِي
مُسْنَدِ أَحْمَدَ ، مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَيَّاشَ أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ مَعَاذِ بْنِ
جَبَلَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِنْحُوَهُ ^[٣] ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١٣٦) المسند (٥/٥)، وأخرجه الترمذى في كتاب الدعاء ، باب : منه (٥ / ٤٥٩ / رقم : ٣٣٧٧).
وابن ماجة في كتاب الأدب ، باب : فضل الذكر (٢ / ١٢٤٥ / رقم : ٣٧٩). كلامهما من طريق عبد الله
ابن سعيد بن أبي هند ، عن زياد بن أبي زياد ، عن أبي بحرية به .

[٢] - في ز ، خ: « إنفاق » .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

وقال الإمام أحمد (١٣٧) : حدثنا وكيع ، حدثنا فرج [١] بن فضالة ، عن أبي سعيد [٢] الحنصي ، قال [٣] : سمعت أبا هريرة يقول : دعاء سمعته [٤] من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدعه : « اللهم ، اجعلني أعظم شكرك ، وأتبع نصيحتك ، وأكثر ذكرك ، وأحفظ وصيتك ». .

ورواه الترمذى (١٣٨) عن يحيى بن موسى ، عن وكيع ، عن أبي فضالة الفرج بن فضالة ، عن أبي سعيد الحنصي عن أبي هريرة فذكر مثله وقال : غريب .
وهكذا رواه الإمام أحمد أيضًا عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن فرج بن فضالة ، عن أبي سعيد المدنى [٥] ، عن أبي هريرة فذكره (١٣٩) .

وقال الإمام أحمد (١٤٠) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن معاوية بن صالح ، عن عمرو ابن قيس ، قال : سمعت عبد الله بن يثير [٦] يقول : جاء أعرابيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أحدهما : يا رسول الله ، أي الناس خير؟ قال : « من طال عمره وحسن عمله ». وقال الآخر : يا رسول الله ؛ إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا ، فمرني بأمر أثبت به . قال : « لا يزال لسانك رطباً بذكر الله ». .

وروى الترمذى وابن ماجة الفصل الثاني (١٤١) ، من حديث معاوية بن صالح به . وقال الترمذى : حسن غريب .

وقال الإمام أحمد (١٤٢) : حدثنا شريح ، حدثنا ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ،

[١] المسند (٤٧٧/٢) .

[٢] سنن الترمذى برقم (٣٦٠٤) .

[٣] المسند (٣١١/٢) .

[٤] المسند (١٩٠/٤) . أخرجه الترمذى في كتاب الزهد ، باب : ما جاء في طول العمر للمؤمن (٤٤٨٩) حديث (٢٣٢٩) . وحديث ٣٣٧٥ . وابن ماجه في الأدب ، باب : فضل الذكر (١٢٤٦/٢) حديث ٣٧٩٣ . والبيهقى في كتاب الجنائز ، باب : طوبي لمن طال عمره وحسن عمله (٣٧١/٣) . وأبوعنيم في الحلية (٥١/٩) .

[٥] سنن الترمذى برقم (٣٣٧٥) ، وسنن ابن ماجة برقم (٣٧٩٣) .

[٦] المسند (٦٨/٣) ، وأخرجه ابن حبان في « صحيحه » (٨١٧/٣) ، وابن عدي في « الكامل » =

[٧] - في ز ، خ ، ز : « سعد ». .

[٨] - في ز ، خ : « روح ». .

[٩] - في ز ، خ : « سمعه ». .

[١٠] - في ز ، خ : « سمع ». .

[١١] - في ز ، خ : « بشر ». .

[١٢] - في ز ، خ : « المري ». .

قال^[١] : إن دَرَاجًا أبا السمح حدثه ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أكثروا ذكر الله حتى يقولوا : مجنون ». .

وقال الطبراني^(٤٣) : حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا عقبة بن مكرم العتيقي ، حدثنا سعيد ابن سفيان^[٢] المحدري ، حدثنا الحسن بن أبي جعفر ، عن عقبة بن أبي ثابت^[٣] الراسيبي ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذكروا الله ذكرًا كثيرًا حتى يقول المنافقون : تراءون^[٤] ». .

وقال الإمام أحمد^(٤٤) : حدثنا أبو سعيد مولىبني هاشم ، حدثنا شداد أبو طلحة الراسيبي ، سمعت أبا الوازع^[٧] جابر بن عمرو يحدث عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من قوم جلسوا مجلسًا لم يذكروا الله فيه ، إلا رأوه^[٨] حسرة يوم القيمة ». .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿اذكروا الله ذكرًا كثيرًا﴾ : إن الله لم يفرض [على عباده]^[٩] فريضة إلا [جعل لها حداً معلوماً ، ثم]^[١٠] عذر أهلها في حال عذر ، غير الذكر^[١١] ، فإن الله لم يجعل له حدًا^[١٢] ينتهي إليه^[١٣] ، ولم يعذر أحدًا^[١٤] في تركه ، إلا مغلوبًا على تركه ، فقال : ﴿فاذكروا الله قياماً وقعدًا وعلى جنوبكم﴾ ، بالليل والنهار ، [في البر والبحر]^[١٥] ، وفي السفر والحضر ، والغنى والفقير ، والصحة والسلق ، والسر

= (٩٨٠/٣) . والحاكم في « المستدرك » (٤٩٩/١) وصححه ، وسكت عنه الذهبي . من طريقين عن عبد الله ابن وهب به . وأخرج جابر بن عبد الله في « المتتبّع » (٩٢٥) ، وأبو يعلى في « مسنده » رقم (١٣٧٦) . من طريق الحسن بن موسى قال : حدثنا ابن لهيعة عن دراج به . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧٨/٧٩-٧٩) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى وفيه دراج وقد ضعفه جماعة ، وبقية رجال أحد إسنادي أحمد ثقات . والحديث ضعفه الشيخ الألباني في « الضعيفة » (٥١٧) .

(٤٣) المعجم الكبير للطبراني (١٦٩/١٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٧٦٠) : « فيه الحسين بن أبي جعفر الجعفري وهو ضعيف ». .

(٤٤) المسند (٢/٢٢٤) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٨٠) : « رجاله رجال الصحيح ». .

[١] - سقط في : ز ، خ .

[٢] - سقط في : ز ، خ .

[٣] - ياض في : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « براءون ». .

[٥] - في ز ، خ : « زاده ». .

[٦] - ما بين المكوفين سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز ، خ : « الورع ». .

[٨] - سقط في : ز ، خ .

[٩] - في ز ، خ : « نبيب ». .

[١٠] - ما بين المكوفين سقط في : ز ، خ .

[١١] - في ز ، خ : « الذاكر ». .

[١٢] - سقط من : ز ، خ .

[١٣] - ما بين المكوفين سقط في : ز .

[١٤] - في ز ، خ : « حد ». .

[١٥] - ما بين المكوفين سقط في : ز .

والعلانية ، وعلى كل حال ، وقال : ﴿ وسبحوه بكرة وأصيلاً ﴾ . فإذا^[١] فعلتم ذلك صلي عليكم هو ولائكته .

والأحاديث والآيات والآثار في الحث على ذكر الله كثيرة جدًا ، وفي هذه الآية الكريمة الحث على الإكثار من ذلك ، وقد صنف الناس في الأذكار المتعلقة بأناء الليل والنهار كالنسائي^[٢] والمعمري وغيرهما ، ومن أحسن الكتب المولفة في ذلك كتاب « الأذكار » للشيخ محبى الدين النبوى رحمة الله تعالى .

وقوله : ﴿ وسبحوه بكرة وأصيلاً ﴾ أي : عند الصباح والمساء ، كقوله : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون ﴾ .

وقوله : ﴿ هو الذي يصلي عليكم ولائكته ﴾ ، هذا تهيج إلى الذكر ، أي : إنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم ، كقوله تعالى : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلّمكم الكتاب والحكمة ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكريكم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يقول الله : من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملائكة ذكرته في ملائكة خير منهم » ^(١٤٥) .

والصلة من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة . حكاه البخاري عن أبي العالية ، ورواه أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عنه . وقال غيره : الصلة من الله الرحمة وقد يقال : لا منافاة بين القولين والله أعلم .

وأما الصلة من الملائكة فمعنى الدعاء للناس والاستغفار ، كقوله : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بهم [ويؤمّنون به]^[٣] ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبilk وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وأزواجاتهم إنك أنت العزيز الحكيم * وقهم السينات ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ ، أي : بسبب رحمته بكم^[٤] وثنائه عليكم ودعاء ملائكته لكم ، يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين ، ﴿ و كان بالمؤمنين رحيمًا ﴾ ، أي : في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فإنه هداهم إلى الحق الذي جعله

(١٤٥) رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٤٠٥) ، ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

[١] - في ت : « وإذا » .

[٢] - في ز ، خ : « كالنسى » .

[٣] - ما بين المعقوتين سقط في : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « لكم » .

غيرهم ، وبصرهم الطريق الذي ضل عنده وحاد عنه من سواهم من الدعاة إلى الكفر أو البدعة وأشياعهم من الطغام^(*) . وأما رحمته بهم في الآخرة فائمتهم من الفزع الأكبر ، وأمر ملائكته يتلقونهم بالبشرة بالفوز بالجنة والنجاة من النار ، وما ذاك إلا لحبته^[١] لهم ورأفته بهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس رضي الله عنه قال : مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نفر من أصحابه وصبي في الطريق ، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدتها أن يوطأ ، فأقبلت تسعى وتقول : ابني ! ابني ! وسعت فأخذته ، فقال القوم : يا رسول الله ، ما كانت هذه تلقي ابنها في النار . قال : فَخَفَضُوهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا يَلْقَيْ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ .

إسناده على شرط الصحيحين ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة^(١٤٦) ، ولكن في صحيح الإمام البخاري ، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة من السبي قد أخذت صبياً لها ، فألصقته إلى صدرها ، وأرضعته فقال : أترون هذه تلقي ولدتها في النار وهي تقدر على ذلك ؟ . قالوا : لا . قال : فوالله لَهُ أرحم بعباده من هذه بولدتها^(١٤٧) .

وقوله : ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾ ، الظاهر أن المراد - والله أعلم - ﴿ تحيتهم ﴾ أي : من الله تعالى يوم يلقونه ﴿ سلام ﴾ ، أي : يوم يسلم عليهم كما قال تعالى : ﴿ سلام قولًا من رب رحيم ﴾ .

وزعم قنادة أن المراد أنهم يتحدون^[٢] بعضهم بعضاً بالسلام يوم يلقون الله في الدار الآخرة ، واحتقاره ابن جرير .

قلت : وقد يستدل له بقوله تعالى : ﴿ دعوهم فيها سبحانك اللهم وتحيthem فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ .

(*) الطغام : أراذل الناس وأوساخهم .

(١) المسند (٣/٤٠) . ورواه الحكم (٤/١٧٧) . ورواه الحكم (٤/٤٠) وقال : صحيح على شرط الشيفين ولم يخرجاه . ورواه الحكم أيضاً (١/٥٨) وقال : صحيح على شرط الشيفين . ورواه أحمد (٢٣٤٩٢) - (٣/٢٣٥) . وأبو يعلى حديث (٦/٣٧٤٨) - (٦/٣٩٨) . وذكره في مجمع الروايد (١٠/٣٨٣) وقال : رواه أحمد والبزار بنحوه وأبو يعلى ورجالهم رجال الصحيح .

وللحديث شاهد من حديث عمر بن الخطاب عند البخاري في كتاب الأدب ، باب : رحمة الولد وقبيله ومعانقته حديث (٥٩٩٩) .

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٩٩٩) .

[١] - في ز : « لحبته » .

[٢] - في ت : « يحيى » .

وقوله : ﴿وَأَعْدَ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ ، يعني : الجنة وما فيها من المأكل والمشارب ، والملابس والمساكن ، والمناكح والملاذ والمناظر ، وما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ يَإِذْنِهِ
وَسَرَّاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَيَشَرِّرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَيْرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا
نُطِعُ الْكُفَّارِينَ وَالْمُنَفِّقِينَ وَدَعَ أَذَنْهُمْ وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

قال الإمام أحمد^(٤٨) : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا فليح بن سليمان ، عن هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار ، قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في التوراة . قال : أجل ، والله إنه لم يوصف في التوراة بصفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً وبشيراً ونذيراً ، وحرزاً للأمينين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك التوكيل [لست بفظٍ^[١]] ولا غليظ ولا سخاب^[٢] [في الأسواق]^[٣] ، ولا يدفع السيدة بالسيئة ، ولكن يغفو ويغفر ، ولن يقصصه الله^[٤] حتى [يقيم به]^[٥] الملة العوجاء ، لأن يقولوا : لا إلا الله ، فيفتح بها أعيناً عمياً ، وأذاناً صماء ، وقلوباً غلباً .

وقد رواه البخاري في « البيوع » عن محمد بن سنان ، عن فليح بن سليمان ، عن هلال ابن علي ، به . ورواه في التفسير عن عبد الله - قيل : ابن رجاء ، وقيل : ابن صالح - عن عبد العزيز بن أبي سلمة ، عن هلال ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بن عمرو ، به . ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن عبد الله بن رجاء ، عن عبد العزيز بن [أبي سلمة]^[٦] الماجشون به .

وقال البخاري في البيوع : وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام .

وقال وهب بن منبه : إن الله أوحى إلىنبي من أنبياءبني إسرائيل - يقال له : شعيباء - : « أَنْ قَمْ فِي قَوْمٍ كَبْنِ إِسْرَائِيلَ ، فَإِنِّي^[٧] مُنْطَقٌ لِسَانَكَ بِوْحِيٍّ وَأَبْعَثُ أَمِيَّاً مِنَ الْأَمِينِ ، أَبْعِثُهُ

(٤٨) المسند (٢١٢٥) وصحيح البخاري برقم (٤٨٣٨) .

[١] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « لَا فَظٌّ » .

[٢] - في ت : « صخاب » .

[٣] - ما بين المعقوفين في ز : « بِالْأَسْوَاقِ » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « يَقِيمُوا » .

[٦] - ما بين المعقوفين سقط من : ز ، خ .

[٧] - في ت : « إِنِّي » .

ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب^[١] [بالأسواق]^[٢] ، لو يمر إلى جنب سراج لم يطفئه ، من سكنته ، ولو يمشي على القصب لم يسمع من تحت قدميه^[٣] ، أبشعه مبشرًا ونذيرًا ، لا يقول الحنا ، أفتح به أعيناً كُمهاً ، وأذاناً صُمّها ، وقلوبياً غلْفًا ، أسدده لكل أمر جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة منطقه ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدي به بعد الضلال ، وأعلم به بعد الجحالة ، وأرفع به بعد الخَّالَة ، وأعرف به بعد النَّكْرَة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغثى به بعد العَيْلَة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأولف به بين أمم متفرقة ، وقلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وأستند به فقاماً من الناس عظيمة من الهلكة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، موحدين مؤمنين مخلصين ، مصدقين لما جاءت به رسلي ، ألهُمُّهم التسبيح والتحميد ، والثناء والتكبير والتوحيد ، في مساجدهم ومجالسهم ، ومضاجعهم ومنقلبهم ومواثيم ، يصلون لي قياماً وقعوداً ، ويقاتلون في سبيل الله صفوفاً وزحوفاً ، ويخرجون من ديارهم ابتغاء مرضاتي الوفا ، يطهرون الوجوه والأطراف ، ويشدون الشياط في الأنصاف ، قربانهم دماؤهم ، وأناجيلهم في صدورهم ، رهبان بالليل ليوث بالنهار ، وأجعل في أهل بيته وذريته السابقين ، والصديقين والشهداء والصالحين ، أمته من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون ، أغز من نصرهم ، وأؤيد من دعا لهم ، وأجعل دائرة السوء على من خالفهم أو بغي عليهم ، أو أراد أن يتزع شيتاً مما في أيديهم ، أجعلهم ورثة لنبيهم ، والداعية إلى ربيهم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم ، أختتم بهم الخير الذي بدأته بأولهم ، ذلك فضلي أوتية من أشاء ، وأنا ذو الفضل العظيم » .

هكذا رواه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه اليماني - رحمه الله .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الرحمن بن صالح ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد ابن عبيد الله العززمي^[٤] ، عن شبيان التحوي ، أخبرني قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ - وقد كان أمر علياً ومعاذًا أن يسيرا إلى اليمن - فقال : « انطلقا فيسراً ولا تنفرا ، ويسراً ولا تعسرا ، إنه قد أنزل على : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ » .

ورواه الطبراني^(١) عن محمد بن نصر بن حميد البزار البغدادي ، عن عبد الرحمن بن

(١) المعجم الكبير (٣١٢/١١) ، وقال الهيثمي في المجمع (٩٢/٧) : « وفيه عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العززمي وهو ضعيف » .

[١] - ما بين المukofoين في ت : « في الأسواق » .

[٢] - في خ ، ز : « القرشي » .

[٣] - في ت : « صخاب » .

[٤] - في ز ، خ : « قدمه » .

صالح الأردي ، عن عبد الرحمن [بن محمد]^[١] بن عبيد الله العزمي ، ياسناده مثله ، وقال في آخره : « فَلَمَنْ قَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيْنِي : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرَسِلْنَاكَ شَاهِدًا عَلَى أَمْتَكَ وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ ، وَنَذِيرًا مِنَ النَّارِ ، وَدَاعِيًّا إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَأْذِنُهُ ، وَسَرَاجًا مُنِيرًا بِالْقُرْآنِ ».

وقوله : « شَاهِدًا لَهُ » ، أي : لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، وَعَلَى النَّاسِ بِأَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، « وَجَنَّتْنَا بَكَ عَلَى هُؤُلَاءِ شَهِيدًا لَهُ » ، [كَوْلُهُ : « لَتَكُونُوا شَهِيدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا »]^[٢] .

وقوله : « وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لَهُ » ، أي : بِشِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ بِجُزِيلِ الثَّوَابِ ، وَنَذِيرًا لِلْكَافِرِينَ مِنْ وَيْلِ الْعَقَابِ .

وقوله : « وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ يَأْذِنُهُ » ، أي : دَاعِيًّا لِلْخَلْقِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّهِمْ عَنْ أَمْرِهِ لَكَ بِذَلِكَ ، « وَسَرَاجًا مُنِيرًا لَهُ » ، أي : أَمْرُكَ ظَاهِرٌ فِيمَا جَنَّتْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ ، كَالشَّمْسِ فِي اِشْرَاقِهَا وِإِضَاعَتِهَا ، لَا يَجْحَدُهَا إِلَّا مَعَانِدُ .

وقوله : « وَلَا تَطْعِنَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدُعَ أَذَاهِمْ » ، أي : لَا تَطْعِمُهُمْ وَتَسْمِعُ^[٣] مِنْهُمْ فِي الَّذِي يَقُولُونَهُ ، « وَدُعَ أَذَاهِمْ » ، أي : اصْفَحْ وَتَجَاوِزْ عَنْهُمْ ، وَكُلْ أَمْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ ، فَإِنْ فِيهِ كَفَافِيَّةٍ لَهُمْ ، وَلَهُذَا قَالَ : « وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفِيَ بِاللَّهِ وَكِيلًا » .

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكْحَتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْنَاهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسْوُهُنَّ
فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْذِيزُونَهُنَّ فَمَتَعْوِهْنَ وَمَرِحُوهْنَ سَرَاحًا جَيْمِلًا

هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة ، منها : إطلاق النكاح على العقد وحده ، وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها ، وقد اختلفوا في النكاح : هل هو حقيقة في العقد وحده ، أو في الوطء ، أو فيهما ؟ على ثلاثة أقوال ، واستعمال القرآن إنما هو في العقد والوطء بعده ، إلا في هذه الآية فإنه استعمل في العقد وحده ، لقوله : « إِذَا نَكْحَتُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْنَاهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسْوُهُنَّ » ، وفيها دلالة لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها .

وقوله : « الْمُؤْمِنَاتِ » خرج مخرج الغالب ؛ إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتافية في ذلك بالاتفاق ، وقد استدل ابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وعلي بن الحسين زين العابدين ، وجماعة من السلف بهذه الآية على أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح ، لأنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : « إِذَا نَكْحَتُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْنَاهُنَّ » ، فعقب النكاح بالطلاق ، فدل على أنه لا يصح ولا يقع قبله . وهذا مذهب الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وطائفة كبيرة^[٤] من

[١] - ما بين المعقودتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعقودتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ت : « كثيرة » .

[٣] - في ز ، خ : « اسْمَعْ » .

السلف والخلف رحمهم الله تعالى .

وذهب مالك وأبو حنيفة رحمهما الله إلى صحة الطلاق قبل النكاح ، فيما إذا قال : إن تزوجت فلانة فهي طالق . فعندما متى تزوجها طلقت منه . وانختلفا فيما إذا قال : كل امرأة أتزوجها فهي طالق . فقال مالك : لا تطلق حتى يعين المرأة . وقال أبو حنيفة - رحمة الله - : كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه . فأمام الجمهور فاحتاجوا على عدم وقوع الطلاق بهذه الآية .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور المروزي ، حدثنا النضر بن شمبل ، حدثنا يونس - يعني : ابن أبي إسحاق - سمعت آدم مولى خالد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : [إذا قال^[١]] : كل امرأة أتزوجها فهي طالق . قال : ليس بشيء من أجل أن الله تعالى يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكْحَتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ الآية .

وحدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسبي ، حدثنا وكيع ، عن مطر ، عن الحسن بن مسلم بن ينّاق^[٢] ، عن ابن عباس ، قال : إنما قال الله تعالى : ﴿إِذَا نَكْحَتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ ، ألا ترى أن الطلاق بعد النكاح .

وهكذا روى محمد بن إسحاق ، عن داود بن الحسين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال الله : ﴿إِذَا نَكْحَتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ فلا طلاق [قبل النكاح]^[٣] .

وقد ورد الحديث بذلك عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك »^(٤٠) . رواه الإمام أحمد والترمذى ، وأبى داود ، وابن ماجة . وقال الترمذى : هذا حديث حسن ، وهو أحسن شيء روى في هذا الباب . وهكذا روى ابن ماجة عن علي ، والمشور بن مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا طلاق قبل نكاح »^(٤١) .

[٤٠] المستند (١٨٩/٢) ، وسنن الترمذى برقم (١١٨١) ، وسنن أبي داود برقم (٢١٩١) ، وسنن ابن ماجة برقم (٢٠٤٧) .

[٤١] سنن ابن ماجه برقم (٢٠٤٨) من طريق علي بن الحسين ، عن هشام بن سعد ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن المسور ، به . وقال البوصيري في الروايد (١٣٢/٢) : « هذا إسناد حسن ، علي بن الحسين ، وهشام بن سعد مختلف فيما ». وبرقم (٢٠٤٩) من طريق جوير ، عن الصحاك ، عن النزال بن سيرة ، عن علي ، به . وقال البوصيري في الروايد (١٣٢/٢) : « هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف جوير بن سعيد البجلي ، لكن لم ينفرد به جوير ، فقد رواه البيهقي في الكبرى (٣٢٠/٧) من طريق معاذ العنبرى =

[١] - ما بين المعقوفين سقط من : ز ، خ : « نئاق » .

[٢] - ما بين المعقوفين سقط من : ز ، خ : « نئاق » .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

وقال : ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ عَدَةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ ، هذا أمر مجمع عليه بين العلماء : أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها لا عدة عليها فتذهب فتتزوج في فورها من شاءت ، ولا يستثنى من هذا إلا المتوفى عنها زوجها ، فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشرين ، وإن لم يكن دخل بها بالإجماع أيضاً .

وقوله : ﴿فَمِنْتَعُوهُنَّ وَسَرِحُوهُنَّ سَرَاخًا جَمِيلًا﴾ المتعة هاهنا أعم من أن تكون نصف الصداق المسمى ، أو المتعة الخاصة ، إن لم يكن قد سمى لها ، قال الله تعالى : ﴿وَإِن طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَن تَقْسِمُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيَضَةً فَنَصَفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ وقال : ﴿لَا جَنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَالِمَ تَقْسِمُوهُنَّ أَوْ تَفْرَضُوا لَهُنَّ فَرِيَضَةً وَمِنْتَعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُحْسِنِين﴾ .

وفي صحيح البخاري ، عن سهل بن سعد وأبي أُسَيْدَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوج أُمِّيَّةَ بْنَتَ سَرَاحِيلَ ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ بَسْطَ يَدِهِ إِلَيْهَا ، فَكَانَهَا كَرِهَتْ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ أَبَا أُسَيْدَ أَنْ يَجْهَرَهَا وَيَكْسُوْهَا ثُبِّينَ رَازِقَيْنَ (١٥٢) .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : إن كان سَمِّيَ لها صداقاً فليس لها إِلَّا النصف ، وإن لم يكن سَمِّيَ لها صداقاً فأَمْتَعْهَا عَلَى قَدْرِ عُسْرَهُ وَيُسْرَهُ ، وَهُوَ السراح الجميل .

يَسْأَلُهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي أَتَيْتَ لُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكْتَ يَمِينَكَ
إِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَلَانِكَ
الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ
يَسْتَنِدَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عِلِّمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي
أَزْوَاجِهِنَّ وَمَا مَلَكْتَ أَيْمَانَهُنَّ لِكَيْلًا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرْجٌ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَّجِيمًا

يقول تعالى مخاطبنا نبيه - صلى الله عليه وسلم - بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتي

= عن حميد الطهوي ، عن الحسن عن علي به ، ثم رواه من طريق سعيد عن جوير به موقوفاً من الطريقيين معاً.

^{١٥٢}) صحيح البخاري برقم (٥٢٥٦ ، ٥٢٥٧) .

^(*) وفي رواية : رازقين . والرازقية : ثياب كتان بيض . والرازقي : الضعيف من كل شيء .

أعطاهن مهورهن ، وهي الأجور هاها . كما قاله مجاهد وغير واحد ، وقد كان مهوره لنسائه التي عشرة أوقية ونئلاً وهو نصف أوقية ، فالجيمع خمسمائة درهم . إلا أم حبيبة بنت أبي سفيان فإنه أمهراً عنها النجاشي رحمة الله أربعمائة دينار ، وإلا صفية بنت مخني فإنه اصطفاها من سنتي خير ، ثم [١] أعتقها وجعل عتقها صداقها . وكذلك جويرية بنت الحارث المصطلقية ، أذى عنها كتابتها إلى ثابت بن قيس بن شamas وتزوجها ، رضي الله عن جميعهن .

وقوله : ﴿ وَمَا مَلِكْتُ يَمْبَنِيكَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ﴾ ، أي : وأبا لك التسري مما أخذت من المغانم ، وقد ملك صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما . وملك ريحانة بنت شمعون النضرية ، ومارية القبطية أم ابنه إبراهيم عليه السلام ، وكانتا من السراري ، رضي الله عنهما .

وقوله : ﴿ وَبَنَاتُ عَمِّكَ وَبَنَاتُ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتُ خَالِكَ وَبَنَاتُ خَالِاتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ هذا عدل وَسَطَ بين الإفراط والتغريب ؛ فإن النصارى لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعداً ، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت اخته ، فجاءت هذه الشريعة الكاملة الظاهرة بهدم إفراط النصارى ، فأبا [٢] بنت العم والعممة ، وبنات الحال والخالة ، وتحريم ما أفرطت [٣] فيه اليهود من إباحة بنت الأخ والأخت ، وهذا بشعر فظيع .

ولما قال : ﴿ وَبَنَاتُ عَمِّكَ وَبَنَاتُ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتُ خَالِكَ وَبَنَاتُ خَالِاتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ فَوَحَدَ لِفَظَ الذِّكْر لشَرْفِهِ ، وَجَمِيع الْإِنَاث لِنَقْصِهِنَّ ، كَوْلُهُ : ﴿ عَنِ اليمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾ ﴿ يَخْرُجُهُمْ مِنَ الظَّلَمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ وَجَعْلُ الظَّلَمَاتِ وَالنُّورِ لَهُ وَلِهِ نَظَارٌ كَثِيرَةٌ .

وقوله : ﴿ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ قال ابن أبي حاتم - رحمة الله - : حدثنا محمد بن عمار ابن الحارث الرازي ، حدثنا عبد الله بن موسى ، حدثنا إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي صالح ، عن أم هانئ قالت : خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذررت إليه فعذرني [٤] ، ثم أزلل الله : ﴿ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلِكْتُ يَمْبَنِيكَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتُ عَمِّكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ الَّتِي هَاجَرْنَ [٥] مَعَكَ ﴾ ، قالت : فلم أكن أحل له ، ولم أكن من هاجر معه ، كنت من الطلاقاء .

ورواه ابن حجر [٦] عن أبي كريب ، عن عبد الله بن موسى به . ثم رواه ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، عنها بنحوه . ورواه الترمذى في جامعه [٧] .

[١] تفسير الطبرى (١٥٣) / (٢٢) (١٥٣).

[٢] سنن الترمذى برقم (٣٢١٤) وقال : « هذا حديث حسن صحيح لا أعرف إلا من هذا الوجه من حديث السدى » .

[٣] - في ز ، خ : « فإنه » .

[٤] - في خ ، ز : « مما بلغ » .

[٥] - في ز ، خ : « فدرلي » .

وهكذا قال أبو رزين وقتادة : إن المراد : من هاجر معه إلى المدينة . وفي رواية عن قتادة : ﴿اللاتي هاجرن معك﴾ ، أي : أسلمن . وقال الضحاك : فرأى ابن مسعود : (واللاتي هاجرت^[١] معك) .

وقوله : ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها﴾ ، أي : ويحل لك - يا أيها النبي - المرأة المؤمنة إذا وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر إن شئت ذلك . وهذه الآية تروى [فيها شرطان]^[٢] ، كقوله تعالى إخباراً عن نوح - عليه السلام - أنه قال لقومه : ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أتصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ . وكقول موسى : ﴿يا قوم إن كتم آمنتكم بالله فعليه توكلا إن كتم مسلمين﴾ . وقال هاتنا : ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها﴾ .

وقد قال الإمام أحمد^(١٥٥) : حدثنا إسحاق ، أخبرنا مالك ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد الساعدي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت : يا رسول الله ، إني قد وهبت نفسي لك . فقامت قياماً طويلاً ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ، زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل عندك من شيء تصدقها إياه ؟ » فقال : ما عندي إلا إزاري هذا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أعطيتها إزارك جلست لا إزار لك ، فالتمس شيئاً ». فقال : لا أجد شيئاً . فقال : « التمس ولو خاتماً من حديده ». فالتمس فلم يجد شيئاً ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « هل معك من القرآن شيء ؟ ». قال : نعم ، سورة كذا ، وسورة كذا - ليشور يسميها - فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زوجتكها بما معك من القرآن ». أخرجاه من حديث مالك .

وقال الإمام أحمد^(١٥٦) : حدثنا عفان ، حدثنا مرحوم ، سمعت ثابتاً يقول : كنت مع أنس جالساً وعنه ابنة له ، فقال أنس : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا نبي الله ، هل لك في حاجة ؟ فقالت ابنته : ما كان أقل حياءها ! فقال : « هي خير منك ، رغبت في

(١٥٥) المسند (٣٣٦/٥)، أخرج البخاري في كتاب الوكالة ، باب : وكالة المرأة الإمام في النكاح (٤/٥٦٢ رقم: ٢٣١٠). وأطراقه في (٥٠٢٩، ٥٠٣٠، ٥٠٨٧، ٥١٢٦، ٥١٣٢، ٥١٤٩، ٥١٥٠، ٥٨٧١، ٧٤١٧). ومسلم في كتاب النكاح ، باب : الصداق وجواز كونه تعليم قرآن أو خاتم حديد (٢/١٠٤١، ١٠٤٠ رقم: ١٤٢٥).

(١٥٦) المسند (٣/٢٦٨) (١٣٨٦٣)، وأخرج البخاري في صحيحه في كتاب النكاح ، باب : عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح ، حديث (٥١٢٠) (١٧٤/٩). والنسائي في كتاب النكاح ، باب : عرض المرأة نفسها على من ترضي (٦/٧٨ - ٧٩). وفي الكبرى ، حديث (٥٣٦١) - (٣/٢٧٧). وابن ماجه =

[١] - في ت : « هاجرن ». [٢] - في ز ، خ : « شرطاً » .

النبي صلى الله عليه وسلم ، فعرضت عليه نفسها » .

انفرد بإخراجه البخاري ، من حديث مرحوم بن عبد العزيز^[١] ، عن ثابت البناي ، عن أنس به .

وقال أحمد أيضًا : حدثنا عبد الله بن بكر^[٢] ، حدثنا سنان بن ربيعة ، عن الحضرمي ، عن أنس بن مالك ، أن امرأة أتت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله ، ابنة لي كذا وكذا . فذكرت من حسنها وجمالها ، فأترك^[٣] بها . فقال : « قد قبلتها » . فلم تزل مدحها حتى ذكرت أنها لم تصدع ولم تستشك شيئاً قطُّ ، فقال : « لا حاجة لي في ابنته » . لم يخرجوا^(٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا منصور بن أبي مزاحم ، حدثنا ابن أبي الوضاح - يعني محمد بن مسلم - عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم خولة بنت حكيم^(٥) .

وقال ابن وهب ، عن سعيد بن عبد الرحمن وابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أن خولة بنت حكيم بن الأوقص ، من بني سليم ، كانت من اللاتي وهبْنَ أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم^(٦) .

= في كتاب النكاح ، باب : التي وهبت نفسها للنبي - صلى الله عليه وسلم - حديث (٢٠٠١) (١١) . من طريق عن مرحوم بن عبد العزيز عن ثابت ، به ..

(٦٤٥) (١٥٧) (١٥٥/٣) . وحضرمي بن لاحق التميمي السعدي : قال عبد الله بن أحمد : سألت أبي عن الحضرمي الذي حدث عنه سليمان التميمي . قال : كان قاصداً ، فرعم معتمر قال : قد رأيته قال : لا أعلم من يروي عنه غير سليمان التميمي . وقال عبد الله : وسألت يحيى بن معين فقال : ليس به بأس ، وليس هو بالحضرمي بن لاحق . وقال أبو حاتم : حضرمي البامي وحضرمي بن لاحق هما عندي واحد . وقال عكرمة بن عمارة : كان فقيها وخرجت معه إلى مكة سنة مائة ، وذكره ابن حبان في الثقات . وقال ابن حجر : وفرق بين الحضرمي بن لاحق وحضرمي الذي يروي عنه سليمان التميمي ، فقال في الثاني : لا أدرى من هو ولا ابن من هو . انتهى كلامه . وكذلك قال ابن المديني : حضرمي شيخ بالبصرة ، روى عنه التميمي مجهول ، وكان قاصداً ، وليس هو بالحضرمي بن لاحق ، قال ابن حجر : والذي يظهر لي أنهما اثنان . دس . والحديث أورده الهيثمي في مجمع الروايد (٢٩٤/٢) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى (٤٢٣٤) (٧) (٢٢٢) ورجاه ثقات .

(١٥٨) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٥٥/٧) من طريق منصور بن أبي مزاحم ، به .

(١٥٩) رواه الطبراني في تفسيره (٢٢/٢٣) .

[١] - في خ ، ز : « الغفار » .

[٢] - في ز ، خ: « بكيـر » .

[٣] - في ز ، خ: « فـأـتـرـك » .

وفي رواية له عن سعيد بن عبد الرحمن ، عن هشام ، عن أبيه ، كنا نتحدث أن خولة بنت حكيم كانت وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت امرأة صالحة (١٦٠) .

فيحتمل أن أم سليم هي خولة بنت حكيم ، أو هي امرأة أخرى.

وقال ابن أبي حاتم : حديثنا محمد بن إسماعيل الأحسسي ، حدثنا وكيع ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، وعمر بن الحكم ، وعبد الله بن عبيدة قالوا : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة امرأة ، ست من قريش ، خديجة ، وعائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وسودة ، وأم سلامة . وثلاث من بني عامر بن صعصعة ، وامرأتان [١] من بني هلال بن عامر : ميمونة بنت الحارث ، وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وزينب أم المساكين ، وامرأة من بني أبي بكر بن كلاب من القرطاء ، وهي التي اختارت الدنيا . وامرأة من بني الجون ، وهي التي استعادت منه ، وزينب بنت جحش الأسدية ، والسبئيان [٢] صفية بنت حبي بن خطيب ، وجويرية بنت الحارث بن عمرو بن المصطلق الخزاعية (١٦١) .

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن ابن عباس : « وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي » ، قال : هي ميمونة بنت الحارث .

فيه انقطاع ، هذا مرسل ، والمشهور أن زينب التي كانت تدعى أم المساكين هي زينب بنت خزيمة الأنصارية ، وقد ماتت عند النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، فالله أعلم .

والغرض من هذا أن اللاتي وهبن أنفسهن من النبي صلى الله عليه وسلم كثير [٣] ، كما قال البخاري : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا أبوأسامة قال هشام بن عروة : حدثنا عن أبيه ، عن عائشة قالت : كنت أغمار من اللاتي وهبن أنفسهن من النبي صلى الله عليه وسلم وأقول : أتذهب امرأة نفسها ؟ فلما أنزل الله : « ترجي من تشاء منهن وتزوي إلينك من تشاء ومن ابتغى من عزلت فلا جناح عليك » ، قلت : ما أرى ربك إلا يسأع في هواك (١٦٢) .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن منصور الجعفي ، حدثنا يونس بن بكي ، عن عبسة بن الأزهر ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لم

(١٦٠) رواه الطبراني في تفسيره (٢٢/٢٢) .

(١٦١) رواه ابن أبي شيبة في الصنف (٥/٢٧٠) من طريق وكيع بلفظ : « تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - امرأة بني الجون فطلقتها وهي التي استعادت منه » .

(١٦٢) صحيح البخاري برقم (٤٧٨٨) .

[١] - في ز ، خ: « امرأتين » .

[٢] - في ز ، خ: « السبيئين » .

[٣] - في ز ، خ: « كثيراً » .

يُكَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأً وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ .

وَرَوَاهُ أَبْنُ جَرِيرٍ [١٦٣] ، عَنْ أَبِي كَرِيبٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ بَكِيرٍ . أَيْ إِنَّهُ لَمْ يَقْبِلْ وَاحِدَةً مِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ [١] ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِبَاخَاهُ لَهُ وَمِنْ خُصُوصَاهُ بَهُ ؛ لَأَنَّهُ مَرْدُودٌ إِلَى مُشَيْتِهِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَكْحِهَا﴾ ، أَيْ : إِنْ اخْتَارَ ذَلِكَ .

وَقُولُهُ : ﴿خَالِصَةُ لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، قَالَ عَكْرَمَةُ : أَيْ لَا تَحْلُ الْمَوْهُوبَةُ لِغَيْرِكَ ، وَلَوْ أَنْ امْرَأً وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِرَجُلٍ لَمْ تَحْلُ لَهُ حَتَّى يُعْطِيهَا شَيْئًا . وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدُ وَالشَّعْبِيُّ وَغَيْرُهُمَا .

أَيْ : إِنَّهَا إِذَا فُوْضَتِ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا إِلَى رَجُلٍ فَإِنَّهُ مُتَى دَخَلَ بِهَا وَجَبَ لَهَا عَلَيْهِ مَهْرُ مُثْلَهَا ، كَمَا حَكِمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَزُوقَ بَنْتِ وَاثْنَتِ لَمَّا فُوْضَتِ ، فَحُكْمُ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَدَاقِ مُثْلَهَا لَمَّا تَوَفَّتِ عَنْهَا زَوْجُهَا ، وَالْمَوْتُ وَالدُّخُولُ سَوَاءٌ فِي تَقْرِيرِ الْمَهْرِ ، وَثَبَوتُ مَهْرِ الْمُثَلِّ فِي الْمَفْوَضَةِ لِغَيْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَمَا هُوَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَإِنَّهُ لَا يَجْبُ عَلَيْهِ لِلْمَفْوَضَةِ شَيْءٌ وَلَوْ دَخَلَ بِهَا ؛ لَأَنَّ لَهُ أَنْ يَتَرَوَّجَ بِغَيْرِ صَدَاقٍ وَلَا وَلِيٍّ وَلَا شَهُودٍ ، كَمَا فِي قَصَّةِ زَيْنَبَ بَنْتِ جَحْشٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؛ وَلَهُذَا قَالَ قَاتِدَةُ فِي قُولِهِ : ﴿خَالِصَةُ لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، يَقُولُ : لَيْسَ لِامْرَأَ تَهَبُّ نَفْسَهَا لِرَجُلٍ بِغَيْرِ وَلِيٍّ وَلَا مَهْرٍ إِلَّا لِلَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

[وَقُولُهُ تَعَالَى : ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكْتِ إِيمَانَهُمْ﴾ [١٦٤]] قَالَ أَبِي بْنِ كَعْبٍ ، وَمُجَاهِدَ ، وَالْمَحْسُنَ ، وَقَاتِدَةَ وَابْنَ جَرِيرٍ فِي قُولِهِ : ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ ، أَيْ : مَنْ حَضَرَهُمْ فِي أَرْبِعِ نِسْوَةٍ حَرَائِفَ وَمَا شَاعَوا مِنَ الْإِمَاءَ ، وَاشْتَرَاطَ الْوَلِيُّ وَالْمَهْرُ وَالْشَّهُودُ عَلَيْهِمْ ، وَهُمُ الْأُمَّةُ ، وَقَدْ رَخَصْنَا لَكَ فِي ذَلِكَ ، فَلَمْ نُوجِبْ عَلَيْكَ شَيْئًا مِنْهُ ، ﴿لَكِيلًا﴾ [١٦٥] يَكُونُ عَلَيْكَ حَرْجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا .

﴿تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُنْتَهِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَّلَتْ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْفَعَ أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنَهُنَّ وَلَا يَحْزُنَكَ وَيَرْضَيْنَكَ بِمَا ءَالَّيْتَهُنَّ
كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَلِيمًا﴾

• (١٦٣) تفسير الطبراني (٢٢/١٧).

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المكوفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز ، خ : « لَلَا » .

قال الإمام أحمد (١٦٤) : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها : أنها كانت تُغَيِّر النساء اللاتي وهن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : ألا تستحي المرأة أن [١] تعرض نفسها بغير صداق ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿تَرْجِي مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِنْ عَزْلَتْ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْكَ﴾ ، قالت : إني أرى ربك يسارع لك في هواك .

وقد تقدم أنَّ البخاري رواه من حديث أبي [٢] أسامة ، عن هشام بن عروة ، فدل هذا على أن المراد بقوله : ﴿تَرْجِي﴾ ، [أي : تُؤْخِرُ] [٣] ﴿مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ ، أي : من الواجبات ، ﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ﴾ ، أي : من شئت قبلتها ، ومن شئت ردتها ، ومن ردتها فأنت [٤] فيها أيضاً بالخير بعد ذلك ، إن شئت غذتَ فيها فآويتها ، ولهذا قال ﴿وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِنْ عَزْلَتْ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْكَ﴾ .

قال عامر الشعبي في قوله : ﴿تَرْجِي مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ﴾ كن نساء وهن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم ، فدخل بعضهن وأرجأ بعضهن لم يُنكحن بعده ، منها أم شريك .

وقال آخرون : بل المراد بقوله : ﴿تَرْجِي مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ﴾ ، أي : من أزواجك ، لا حرج عليك أن ترك القسم لهن ، فتقدم من شئت ، وتؤخر من شئت ، وبجماع من شئت ، وترك من شئت .

هكذا يروى عن ابن عباس ، ومجاده ، والحسن ، وقادة ، وأبي زدين ، وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم ، وغيرهم ، ومع هذا كان صلى الله عليه وسلم يقسم لهن ؛ ولهذا ذهب طائفة من

(١٦٤) المسند (١٥٨/٦). وأخرج البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿تَرْجِي مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ﴾ من سورة الأحزاب (٨/٣٨٥) [رقم : ٤٧٨٨] وطرفه في (٥١١٣). ومسلم في كتاب الرضاع ، باب : جواز هبتها نوبتها لضرتها . (٢) [رقم : ١٠٨٥/٢ ، ١٠٨٦]. والنسائي في كتاب النكاح ، باب : ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في النكاح وأزواجها . (٣) [رقم : ٥٤/٦]. وفي الكبرى في كتاب عشرة النساء ، باب : تأويل قول الله جل ثوابه : ﴿تَرْجِي مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ﴾ (٤) [رقم : ٢٩٤/٥]. وكتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿تَرْجِي مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ﴾ (٥) [رقم : ٤٣٤/٦]. وأiben ماجة في كتاب النكاح ، باب : التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم . (٦) [رقم : ٦٤٤/١]. كلهم من طريق هشام بن عروة به .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز ، خ : « أنت ». .

[٥] - في ز ، خ : « من ». .

الفقهاء من الشافعية وغيرهم إلى أنه لم يكن القسم واجباً عليه صلى الله عليه وسلم واحتجوا بهذه الآية الكريمة .

وقال البخاري ^(١٦٥) : حدثنا حبان بن موسى ، حدثنا عبد الله - هو ابن المبارك - أخبرنا عاصم الأحول ، عن معاذة ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستأذن في اليوم ^[١] المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية : ﴿ ترجي من تشاء منها وتروي إليك من تشاء ، ومن ابتفيت من عزلت فلا جناح عليك ﴾ ، فقلت لها : ما كنت تقولين ؟ فقالت : كنت أقول : إن كان ذاك إلى فاني لا أريد يا رسول الله ؛ أن أوثر عليك أحداً .

فهذا الحديث عنها يدل على أن المراد من ذلك عدم وجوب القسم ، وحديثها الأول يقتضي أن الآية نزلت في الواهبات ، ومن هاهنا اختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهبات ، وفي النساء اللاتي عنده ، أنه مخير ^[٢] فيهن ، إن شاء قسم ، وإن شاء لم يقسم ، وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي ، وفيه جمع بين الأحاديث ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزنن ويبرضن بما آتيتهن كلهن ﴾ ، أي : إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج في القسم ، فإن شئت قسمت ، وإن شئت لم تقسم ، لا جناح عليك في أي ذلك فعلت ، ثم مع هذا أنت تقسم لهن اختياراً منك لا أنه على سبيل الوجوب ، فرحن بذلك واستبشرن به وحملن جميلك ^[٣] في ذلك ، واعترفن بمنتك ^[٤] عليهن في قسمك لهن وتسويتك بينهن وإنصافك لهن وعدلك فيهن .

وقوله : ﴿ والله يعلم ما في قلوبكم ﴾ ، أي : من الميل إلى بعضهن دون بعض ، مما لا يمكن دفعه ، كما قال الإمام أحمد ^(١٦٦) :

حدثنا يزيد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبوي ، عن أبي قلابة ، عن عبد الله بن يزيد ، عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ، ثم يقول :

صحيح البخاري برقم (٤٧٨٩) .

(١٦٦) المسند (١٤٤/٦) (٢٥٢٢٢) ، وأخرجه أبو داود في كتاب النكاح ، باب : القسم بين النساء . (٢) / رقم : ٢٤٢ / ٢١٣٤ . والترمذى في كتاب النكاح ، باب : ما جاء في التسوية بين الضرائر . (٣) / ٤٣٧ / ٣ / ١١٤٠ . والنمسائى في كتاب عشرة النساء ، باب : ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض . (٤) / ٦٣٣ / ٦٤ / ٣٩٤٣ . وأبى ماجة في كتاب النكاح ، باب : القسمة بين النساء . (٥) / ٦٣٣ / ٦٤ / رقم : ٣٩٤٣ . وأبى حيان في صحيحه (٢٠٣/٦) حديث ٤٤٩٢ . والحاكم في مستدركه (١٨٧/٢) . كلهما من طريق حماد بن سلمة به . وقال الحافظ في التلخيص : وأعمله النمسائى والترمذى والدارقطنى بالإرسال . وقال أبو زرعة : لا أعلم أحداً تابع حماد بن سلمة على وصله ..

[١] - في ت : « يوم » .

[٢] - في ز ، خ : « يخير » .

[٣] - في ز ، خ : « جميلك » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

« اللهم هذا فعلني فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » .

ورواه أهل السنن الأربع ، من حديث حماد بن سلمة - وزاد أبو داود بعد قوله : « فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » يعني القلب . وإنستاده صحيح ، و[١] رجاله كلهم ثقات . ولهذا عقب ذلك بقوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهَا حِلْمًا ﴾ ، أي : بضماء السراير ، ﴿ حِلْمًا ﴾ ، أي : يحمل ويغفر .

**لَا يَحِلُّ لِكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا أَنْ تَبْدِلَ بِهِنَّ مِنْ أَنْفَعِكَ
حُسْنَهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكْتَ يَمْسِنُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا**

٥٢

ذكر غير واحد من العلماء - كابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقادة ، وابن زيد ، وابن حجر ، وغيرهم - أن هذه الآية نزلت مجازة لأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - ورضأ عنهن ، على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة ، لما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم في الآية . فلما اخترن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان جزاًًّا عنهن أن قصره عليهن ، وحرم عليهن أن يتزوجن بغيرهن ، أو يستبدل بهن أزواجاً غيرهن ، ولو أعجبه حسنها إلا الإمام والسراري فلا حجر عليهن فيهن . ثم إنه تعالى رفع عنه الحجر في ذلك ونسخ حكم هذه الآية . وأباح له التزوج ، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج لتكون الملة للرسول صلى الله عليه وسلم عليهن .

قال الإمام أحمد (١٦٧) : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له النساء .
ورواه أيضًا (١٦٨) من حديث ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة .

ورواه الترمذى والنمسائي في سننهما .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة ، حدثني
(١٦٧) المسند (٤١/٦) (٤٢٤٤٦).

(١٦٨) المسند (٦/١٨٠) (٢٥٧٤) ، وأخرجه الترمذى في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأحزاب (٥/٣٣٢) / رقم : (٣٢١٦) . والنمسائي في كتاب النكاح ، باب : ما افترض الله عز وجل على رسوله عليه السلام وحرمه على خلقه (٦/٥٦) / رقم : (٣٢٠٤) . وفي الكبرى في كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى ﴿ لَا يَحِلُّ لِكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ (٦/٤٣٤) / رقم : (١١٤١٥) . وابن حبان (١٤/٢٨١) / رقم : (٦٣٦٦) . والبيهقي (٧/٥٤) . وقال الترمذى : هذا حديث حسن . كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها .

عمر بن أبي بكر، حدثني المغيرة بن عبد الرحمن الحزامي ، عن أبي النضر مولى عمر بن عبد الله ، عن عبد الله بن وهب بن زمعة ، عن أم سلمة أنها قالت : لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء ، إلا ذات محرم ، وذلك قول الله - عز وجل - ﴿ ترجي من تشاء منهن وتزوي إليك من تشاء ﴾ .

فجعلت هذه ناسخة للتي بعدها في التلاوة كأيتها عدة الوفاة في البقرة الأولى ناسخة للتي بعدها ، قاله^[١] أعلم .

وقال آخرون : بل معنى الآية : ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ﴾ ، أي : من بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء اللاتي أحللنا لك من نسائك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك ، وبينات العم والعمات والأخوال والخالات والواهبة وما سوئ ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك ، هذا مروي عن أبي بن كعب ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك - في رواية - وأبي رزين - في رواية عنه - وأبي صالح ، والحسن ، وقتادة - في رواية - والسدي ، وغيرهم .

قال ابن جرير^(١٦٩) : حدثنا يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن داود بن أبي هند ، حدثني محمد بن أبي موسى ، عن زياد - رجل من الأنصار - قال : قلت لأبي بن كعب : أرأيت لو أن أزواجا النبي - صلى الله عليه وسلم - ثُوفين ، أما كان له أن يتزوج ؟ فقال : وما يمنعه من ذلك ؟ قال : قلت : قوله : ﴿ لا يحل لك النساء من بعد ﴾ . فقال : إنما أحل الله له ضربا من النساء ، فقال : ﴿ يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك ﴾ إلى قوله : ﴿ إن وهبت نفسها للنبي ﴾ . ثم قيل له : ﴿ لا يحل^[٢] لك النساء من بعد ﴾ .

ورواه عبد الله بن أحمد من طرق ، عن داود به .

وروى الترمذى^(١٧٠) ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال . نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء ، إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات بقوله : ﴿ لا يحل^[٣] لك

(١٦٩) تفسير الطبرى (٢١/٢٢) ، وزوائد المسند (١٣٢/٥) . وإسناده ضعيف : محمد بن أبي موسى : مجھول ورواہ الضیاء فی المختارة حديث ١١٧٢ (٣٧٧/٣) بإسناده من طریق یزید بن زریع وعبد الأعلى . وذکرہ الہیشی فی مجمع الروایہ (٧/٩٢، ٩٣) وقال : « رواه عبد الله بن أحمد وزاد : كذا رأیت في ثقات ابن حبان : زياد أبو يحيى الأنصاري يروى عن ابن عباس فإن كان هو فهو ثقة ، والظاهر أنه هو ، ومحمد بن أبي موسى ذكره ابن حبان في الثقات ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، والحديث آخرجه أيضا الدارمي في سننه (٢/١٥٣، ١٥٤) من طریق یعلی بن شداد عن وهب عن داود به .

(١٧٠) سنن الترمذى برقم (٣٢١٥) وقال : « هذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث عبد الرحيم بن بهرام ، قال : سمعت أحمد بن الحسن يقول : قال أحمد بن حنبل : لا بأس بحديث عبد الحميد بن =

[١] - في ت : « والله » .

[٢] - في ز ، خ : « تحمل » .

[٣] - في ز ، خ : « تحمل » .

النساء من بعد ، ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنها إلا ما ملكت يمينك ^١ ، فأهل الله فتياتكم المؤمنات ^٢ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ^٣ ، وحرم كل ذات دين غير الإسلام ، ثم قال : ^٤ ومن يكفر بالإيمان فقد جبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين ^٥ وقال : ^٦ يا أيها النبي إنا أحملنا لك أزواجهك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك ^٧ إلى قوله ^٨ خالصة لك من دون المؤمنين ^٩ ، وحرم ما سوى ذلك من أصناف النساء .

وقال مجاهد : ^{١٠} لا يحل ^{١١} لك النساء من بعد ^{١٢} ، أي : من بعد ما سمي لك ، لا ^{١٣} مسلمة ولا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة .

وقال أبو صالح : ^{١٤} لا يحل ^{١٥} لك النساء من بعد ^{١٦} ، أمر أن لا ^{١٧} يتزوج أعرابية ولا عربية ، ويتزوج بعد من نساء تهامة ، وما شاء من بنات العم والعمدة ، والخال والخالة ، إن شاء ثلاثة .

وقال عكرمة : ^{١٨} لا يحل ^{١٩} لك النساء من بعد ^{٢٠} أي : التي سمي الله .

واختار ابن جرير - رحمه الله - أن الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء ، وفي النساء اللواتي في عصمتها وكن تسعًا . وهذا الذي قالهجيد ، ولعله مراد كثير من حكينا عنه من السلف ؛ فإن كثيرًا منهم روى عنه هذا وهذا ، ولا منافاة ، والله أعلم .

ثم أورد ابن جرير على نفسه ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها ، وعزم على فراق سودة حتى وهبته يومها لعائشة ، ثم أجاب بأن هذا كان قبل نزول قوله : ^{٢١} لا يحل ^{٢٢} لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنها ^{٢٣} ، وهذا الذي قاله من أن هذا كان قبل نزول الآية - صحيح ، ولكن لا يحتاج إلى ذلك ؛ فإن الآية إنما دلت على أنه ^{٢٤} لا يتزوج من عدا اللواتي في عصمتها ، وأنه لا يستبدل بهن غيرهن ، ولا يدل ذلك على أنه لا يطلق واحدة منهن من غير استبدال ، والله أعلم .

فأما قضية سودة ففي الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها - وهي سبب نزول قوله

= بهرام عن شهر بن حوشب » .

[١] - في ز ، خ : « الأخسرین » .

[٢] - في ز ، خ : « تحل » .

[٣] - في خ ، ز : « من » .

[٤] - في ز ، خ : « تحل » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « تحل » .

[٧] - في ز ، خ : « تحل » .

[٨] - في ز ، خ : « أن » .

تعالى : ﴿ وَإِنْ امْرَأً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصْلِحَا ﴾^[١] بِنِيهِمَا صَلَحَا ﴿ آيَةٌ ١٧١﴾ .

وأما قضية حفصة فروى أبو داود والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه ، من طرق عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن صالح بن صالح بن حبيبي ، عن سلمة بن كهيل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها . وهذا إسناد قوي ^(١٧٢) .

وقال الحافظ أبو يعلى ^(١٧٣) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا يونس بن بكير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن ابن عمر قال : دخل عمر على حفصة وهي تبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك ؟ إنه قد كان طلقك مرة ثم راجعك من أجلي ، والله لعن كان طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبداً . ورجاله على شرط الصالحين .

وقوله : ﴿ وَلَا أَنْ تَبْدِلْ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَ حَسَنَهُنَّ ﴾ ، فنهاه عن الزيادة عليهم ، أو طلاق واحدة منهم واستبدال غيرها بها إلا ما ملكت يمينه ^[٢] .

وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديثاً مناسباً ذكره هنا ، فقال :

حدثنا إبراهيم بن نصر ، حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن إسحاق بن عبد الله الترشسي ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كان البطلان في الجاهلية أن يقول الرجل للمرأة : باذلني امرأتك وأبادلك بأمرأتي . أي : تنزل لي عن امرأتك ، وأنزل لك عن امرأتي . فأنزل الله : ﴿ وَلَا أَنْ تَبْدِلْ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَ حَسَنَهُنَّ ﴾ . قال : فدخل عيينة بن حصن على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعنه عائشة ، فدخل بغير إذن ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأين الاستذنان ؟ ». قال : يا رسول الله ، ما استذنت على رجل من مصر منذ أدركت . ثم قال : من هذه الحُمَّيراء إلى جنبك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذه عائشة أم المؤمنين ». قال : أفلأ نزل لك على أحسنخلق ؟ قال : « يا عيينة إن الله قد حرم ذلك ». فلما أن خرج قالت عائشة : من هذا ؟ قال : « هذا ^[٣] أحمق مطاع ، وإنه - على

(١٧١) انظر تخریج هذا الحديث عند تفسیر الآية : ١٢٨ من سورة النساء .

(١٧٢) سنن أبي داود برقم (٢٢٨٣) ، وسنن النسائي (٢١٣/٦) ، وسنن ابن ماجة برقم (٢٠١٦) .

(١٧٣) مسنون أبي يعلى (١٦٠/١) .

[١] - في ز ، خ : « يصالحا » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز ، خ : « يصالحا » .

ما ترين - لسيد قومه » .

ثم قال البزار ^(١٧٤) : إسحاق بن عبد الله : لين الحديث جداً ، وإنما ذكرناه لأننا لم نحفظه إلا من هذا الوجه ، وبيننا العلة فيه .

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَّا طَعَامٍ
غَيْرَ نَظِيرِنَ إِنَّهُ وَلَكُنْ إِذَا دُعِيْتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعَمْتُمْ فَالنَّشِرُوا وَلَا مُسْتَغْشِسِينَ
لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِنُ الَّتِي فَيَسْتَحِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِي مِنَ
الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَّعًا فَسَتُوْهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقَوْلِكُمْ
وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذِنُوا رَسُولُ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُنَّ
مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ٥٣ إِنْ تُبْدِوا شَيْئًا أَوْ
ثَخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكْلِ شَيْئًا عَلَيْمًا ٥٤

هذه آية الحجاب ، وفيها أحكام وأداب شرعية ، وهي مما وافق ترتيلها قول ^[١] عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما ثبت ذلك في الصحيحين عنه أنه قال : وافت ربى في ثلاث فقلت : يا رسول الله ؛ لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى ؟ فأنزل الله : « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » : وقلت : يا رسول الله ؛ إن نسائك ليدخلن ^[٢] عليهن البر والفاجر ، فهو حجبهن ؟ فأنزل الله آية الحجاب . وقلت لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم لما ^[٣] تمالأن عليه في الغيرة : « عسى ربي إن طلقكن أن يبدل أزواجا خيراً منكم » ، فنزلت كذلك ^(١٧٥) .

وفي رواية لمسلم ذكر أسرارى بدر وهي قضية رابعة .

وقد قال البخاري : حدثنا مسدد ، عن يحيى ، عن حميد ، عن أنس بن مالك قال ^[٤] :

(١٧٤) مسند البزار برقم (٢٥١) « كشف الأستار » ، وقال الهيثمي في الجمجم (٩٢/٧) : « وفيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك » .

(١٧٥) صحيح البخاري برقم (٤٠٢) .

[١] - في ز ، خ : « لقول » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « إنما » .

قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، يدخل عليك البر والفاجر ، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ؟ فأنزل الله آية الحجاب ^(١٧٦) .

وكان وقت نزولها في صبيحة عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش ، التي تولى الله تعالى تزويجها بنفسه ، وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة ، في قول قنادة والواقدی وغيرهما .

وزعم أبو عبيدة معمر بن المثنى ، و الخليفة بن خياط ؛ أن ذلك كان في سنة ثلث ، فالله ^(١١) أعلم .

قال البخاري ^(١٧٧) : حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي ، حدثنا معتمر بن سليمان ، سمعت أبي ، حدثنا أبو مجلز ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زینب بنت جحش ، دعا القوم فطعموها ثم جلسوا يتحدون ، فإذا هو كأنه ^(١٢) يتهيأ للقيام فلم يقمو ، فلما رأى ذلك قام ، [فلما قام قام] ^(١٣) من قام ، وقد ثلاثة نفر . فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل ، فإذا القوم جلوس ، ثم إنهم قاموا . فانطلقت ^(٤) فجئت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا . فجاء حتى دخل ، فذهبت داخل ، فألقيت الحجاب ^(٥) بيديه وبينه ، فأنزل الله ^(٦) « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي ... » الآية .

وقد رواه أيضاً في موضع آخر ، ومسلم والنسائي ، من طرق ، عن معتمر بن سليمان ، به .

ثم رواه البخاري متفرداً ^(٦) به من حديث أبوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ^(٧) [بحوجه] ^(٨) .

ثم قال : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز بن صحيب ، عن أنس بن مالك ^(٩) قال : بنى ^(١٠) النبي - صلى الله عليه وسلم - بزینب بنت جحش بخيز ولحم ،

[١٧٦] صحيح مسلم برقم (٢٣٩٩) .

[١٧٧] صحيح البخاري برقم (٤٧٩١) وبرقم (٦٢٣٩ ، ٦٢٧١) ، وصحیح مسلم برقم (١٤٢٨) ، والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٢٠) .

[١٧٨] صحيح البخاري برقم (٤٧٩٢) .

[١] - في ت : « والله » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز ، خ : « فانطلقو » .

[٦] - في ت : « منفرداً » .

[٨] - في ت : « بنى على » .

[٣] - ما بين المعکوفین سقط من : خ ، ز .

[٥] - سقط من ز ، خ .

[٧] - ما بين المعکوفین سقط من : خ ، ز .

فَأَرْسَلْتُ عَلَى الطَّعَامِ دَاعِيًّا ، فِي جَيْءِ الْقَوْمِ^[١] فَيَا كُلُونَ وَيَخْرُجُونَ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ فَيَا كُلُونَ وَيَخْرُجُونَ . فَدَعَوْتُ حَتَّى مَا أَجَدَ أَحَدًا أَدْعُوهُ ، فَقَالَتْ : يَا نَبِيَ اللَّهِ ، مَا أَجَدَ أَحَدًا أَدْعُوهُ . قَالَ : « ارْفِعُوا طَعَامَكُمْ » وَبَقِيَ ثَلَاثَةِ رَهْطٍ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْطَلَقَ إِلَى حَجَرَةِ عَائِشَةَ ، فَقَالَ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ - أَهْلُ الْبَيْتِ - وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبِرِّ كَاتِبِهِ » . فَقَالَتْ^[٢] : وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، كَيْفَ وَجَدْتُ أَهْلَكَ ، بَارِكُ اللَّهُ لَكَ ؟ فَتَقَرَّرَى^[٣] حَجَرٌ نَسَائِهِ كَلْهَنْ ، وَيَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لِعَائِشَةَ ، وَيَقُلُّنَّ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةَ . ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا رَهْطُ ثَلَاثَةَ [في الْبَيْتِ]^[٤] يَتَحَدَّثُونَ . وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَدِيدُ الْحَيَاةِ ، فَخَرَجَ مُنْطَلِقًا نَحْوَ حَجَرَةِ عَائِشَةَ ، فَمَا أَدْرِي أَخْبَرَتْهُ أُمُّ أَخْبَرَهُ أَنَّ الْقَوْمَ خَرَجُوا ؟ فَرَجَعَ حَتَّى إِذَا وَضَعَ رَجُلَهُ فِي أَشْكَفَةِ^[٥] الْبَابِ دَاهِلَهُ وَأَخْرِيَ خَارِجَهُ ، أَرْخِيَ الْسَّتَرَ بَيْنِهِ وَبَيْنِهِ ، وَأَنْزَلَتْ آيَةَ الْحِجَابِ .

انفردَ بِهِ الْبَخَارِيُّ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِ الْكِتَابِ الستَّةِ^[٦] سَوْيَ النَّسَائِيِّ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْوَارِثِ^(١٧٩) .

ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ إِسْحَاقَ - هُوَ ابْنُ مُنْصُورٍ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكْرٍ السَّهْمِيِّ ، عَنْ حُمَيْدٍ ، عَنْ أَنْسٍ ، بِنْحُو ذَلِكِ^(١٨٠) ، وَقَالَ : « رَجَلَانِ » . انفردَ بِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ . وَقَدْ تَقْدِيمٌ فِي أَفْرَادِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ سَلِيمَانَ بْنِ الْمَغْيِرَةِ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنْسٍ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتَمَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْمَظْفَرِ ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سَلِيمَانَ ، عَنِ الْجَعْدِ - أَبُي عُثْمَانَ الْيَشْكُرِيِّ - عَنْ أَنْسٍ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : أَعْرَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ نَسَائِهِ ، فَصَبَّتْ أُمُّ سَلِيمٍ حِسَنَتِهِ^(****) ثُمَّ وَضَعَتْهُ فِي تَوْرِ^(*****) ، فَقَالَتْ : اذْهَبْ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَقْرَئُهُ^[٦] مِنِّي السَّلَامَ ، وَأَخْبِرُهُ أَنَّ هَذَا مَا لَهُ قَلِيلٌ - قَالَ أَنْسٌ : وَالنَّاسُ يَوْمَئِذٍ فِي جَهَدٍ ، فَجَهَتْ بِهِ فَقَلَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؎ بَعْثَتْ بِهَا أُمُّ سَلِيمَ إِلَيْكَ ، وَهِيَ

(٤) أَيْ : تَبَعَهَا .

(٥) أَسْكَفَةُ الْبَابِ : عَنْبَتِهِ .

(٦) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ بِرَقْمِ (٤٧٩٣) ، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْسُّنْنِ الْكَبِيرِ بِرَقْمِ (١٠١٠١) .

(١٨٠) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ بِرَقْمِ (٤٧٩٤) .

(****) الْحَيْسُ : تَمْرٌ وَأَقْطَافُ وَسْمَنٌ تَخْلُطُ وَتَعْجَنُ وَتَسْوَى كَالثَّرِيدِ .

(*****) التَّوْرُ : إِنَاءٌ يَشْرَبُ فِيهِ .

[١] - فِي تِ : « قَوْمٌ » .

[٢] - فِي تِ : « قَالَتْ » .

[٤] - سَقْطٌ مِنْ : ز ، خ .

[٣] - مَا بَيْنَ الْمَعْكُوفَيْنِ سَقْطٌ مِنْ : ز ، خ .

[٥] - فِي ز ، خ : « وَأَقْرَئَهُ » .

تقرئك السلام ، وتقول : أخبره أن هذا منا له قليل فنظر إليه ثم قال : « ضعه » فوضعته في ناحية البيت ، ثم قال : « اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً » ، وسمى رجالاً كثيراً ، و^[١] قال : « ومن لقيت من المسلمين ». [١] فدعوث من قال لي ، ومن لقيت من المسلمين [٢] ، فجئت والبيت والصفة والحجرة ملائى من الناس - فقلت : يا أبا عثمان ؟ كم كانوا ؟ فقال : كانوا زهاء ثلاثة - قال أنس : فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جئني به ». فجئت به إليه ، فوضع يده عليه ، ودعا وقال : ما شاء الله . ثم قال : « ليتخلق عشرة عشرة ، وليسوا ، ولما كل كل إنسان ما يليه ». فجعلوا يسمون ويأكلون ، حتى أكلوا كلهم . فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارفعه ». قال [٣] : فجئت فأخذت التور فما أدرى أمو حين وضعتم أكثر أم حين أخذت ؟ قال : وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله ، وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم [التي دخل بها] [٤] معهم مولية وجهها إلى الحائط ، فاطلعوا الحديث ، فشقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم [وكان أشد الناس حياء - ولو أعلموا كان ذلك عليهم عزيزاً] [٥] - فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فسلم على حجره وعلى نسائه ، فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ، ابتدروا الباب فخرجوها ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أرخى الستر ، ودخل البيت وأنا في الحجرة ، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته يسيراً ، وأنزل الله عليه القرآن ، فخرج وهو يقرأ هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تدْخُلُوا بَيْتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ لَاقْطُرِينَ إِنَّهُ لَكُنَّ إِذَا دُعُوكُمْ فَادْخُلُوهُ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَاتَّشِرُوا ﴾ إلى قوله : ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْمًا ﴾ . قال أنس : فقرأهن على قبل الناس [٦] ، فأنـا أـحدـثـ النـاسـ بـهـنـ عـهـدـاـ .

وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى جمـيعـا عن قتيبة عن جعفر بن سليمان به^(١٨١) . وقال الترمذى : حسن صحيح.

وعلقه البخارى في كتاب النكاح فقال :

وقال إبراهيم بن طهمان ، عن الجعد أبي عثمان ، عن أنس ، فذكر نحوه^(١٨٢) .

ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن عمر عن الجعد به^(١٨٣) .

[١٨١] صحيح مسلم برقم (١٤٢٨) ، وسنن الترمذى برقم (٣٢١٨) ، وسنن النسائى (١٣٦/٦) .

[١٨٢] صحيح البخارى برقم (٥١٦٣) .

[١٨٣] صحيح مسلم برقم (١٤٢٨) .

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « النساء » .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

وقد روی هذا الحديث عبد الله بن المبارك عن شريك عن بيان بن بشر عن أنس بنحوه .

[روى البخاري والترمذى ، من طريقين آخرين ، عن بيان بن بشر الأحمسي الكوفي ، عن أنس ، بنحوه ^(١٨٤)].

ورواه ابن أبي حاتم أيضاً ، من حديث أبي نصرة العبدى ، عن أنس بن مالك ، بنحوه .

ورواه ابن جرير ^(١٨٥) من حديث عمرو بن سعيد ، ومن حديث الزهرى ، عن أنس بنحو ذلك .

وقال الإمام أحمد ^(١٨٦) : حدثنا بهز وهاشم بن القاسم قالاً : حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : لما انقضت عدة زبيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لزيد] ^[٢] : « اذهب فاذكرها على ». قال : فانطلق زيد حتى أتاهما ، قال : وهي تخر عجينها ، فلما رأيتها عظمت في صدرى ... وذكر قام الحديث كما قدمته عند قوله : ﴿فَلِمَا قُضِيَ زِيدٌ مِّنْهَا وَطَرَا﴾ ، وزاد في آخره بعد قوله : وَرَعَظَ الْقَوْمُ بِمَا وَعَظُوا بِهِ . قال هاشم في حديثه : ﴿لَا تَدْخُلُوا بَيْوَتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَّهُ لَكُمْ إِذَا دُعِيْتُمْ فَادْخُلُوهُ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوْا وَلَا مُسْتَأْسِيْنَ حَدِيثُ إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيُسْتَحِيْ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يُسْتَحِيْ مِنَ الْحَقِّ﴾ به ^[٣] .

وقد أخرجه مسلم والنمسائي من حديث [سليمان بن المغيرة] ^[٤] .

قال ابن جرير ^(١٨٧) : حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن أخي ابن وهب ، حدثني عمي عبد الله ابن وهب ، حدثي يونس ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت : إن أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع - وهو صعيد أفحى - وكان عمر يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : احجب نسائك . فلم يكن رسول الله صلى

(١٨٤) صحيح البخاري ، كتاب النكاح (٥١٧٠) ، وسنن الترمذى ، كتاب تفسير القرآن (٣٢١٩) .

(١٨٥) تفسير الطبرى (٢٢/٢٧) .

(١٨٦) المسند (١٩٥/٣) (١٣٠٤٨) رواه مسلم في النكاح حديث ٨٩ - ٤٢٨ (١) عن محمد بن حاتم ، عن بهز ، وعن محمد بن رافع ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم . والنمسائي في النكاح ، باب : صلاة المرأة إذا خطبت واستخارتها (٢٩/٦) . وفي التفسير في الكبرى (١١٤١٠) (٤٣٣/٦) عن سويد بن نصر ، عن ابن المبارك . ثلاثة عن سليمان به .

(١٨٧) تفسير الطبرى (٢٢/٢٨) .

[١] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعقوفين سقط من ت .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعقوفين في خ ، ز : « جعفر بن سليمان به » .

الله عليه وسلم ليفعل . فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت امرأة طويلة ، فناداها عمر بصوته الأعلى : قد عرفناك يا سودة ، حرصاً أن ينزل الحجاب ، قالت : فأنزل الله الحجاب .

هكذا وقع في هذه الرواية ، والمشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب ، كما رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم ^(١٨٨) ، من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب حاجتها ، وكانت امرأة جسمية لا تخفي على من يعرفها ، فرأها عمر بن الخطاب فقال : يا سودة ؟ أما والله ما تخفين علينا ، فانظري كيف تخرجين ؟ . قالت : فانكفت راجعة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي ، وأنه ليتعشى ، وفي يده عرق ^(١٩٠) ، فدخلت فقالت ^(١) : يا رسول الله ؛ إني خرجت بعض حاجتي ، فقال لي عمر كذا وكذا . قالت : فأوحى الله إليه ، ثم رفع عنه وإن العرق في يده ، ما وضعه . فقال : « إنه قد ^(١٩١) أذن لكن أن تخرجن حاجتكن ». لفظ البخاري .

قوله : ﴿ لَا تدْخُلُوا بيوتَ النَّبِيِّ ﴾ حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذن ، كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام ، حتى غار الله لهذه الأمة ، فأمرهم بذلك ، وذلك من إكرامه تعالى على هذه الأمة ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والدخول على النساء » ^(١٨٩) .

ثم استثنى من ذلك فقال : ﴿ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاظِرِينَ إِنَّهُ ﴾ .

قال مجاهد وقادة وغيرهما : أي غير متحببين نضجه واستواعه ، أي : لا ترقبوا الطعام حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول ، فإن هذا يكرهه الله وينهيه . وهذا دليل على تحريم التطهيل ، وهو الذي تسميه العرب الضيفن ^(١٩٣) ، وقد صنف الخطيب البغدادي في ذلك كتاباً في ذم الطفيليين ، وذكر من أخبارهم أشياء يطول إيرادها .

ثم قال تعالى : ﴿ [وَلَكُنْ إِذَا] ^(٤) دُعِيْتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعْمَتُمْ فَانْتَشِرُوا ﴾ ، وفي صحيح مسلم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا

(١) المستند (٥٦/٢٤٠) (٤٠/٢٤٤) ، وأخرج البخاري في كتاب الرضوء ، باب : خروج النساء إلى البراز (١/٢٩٩) رقم : ١٤٦ . وأطراقه في (١٤٧ - ٤٧٩٥ - ٥٢٣٧ - ٦٢٤٠) . ومسلم في كتاب السلام ، باب : إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان . (٤/١٧١٠، ١٧٠٩) رقم : ٢١٧٠ .

(*) العرق : العظم أخذ عنه معظم اللحم وبقي عليه لحوم رقيقة طيبة .

(١٨٩) رواه البخاري في كتاب النكاح برقم (٥٢٣٢) ، ومسلم في كتاب السلام برقم (٢١٧٢) من حديث عقبة بن عامر ، رضي الله عنه .

[١] - في ز : « قلت » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز ، خ : « الطيفن » .

[٤] - ما بين المくوفين في ز ، خ : « فإذا » .

دعا أحدكم أخاه فلئِجَبَ ، عرَسًا كان أو غيره ^(١٩٠) . وأصله في الصحيحين .

وفي الصحيح أيضاً ^(١٩١) ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو دعيت إلى ذراع لأجبت ، ولو أهدى إلى كُرْعَاع لقبلت . فإذا فرغتم من الذي دعيتم إليه فخففوا عن أهل المنزل ، والتشروا في الأرض » . ولهذا قال : « ولا مُسْتَأْسِينٌ لِحَدِيثٍ » ، أي : كما وقع لأولئك النفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث ، ونشوا أنفسهم ، حتى شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى : « إِن ذَلِكُمْ كَانَ يَؤْذِي النَّبِيَّ فَيُسْتَحِي [١] مِنْكُمْ » .

وقيل : المراد أن دخولكم منزله بغير إذنه كان يشق عليه ويتأذى به ، لكن كان يكره أن ينهاهم عن ذلك من شدة حيائه - عليه السلام - حتى أنزل الله عليه النهي عن ذلك ، ولهذا قال : « وَاللَّهُ لَا يُسْتَحِي [٢] مِنَ الْحَقِّ » ، أي : ولهذا نهاكم عن ذلكم وزجركم عنه .

ثم قال تعالى : « وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مُتَاغِعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ » ، أي : وكما نهيتكم عن الدخول عليهم ، كذلك لا تنتظروا إليهم بالكلية ، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهم فلا ينظر إليهم ، ولا يسألهم حاجة إلا من وراء حجاب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن مسعود ، عن موسى بن أبي كثير ، عن مجاهد ، عن عائشة قالت : كنت أكل مع النبي صلى الله عليه وسلم حيساً في قَعْبٍ ^(٣) فمر عمر فدعاه فأصابت إصبعه إصبعي فقال : حسّ ^(٤) - أو : أوه ^(٥) - لو أطاع في يكن ما رأيك عين . فنزل الحجاب ^(٦) .

« ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لَفْلُوبَكُمْ وَلَفْلُوبِهِنَّ » أي : هذا الذي أمرتكم به ، وشرعته لكم من الحجاب أطهـر وأطيب .

وقوله : « وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُو أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا إِنَّ

(١٩٠) صحيح مسلم ، كتاب النكاح برقم (١٤٢٩) .

(١٩١) في صحيح البخاري ، كتاب الهبة برقم (٢٥٦٨) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

(٣) القعْب : القدح الضخم .

(٤) في ز ، خ : خير . وفي ت : حسن ، وكلامها تحريف غير ملائم للسياق . وقال ابن الأثير في النهاية : ١٣٨٥/١١ كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مضى وأحرقه غفلة كالجلمة والضربة ونحوهما .

(٥) ورواه النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤١٩) من طريق زكريا بن يحيى عن ابن أبي عمر ، به .

[١] - في ز ، خ : « فَيُسْتَحِي » .

[٢] - في ز ، خ : « يُسْتَحِي » .

[٣] - في ز ، خ : « لَعْبٌ » .

[٤] - في ز ، خ : « آهٌ » .

ذلکم کان عند الله عظیماً .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن أبي [١] حماد ، حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَمَا کانَ لَکُمْ أَنْ تَرْدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴾ ، قال : نزلت في رجل هم أَنْ يتزوج بعض نساء النبي صلی الله عليه وسلم . قال رجل لسفيان : أَهِي عائشة ؟ قال : قد ذكروا ذاك .

وكذا قال مقاتل بن حيان ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وذكر بسنده عن التستري أن الذي عزم على ذلك طلحة بين عبيد الله رضي الله عنه ، حتى نزل التنبيه على [٢] تحرير ذلك ؛ ولهذا أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله صلی الله عليه وسلم من أزواجها أنه يحرم على غيره تزويجها من بعده ؛ لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين كما تقدم . واختلفوا فيما إذا دخل بها ثم طلقها في حياته هل يحل [٣] لغيره أن يتزوجها ؟ على قولين : مأخذهما : هل دخلت هذه في عموم قوله ﴿ مَنْ بَعْدِهِ ﴾ أم لا ؟ فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها ، فما نعلم في حلها لغيره - والحالة هذه - نزاعاً . والله أعلم .

وقال ابن حجر : حدثني [٤] بن الشنوي ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا داود ، عن عامر : أن النبي صلی الله عليه وسلم مات وقد ملك قيلة بنت الأشعث - يعني ابن قيس - فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك ، فشق ذلك على أبي بكر مشقة شديدة ؛ فقال له عمر : يا خليفة رسول الله ، إنها ليست من نسائه ، إنها لم يتحببها رسول الله صلی الله عليه وسلم ولم يحببها ، وقد برأها الله منه بالردة التي ارتدت مع قومها . قال : فاطمأن أبو بكر - رضي الله عنهما - وسكن [١٩٣] .

وقد عظم تبارك وتعالى ذلك ، وشدد فيه وتوعده عليه بقوله : ﴿ إِنَّ ذلِكَمْ کانَ عندَ الله عظیماً ﴾ ، ثم قال : ﴿ إِنْ تَبْدُوا شَيْئاً أَوْ تَخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ کانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ ، أي : مهما تكنه ضمائركم وتنطوي عليه سرائركم ، فإن الله يعلم ، فإنه لا تخفي عليه خافية ، ﴿ يَعْلَمُ خَاتَمَ الْأَعْيُنِ وَمَا تَخْفِي الصُّدُورُ ﴾ .

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي مَا بَرَأُوهُنَّ وَلَا أَبْنَاءِهِنَّ وَلَا إِخْرَجَهُنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخْوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَاءِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَلَا قِيمَنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ کانَ عَلَى

[١] (١٩٣) تفسير الطبرى (٢٢/٢٩).

[٢] - في ز ، خ : « في » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المukoفين سقط من ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « تخل » .

كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ٥٥

لما أمر تعالى النساء بالحجاب من الأجانب ، بين أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم ، كما استثناهم في « سورة النور » ، عند قوله : ﴿ لَا يَدِينَ رِبَّتِهِنَّ إِلَّا بِعِولَتِهِنَّ أَوْ أَبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بَعْوَلَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بَعْوَلَتِهِنَّ أَوْ إِخْرَاهِنَّ أَوْ بْنَيْ إِخْرَاهِنَّ أَوْ بْنَيْ أَخْوَاهِنَّ أَوْ نَسَائِهِنَّ إِلَى آخِرَهَا ، وَفِيهَا زِيَادَاتٌ عَلَى هَذِهِ . وَقَدْ تَقْدِمْ تَفْسِيرَهَا وَالْكَلَامُ عَلَيْهَا مَا أَغْنَى عَنْ إِعْدَاتِهِ ، وَقَدْ سُأْلَ بَعْضُ السُّلْفِ فَقَالَ : لَمْ لَمْ يَذْكُرِ الْعِمَّ وَالْخَالُ فِي هَاتِيْنِ الْآيَتِيْنِ ؟ فَأَجَابَ عُكْرَمَةَ وَالشَّعْبِيَّ بِأَنَّهُمَا لَمْ يَذْكُرَا ؛ لَأَنَّهُمَا قَدْ يَصْفَانَ ذَلِكَ لِبَنِيهِمَا .

قال ابن جرير : حدثني محمد بن المنبي ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد ، حدثنا داود ، عن الشعبي وعكرمة في قوله : ﴿ لَا جَنَاحٌ عَلَيْهِنَّ فِي أَبَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَاهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَاهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخْوَاهِنَّ وَلَا نَسَائِهِنَّ وَلَا مَلِكَتْ أَمْيَانِهِنَّ ﴾ ، قلت : ما شأن العم والخال لم يذكر؟ قالا : مما ينعتانها^[١] لأبائهما . وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها .

وقوله : ﴿ لَا نَسَائِهِنَّ ﴾ يعني بذلك عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات .

وقوله : ﴿ وَلَا مَلِكَتْ أَمْيَانِهِنَّ ﴾ يعني به أرقاؤهن من الذكور والإإناث كما تقدم التنبية عليه ، وإيراد الحديث فيه^[٢] .

قال سعيد بن المسيب : إنما يعني به الإمام فقط . رواه ابن أبي حاتم
وقوله : ﴿ وَاتَّقِنَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ ، أي : واحشينه في الخلوة والعلانية ، فإنه شهيد على كل شيء ، لا تخفي عليه خافية ، فراقبن الرقيب .

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَىٰ الَّتِيْنِ يَتَأْمِيْهَا الَّذِيْنَ أَمَنُوا صَلَوَاتُهُمْ وَسَلَامُهُمْ

تَسْلِيمًا ٥٦

قال البخاري^(١) : قال أبو العالية : صلاة الله : ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء . وقال ابن عباس : يصلون : ييركون . هكذا علقه البخاري عنهم .

(١) تقدم تخریج الحديث عند تفسیر الآية : ٣١ من سورة النور .

(٢) صحيح البخاري (٨/٥٣٢) « فتح » .

وقد رواه أبو جعفر الرازبي ، عن الريبع بن أنس ، عن أبي العالية كذلك . وروى مثله عن الريبع أيضاً : وروى علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس كما قاله سوء . رواهما ابن أبي حاتم .

وقال أبو عيسى الترمذى : ^[١] [روى عن سفيان الثورى وغير واحد من أهل العلم قالوا : صلاة الرب : الرحمة ، وصلاة الملائكة : الاستغفار .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو ^[٢] الأودي ، حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن عمرو ابن مرة قال الأعمش عن عطاء بن أبي رياح : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ ، قال : صلاته تبارك وتعالى : سبوج قدوس ، سبقت رحمتي غضبي .

والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه أخبر عباده منزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى ، بأنه ^[٣] يشي عليه عند الملائكة المقربين ، وأن الملائكة تصلّى عليه ، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاحة والتسليم عليه . ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر - يعني : ابن المغيرة - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أنّ بني إسرائيل قالوا لموسى - عليه السلام - هل يصلّي ربكم ؟ فناداه ربه : « يا موسى ، سألك : هل يصلّي ربكم ؟ فقل : نعم ، إنما أصلّى أنا ^[٤] [٤] وملائكتي على أبيائي ورسلّي » . فأنزل الله - عز وجل - على نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلَوَاتُهُ وَسَلَامُهُ تَسْلِيمًا ﴾ .

وقد أخبر أنه سبحانه وتعالى يصلّى على عباده المؤمنين في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بِكَرْهٍ وَأَصْبِلُوا هُوَ الَّذِي يَصْلِي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتَهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَيُشَرِّقُ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ وَإِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ .

وفي الحديث : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُونَ عَلَى مِيَامِنَ الصَّفَوفِ » ^(١٩٦)

وفي الحديث الآخر : « اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى آلِ أَبِي أُوفِي » ^(١٩٧) .

(١٩٦) - رواه أبو داود في الصلاة حديث (٦٧٦) ، وابن ماجه في إقامة الصلاة حديث (١٠٠٥) .

(١٩٧) - رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٨) ، ومسلم في الزكاة حديث (١٠٧٨) من حديث عائشة .

[٢] - في ز ، خ : « عمر » .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « فإنه » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة جابر - وقد سأله أهلن أن يصلى عليها وعلى زوجها - : « صلى الله عليك ، وعلى زوجك » ^(١٩٨) .

وقد جاءت الأحاديث المتوترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بالصلاحة عليه ، وكيفية الصلاحة عليه ، ونحن نذكر منها إن شاء الله تعالى ما تيسر ، وبالله ^[١] المستعان .

قال البخاري عند تفسير هذه الآية ^(١٩٩) : حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد ، حدثنا أبي ، عن مسرع ، عن الحكم ، عن ابن أبي ليلى ، عن كعب بن عجرة قال : قيل : يا رسول الله ، أما السلام عليك فقد عرفناه ، فكيف الصلاة ؟ فقال : « قولوا : اللهم ؛ صل على محمد ، وعلى آل محمد ، [كما صليت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد . اللهم ؛ بارك على محمد وعلى آل محمد ^[٢] ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد] . »

وقال الإمام أحمد ^(٢٠٠) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن الحكم قال : سمعت ابن أبي ليلى قال : لقيني كعب بن عجرة فقال : ألا أهدى لك هدية ؟ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : يا رسول الله ؛ قد علمتنا - أو : عرفنا - كيف السلام عليك ، فكيف الصلاة ؟ قال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل ^[٣] إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ».

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة في كتبهم ، من طرق متعددة ، عن الحكم - وهو [ابن عتبة ^[٤] - زاد البخاري : وعبد الله بن عيسى ، كلامهما عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، فذكره .]

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا هشيم بن بشير ، عن يزيد بن أبي زياد ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن كعب بن عجرة ، قال : لما نزلت : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيْمًا﴾ . قال : قلنا : يا رسول الله ؛ قد علمنا السلام ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال : « قولوا : اللهم ؛ صل

(١٩٨) رواه أحمد في مسنده (٣٩٨/٣) (١٥٣٢١) ، وأبن حبان في صحيحه برقم (١٩٥١) « موارد » من طريق الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر رضي الله عنه .

(١٩٩) صحيح البخاري برقم (٤٧٩٧) .

(٢٠٠) المسند (٤/٢٤١) (١٨١٥٦) ، والحديث أخرجه : البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب : رقم =

[١] - في ت : « والله » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعقوفين في خ ، ز : « بن أبي عبيدة » .

علي محمد وعلى آل محمد ، كما صلیت على [إبراهيم و على] [١] آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد . وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى [٢] آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد » .

وكان عبد الرحمن بن أبي ليلٍ يقول : « علينا معهم ». ورواه الترمذى بهذه الزيادة^(٢٠١) .

ومعنى قولهم : أما السلام عليك فقد عرفناه ، هو الذي في التشهد الذي كان يعلمهم إياه ، كما كان يعلمهم السورة من القرآن ، وفيه : « السلام عليك أليها النبي ورحمة الله وبركاته ». .

حديث آخر ، قال البخاري : حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث ، عن ابن الهاد ، عن عبد الله بن خباب ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قلت : يا رسول الله ؛ هذا السلام ، فكيف نصلّي عليك ؟ قال : « قولوا : اللهم صلّى على محمد عبده ورسولك ، كما صلّيت على آل إبراهيم . وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم ». [قال أبو صالح ، عن الليث : على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم]^[٣] .

حدثنا إبراهيم بن حمزة ، حدثنا ابن أبي حازم والدراؤزدي ، عن يزيد - يعني ابن الهاد^[٤] - قال^[٥] : « كما صلّيت على إبراهيم ، وبارك على محمد وآل محمد ، كما

= (١٠) ، (٤٠٨/٦) حديث (٣٣٧٠) . وطرفاه حديث رقم (٤٧٩٧) ، (٦٣٥٧) . ومسلم في كتاب الصلاة . باب : الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد التشهد - (١٦٥/٤) حديث (٤٠٦) . وأبو داود في كتاب الصلاة باب : الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد التشهد - (٢٥٧/١) حديث (٩٧٦) وحديث (٩٧٧) ، (٩٧٨) . والترمذى في كتاب الصلاة . باب : ما جاء في صفة الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - (٣٥٢/٢) حديث (٤٨٣) . والسائلى في المختبى في كتاب الصلاة . باب : كيف الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - نوع آخر (٤٧/٣) . وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنّة فيها . باب : الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - (٢٩٣/١) حديث (٤) . وأبو داود الطيبالسي في مسنده (ص ١٤٢ - ١٤٣ / ١٤٣ - ١٤٤) . والبيهقي في سننه الكبرى (١٤٧/٢) . وأبو عوانة في مسنده (٢٢١/٢ - ٢٢٢) . وأبو نعيم في الحلية الأولياء (٣٥٦/٤) . وابن الجارود في المتنقى حديث (٢٠٦) . والطبراني في الكبير (١١٦/١٩) حديث (٢٤١) ، (٢٤٢) .

(٢٠١) سنن الترمذى ، في الصلاة برقم (٤٨٣) وقال : « حديث حسن صحيح » .

[١] - ما بين المكوفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المكوفين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في خ ، ز : « المنهال » .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

بارك على إبراهيم وآل إبراهيم».

وأخرجه النسائي وأبن ماجة من حديث ابن الهاد^[١] به (٢٠٢).

الحديث آخر ، قال الإمام أحمد (٢٠٣) : قرأت على عبد الرحمن : مالك ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن أبيه ، عن عمرو بن سليم أنه قال : أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم قالوا : يا رسول الله ؟ كيف نصلي عليك ؟ قال : قولوا : « اللهم ، صل على محمد وأزواجه وذرتيه ، كما صلت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذرتيه ، كما باركت على آل إبراهيم ، إلك حميد مجيد ». وقد أخرجه بقية الجماعة سوى الترمذى من حديث مالك به .

الحديث آخر ، قال مسلم (٢٠٤) : حدثنا يحيى بن يحيى التميمي قال : قرأت على مالك ، عن ثعيم بن عبد الله الجعمر ، أخبرني محمد بن عبد الله بن زيد الأنباري - قال : وعبد الله ابن زيد هو الذي كان أري^[٢] النساء بالصلاحة - أخبره عن أبي مسعود الأنباري ، قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة ، فقال له بشير بن سعد : أمننا الله أن نصلي عليك يا رسول الله ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسألها ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : « اللهم ، صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صلت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم ، في العالمين ، إلك حميد مجيد ، والسلام كما قل علمتم^[٤] ».

وقد رواه أبو داود ، والترمذى ، والنمسائى ، من حديث مالك به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٢٠٢) صحيح البخارى برقم (٤٧٩٨).

(٢٠٣) المسند (٥/٤٢٤) (٣٢٧٠٣) ، وأخرجه البخارى في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : رقم (١٠) (٦/٤٦٩) رقم : (٣٣٦٩) وطرفه في (٦٣٦٠) . ومسلم في كتاب الصلاة ، باب : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الشهد^[١] (٣٠٦/٢) رقم : (٤٠٧) . وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الشهد^[١] (٢٥٧/١) رقم : (٩٧٩) . والنمسائى في كتاب السهو ، باب : نوع آخر (٣) من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٤٩/٣) رقم : (١٢٩٤) . وأبن ماجة في كتاب إقامة الصلاة ، باب : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٢٩٣/١) رقم : (٩٠٥) . كلهم من طريق مالك به .

(٢٠٤) صحيح مسلم كتاب الصلاة برقم (٤٠٥) ، وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة برقم (٩٨٠) ، وسنن الترمذى كتاب الصلاة برقم (٣٢٢٠) ، وسنن النمسائى ، كتاب السهو (٤٥/٣) .

[١] - في ت : « الهدادية » .

[٢] - في ز ، خ : « رأى » .

[٤] - ما بين المعرفتين في خ : « علمهم » ، وفي ز : « علمت » .

وروى الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم في مستدركه ، من حديث محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه ، عن أبي مسعود البドري أنهم قالوا : يا رسول الله ؛ أما السلام فقد عرفناه ، فكيف نصلّي عليك إذا نحن صلّينا في صلاتنا ؟ فقال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ... ». وذكره ^(٢٠٥).

ورواه الشافعي ^(٢٠٦) - رحمه الله - في مسنده، عن أبي هريرة ، بمنته . ومن هاهنا ذهب الشافعي - رحمه الله - إلى أنه يجب على المصلي أن يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشهد الأخير ، فإن تركه لم تصح صلاته . وقد شرع بعض المتأخرین من المالکية وغيرهم ^{يُشَكِّنُونَ} على الإمام الشافعي في اشتراطه ذلك في الصلاة ، وزعموا أنه قد تفرد بذلك ، وحكى الإجماع على خلافه أبو جعفر الطبری والطحاوی والخطبای وغيرهم فيما نقله القاضی عیاض . وقد تعرّض القائل في رده على الشافعي ، وتکلف في دعواه الإجماع في ذلك . فإنه قد رويانا وجوب ذلك والأمر بالصلاحة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة كما هو ظاهر الآية ، ومفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة ، منهم ابن مسعود ، وأبو مسعود البدری وجابر بن عبد الله . ومن التابعين : الشعیبی ، وأبو جعفر الباقر ، ومقاتل بن حیان . وإليه ذهب الشافعي ، لا خلاف عنه في ذلك ولا بين أصحابه أيضاً ، وإليه ذهب أحمد أخیراً فيما حکاه عنه أبو زرعة الدمشقی ^[١] . وبه قال إسحاق بن راهویه ، والفقیه الإمام محمد بن إبراهیم المعروف بابن المزار الملاکی ، رحمة الله عليه وسلم كما علمهم ^[٢] أن يقولوا لما سأله ، وحتى إن بعض أصحابنا أوجب الصلاة على الآل من حکاه البیذنیجی وسلمی الرازی وصاحبہ نصر بن إبراهیم المقدسی ، ونقله إمام الحرمين وصاحبہ الغزالی قوله ^{أَوْلَى} عن الشافعی ، والصحيح أنه وجه ، على أن الجمهور على خلافه ، وحكوا الإجماع على خلافه ، ولقوله بوجوهه [ظواهر الحديث] ^[٣] ، والله أعلم .

والغرض أن الشافعي - رحمه الله - لقوله بوجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

(٢٠٥) المسند (٤/١٧١٢٢)، وأخرجه أحمد حدیث ٢٢٤٥٣ (٥/٢٧٣ - ٢٧٤). وأبو داود في الصلاة ، باب : الصلاة على النبي ^{عليه} بعد التشهد حدیث ٩٨٠ ، ٩٨١ . والترمذی في التفسیر ، باب : ومن سورة الأحزاب ، حدیث ٣٢٢٠ . وقال أبو عیسیٰ : حسن صحيح . والنسائی في الصلاة ٤٥/٣ - ٤٦ . والحاکم (١/٢٦٨) . والدارقطنی (١/٣٥٥ - ٣٥٤) . والبیهقی (٢/١٤٧ - ١٤٦).

(٢٠٦) مسنـد الشافـعـي برقم (٢٦٨) « بدائع المـنـ» ، وروـاه النـسـائـيـ فيـ السنـنـ الـكـبـرـيـ برقم (٩٨٧٥) من طـرـيق داود بن قـيسـ ، عنـ نـعـيمـ بنـ عـبدـ اللهـ ، عنـ أـبـيـ هـرـیرـةـ رـضـیـ اللـهـ عـنـهـ .

[١] - ما بين المعکوفین في ت : به . [٢] - في ز ، خ: « علمتم » .

[٣] - ما بين المعکوفین في ز ، خ: « ظاهـرـ للـحدـیـثـ» .

في الصلاة - سلف وخلف كما تقدم ، والله الحمد والمنة ، فلا إجماع على خلافه في هذه المسألة لا قدماً ولا حديثاً ، والله أعلم .

وما يؤيد ذلك الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود ، والترمذى - وصححه - والنسائي ، وأ ابن خزيمة وأ ابن حبان في صحيحهما ، من روایة حكوة بن شريح المصري ، عن أبي هانئ حميد بن هانئ ، عن عمرو بن مالك أبي علي الجشنى ، عن فضالة بن عبيد - رضي الله عنه - قال : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعون في صلاته ، لم يجد الله ولم يصل [١] على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجل هذا ». ثم دعاه فقال له ولغيرة : « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد [٢] الله - عز وجل - والثناء عليه ، ثم ليصل [٣] على النبي ثم ليدع بعد [٤] بماشاء » (٢٠٧) .

وكذا الحديث الذي رواه ابن ماجة ، من روایة عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي ، عن أبيه ، عن جده ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا صلاة لمن لا وضوء له ، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم [٥] الله عليه ، ولا صلاة لمن لم يصل على النبي ، ولا صلاة لمن لم يحب الأنصار » (٢٠٨) .

ولكن عبد المهيمن هذا متترك . وقد رواه الطبراني من روایة أبيه « أبي بن عباس » ، ولكن في ذلك نظر (٢٠٩) ، وإنما يعرف من روایة « عبد المهيمن » ، والله أعلم .

(Hadith آخر) قال الإمام أحمد (٢١٠) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا إسماعيل ، عن أبي

(٢٠٧) المسند (١٨/٦) ، وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : الدعاء . (٢/٧٧ / رقم : ١٤٨١) . عن أحمد بن حنبل به . والترمذى في كتاب الدعوات ، باب : رقم : (٦٥) . (٥/٤٨٢ / رقم : ٣٤٧٦) . عن محمود بن غيلان عن أبي عبد الرحمن المقرئ وقال : صحيح . والنسائي في كتاب الصلاة ، باب : التمجيد والصلاحة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة . (٣/٤٤ / رقم : ١٢٨٤) . عن محمد بن سلمة عن وهب عن حبيبة . وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح . والبيهقي (١٤٨/٢) . وأ ابن خزيمة (٧١٠) . وأ ابن حبان ح ١٩٦٠ . والحاكم (١/٢٦٨، ٢٣٠) . وقال مرة : على شرط مسلم ، ومرة على شرط الشيفين ولم يتعقبه الذهبي .

(٢٠٨) سنن ابن ماجة ، كتاب الطهارة وستتها (٤٠٠) ، وقال البوصيري في الرواية (١/١٦٧) : « هذا إسناد ضعيف لأنقاهم على ضعف عبد المهيمن ، لكن لم ينفرد به فقد تابعه عليه ابن أخي عبد المهيمن » .

(٢٠٩) المعجم الكبير للطبراني (٦/١٢١) .

(٢١٠) المسند (٥/٣٥٣) (٩٤/٢٣٠) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/١٤٤) و (١٠/١٦٣) =

[١] - في ز ، خ: « يصلى » .

[٢] - في ت : « بتحميد » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز ، خ: « يصلى » .

[٥] - سقط من : خ .

داود الأعمى ، عن ثوريدة قال : قلنا : يا رسول الله ؛ قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلّي عليك ؟ قال : « قولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد ، كما جعلتها على إبراهيم^[١] وآل إبراهيم ، إلك حميد مجيد ». .

أبو داود الأعمى اسمه : نفيع بن الحارث متزوج.

(حديث آخر موقف) رويناه من طريق سعيد بن منصور وزيد بن الحباب ويزيد ابن هارون ، ثلاثة عن نوح بن قيس : حدثنا سلامة الكندي أن علياً - رضي الله عنه - كان يعلم الناس هذا الدعاء : اللهم داحي المذخوات^(١) وباري المسموّات^(٢) ، وجبار^(٣) القلوب على فطّرها^[٤] شقيها وسعیدها . اجعل شرائف صلواتك ، ونومي برّكاتك ، ورأفة تحنتك^[٥] ، على محمد عبدك ورسولك ، الخاتم لما سبق ، والقاغ لما أغلق ، والمعلن الحق بالحق ، والداعم^(٦) جيشات الأباطيل كما حمل فاضطّل^(٧) بأمرك لطاعتك مستوفراً^(٨) في^[٩] مرضاتك ، غير نكل في قدم^(٩) ولا واهن في عزم^(١٠) ، داعياً^[١١] بولحيك^[١٢] ، حافظاً لعهدك^[١٣] ، ماضياً على نفاذ أمرك ، حتى أورني^[١٤] [قبساً لقايس]^[١٥] ، آلاء الله تصل بأهله أسبابه ، به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم وأقام^[١٦] موضحات الأعلام ، ونبّيرات الإسلام ونائرات الأحكام ، فهو

= وعزاه لأحمد وقال : « وفيه أبو داود الأعمى ، وهو ضعيف » ..

(١) - دحى الشيء : بسطه ووسعه . والذخوات : الأروضون .

(٢) - سمل الشيء : رفعه . والمسموّات : السماوات السبع .

(٣) - قال ابن الأثير [٢٣٦/١] : هو من بخيّر العظم المكسور ، كأنه أقام القلوب وأثبّتها على ما فطّرها عليه من معرفته والإقرار به ، شقيها وسعیدها .

(٤) - أي : مهلكها . ودمغ فلان فلاناً : غلبه وعلاه ، ودمغ الحق الباطل : محاه . والجيشات جمع جيشة ، وهي المرة من جاش إذا أرتفع .

(٥) - اضطّل بالشيء : نهض به .

(٦) - استوفر : قعد على هيئة كأنه يريد القيام . والمعنى أنه صلّى الله عليه وسلم يسرع في مرضاة الله عن وجل .

(٧) - القَدَم : الإقدام ، ونِيكل : جبن وتقاعد .

(٨) - الواهن : الضعيف .

[١] - في ز ، خ : « فطّرها ». .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز ، خ : « تحيّنك ». .

[٣] - في ز ، خ : « تحيّنك ». .

[٦] - في ز ، خ : « لوحيك ». .

[٥] - في ز ، خ : « لوحيك ». .

[٨] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « قبساً لقايس ». .

[٧] - في ز : « لوحيك ». .

[٩] - سقط من : خ ، ز .

أمينك المأمون ، وخازن علمك المخزون ، وشهيدهك يوم الدين ، ويعيئك نعمة ، ورسولك بالحرق رحمة . اللهم ؛ أفسح له مفاسدات في عدلك ، واجزه مضاعفات الخير من فضلك [مهنات له]^[١] غير مكدرات من فوز ثوابك المعلوون^[٢] ، وجزيل عطائك الجمول . اللهم ؛ أعلى^[٣] على بناء البانين^[٤] ببنائه ، وأكرم مثواه لديك وزنه . وأقم له نوره ، واجزه من ابتعالك له [مقبول الشهادة]^[٥] ، مرضي المقالة ، ذا منطق عدل ، وخطبة فصل ، وحججة وبرهان عظيم^(٦) .

هذا مشهور من كلام علي رضي الله عنه ، وقد تكلم عليه ابن قتيبة في مشكل الحديث ، وكذا أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي في جزء جمعه في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا أن في إسناده نظراً .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : سلامة الكندي^(٧) هذا ليس معروفاً ، ولم يدرك علينا - كذا قال - وقد روى الحافظ أبو القاسم الطبراني هذا الأثر عن محمد بن علي الصائغ ، عن سعيد بن منصور ، حدثنا نوح بن قيس ، عن سلامة الكندي قال : كان علي رضي الله عنه - يعلمونا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : « اللهم داحي المدخوات ... » . وذكره^(٨) .

(حديث آخر موقف) قال ابن ماجة^(٩) : [حدثنا الحسين بن بيان^[٩] ، حدثنا زياد بن عبد الله ، حدثنا المسعودي ، عن عون بن عبد الله ، عن أبي فاختة ، عن الأسود بن يزيد^[١٠] ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : إذا صليت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأحسنوا الصلاة عليه ؛ فإنكم لا تدرؤن لعل ذلك يُعرض عليه . قال : فقالوا له :

(١١) رواه أبو نعيم في عوالى سعيد بن منصور برقم (١٨) فقال : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا مسدة ابن سعد ، حدثنا سعيد بن منصور فذكره ، رواه الحنائى في الفوائد (١٦٢/١٠ ب) - كما في حاشية العوالى - من طريق يزيد بن هارون ، به .

(١٢) سلامة الكندي ذكره البخارى في التاريخ الكبير (٤/١٩٥) ، وابن أبي حاتم في المحرر والتعديل (٤/٣٠) وأشار ابن أبي حاتم إلى هذا الحديث وقال : « مرسى ». .

(١٣) المعجم الأوسط برقم (٤٦٥٣) « مجمع البحرين » لكن فيه : « حدثنا مسدة بن سعد ، حدثنا سعيد بن منصور » فلعل الحافظ نقله هنا من مستند العشرة .

(١٤) سنن ابن ماجة ، إقامة الصلاة والستة فيها برقم (٩٠٦) ، وقال البوصيري في الروايد (٣١١/١) : « هذا إسناد رجاله ثقات إلا أن المسعودي وأسمه عبد الرحمن بن عتبة بن مسعود اختلفت بأخره ، ولم يتميز حديثه الأول بالآخر ، فاستحق الترك . قاله ابن حبان » .

[١] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « له مهنات » .

[٢] - في ز ، خ : « المعلون » .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « المبني » .

[٥] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

فَعَلِّمْنَا . قال : قولوا : اللهم ؛ اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين ، وامام المتقين ، وخاتم النبيين ، محمد عبدك ورسولك ، امام الخير وقائد الخير ، ورسول الرحمة . اللهم ؛ ابعثه مقاما مهما يغبطه به الاولون والآخرون . اللهم ؛ صل [١] على محمد [٢] وعلى آل محمد [٣] ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجید . اللهم ؛ بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجید .

وهذا موقف ، وقد روی إسماعيل القاضي [٤] عن عبد الله بن عمرو - أو : عمر ، على الشك من الرواية - قریئا من هذا .

(حدیث آخر) قال ابن جریر [٥] : حدثنا أبو كریب ، حدثنا مالک بن إسماعیل ، حدثنا أبو إسرائیل ، عن یونس بن خباب قال : خطبنا بغارس فقال : « إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » ، فقال : أتبأني من سمع ابن عباس يقول : هكذا أنزل . فقلنا - أو : قالوا - : يا رسول الله ، غلِّقْنَا الصلاة عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : « اللهم ؛ صل [٦] على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وآل إبراهيم ، إنك حميد مجید ، وارحم محمدًا وآل محمد ، كما رحمت آل إبراهيم ، إنك حميد مجید ، [وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم ، إنك حميد مجید] [٧] ».

فيستدل [٨] بهذا الحديث مَنْ ذَهَبَ إِلَى جُوازِ التَّرْحِمَةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا هُوَ قُولُ الْجَمْهُورِ ، وَيُعْضُدُهُ حَدِيثُ الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي قَالَ : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمَحْمِدًا ، وَلَا تَرْحِمْنِي أَحَدًا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَقَدْ حَجَرْتَ وَاسْعَا » وَحَكَى القاضي عياض عن جمهور المالكية منه ، قال : وأجازه أبو محمد بن أبي زيد .

(حدیث آخر) قال الإمام أحمد [٩] : حدثنا محمد بن جعفر ، أخبرنا شعبة ، عن

[١] (٢١٥) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٦٢) .

[٢] (٢١٦) تفسير الطبری (٣١/٢٢) .

[٣] (٢١٧) المسند (٤٤٥/٣) (١٥٧٢١) ، وإسناده ضعيف من أجل عاصم بن عبيد الله . والحديث رواه ابن ماجه ، في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، (١/٢٩٤) حديث ٩٠٧ . وقال في الرواية : إسناده ضعيف ؛ لأن عاصم بن عبيد الله قال فيه البخاري وغيره : منكر الحديث . ورواه أبو يعلى في مسنده (١٥٤/١٣) ح ٧١٩٦ . وعبد الرزاق (٣١/٥) . وأبو نعيم في الحلية (١/١٢٠) .

[٤] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز ، خ : « صلّى » .

[٦] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز ، خ : « صلّى » .

[٨] - في ز ، خ : « فدلّ » .

عاصم بن عبيد الله قال : سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث عن أبيه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من صلى علىي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علىي ، قليلاً عبد من ذلك أو ليكثر ». ورواه ابن ماجة من حديث شعبة به .

(حدثت آخر) قال الإمام أحمد^[١٨] : حدثنا أبو سلمة منصور بن سلمة المزاعي ، ويونس - هو ابن محمد - قالا : حدثنا ليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن أبي الحويرث ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن عبد الرحمن بن عوف قال : خرج رسول الله صلی الله علیه وسلم فاتبعته حتى دخل نخلاً ، فسجد فأطال السجود ، حتى خفت - أو : خشيت - أن يكون الله قد توفاه أو قبضه . قال : فجئت أنظر . فرفع رأسه فقال : « ما لك يا عبد الرحمن ؟ ». قال : فذكرت ذلك له . فقال : « إن جبريل - عليه السلام - قال لي : ألا أبشرك ؟ إن الله - عز وجل - يقول : من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه » .

(طريق آخر) قال الإمام أحمد^[١٩] : حدثنا أبو سعيد مولىبني هاشم ، حدثنا سليمان ابن بلال ، حدثنا عمرو بن أبي عمرو ، عن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن عوف ، عن عبد الرحمن بن عوف [قال : خرج^[١]] رسول الله صلی الله علیه وسلم فتوجه نحو صدقته ، فدخل فاستقبل القبلة ، فخر ساجداً فأطال السجود ، حتى ظنت أن الله قد قبض نفسه فيها ، فدنت منه ثم جلست ، فرفع رأسه فقال : « من هذا ؟ ». قلت : عبد الرحمن . قال : « ما شالك ؟ ». قلت : يا رسول الله ، سجدت سجدة خشيت أن يكون^[٢] الله - عز وجل - قبض نفسك فيها . فقال : « إن جبريل أتاني بشريني^[٣] أن الله - عز وجل - يقول لك : من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه . فسجدت لله - عز وجل - شكرًا » .

(حدثت آخر) قال [الحافظ]^[٤] أبو القاسم الطبراني (٢٢٠) : حدثنا محمد بن عبد الرحيم^[٥] ابن بحير بن عبد الله بن معاوية بن بحير بن رisan ، [نا عمرو بن الريبع بن طارق^[٦]] حدثنا

[١] المسند (١٩١/١) .

[٢] المسند (١٩١/١) .

[٣] المعجم الصغير (٨٩/٢) ، والختاراة برقم (٩٣) . وقال الطبراني : « لم يروه عن عبيد الله بن عمر إلا يحيى بن أيوب ، تفرد به عمرو ابن الريبع » .

[٤] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « قال : قال ». [٥] - سقط من : ز ، خ.

[٥] - في ز ، خ : « وبشرني » .

[٦] - كلما في ز ، خ . لكن الذي في الأوسط : عبد الرحمن . وكلما أورده الدارقطني في المؤتلف [١] / [٣٥٢] ، وابن ماكولا في الإكمال [١/٢٠٠] ، وابن ناصر الدين في التوضيح [١/٣٥٢] وابن حجر في تبصير المنتبه [١/٦٠] .

[٧] - ما بين المعقوفين سقط من ز ، خ . وأثبتناه من المعجم الأوسط .

يحيى بن أبوب ، حدثنا عبيد^[١] الله بن عمر ، عن الحكم بن عتبة^[٢] ، عن إبراهيم التخعي ، عن الأسود بن يزيد ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فلم يجد أحداً يتبعه ، ففزع عمر ، فأتاه مطهرة^(١) من خلفه فوجد النبي ساجداً في مشربة^(٢) ، ففتحي عنه من خلفه حتى رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه ، فقال : « أحسنت^[٣] يا عمر حين وجدتني ساجداً فتحيت عنّي ، إن جبريل أتاني فقال : من صلى عليك من أمتك واحدة ، صلى الله عليه [عشراً]^[٤] ، ورفعه عشر درجات ». .

وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسي في كتابه « المستخرج على الصحيحين » .

وقد رواه إسماعيل القاضي ، عن القعنبي ، عن سلمة بن وردان ، عن أنس ، عن عمر بن حنحونه^(٢١) .

ورواه أيضاً عن يعقوب بن حميد ، عن أنس بن عياض ، عن سلمة بن وردان ، عن مالك ابن أوس بن الحذان ، عن عمر بن الخطاب ، بنحوه^(٢٢) .

(الحديث آخر) قال أبو عيسى الترمذى^(٢٣) : حدثنا بندار ، حدثنا محمد بن خالد بن عثمة ، حدثني موسى بن يعقوب الرمعي ، حدثني عبد الله بن كيسان ، أن عبد الله بن شداد أخبره ، عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أولى الناس بي يوم القيمة أكثرهم على صلاة ». تفرد بروايته الترمذى رحمة الله ، ثم قال : هذا^[٥] الحديث حسن غريب .

(الحديث آخر) قال إسماعيل القاضي^(٢٤) : [حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان^[٦] ، عن يعقوب بن زيد بن طلحة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتاني آت من ربي فقال لي : ما من عبد يصلى عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشرًا ».]

(١) - المطهرة : كل إماء يتطهر به كالإبريق والسطل وغيرها .

(٢) - المشربة : الغرفة .

(٢١) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٤) .

(٢٢) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٥) .

(٢٣) سنن الترمذى ، كتاب الصلاة برقم (٤٨٤) .

(٢٤) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (١٣) .

[١] - في ز ، خ : عبيد الله . وهو تحريف .

[٢] - في ز : « عينة ». .

[٣] - في ز : « أخشيست ». .

[٤] - ما بين المعکوفتين في ت : « عشر صلوات ». [٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - ما بين المعکوفتين في خ ، ز : « حدثنا شقيق ». .

فقام رجل فقال : يا رسول الله ، ألا أجعل نصف دعائي لك ؟ قال [١] : « إن شئت ». قال : ألا أجعل ثلثي دعائي لك ؟ قال : « إن شئت ». قال : ألا أجعل دعائي [كله لك] [٢] ؟ قال : « إذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة ». فقال شيخ - كان بمكة يقال له : منيع [٣] - لسفيان : عمن أستنه قال : لا أدرى .

(حديث آخر) قال إسماعيل القاضي [٤] : حدثنا سعيد بن سلام العطار ، حدثنا سفيان - يعني : التوري - عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيلي بن أبي بن كعب ، عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في جوف الليل فيقول : « جاءت الراجمة ، تبعها الرادفة جاء [٥] الموت بما فيه ». قال أبي : يا رسول الله ، إني أصلى من الليل فأجعل [٦] لك ثلاث صلاتي ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشطر ». قال : فأجعل [٧] لك شطر صلاتي ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الثالثان ». قال : فأجعل [٨] لك صلاتي كلها ؟ قال : « إذن يغفر الله لك ذنبك كله » .

وقد رواه الترمذى بنحوه [٩] فقال : حدثنا هناد ، حدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيلي بن أبي بن كعب ، عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : « يا أهلا الناس ، اذكروا الله ، اذكروا الله [١٠] ، جاءت الراجمة تبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه » قال أبي : قلت [١١] : يا رسول الله ، إني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال : « ما شئت ». قلت : الرابع ؟ قال : « ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك ». قلت : فالثلثين ؟ قال : « ما فالنصف ؟ قال : « ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك ». قلت : أجعل لك صلاتي كلها ؟ قال : « إذن تكتفى هنمك ، ويغفر لك ذنبك ». ثم قال : هذا [١٢] حديث حسن .

وقال الإمام أحمد [١٣] : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ،

[١] فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (١٤) .

[٢] سنن الترمذى ، صفة القيمة برقم (٤٥٧) .

[٣] المسند (٥) (١٣٦) (٢١٣٢٢) . وأخرجه الترمذى في كتاب صفة القيمة ، باب : رقم (٢٣) .

[٤] - في ز ، خ : « قال » .

[٥] - ما بين المعکوفتين في ز : « لك كله » .

[٦] - في ز ، خ : « جاءت » .

[٧] - في خ ، ز : « إنما جعل » .

[٨] - ما بين المعکوفتين سقط من : ز ، خ .

[٩] - سقط من : ز ، خ .

[١٠] - سقط من : ز ، خ .

عن الطفيلي بن أبي ، عن أبيه قال : قال رجل : يا رسول الله ؟ أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك ؟ قال : « إِذْنَ يَكْفِيكَ اللَّهُ مَا أَهْمَكَ مِنْ دِيَكَ وَآخْرَكَ ». .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٢٢٨) : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت بن سليمان مولى الحسن بن علي ، عن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم ، والسرور يرى في وجهه ، فقالوا : يا رسول الله ؟ إنا لنرى السرور في وجهك . فقال : « إِنَّهُ أَنَّا لِلَّهِ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ أَمَا يَرِضُكَ أَنْ رِبُّكَ - عَزْ وَجْلَ - يَقُولَ : إِنَّهُ لَا يَصْلِي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِّنْ أَمْتَكَ إِلَّا صَلَيْتَ عَلَيْهِ عَشْرًا ، وَلَا يَسْلِمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِّنْ أَمْتَكَ إِلَّا سَلَمَتْ عَلَيْهِ عَشْرًا ؟ قَالَ : بَلَى ». .

ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة به .

وقد رواه إسماعيل القاضي (٢٢٩) ، عن إسماعيل ابن أبي أويس ، عن أخيه ، عن سليمان بن بلال ، عن عبد الله بن عمر ، عن ثابت ، عن أنس ، عن أبي طلحة ، بفتحه .

(طريق آخر) قال أحمد (٣٣٠) : حدثنا شريح ، حدثنا أبو معاشر ، عن إسحاق بن كعب ابن عجرة ، عن أبي طلحة الأنباري قال : أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً طيب النفس ، يرى في وجهه البشر ، قالوا : يا رسول الله ؟ أصبحت اليوم طيب النفس ، يرى في وجهك البشر ؟ قال : « أَجَلُ ، أَنَّا لِلَّهِ لَهُ بِهَا عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْر درجات ، وَرَدَ عَلَيْهِ [١] مُثْلَهَا ». هذا أيضًا إسناد جيد ولم يخرجوه .

(حديث آخر) روى مسلم (٣٣١) وأبو داود والترمذى والنمسائى ، من حديث إسماعيل بن

= (٤/٦٣٦، ٦٣٧/٢٤٥٧) رقم : ١٧٠ . من طريق هناد عن قبيصة . ورواه عبد بن حميد مطولاً عن قبيصة ابن عقبة حديث . ورواه الحكم في المستدرك (٢/٥١٣) من طريق معاذ بن نعمة ، عن قبيصة بن عقبة بفتحه . وقال الحكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وذكره الهيثمي في مجمع الروايد (١٠/١٦) وقال : « قلت : رواه الترمذى ولفظه إِذَا تَكَفَى هُمْكَ ، وَيَغْفِرُ ذَنْبَكَ - رواه أحمد وإسناده جيد ». .

(٢٢٨) المسند (٤/٣٠) (١٦٤١٥) ، والنمسائى في السنن الكبرى برقم (٩٨٨٨) .

(٢٢٩) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (١) .

(٢٣٠) المسند (٤/٢٩) (١٦٤٠٤) إسحاق بن كعب بن عجرة : في التقرب : مجھول الحال ، وفي التهذيب : قال ابن القطنان : مجھول الحال ، ما روى عنه غير ابنه سعد . قد روى عنه أبو معاشر كما هنا . والحديث أخرجه النمسائى (٣/٤٤) - (٢/٥٠) . والحاكم (٢/٤٢٠) . والطبرانى (٥/١٠٢) حديث (٤٧٢٤) ، (٤٧١٧) . وحسنه الشيخ الألبانى ، انظر صحيح النمسائى (١/٢٧٤) - (٢٧٥) .

(٢٣١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة برقم (٤٠٨) ، وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة برقم (١٥٣٠) ، وسنن الترمذى كتاب الصلاة برقم (٤٨٥) ، وسنن النمسائى كتاب السهو (٣/٥٠) .

جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى علىي واحدة صلوا الله عليه بها عشرًا ». قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح ، وفي الباب عن عبد الرحمن بن عوف ، وعامر بن ربيعة ، وعمار ، وأبي طلحة ، وأنس ، وأبي بن كعب .

وقال^[١] الإمام أحمد^(٢٢٢) : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا شريك ، عن ليث ، عن كعب^[٢] عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « صلوا علىي ؛ فإنها زكاة لكم . وسلوا الله لي الوسيلة ، فإنها درجة في أعلى الجنة ، لا^[٣] ينالها إلا رجل ، وأرجو أن أكون أنا هو » .

تفرد به أحمد .

وقد رواه البزار^(٢٣٣) من طريق مجاهد ، عن أبي هريرة بنحوه فقال : حدثنا محمد بن إسحاق البكالى ، حدثنا عثمان بن سعيد ، حدثنا ذؤاد بن علبة ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلوا علىي فإنها زكاة لكم ، وسلوا الله لي الدرجة الوسيلة من الجنة ». فسألناه - أو : أخبرنا - فقال : « هي درجة في أعلى الجنة ، وهي لرجل ، وأنا أرجو أن أكون ذلك الرجل » .

في إسناده بعض من تكلم فيه^[٤] .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد^(٢٤) : حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، [عن عبد الله بن هبيرة^[٥] ، عن عبد الرحمن بن مريج^[٦] الخولاني ، سمعت أبا قيس^[٧] - مولى عمرو ابن العاص - سمعت عبد الله بن عمرو^[٨] يقول : من صلى على رسول الله عليه الصلاة والسلام صلاة ، صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة ، فليقل عبد من ذلك أو ليكثر .

(٢٣٢) المسند (٣٦٥ / ٢) .

(٢٣٣) مسند البزار برقم (٣٦٣) « كشف الأستار » ، وقال الهيثمي : « فيه ذؤاد بن علبة ، ضعفه ابن معين والن sai غيرهما ووثقه ابن نمير ، وقال موسى بن داود الضبي : ثنا ذؤاد بن علبة وأثنى عليه خيرا ، وقال ابن عدي : هو في جملة الضعفاء من يكتب حديثه ». كلما فيه ذؤاد بن علبة وهو الصواب . انظر : الكامل (٣ / ١٢١) ، والتهذيب (٢٢١ / ٣) ، والميزان (٣٢ / ٢) .

(٢٣٤) المسند (١٧٢ / ٢) .

[١] - في ت : « قال » .

[٢] - في خ ، ز : « ثابت » .

[٤] - في خ ، ز : « به » .

[٦] - في خ ، ز : « شريح » .

[٣] - في ز : « ولا » .

[٥] - ما بين المكرفين سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز ، خ : « عمر » .

وسمعت عبد الله ابن عمرو يقول : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً كالمودع فقال : « أنا محمد النبي الأمي - قاله ثلاث مرات - ولانبي بعدني ، أوقيت فواع الكلم وخواقه وجوامعه ، وغلقت كم خزنة النار وحملة العرش ، وتجاوز بي ، وغُفِيت وغُفِيت أمتى ، فاسمعوا وأطِيعوا ما دمت فيكم ، فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله ، أحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ». ^١

(Hadith آخر) قال أبو داود الطيالسي : حدثنا أبو سلمة الخراساني ، حدثنا أبو إسحاق ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ذكرت عنده فليصل علني ، ومن صلى على مرة واحدة ^٢ صلى الله عليه عشرًا ». ^٣

ورواه النسائي في « اليوم والليلة » ، من حديث أبي داود الطيالسي ، عن أبي سلمة - وهو المغيرة بن مسلم الخراساني - عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيبي ، عن أنس به ^٤ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا يونس بن عمرو ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن بُرِيد ^٥ بن أبي مرِيم ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى على صلاة واحدة ، صلى الله عليه عشر صلوات ، وحط عنه عشر خطبات ». ^٦

(Hadith آخر) قال الإمام أحمد ^٧ : حدثنا عبد الملك بن عمرو وأبو سعيد ؛ قال ^٨ : حدثنا سليمان بن بلال ، عن عمارة بن ^٩ غزية ، عن عبد الله بن علي بن الحسين ، عن [أبيه

^{١٠}] السنن الكبرى برقم (٩٨٨٩) .

(١٠٢/٣) المسند (١٢٠١٦) . بريد بن أبي مريم السلوبي : قال ابن معن وأبو زرعة : ثقة . وقال أبو حاتم : صالح . وقال العجلي : ثقة . وقال الدارقطني : على شرط الصحيح . وذكره ابن حبان في الثقات وأخرج له في الصحيح ، وكذلك الحاكم . والحديث رواه النسائي في كتاب السهو ، باب : الفضل في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٥٠/٣) من حديث يونس ، به . وفي « اليوم والليلة » حدث ^{١٣٦٢} عن إسحاق بن منصور ، عن محمد بن يوسف ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن بريد بن أبي مرِيم : حدثنا أنس ... فذكره . وفي « اليوم والليلة » حدث ^{٣٦٣} عن عبد الله بن قيم ، عن حجاج . وحدث ^{٣٦٤} عن إسحاق بن إبراهيم ، عن يحيى بن آدم ، وأبي نعيم - ثلاثهم - عن يونس ، عن بريد ^{١٣٧٨١} بمعنىه ورواه مخلد بن يزيد ، عن يونس ، عن بريد ، عن الحسن عن أنس . ورواه عبد الله حدث ^{٢٦١/٣} . قال ابن كثير في جامع المسانيد : وزوّي عن يونس ، عن أبيه ، عن بريد . وروي عن بريد ، عن الحسن ، عن أنس . وقد ثبت سماع بريد من أنس لهذا الحديث . واختاره الضياء ، في صحيحه - اختارة . ورواه عبد الله ^{١٢٥٩١} - (١٥٤/٣) . وفي صحيح مسلم ، عن أبي هريرة مرفوعاً ، مثله .

^١ المسند (٢٠١/١) .

[٢] - في خ ، ز : « زيد ». ^١

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « عن ». ^٢

[٥] - سقط من : ز ، خ .

علي بن الحسين عن [١] أئبته : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « البخيل من ذكرت عنده ، ثم لم يصل علي ». وقال أبو سعيد : « فلم يصل علي ». .

ورواه الترمذى من حديث سليمان بن بلال ثم قال : هذا حديث حسن غريب صحيح .

و[٢] من الرواة من جعله من مسندة « الحسين بن علي » ، ومنهم من جعله من مسندة « علي » نفسه .

(حديث آخر) قال إسماعيل القاضي (٢٣٨) : حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن معبد بن هلال العنزي ، حدثني رجل من أهل دمشق ، عن عوف بن مالك ، عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أبغض الناس من ذكرت عنده فلم يصل علي ». .

(حديث آخر مرسل) قال إسماعيل (٢٣٩) : وحدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا جرير بن حازم ، سمعت الحسن يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بحسب أمرى من البخل أن أذكر عنده فلا يصل لي علي ». . صلوات الله عليه .

(حديث آخر) قال الترمذى (٤٤٠) : حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقى ، حدثنا ربيعى بن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبرى ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رغم ألف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ». [ورغم ألف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم السلح قبل أن يغفر له] [٣] ، ورغم ألف رجل أدرك عنده أبواه الكبير فلم يدخله الجنة ». ثم قال : حسن غريب .

قلت : وقد رواه البخارى في « الأدب » (٤٤١) عن محمد بن عبيد الله ، حدثنا ابن أبي حازم ، عن كثير بن زيد ، عن الوليد بن رباح ، عن أبي هريرة مرفوعا ، [بنحوه ، ورويناه من حديث محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة] [٤] ، به . قال الترمذى : وفي الباب عن جابر وأنس .

قلت : وابن عباس ، وكعب بن عجرة ، وقد ذكرت طرق هذا الحديث في أول كتاب

(٢٣٨) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٣٧) .

(٢٣٩) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٣٨) .

(٤٤٠) سنن الترمذى برقم (٣٥٤٥) .

(٤٤١) - رواه الترمذى كتاب الدعوات (٣٥٤٥) .

[١] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

الصيام ، وعند قوله تعالى : ﴿إِمَا يَلْغُونَ عَنْكُوكَبُرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كَلَاهُمَا﴾ . وهذا الحديث والذي قبله دليل على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كلما ذكر ، وهو مذهب طائفة من العلماء .

ويتقوى بالحديث الآخر الذي رواه ابن ماجة ^(٢٤٢) :

حدثنا جبارة بن المغلس ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا عمرو بن دينار ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من نسي الصلاة على خطئ طريق الجنة» .

جبارة ضعيف .

ولكن رواه إسماعيل القاضي من غير وجه ^(٢٤٣) ، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من نسي الصلاة على خطئ طريق الجنة» . وهذا مرسل يتقوى بالذى قبله .

وذهب آخرون إلى أنه تجب الصلاة في المجلس مرة واحدة ، ثم لا تجب في بقية ذلك المجلس ، بل تستحب . نقله الترمذى عن بعضهم ، ويتأيد بالحديث الذي رواه الترمذى ^(٢٤٤) :

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن صالح - مولى التوأم - عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ما مجلس قوم مجلستا لم يذكروا الله فيه ، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم تيرة» . ، فإن شاء عذبهم ، وإن شاء غفر لهم» .

تفرد به الترمذى من هذا الوجه . ورواه الإمام أحمد عن حجاج ويزيد ^[١] بن هارون ، كلامهما عن ابن أبي ذئب ، عن صالح - مولى التوأم - عن أبي هريرة ، مرفوعاً مثله ^[٢] . ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن .

وقد روی عن أبي هريرة ^(٢٤٥) ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، من غير وجه . وقد رواه

(٢٤٢) سنن ابن ماجة ، إقامة الصلاة والسنة فيها برقم (٩٠٨) ، وقال البوصيري في الزوائد (٣١٣/١) : «هذا إسناد ضعيف لضعف جبارة بن المغلس» .

(٢٤٣) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٤١) .

(٢٤٤) سنن الترمذى ، كتاب الدعوات برقم (٣٣٨٠) ، والمسند (٤٥٣/٢) .

(٢٤٥) - أي : نقضها . يقال : وتَرَهْ تَرَهْ تَرَهْ ، وعلى ذلك تكون الهاء في «ترة» عوضاً من الواو المهدوقة ، وقيل : أراد بالترة ها هنا : التبعه .

(٢٤٥) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٥٥) .

[٢] - سقط من : خ .

[١] - في ز ، خ : «زيد» .

إسماعيل القاضي من حديث شعبة ، عن سليمان ، عن ذكوان ، عن أبي سعيد قال : ما من قوم يقدعون ثم يقونون ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا كان عليهم حسرة ، وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب .

وحكى عن بعضهم أنه إنما تجنب الصلاة عليه - عليه السلام - في العمر مرة واحدة ، امثألاً لأمر الآية ، ثم هي مستحبة في كل حال . وهذا هو الذي نصره القاضي عياض بعدهما حكى الإجماع^[١] على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في الجمعة . قال : وقد حكى الطبراني^[٢] أن محمل الآية على الندب ، وادعى فيه الإجماع . قال : ولعله فيما زاد على المرة ، والواجب منه مرة كالشهادة له بالنبوة ، وما زاد على ذلك فمندوب مُرْغَب فيه من سنن الإسلام ، وشعار أهله .

قلت : وهذا قول غريب ، فإنه قد ورد الأمر بالصلاحة عليه في أوقات كثيرة فمنها واجب ومنها مستحب على ما نبيه :

فمنه^[٣] بعد النداء للصلوة للحديث الذي رواه الإمام أحمد (٤٦) :

حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حبيبة ، حدثنا كعب بن علقمة ، أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يقول : إنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إذا سمعتم مؤذنا فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلى الله عليه بها عشرًا ، ثم سلوا لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تتبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو»^[٤] ، فمن سأله لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة » .

وآخرجه مسلم وأبو داود والترمذى والنمسائى ، من حديث كعب بن علقمة .

(طريق أخرى) قال إسماعيل القاضي (٤٧) : حدثنا محمد بن أبي بكر^[٥] ، حدثنا عمرو^[٦] ابن علي^[٧] ، عن أبي بكر الجشمى ، عن صفوان بن سليم ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من^[٨] سأله لي الوسيلة ، حل^[٩] عليه شفاعتي يوم القيمة» .

^[٤٦] (النستد ١٦٨/٢) ، وصحح مسلم ، الصلاة برقم (٣٨٤) ، وسنن أبي داود ، الصلاة برقم (٥٢٣) ، وسنن الترمذى ، المناقب برقم (٣٦١٤) ، وسنن النمسائى في الأذان (٢٥/٢) .

^[٤٧] فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٥٠) .

^[١] - في ت : «الطبراني» .

^[٢] - سقط من : ز ، خ .

^[٣] - في خ ، ز : «عنه» .

^[٤] - سقط من : خ .

^[٥] - في ز ، خ : «عمر» .

^[٦] - في خ ، ز : «بكر» .

^[٧] - في ز : «أو» .

^[٨] - في ز : «حقت» .

(حديث آخر) : قال إسماعيل القاضي : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا سعيد بن [زيد] ، عن [١] ليث ، عن كعب - هو كعب الأحبار ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلوا عليَّ ، فإن صلاتكم علىي زكاة لكم ، وسلوا الله لي الوسيلة » قال : فلما حدثنا وإما سألهما ، فقال : « الوسيلة أعلى درجة في الجنة ، لا ينالها إلا رجل ، وأرجو أن أكون ذلك الرجل » .

ثم رواه (٤٤٨) عن محمد بن أبي بكر ، عن معتمر ، عن ليث - وهو ابن أبي سليم - به . وكذا الحديث الآخر .

قال الإمام أحمد (٤٤٩) : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا بكر بن سوادة ، عن زياد بن نعيم ، عن وفاء [٢] الحضرمي ، عن رويفع بن ثابت الأنباري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى على محمد وقال : اللهم أنزله المقرب عندك يوم القيمة ؛ وجبت له شفاعتي » . وهذا إسناد لا يأس به ، ولم يخرجوه .

(أثر آخر) : قال إسماعيل القاضي : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، حدثني معمرا ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، سمعت ابن عباس يقول : اللهم تقبل شفاعة محمد الكبيري ، وارفع درجته العليا ، وأعطيه سُؤلَه في الآخرة والأولى ، كما آتيت [إبراهيم وموسى] [٣] عليهما السلام . إسناد حيد قوي صحيح (٤٥٠) .

ومن ذلك عند دخول المسجد والخروج منه ، للحديث الذي رواه الإمام أحمد (٤٥١) :

حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا ليث بن أبي سليم ، عن عبد الله بن الحسن [٤] ، عن أمه فاطمة بنت الحسين ، عن جده فاطمة [٥] بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت [٦] : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم وقال : « اللهم اغفر

[١] (٤٤٨) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٤٦ ، ٤٧) .

[٢] (٤٤٩) المسند (٤/٤١) (١٧٠٤١) . في إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف . وفاء الحضرمي : مقبول . زياد بن نعيم : ثقة . وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/١٦٦) وقال : رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير وأسانيده حسنة . اهـ . وأنخرجه الطبراني في الكبير (٥/٢٦) حديث (٤٤٨٠ ، ٤٤٨١) .

[٣] (٤٥٠) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٥٢) .

[٤] (٤٥١) المسند (٦/٢٨٢) . ليث بن أبي سليم : صدوق اختلط جداً ، ولم يتميز حديثه فترك . والحديث =

[٥] - ما بين المعقوفين سقط من : ز ، خ . [٦] - في خ ، ز : « ورقاء » .

[٧] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « موسى وإبراهيم » .

[٨] - في خ ، ز : « الحسين » . [٩] - سقط من : خ ، ز .

[١٠] - في ز ، خ : « قال » .

لي ذنبي ، وافتح لي أبواب رحمتك » . وإذا خرج صلى على محمد وسلم ، ثم قال : « اللهم ، اغفر لي ذنبي ، وافتح لي أبواب فضلك » .

وقال إسماعيل القاضي ^(٢٠٢) : حدثنا يحيى بن عبد الحميد ، حدثنا سفيان بن عمر التميمي ، عن سليمان الضبي ، عن علي بن الحسين قال : قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : إذا مررت بالمساجد فصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في الصلاة ؛ فقد قدمنا الكلام عليها في التشهد الأخير ، ومن ذهب إلى ذلك من العلماء مع الشافعي رحمة الله . وأما التشهد الأول فلا تجده فيه قولًا واحدًا وهل تستحب ؟ على قولين للشافعي .

ومن ذلك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في صلاة الجنائز ، فإن السنة أن يقرأ في التكبير الأولى فاتحة الكتاب ، وفي الثانية يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي الثالثة يدعوا للميت ، وفي الرابعة يقول : اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده .

قال الشافعي رحمة الله ^(٢٠٣) : حدثنا مطرف بن مازن ، عن معمر ، عن الزهرى : أخبرنى أبو أمامة بن سهل بن ثنيف أنه أخبره رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أن السنة في الصلاة على الجنائز أن يكبر الإمام ، ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبير الأولى سرًا في نفسه ، ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وبخلص الدعاء للجنائز ، وفي التكبيرات لا يقرأ في شيء منها ، ثم يسلم سرًا في نفسه .

ورواه ^[١] النسائي ^(٢٠٤) عن أبي أمامة نفسه أنه قال : من السنة ... فذكره .

وهذا من الصحاحي في حكم المرفوع على الصحيح .

ورواه إسماعيل القاضي ^(٢٠٥) ، عن محمد بن المثنى ، عن عبد الأعلى ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن أبي أمامة بن ^[٢] سهل ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : السنة في الصلاة على = أخرجته الترمذى في جامعه في كتاب الصلاة ، باب : ما جاء ما يقول عند دخول المسجد . ١٢٧/٢ = ١٢٨ / رقم : ٣١٤) . وابن ماجة في سنته في كتاب المساجد ، باب : الدعاء عند دخول المسجد . ١/ ٢٥٣ ، ٢٥٤ / رقم : ٧٧١) . كلامها من طريق ليث بن أبي سليم به . والحديث صحيحه الألباني في صحيح السنن المذكورة - الترمذى حديث ٢٥٩ ، ٣١٤ / ٦٢٥ ، وابن ماجه ٧٧١ / ٢٥٩ .

(٢٠٦) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٨٠) .

(٢٠٧) سنن النسائي (٤/٤) .

(٢٠٨) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٩٤) .

(٢٠٩) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٨٨) .

[١] - في ت : « رواه » .

[٢] - في ز ، خ : « عن » .

الجنازة ... فذكره .

وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عمر والشعبي .

ومن ذلك في صلاة العيد ، قال إسماعيل القاضي : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا هشام الدستوائي ، حدثنا حماد بن أبي سليمان ، عن إبراهيم ، عن علامة ، أن ابن مسعود وأبا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عمّة [يوماً قبل العيد]^[١] فقال لهم : إن هذا العيد قد دنَا^[٢] فكيف التكبير فيه ؟ قال عبد الله : تبدأ فكبّر تكبيرة تفتح بها الصلاة ، وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم تدعوا ، وتكبّر وتفعل مثل ذلك ، ثم تكبّر و^[٣]تفعل مثل ذلك ، ثم تكبّر وتفعل مثل ذلك ، ثم تقرأ ثم تكبّر ، وترفع ، ثم تقوم فقرأ وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعوا وتكبّر ، وتفعل مثل ذلك ، ثم ترفع . فقال حذيفة وأبا موسى : صدق أبو عبد الرحمن . إسناده^[٤] صحيح .

ومن ذلك أنه يستحب ختام الدعاء بالصلوة عليه صلى الله عليه وسلم ، قال الترمذى^(٤٥٦) : حدثنا أبو داود ، أخبرنا النضر بن شمبل ، عن أبي قرقمة الأنصارى ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر بن الخطاب قال : الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد منه شيء حتى تصلى على نبيك .

وهكذا رواه أبى يوب بن موسى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب - قوله - . ورواه معاذ بن الحارث ، عن أبي قرة ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر مرفوعاً^(٤٥٧) .

وكذا رواه رزين بن معاوية في « كتابه » مرفوعاً ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال^(٤٥٨) : الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد حتى يصلى على ، فلا تجعلوني كافراً^[٥] الراكب ، صلوا على أول الدعاء وأوسطه وأخره^(٤٥٩) .

(٤٥٦) سنن الترمذى ، كتاب الصلاة برقم (٤٨٦) . وإنسانده ضعيف لجهة أنّى قرّة . وأما أبو داود فهو سليمان بن مسلم المصاخي : ثقة .

(٤٥٧) أخرجه الوادى ومن طريقه الحافظ الراوى في الأربعين كما في تخريج الكشاف لابن حجر (ص ١٣٧) . (٤) - قال ابن الأثير في النهاية [٣٨٥/٣] : « الغتر - بضم الغين وفتح الميم - : القذح الصغير ، أراد أن الراكب يحمل رحله وأوزاره على راحلته ويترك قتنه إلى آخر تزحاله ؛ ثم يملأه على رحله كالعلاوة ، فليس عنده بهم ، فتهامن أن يجعلوا الصلاة عليه كالغتر الذي لا يقدّم في المهام ويُبخل بيّعاً » . اهـ .

(٤٥٨) ذكره ابن الأثير في جامع الأصول (٤/١٥٥) رواية رزين .

[١] - ما بين المعقودتين في خ ، ز : « صلى العيد يوماً » . [٢] - في خ ، ز : « وفي » .

[٣] - في ز ، خ : « ثم » . [٤] - في ز ، خ : « إسناد » .

[٥] - في ز : « لعمر » .

وهذه الزيادة إنما تروي من رواية جابر بن عبد الله في « مسنن الإمام عبد بن حميد الكشفي » قال (٢٥٩) : حدثنا جعفر بن عون ، أخبرنا موسى بن عبيدة ، عن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه قال : قال جابر : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوني كفده الراكب ، إذا علق تعاليقه أخذ قدحه فملأه من الماء ، فإن كان له حاجة في الموضوع ترضا ، وإن كان له حاجة في الشرب شرب ، وإلا أهراق ما فيه ، اجعلوني في أول الدعاء ، وفي وسط الدعاء ، وفي آخر الدعاء » .

فهذا حديث غريب ، وموسى بن عبيدة ضعيف الحديث .

ومن ذلك دعاء القنوت ، لما رواه الإمام أحمد وأهل السنن ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم ، من حديث أبي الجوزاء ، عن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - قال : علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الورت : « اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، إله لا يذل من وليت ، تباركت ربنا [١] وتعالىت » (٢٦٠) .

وزاد النسائي في سنته بعد هذا : « وصلى الله [٢] على النبي محمد [٣] » .

ومن ذلك أنه يستحب الإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة . قال الإمام أحمد (٢٦١) : حدثنا حسين بن علي الجعفي ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن أبي [٤] (٢٥٩) المنتخب لعبد بن حميد برقم (١١٣٠) ، ورواها البزار في مسنده برقم (٣١٥٦) « كشف الأستار » من طريق موسى بن عبيدة به .

(٢٦٠) المسند (١٩٩/١) ، وسنن أبي داود برقم (١٤٢٥) ، وسنن الترمذى برقم (٤٦٤) ، وسنن النسائي (٢٤٨/٣) ، وسنن ابن ماجة برقم (١١٧٨) ، وصحیح ابن خزيمة (١٠٩٥) ، وصحیح ابن حبان (٢/١٤٨) ، والمستدرک (٣/١٧١) .

(٢٦١) المسند (٤/٨) ، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر : ثقة ، روی له الجماعة . وأبو الأشعث الصنعتاني : هو شراحيل بن آدة ، وبه قال : آدة جد أبيه ، وهو شراحيل بن كلبي ، ثقة ، روی له البخاري في الأدب ومسلم وأصحاب السنن . والحديث أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة (١/٢٢٥) . حديث ١٠٤٧ . وفي كتاب الصلاة ، باب : الاستغفار حديث (١٥٣١) (٢/٨٨) من طريق هارون بن عبد الله ، ثنا حسين بن علي ، عن عبد الرحمن به . والنسائي في كتاب الجمعة ، باب : إكثار الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة (٣/٩١ - ٩٢) . من طريق إسحاق بن منصور ، ثنا حسين الجعفي به . وابن ماجة في كتاب الجنائز ، باب : ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وسلم (١/٥٢٤) . من طريق أبي بكر بن أبي شيبة ، ثنا الحسين بن علي ، عن عبد الرحمن به . وحديث ١٦٣٦ . والحاكم في المستدرک (١/٢٧٨) . وابن حبان كما في الموارد (٥٥٠) . والحديث صححه الشيخ الألباني صحيح أبي داود (١٩٦/١) .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ت : « اللهم » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

الأشعث الصناعي ، عن أوس بن أوس الشفقي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة عليَّ ». قالوا : يا رسول الله ؛ وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمته ؟ - يعني : وقد بليت - قال : « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » .

ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجة من حديث حسين بن علي الجعفي . وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة ، وابن حبان ، والدارقطني ، والنوي في « الأذكار » .

(حديث آخر) قال أبو عبد الله بن ماجة (٢٦٢) : حدثنا عمرو بن سواد المصري ، حدثنا عبد الله ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن سعيد [١] بن أبي هلال ، عن زيد بن أعين ، عن عبادة بن نُسَيْ ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا الصلاة عليَّ يوم الجمعة ، فإنه مشهود تشهده الملائكة . وإن أحدًا لن يصلني عليَّ إلا عرضت [علىَّ صلاته] [٢] حتى يفرغ منها ». قال : قلت : وبعد الموت ؟ قال : « [وبعد الموت] [٣] . إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » [فنبي الله حى يرثى] [٤] . هذا حديث غريب [٥] من هذا الوجه وفيه انقطاع بين عبادة بن نُسَيْ وأبي الدرداء فإنه لم يدركه ، والله أعلم .

وقد روَى البيهقي (٢٦٣) من حديث أبي أمامة وابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر بالإكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة ، ولكن في إسنادهما ضعف ، والله أعلم .

وروى مرسلًا عن المحسن البصري فقال إسماعيل القاضي (٢٦٤) : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا جرير بن حازم ، سمعت الحسن - هو البصري - يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تأكل الأرض جسدًا من كَلْمَةِ رُوحِ الْقَدْسِ » . مرسل حسن .

وقال الشافعي : أخبرنا إبراهيم بن محمد ، أخبرنا صفوان بن سليم أن النبي صلى الله عليه

(٢٦٢) سنن ابن ماجة برقم (١٦٣٧) . وفيه أيضًا انقطاعاً آخر بين زيد وعبادة ، قاله البخاري .

(٢٦٣) السنن الكبرى للبيهقي (٢٤٩ / ٣) من حديث أبي أمامة ، رضي الله عنه ، ولم أجده عنده من حديث أبي مسعود ولما هو من حديث أنس ، رضي الله عنه .

(٢٦٤) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٢٣) .

[١] - ما بين المعقوفين في ز : « صلاته علىَّ » .

[٤] - ما بين المعقوفين سقط من : ز ، ز .

[٢] - في ز ، خ : « شعيب » .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من : ز .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

وسلم قال : « إذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فأكثروا الصلاة على ». هذا مرسلا .

وهكذا يجب على الخطيب أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المبر في الخطيبين ، ولا تصح الخطيبان إلا بذلك ، لأنها عبادة ، و^[١] ذكر الله فيها شرط ، فوجب ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فيها كالأذان والصلاه . هذا مذهب الشافعى وأحمد رحمهما الله .

ومن ذلك أنه^[٢] يستحب الصلاة والسلام عليه عند زيارته قبره صلوات الله وسلامه عليه ، قال أبو داود^(٢٦٥) : حدثنا^[٣] ابن عوف - هو محمد - حدثنا المقرئ ، حدثنا حبيبة ، عن أبي سخر حميد بن زياد ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من أحد يسلم علي إلا رأى الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » .

تفرد به أبو داود ، وصححه الترمذى في « الأذكار » ، ثم قال أبو داود^(٢٦٦) :

حدثنا أحمد بن صالح ؛ قال : قرأت على عبد الله بن نافع ، أخبرني ابن أبي ذئب ، عن سعيد المقيرى ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبورى عيدها ، وصلوا علىي ؛ فلن صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم ». تفرد به أبو داود أيضا .

وقد رواه الإمام أحمد^(٢٦٧) عن شريح^[٤] ، عن عبد الله بن نافع - وهو الصائغ - به . وصححه الترمذى أيضا .

وقد روى من وجه آخر عن على - رضي الله عنه - قال القاضى إسماعيل بن إسحاق فى كتابه « فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم »^(٢٦٨) :

حدثنا إسماعيل بن أبي أويس ، حدثنا جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب [عمن أخبره]^[٥] من أهل بيته ، عن علي بن الحسين بن علي^[٦] ، أن رجلاً كان

[١] - سقط من : ز ، خ : « أَنْ » .

[٢] - سقط من : ز ، خ : « شَرِيفٌ » .

[٣] - سقط من : ز ، خ : « شَرِيفٌ » .

[٤] - سقط من : ز ، خ : « شَرِيفٌ » .

[٥] - ما بين المكوفتين في خ ، ز : « عَنْ أَخِيهِ » . [٦] - في ز ، خ : « عَنْ » .

يأتي كل [١] غداة فيزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويصلّى عليه ، ويصنع من ذلك ما اشتهر عليه علي ابن الحسين ، فقال له علي بن الحسين : ما يحملك على هذا ؟ قال : أحب السلام على النبي صلى الله عليه وسلم . فقال له علي بن الحسين : هل لك أن أحذثك حديثاً عن أبي ؟ قال : نعم . فقال له علي بن الحسين : أخبرني أبي عن جدي أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علي وسلموا حياماً كتم فتبلغني صلاتكم وسلامكم » .

في إسناده رجل مبهم [٢] لم يُسمّ .

وقد رُوي من وجه آخر مرسلًا ، قال عبد الرزاق في « مصنفه » [٣] ، عن التوري ، عن ابن عجلان ، عن رجل - يقال له : سهيل - عن الحسن بن الحسن بن علي ؛ أنه [٤] رأى قوماً عند القبر فنهاهم ، وقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علي حياماً كتم ، فإن صلاتكم تبلغني » . فلعله رأه يسيرون الأدب برفع أصواتهم ، فنهاهم .

وقد رُوي أنه رأى رجلاً يتاب القبر فقال : يا هذا ؛ ما أنت ورجل بالأندلس منه إلا سوء . أي : الجميع يبلغه . صلوات الله وسلامه عليه داتماً إلى يوم الدين .

وقال الطبراني [٥] في « معجمه الكبير » : حدثنا أحمد بن رشدين [٦] المصري ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر ، أخبرني حميد بن أبي زنب ، عن حسن بن حسن ابن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : « صلوا علي حياماً كتم ، فإن صلاتكم تبلغني » .

ثم قال الطبراني [٧] : حدثنا العباس بن حمدان الأصفهاني ، حدثنا شعيب بن عبد الحميد الطحان ، أخبرنا يزيد بن هارون [أنا [٨] شيبان] ، عن الحكم بن عبد الله بن خطاف [٩] ، عن أم أنيس بنت الحسن بن علي ، عن أبيها ؛ قال : [قالوا : يا [١٠] رسول الله صلى الله عليه

[١١] المصنف برقم (٦٧٢٦) .

[١٢] المعجم الكبير (٣/٨٢) ، وقال الهيثمي في الجم (١٠/١٦٢) : « فيه حميد بن أبي زبيب لم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

[١٣] المعجم الكبير (٣/٨٩) ، وقال الهيثمي في الجم (٧/٩٣) : « فيه الحكم بن عبد الله بن خطاف وهو كذاب » .

[١] - سقط من : ز ، خ : « متهم » .

[٢] - في ز ، خ : « قال » .

[٣] - ما بين المくوفين في ز ، خ : بن أبي . والمشتبه من المعجم الكبير

[٤] - في ز ، خ : خطاب . وهو تعريف .

[٥] - ما بين المكوفين في ز ، خ : قال .

وسلم : أرأيت قول الله عز وجل : « إن الله وملائكته يصلون على النبي » ؟ فقال : « إن هذا من المكتوم ، ولو لا أنكم سأعلمني عنه لما أخبرتكم ، إن الله وكل بي ملائكة لا أذكر عند عبد مسلم فيصلني علي إلا قال ذلك الملكان : غفر الله لك . وقال [١] الله وملائكته جواباً لذينك الملكين : آمين ولا يصلني أحد إلا قال ذلك الملكان : لا غفر الله لك . وقال [٢] الله وملائكته جواباً لذينك الملكين : آمين » .

غريب جداً ، وإن سناذه فيه ضعف شديد .

وقد قال الإمام أحمد [٢٧٢] : حديثاً وكبيعاً ، عن سفيان ، عن عبد الله بن السائب ، عن زادان ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [٣] : « إن لله ملائكة سياحين في الأرض ، يبلغوني عن [٤] أمتي السلام » .

وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري وسلمان بن مهران الأعمش ، كلاهما عن عبد الله بن السائب به .

فأما الحديث الآخر : « من صلى عليَّ عند قبري سمعته ، ومن صلى عليَّ من بعيد بلغته » [٢٧٣] . ففي إسناده نظر . تفرد به محمد بن مروان السدي الصغير ، وهو متوفى ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة مرفوعاً .

قال أصحابنا : ويستحب للمحرم إذا لم يفرغ من تلبيته أن يصلني على النبي صلى الله عليه وسلم ، لما روى [٥] الشافعي [٢٧٤] والدارقطني من رواية صالح بن محمد بن زائدة ، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ؛ قال : كان يُؤمِّر الرجل إذا فرغ من تلبيته أن يصلني على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال .

وقال إسماعيل القاضي [٢٧٥] : حديثاً عارم بن الفضل ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا زكريا ، عن الشعبي ، عن وهب بن الأحدع ؛ قال : سمعت عمر بن الخطاب ؛ يقول : إذا قدمتم

(٢٧٢) المسند (٤٤١/١) ، وسنن النسائي (٤٣/٣) .

(٢٧٣) أخرجه الحطيب في تاريخ بغداد (٢٩٢/٣) من طريق الأصمعي عن السدي به ، ثم روى بإسناد عن ابن قبية قال : سأله ابن نمير عن حديث : « من صلى عليَّ عند قبري » فقال : « دع ذا ، محمد بن مروان ليس بشيء » .

(٢٧٤) الأم (١٣٤/٢) .

(٢٧٥) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٨١) .

[١] - في ز : « قال » .

[٤] - في ت : « من » .

[٢] - في ز : « قال » .

[٣] - سقط من : ز .

[٥] - في ز ، خ : عن .

فطوفوا بالبيت سبعاً، وصلوا عند المقام ركعتين، ثم اتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت، فكثروا سبع تكبيرات، تكبيراً ين حمد الله وثناء عليه، وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومسألة لنفسك، وعلى المروءة مثل ذلك.

إسناد جيد حسن قوي.

وقالوا: ويستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مع ذكر الله عند الذبح، واستأنسوا بقوله تعالى: «ورفعنا لك ذكرك» قال بعض المفسرين: يقول الله تعالى: «لا أذكر إلا ذكرت معي». وخالفهم في ذلك الجمھور، وقالوا: هذا موطن يفرد فيه ذكر الرب تعالى، كما عند الأكل، والدخول، والواقع وغير ذلك، مما لم ترد فيه السنة بالصلاحة على النبي صلى الله عليه وسلم.

(Hadith آخر) قال [القاضي إسماعيل]^[٢٧٦]: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا عمر ابن هارون، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن ثابت، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلی الله عليه وسلم قال: «صلوا على أنبياء الله ورسله، فإن الله بعثهم كما بعثني».

في إسناده ضعيفان، وهما عمر بن هارون وشيخه، والله أعلم.

وقد رواه عبد الرزاق^[٢٧٧]، عن الثوري، عن موسى بن عبيدة الرَّبَّذِي به.

ومن ذلك أنه يستحب الصلاة عليه عند طنين الأذن، إن صبح الخبر في ذلك، على أن الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة قد رواه في صحيحه^[٢٧٨]؛ فقال: حدثنا زياد بن يحيى، حدثنا معمر بن عبد الله، عن^[١] علي بن أبي رافع، عن أبيه^[٢] [٢] أبي رافع؛ قال: قال رسول الله صلی الله عليه وسلم: «إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصل علىي، وليرسل ذكر الله من ذكرني بخير». إسناده غريب، وفي ثبوته نظر، والله أعلم.

[مسألة]

(٢٧٦) فضل الصلاة على النبي - صلی الله عليه وسلم - برقم (٤٥) وعمر بن هارون متزوك ، وموسى بن عبيدة ضعيف .

(٢٧٧) المصنف لعبد الرزاق برقم (٣١١٨) .

(٢٧٨) ورواه الطبراني في المعجم الصغير (١٢٠/٢) وابن عدي في الكامل (٤٥١/٦) من طريق معمر به ، وقال ابن عدي : «معمر بن محمد بن عبد الله بن أبي رافع عن أبيه منكر الحديث ، مقدار ما يرويه لا يتابع عليه » .

[١] - ما بين المukoقين في ز، خ : «بن» .

[٢] - في خ ، ز : «بن» .

وقد استحب أهل الكتابة أن يكرر الكاتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كلما كتبه ، وقد ورد في الحديث من طريق كادح بن رحمة ، عن نهشل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى عليّ في كتاب ، لم تزل الصلاة جارية له ما دام اسمي في ذلك الكتاب » ^(٢٧٩) .

وليس هذا الحديث ب صحيح من وجوه كثيرة .

وقد روى من حديث أبي هريرة ، ولا يصح أيضًا ^(٢٨٠) ، قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي شيخنا : أحسبه موضوعا .

وقد روى تحوه عن أبي بكر ، وابن عباس ^(٢٨١) . ولا يصح من ذلك شيء . والله أعلم .

وقد ذكر الخطيب البغدادي في كتابه : « الجامع لأداب الرواية والسامع ^[١] » ، قال : رأيت بخط الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله كثيراً ما يكتب اسم النبي صلى الله عليه وسلم من غير ذكر الصلاة عليه كتابة ، قال : وبلغني أنه كان يصلى عليه لفظا ^(٢٨٢) .

[فصل]

وأما الصلاة على غير الأنبياء فإن كانت ^[٢] على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث : « اللهم صل على محمد وآلـه وأزواجه وذرـيه » ، فهذا جائز بالإجماع ، وإنما وقع النزاع فيما إذا أفرد غير الأنبياء بالصلاحة عليهم فقال قائلون : يجوز ذلك . واحتجوا بقوله تعالى : « هو الذي يصلى عليكم وملائكته » ، ويقوله : « أولئك عليهم صلوـات من ربـهم ورحـمه » وبقوله تعالى : « خذ من أموالـهم صدقـة تـطهـرـهم وترـكـيـمـهـم بـهـا وصلـيـ عـلـيـهـم إـنـ صـلـاتـكـ سـكـنـ لـهـمـ » ، وب الحديث عبد الله بن أبي أوفى ؛ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقـتهم قال : « اللـهـمـ صـلـ عـلـيـهـمـ » . وأنـاهـ أـبـيـ بـصـدقـتـهـ قالـ : « اللـهـمـ صـلـ عـلـيـ آـلـ أـبـيـ أـوفـيـ » . أخرجه في الصحيحين .

(٢٧٩) أخرجه أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب برقم (١٦٩٩) من طريق أحمد بن جعفر الهاشمي عن سليمان بن الرييع عن كادح بن رحمة به .

(٢٨٠) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٢٣٤) « مجمع البحرين » من طريق يزيد بن عياض عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه .

(٢٨١) أما حديث ابن عباس فسبق ، وأما حديث أبي بكر فرواه ابن عدي في الكامل (٢٤٩/٣) من طريق أبي داود النخعي ، عن أيوب بن موسى ، عن القاسم ، عن أبي بكر ، رضي الله عنه ، وداود النخعي وضاع .

(٢٨٢) الجامع لاتـلاقـ الرـاوـيـ (٢٧١/١) ثـمـ قـالـ عـقـبـهـ : « وـقـدـ خـالـفـهـ غـيـرـهـ مـنـ الـأـنـمـةـ الـمـتـقـدـمـينـ فـيـ ذـلـكـ » .

[١] - في خ ، ز : « والسـائلـ » . [٢] - في ز ، خ : « كان » .

وب الحديث جابر : أن امرأته قالت : يا رسول الله ؛ صل علىي وعلى زوجي . فقال : « صل على الله عليك وعلى زوجك »^(٢٨٣) .

وقال الجمهور من العلماء : لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلوة ، لأن هذا قد صار شعاراً للأنبياء إذا ذكروا ، فلا يتحقق بهم غيرهم ، فلا يقال : قال أبو بكر صل على الله عليه . أو قال علي صل على الله عليه . وإن كان المعنى صحيحًا . كما لا يقال : قال محمد عز وجل ، وإن كان عزيزاً جليلًا ؛ لأن هذا من شعار ذكر الله عز وجل . وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ؛ ولهذا لم يثبت شعاراً لآل أبي أوفى ، ولا جابر وامرأته . وهذا مسلك حسن .

وقال آخرون : لا يجوز ذلك ؛ لأن الصلاة على غير الأنبياء قد صارت^(١) من شعار أهل الأهواء ، يصلون على من يعتقدون فيهم ، فلا يقتدى بهم في ذلك ، والله أعلم .

ثم اختلف المانعون من ذلك : هل هو من باب التحرير ، أو الكراهة^(٢) التنبهية ، أو خلاف الأولى ؟ على ثلاثة أقوال ، حكها الشیخ أبو زکریا التووی فی کتاب « الأذکار ». ثم قال : والصحيح الذي عليه الأکثرون أنه مکروه كراهة تنبه؛ لأنه شعار أهل البدع ، وقد نهينا عن شعارهم ، والمکروه هو ما ورد فيه نهي مقصود .

قال أصحابنا : والمعتمد في ذلك أن الصلاة صارت مخصوصة في اللسان بالأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - كما أن قولنا . عز وجل ، مخصوص بالله سبحانه وتعالى ، فكما لا يقال : محمد عز وجل ، وإن كان عزيزاً جليلاً ، لا يقال : أبو بكر - أو : على - صل على الله عليه . هذا لفظه بحروفه . قال : وأما السلام ، فقال الشیخ أبو محمد الجوینی من أصحابنا : هو في معنى الصلاة ، فلا يستعمل في الغائب ، ولا يفرد به غير الأنبياء ، فلا يقال : على عليه السلام ، وسواء في هذا الأحياء والأموات ، وأما الحاضر فيخاطب به ، فيقال : سلام عليكم ، أو سلام عليك ، أو السلام عليك أو عليكم . وهذا مجمع عليه . انتهى ما ذكره^(٤) .

قلت : وقد غالب هذا في عبارة كثیر من النساخ للكتب ، أن يفرد على رضي الله عنه بأن يقال : عليه السلام من دون سائر الصحابة ، أو : كرم الله وجهه وهذا وإن كان معناه صحيحًا ، لكن ينبغي أن يتساوی بين الصحابة في ذلك ، فإن هذا من باب التعظيم والتکريم ، فالشيخان^(٣) وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه ، رضي الله عنهم أجمعين .

(٢٨٣) - تقدم تخریج هذین الحدیثین فی هذه السورة .

(٢٨٤) الأذکار ص (١٥٩ ، ١٦٠) .

[١] - فی ز ، خ : « صار » .

[٣] - فی خ : « قال شیخنا » .

[٢] - فی ز ، خ : « الكراهة » .

قال إسماعيل القاضي ^(٢٨٥) : حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب ، [حدثنا عبد الواحد ^[١] بن زياد ، حدثني عثمان بن حكيم بن عباد بن ختيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : لا تصلح ^[٢] الصلاة على أحد إلا على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يدعى للمسلمين وال المسلمات بالاستغفار ^[٣]].

وقال أيضاً : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ^(٢٨٦) ، حدثنا حسين بن علي ، عن جعفر بن برقان قال : كتب عمر بن عبد العزيز رحمة الله : أما بعد ، فإن أناساً من الناس قد التمسوا الدنيا بعمل الآخرة ، وإن ناساً من القصاصون قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عذل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا جاءك كتابي هذا فمُرّهم أن تكون صلاتهم على النبي ودعاؤهم للمسلمين عامة ، ويدعوا ما سوى ذلك . أثر حسن .

قال إسماعيل القاضي ^(٢٨٧) : حدثنا معاذ بن أسد ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني خالد بن ترید ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن ثيبة بن وهب : أن كعباً دخل على عائشة رضي الله عنها ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال كعب : ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنبتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ، سبعون ألفاً بالليل ، وسبعون ألفاً بالنهار ، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يزفونه .

[فرع]

قال النوري : إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فليجمع بين الصلاة والتسليم ، فلا يقتصر على أحدهما فلا يقل ^[٤] : صلى الله عليه فقط ، ولا : عليه السلام فقط . وهذا الذي قاله متتبع من هذه الآية الكريمة وهي قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيْمًا﴾ ، فالأولى أن يقال : صلى الله عليه وسلم تسليماً .

إِنَّ الَّذِينَ يَؤْذِنُوكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَعَنْهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعْدَّ لَهُمْ عَذَابًا
شَهِيْنَا  وَالَّذِينَ يَؤْذِنُوكُمْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَعْتَزِزُونَ مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدْ

(٢٨٥) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٧٥) ولفظه عنده « لا تصلوا على أحد إلا على النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ولكن يدعى للمسلمين وال المسلمات بالاستغفار » .

(٢٨٦) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (٧٦) .

(٢٨٧) فضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - برقم (١٠٢) .

[١] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ت : « تصح » .

[٣] - في ت : « بالغفرة » .

﴿أَخْتَمْلُوا بِهَتَنَا وَإِنَّمَا مُؤْلِنَا﴾

يقول تعالى متهدداً ومتوعداً من آذاه ، بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك ، وأذى رسوله بعيوب أو تناقض ، عياذا بالله من ذلك .

قال عكرمة : في قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤذِنُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ ، نزلت في المصورين .

وفي الصحيحين ^(٢٨٨) ، من حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يقول الله عز وجل : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر ، أقلب ليه ونهاره». ومعنى هذا أن الجاهلية كانوا يقولون : يا خيبة الدهر ؛ فعلينا كذا وكذا . فيستندون أفعال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه ، وإنما الفاعل لذلك هو الله عز وجل ، فنهى عن ذلك .

مكذا قرره ^(١) الشافعى وأبو عبيد وغيرهما من العلماء رحمهم الله .

وقال العوفى ، عن ابن عباس في قوله : ﴿يُؤذِنُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ ، نزلت في الذين طعنوا في تزویجه صفية بنت حنيفة بن أخطب .

والظاهر أن الآية عامة في كل من آذاه بشيء ، ومن آذاه فقد آذى الله ، ومن أطاعه فقد أطاع الله ، كما قال الإمام أحمد ^(٢) :

حدثنا يونس ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن عبيدة بن أبي رائطة الحناء التميمي ^(٣) ، عن عبد الرحمن [بن زياد] ^(٤) ، عن عبد الله بن المغفل المزنى قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

(٢٨٨) صحيح البخاري برقم (٤٨٢٦) ، وصحح مسلم برقم (٢٤٤٦) .
 (٢٨٩) المسند (٤/٨٧) ، وعبيدة بن أبي رائطة : قال في التقريب : صدوق ، روى له الترمذى .
 وبعد الله بن عبد الرحمن : وقيل : عبد الرحمن بن زياد ، وقيل : عبد الرحمن بن عبد الله ، قال ابن معين : لا أعرفه . وذكره ابن حبان في الثقات . قال الحافظ : لكن ابن حبان لم يذكره إلا في عبد الله بن عبد الرحمن وتبع في ذلك البخاري وابن أبي حاتم ، ثم إن البخاري لما ذكره حكى كلام من قال فيه عبد الرحمن بن زياد ؛ قال : وفيه نظر .

والحديث رواه الترمذى حديث ٣٨٦٢ من حديث عبد الرحمن بن زياد ويفقال : إنه أخوه عبد الله بن زياد - عن ابن مغفل به نحوه . وقال : غريب لا أعرفه إلا من هذا الوجه . وأخرجه أيضًا المزri في تهذيب الكمال في ترجمة عبد الرحمن بن زياد . والحديث أخرجه أحمد في مستنه حديث (٢٠٦٠٥ ، ٢٠٦٠٦ ، ٢٠٦٣٥) .

[١] - في خ ، ز : « رواه » .

[٢] - في خ ، ز : « التميمي » .

[٣] - ما بين المukoتفين سقط من : خ ، ز .

«اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي، لَا تَخْذُوْهُمْ غَرْضًا بَعْدِي فَمِنْ أَحْبَبْهُمْ فِيْهِ أَحْبَبْهُمْ، وَمِنْ أَبغضْهُمْ فِيْهِ أَبغضْهُمْ، وَمِنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمِنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمِنْ آذَى اللَّهِ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ».

وقد رواه الترمذى من حديث عبيدة بن أبي راتطة ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن عبد الله ابن المغفل به . ثم قال : وهذا حديث غريب ، لا نعرف إلا من هذا الوجه .

وقوله : «**وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمَنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا**»^[١] ، أي : ينسبون إليهم ما هم برأء منه لم يعلوه ولم يفعلوه ، فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً^[٢] ، وهذا هو البهت البين أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه^[٣] ، على سبيل العيب والتنقص لهم ، ومن أكثر من يدخل في هذا^[٤] الوعيد الكفرة بالله ورسوله ، ثم الرافة الذين يتقصون^[٥] الصحابة ويعيرونهم بما قد برأهم الله منه ، ويصفونهم بنقض ما أخبر الله عنهم ؛ فإن الله - عز وجل - قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم ، وهؤلاء الجهلة الأغياء يسبونهم ويتقصونهم ، ويدكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبداً ، فهم في الحقيقة منكوسو^[٦] القلوب ، يذمون المذمومين ، ويمدحون المذمومين .

وقال أبو داود : (٢٩٠) حدثنا القعنبي ، حدثنا عبد العزيز - يعني ابن محمد - عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أنه قيل : يا رسول الله ، ما الغيبة ؟ قال : «**ذَكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرُهُ**» . قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَثْتَهُ**» .

وهكذا رواه الترمذى ، عن قتيبة ، عن الدراوردى ، به . [ثم [٦] قال : حسن صحيح .

وقد قال ابن أبي حاتم (٢٩١) : حدثنا أحمد بن سلمة ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن عمار بن أنس ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : «**أَيُ الرِّبَا أَرَبِيْعَةُ عَنْدَ اللَّهِ؟**» قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «**أَرَبِيْعَةُ الرِّبَا عَنْدَ اللَّهِ اسْتَحْلَالُ عَرْضِ امْرَى مُسْلِمٍ**» ، ثم قرأ : «**وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمَنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا، فَقَدْ احتَمَلُوا بِهَتَانًا وَإِثْمًا مَبِينًا**» .

(٢٩٠) سنن أبي داود ، كتاب الأدب برقم (٤٨٧٤) ، وسنن الترمذى كتاب البر والصلة برقم (١٩٣٤) ؛

(٢٩١) ورواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٦٧١١) من طريق يحيى بن واضح عن عمار بن أنس ، به .

[١] - في خ ، ز : « يقلُّون » .

[٢] - في ت : « ينتقصون » .

[٣] - سقط من ت .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - سقط من ت .

يَكِيمُهَا اللَّهُ قُلْ لَاَزَوْجِكَ وَبَنَائِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْعُونَ مِنْ جَلَبِيهِنَّ
 ذَلِكَ أَدْفَعَ أَنْ يُعْرَفَ فَلَا يُؤْذِنُ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ * لَئِنْ لَّمْ يَنْلَهُ
 الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجَفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَتُغَرِّبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ
 لَا يُجَاهِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلَعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقَفُوا أَخْذُوا وَفَتَلُوا
 تَفْتِيلاً ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الدِّينِ خَلَوْ مِنْ قَبْلٍ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ
 تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم تسلি�ماً أن يأمر النساء المؤمنات خاصة أزواجهن
 وبناته لشرفهن بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات
 الإمام. والجلباب هو: الرداء فوق الحمار. قاله^[١] ابن مسعود، وعيادة، وقادمة^[٢] ، والحسن
 البصري، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وعطاء الخراساني، وغير واحد. وهو بمثابة الإزار
 اليوم.

قال الجوهرى : الجلباب : الملحفة ، قالت^[٣] امرأة من هذيل ترثى قيلاً لها :
 تُكْشِي التَّسْوِرَ إِلَيْهِ وَهِيَ لَا هِيَ تُكْشِي الْعَذَارَى عَلَيْهِنَّ الْجَلَابِيبَ^(٢٩٢)
 قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أمر الله نساء المؤمنات^[٤] إذا خرجن من بيتهن في
 حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلباب ، ويدنن عيناً واحدة .

وقال محمد بن سيرين : سألت عبيدة السلماني عن قول الله تعالى : « يدنن عليهن من
 جلابيبهن » ، فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى .

وقال عكرمة : تغطي ثغرة نحرها بجلبابها تدنى عليها .

وقال ابن أبي حاتم^(٢٩٣) : أخبرنا أبو عبد الله الظهراني^[٥] فيما كتب إلى ، حدثنا^[٦] عبد

[١] - في ز ، خ : « قال » .

[٢] - في ز ، خ : « قال » .

[٣] - تفسير عبد الرزاق (١٠١/٢) ورواه الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة عن عائشة مثله ، وأخرجه
 البخاري في صحيحه برقم (٤٧٥٩) .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ت : « المؤمنين » .

[٦] - سقط من : خ .

[٧] - في ت : « الظهراني » .

الرازق ، أخبرنا معاشر ، عن ابن حُثيم ، عن صفية بنت شيبة ، عن أم سلمة قالت : لما نزلت هذه الآية : ﴿يَدِينُونَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ﴾ ، خرج نساء الأنصار كأنّ على رءوسهن الغربان من السكينة ، وعليهن أكسية سود يلبسنها .

و^[١] قال ابن أبي حاتم ، حدثنا أبو صالح ، حدثني الليث ، حدثنا يونس بن زياد قال : وسألناه - يعني الزهرى - هل على الوليدة خمار متزوجة أو غير متزوجة ؟ قال : عليها الخمار إن كانت متزوجة ، وتنهى عن الجلباب لأنّه يكره لهن أن يتشبهن بالحرائر إلا محصنات ، وقد قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبِنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يَدِينُونَ جَلَابِيهِنَّ﴾ .

روى عن سفيان الثوري أنه قال : لا بأس بالنظر إلى زينة نساء أهل الذمة ، إنما ينهى عن ذلك لخوف الفتنة لا لحرمتهم . واستدل بقوله تعالى : ﴿وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

وقوله : ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَعْرَفَنَ فَلَا يُؤْذِنُونَ﴾ ، أي : إذا فعلن ذلك عُرِفْنَ أَنْهُنْ حِرَائِرُ ، لسن يلاماء ولا عواهر .

قال السدي في قوله تعالى : ﴿قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبِنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يَدِينُونَ جَلَابِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَعْرَفَنَ فَلَا يُؤْذِنُونَ﴾ ، قال : كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة ، يتعرضون للنساء ، وكانت مساكن أهل المدينة ضئيفة ، فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن ، فكان أولئك الفساق يتغدون ذلك منهن ، فإذا رأوا امرأة عليها جلباب قالوا : هذه حرة ، كفوا عنها . وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب ، قالوا : هذه أمة . فوثبوا إليها .

وقال مجاهد : يتجلبن فيعلم أنهن حِرَائِرُ فلا يعرض لهن فاسق بأذى ولا ريبة .

وقوله : ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ، أي : لما سلف في أيام الجاهلية حيث لم يكن عندهن علم بذلك .

ثم قال تعالى متوعداً للمنافقين ، وهم الذين يظهرون الإيمان ويقطعن الكفر : ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ﴾ - قال عكرمة وغيره : هم الزناة ماهننا . ﴿وَالْمَرْجَفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ ، يعني : الذين يقولون : « جاء الأعداء » ، « وجاءت الحروب » . وهو كذب وافتراء - لئن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا إلى الحق ﴿لَنْفَرِينَكُمْ بِهِمْ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أي لسلطتك عليهم .

وقال قتادة رحمة الله : لنحرشنك^[١] بهم .

وقال السدي : لتعلمنك بهم . ﴿ثُمَّ لَا يجَاوِرُونَكُمْ فِيهَا﴾ ، أي : في^[٢] المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ملعوبين^{هـ} حال منهم في مدة إقامتهم في المدينة مدة قريبة مطرودين معدين ، ﴿أَيْمَّا ثَقَفُوا﴾ ، أي : وجدوا ، ﴿أَخْذَدُوا﴾ لذتهم وقلتهم ، ﴿وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾ .

ثم قال : ﴿سَنَةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلُوا مِنْ قَبْلِهِ﴾ ، أي : هذه سنته في المنافقين إذا تردوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه . إن أهل الإيمان يسلطون عليهم وبهرونهم ، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ، أي : وسنة الله في ذلك لا تبدل ولا تغير .

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلِمْهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ
قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعْدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبْدًا لَا
يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَنِيتَنَا أَطْعَنَا
اللَّهَ وَأَطْعَنَا الرَّسُولُ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضْلَلُونَا
السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا إِنَّهُمْ ضَعْفَانِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَذَابُ لَعَنَّا كَيْدًا

يقول تعالى مخبرًا لرسوله صلى الله عليه وسلم : أنه لا علم له بالساعة ، وإن سأله الناس عن ذلك . وأرشده أن يرد علمها إلى الله - عز وجل - كما قال له في «سورة الأعراف» . وهي مكية وهذه مدينة ، فاستمر الحال في رد علمها إلى الذي يقيها ، لكن أخبره أنها قريبة بقوله : ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ ، كما قال : ﴿اقْرِبْتِ السَّاعَةَ وَانْشَقَ الْقَمَرُ﴾ . وقال : ﴿اقْرِبْ لِلنَّاسَ حِسَابَهُمْ وَهُمْ فِي غَفَلَةٍ مَعْرُضُونَ﴾ . وقال : ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا
تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ .

ثم قال : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾ ، أي : أبعدهم من رحمته ﴿وَأَعْدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ، أي : في الدار الآخرة ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبْدًا﴾ ، أي : ماكين مستمرين ، فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها ، ﴿لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ، أي : وليس لهم مغيرة ولا معين ينقذهم مما هم فيه .

ثم قال : ﴿يَوْمَ تُقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطْعَنَا اللَّهَ وَأَطْعَنَا الرَّسُولُ﴾ ، أي :

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[١] - بعده في خ : «عليهم» .

يسحبون في النار على وجوههم ، وتلوي وجوههم على جهنم ، يقولون لهم كذلك ، يئتون أن لو كانوا في الدار الدنيا من أطاع الله وأطاع الرسول ، كما أخبر عنهم في حال العرصات بقوله : **﴿وَيَوْمَ يَعْنِصُ الظَّالِمُونَ عَلَىٰ يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾** يا ولتنا ليتي لم أتخذ فلاناً خليلاً . لقد أضلي عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً .

وقال تعالى : **﴿رَبِّمَا يُودُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾** . وهكذا أخبر عنهم في حالتهم هذه أنهم يزودون أن لو كانوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الدنيا ، **﴿وَقَالُوا رَبِّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضْلَلُنَا السَّبِيلَ﴾** . وقال طاوس : سادتنا يعني الأشراف ، وكبراءنا يعني العلماء . رواه ابن أبي حاتم .

أي : اتبعنا السادة وهو الأمراء والكهنة من المشيخة ، وخالفن الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئاً ، وأنهم على شيء [فإذا هم ليسوا على شيء]^[١] ، **﴿وَرَبِّنَا آتَهُمْ ضَعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾** ، أي : يكفرهم وإنغاتهم إيانا ، **﴿وَالْعَنْهُمْ لَعْنَا كَبِيرًا﴾**^[٢] فرأى بعض القراء^(٣) بالباء الموحدة . وقرأ آخرون^(٤) بالثاء المثلثة ، وهما [قريراً المعنى]^[٣] ، كما في حديث عبد الله بن عمرو : أن أباً بكر قال : يا رسول الله ، علمي دعاء أدعوه به في صلاتي . قال : « قل : اللهم ، إلهي ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم ». أخرجاه في الصحيحين^(٥) ، يرى « كبيراً » و « كبيراً » وكلامها يعني صحيح .

واستحب بعضهم أن يجمع الداعي بين اللفظين في دعائه ، وفي ذلك نظر . بل الأولى أن يقول هذا تارة . وهذا تارة كما أن القاريء مخير بين القراءتين أيهما فرأى فحسن ، وليس له الجمع بينهما ، والله أعلم .

وقال أبو القاسم الطبراني^(٦) : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا ضرار بن ضرد ، حدثنا علي بن هاشم^[٧] ، عن عبد الله بن أبي رافع ، عن أبيه ، في تسمية من شهد مع علي رضي الله عنه : الحجاج بن عمرو بن غزيره^[٨] ، وهو الذي كان يقول عند اللقاء : يا معشر

(٦) - وهو : ابن عامر ، وعاصم .

(٧) - وهو : ابن كبير ، وأبو عمرو ، ونافع ، وحمزة ، والكسائي .

(٨) - صحيح البخاري ، الأذان برقم (٨٣٤) ، وصحیح مسلم ، الذکر والدعاء برقم (٢٧٠٥) .

(٩) - المعجم الكبير (٢٢٣/٣) .

[١] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعقوفين في ز : « قريان ، يعني » .

[٣] - في خ ، ز : « هشام » .

الأنصار ، أتريدون أن تقولوا لربنا إذا لقيناه : ﴿رَبُّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتْنَا وَكَبَرَاعْنَا فَأَضْلَلْنَا السَّبِيلَ * رَبُّنَا آتَهُمْ ضُعْفَيْنَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ .

بَيْتَهُمَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ

الله وجيهها

قال البخاري عند تفسير هذه الآية^(٢٩١) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا عوف ، عن الحسن ومحمد^(٢) وخلاص ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن موسى كان رجلاً حبيباً ، وذلك قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مَا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيْهِهِ﴾ .

هكذا أورد هذا الحديث هاهنا مختصراً جدًا ، وقد رواه في أحاديث « الأنبياء » بهذا السندي بعينه^(٢٩٧) ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن موسى عليه السلام كان رجلاً حبيباً ستيراً ، لا يُرَى من جلده شيء استحياء منه ، فإذا آذاه منبني إسرائيل ، فقالوا : ما يبتر هذا التستر إلا من عيب بجلده ، إما برص وإما أذرة^(٣) وإنما آفة ». وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام ، فخلال يوماً وحده ، فخلع ثيابه على حجر ، ثم اغسل ، فلمّا فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها ، وإن الحجر عدا بثوبه ، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر ، فجعل يقول : ثوبي حجر ، ثوبي حجر ، حتى انتهى إلى ملأ منبني إسرائيل ، فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله عز وجل وأيده مما يقولون ، وقام الحجر ، فأخذ ثوبه فلبسه ، وطفق بالحجر ضريعاً بعصاه ، فوالله إن بالحجر لثدباً^(٤) من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاناً أو خمسة - قال : فذلك قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مَا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيْهِهِ﴾ .

وهذا سياق حسن مطول . وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم .

وقال الإمام أحمد^(٢٩٨) : حدثنا روح ، حدثنا عوف ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه

(٢٩٦) صحيح البخاري برقم (٤٧٩٩) .

(٢٩٧) صحيح البخاري برقم (٣٤٠٤) .

(٣) - الأذرة : انتفاخ كيس الصفن من سائل ينجمع فيه .

(٤) - اللثد : أثر الجرح . والمقصود أثر العصا .

(٢٩٨) المسند (١٥٤/٢) .

وسلم . وخلاصاً ومحمد ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذه الآية : « يا أئمَّةِ الظُّنُونِ لَا تَكُونُوا كَالذِّينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَ اللَّهُ مَا قَالُوا » ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيَّا سَتِيرًا ، لَا يَكَادُ يُرَى مِنْ جَلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِّنْهُ ... ». .

ثم ساق الحديث كما رواه البخاري مطولاً . ورواه^(*) في تفسيره عن روح ، عن عوف ، به . ورواه ابن جرير من حديث الثوري ، عن جابر الجعفي ، عن عامر الشعبي ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه بنحو هذا^(٢٩٩) .

وهكذا رواه من حديث سليمان بن مهران الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، وعبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس في قوله : « لَا تَكُونُوا كَالذِّينَ آذَوْا مُوسَى » قال : قال قومه له : إِنَّكَ أَدْرَ ، فخرج ذات يوم يغتسل ، فوضع ثيابه على صخرة ، فخرجت الصخرة تشتد بثيابه ، وخرج يبعها عرياناً حتى انتهت به مجالسبني إسرائيل ، قال : فرأوه ليس بأدر ، فذلك قوله : « فَبَرَأَ اللَّهُ مَا قَالُوا » .

وهكذا روى^[١] العوفي ، عن ابن عباس سواء .

وقال الحافظ أبو بكر البزار^(٣٠٠) : حدثنا روح بن حاتم وأحمد بن المعلى الأدمي قالا : حدثنا يحيى بن حماد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال : « كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا حَيَّا ، وَإِنَّهُ أَتَى – أَخْسَبَهُ قَالُ : الْمَاءَ – لِيغَتْسِلَ ، فَوَضَعَ ثيَابَهُ عَلَى صَخْرَةٍ ، وَكَانَ لَا يَكَادُ تَبَدُّو عُورَتُهُ ، فَقَالَ بْنُو إِسْرَائِيلَ : إِنَّ مُوسَى أَدْرَ أَوْ بَهْ آفَةٌ يَعْنُونَ أَنَّهُ لَا يَضُعُ ثيَابَهُ – فَاحْتَمَلَ الصَّخْرَةَ ثيَابَهُ حَتَّى صَارَتْ بِهِ حَدَّاءَ مَجَالِسِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ مُوسَى كَأَحْسَنِ الرِّجَالِ ، أَوْ كَمَا قَالَ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : « فَبَرَأَ اللَّهُ مَا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد بن العوام ، عن سفيان ابن حسين ، حدثنا الحكم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في قوله : « فَبَرَأَ اللَّهُ مَا قَالُوا » .

قال : ضعف موسى وهارون الجبل ، فمات هارون عليه السلام ، فقال بنو إسرائيل لموسى عليه

(*) - أي : البخاري .

(٢٩٩) تفسير الطبراني (٣٦/٢٢) .

(٣٠٠) مسنون البزار برقم (٢٢٥٢) « كشف الأستار » ، وقال الهيثمي في المجمع (٩٢/٧) : « وفيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متوك » .

[١] - في ت : « رواه » .

السلام : أنت قتلته ، كان ألين [١] لنا منك وأشد حياء . فآذوه من ذلك ، فأمر الله الملائكة فحملته ، فمروا به على مجالسبني إسرائيل ، فتكلمت بهمته ، فما عرف موضع قبره إلا الرحم ، وإن الله جعله أصم أبكم .

و هكذا رواه ابن جرير (٣٠١) ، عن علي بن موسى الطوسي ، عن عباد بن العوام ، به .

ثم قال : وجائز أن يكون هذا هو المراد بالأذى ، وجائز أن يكون الأول هو المراد ، فلا قول أولى من قول الله عز وجل .

قلت : يحتمل أن يكون الكل مراداً ، وأن يكون معه غيره ، والله أعلم .

قال الإمام أحمد (٣٠٢) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله قال : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قسماً ، فقال رجل من الأنصار : إن هذه لقسمة [٢] ما أريد بها وجه الله . قال : قلت : يا عدو الله ، أما لأنخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت . قال : فذكر ذلك [٣] للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمّ وجهه ، ثم قال : « رحمة الله على موسى ، لقد أؤذى بأكثر من هذا فصبر » .

آخر جاه في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش ، به .

(طريق أخرى) قال الإمام أحمد (٣٠٣) : حدثنا حجاج ، سمعت إسرائيل بن يونس ، عن الوليد بن أبي هاشم - مولى الهمداني - عن زيد بن أبي زائد ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً ، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا [٤] [سليم الصدر] [٥] » ، فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم مال [٦] فقسمه ، قال : فمررت بргلين وأحدهما يقول لصاحبه : والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة . قال : فثبتت حتى سمعت ما قالا ، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، إنك قلت لنا : « لا يبلغني أحد [٧] عن أصحابي شيئاً » ، وإن مررت بفلان وفلان ، وما يقولان كذا وكذا . فاحمّ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) تفسير الطبرى (٣٧/٢٢) .

(٢) المسند (٣٨٠/١) ، وصحیح البخاری برقم (٣٤٠٥) ، وصحیح مسلم برقم (١٠٦٢) .

(٣) المسند (٣٩٥/١) .

[١] - ما بين المukoتفين في ت : « منك لنا » . [٢] - في ت : « القسمة » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في حاشية ز ، خ هنا : « ها هنا سقط لعله ورقين فإنه في نصف الكراس » .

[٥] - ما بين المukoتفين ياض في : ز . [٦] - في خ : « قال » .

[٧] - في ز ، خ : « أحداً » .

وشق عليه ، ثم قال : « دعنا منك ، لقد أودي موسى بأكثر من هذا ، فصبر ». .

وقد رواه أبو داود^(٣٠٤) في الأدب ، عن محمد [بن يحيى الذهلي] ، عن محمد بن يوسف الفريابي ، عن إسرائيل عن الوليد^[١] بن أبي هاشم به مختصرًا : « لا يلتفتني أحد [من أصحابي^[٢] عن أحد شيئاً ؛ إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ». .

وكذا رواه الترمذى^(٣٠٥) في « المناقب » عن الذهلي سواء ، إلا أنه قال : « زيد بن زائدة ». . ورواه أيضًا عن محمد بن إسماعيل ، عن عبد الله بن محمد ، عن عبيد الله بن موسى وحسين بن محمد ، كلاهما عن إسرائيل ، عن السدى ، عن الوليد بن أبي هاشم ، به مختصرًا أيضًا ، فزاد في إسناده السدى ، ثم قال : غريب من هذا الوجه . .

وقوله : ﴿ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهَا ﴾ أي : له وجاهة وجاه عند ربه عز وجل . .

قال الحسن البصري : كان مستجاب الدعوة عند الله . وقال غيره من السلف : لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ، ولكن من الرؤبة لما يشاء الله عز وجل . .

وقال بعضهم : من وجاهته العظيمة : أنه شفع في أخيه هارون أن يرسله الله معه ، فأجاب الله سؤله ، وقال : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ لَيْئًا ﴾ . .

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُولُوا وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٦﴾ يُصْلِحَ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ
وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧﴾

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بتواه ، وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه ، وأن يقولوا ﴿ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ ، أي : مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا انحراف . ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك ، أثابهم عليه بأن يصلح لهم^[٣] أعمالهم ، أي : يوفقهم للأعمال الصالحة ، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية . وما قد يقع منهم^[٤] في المستقبل يلهمهم التوبة منها^[٥] . .

ثم قال : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ، وذلك أنه يجار من النار ، ويصير إلى النعيم المقيم . .

[١] (٣٠٤) سنن أبي داود ، كتاب الأدب برقم (٤٨٦٠) .

[٢] (٣٠٥) سنن الترمذى ، كتاب المناقب برقم (٣٨٩٦) .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز ، خ : « لهم » .

[٥] - في ز ، خ : « فيها » .

وقال ابن أبي حاتم ^(٣٠٦) : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن عون ، حدثنا خالد ، عن ليث ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى الأشعري قال ^[١] ، صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر ، فلما انصرف أوما إلينا بيده فجلسنا ، فقال : « إن الله أمرني أن آمركم ، أن تتقووا الله وتقولوا قولًا سديدا ». ثم أتى النساء فقال : « إن الله أمرني أن آمركن : أن تتقنن الله وتقلن قولًا سديدا » .

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب « التقوى » : حدثنا محمد بن عباد بن موسى ، حدثنا عبد العزيز ابن عمران الزهري . حدثنا عيسى بن سمرة ^[٢] ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر إلا سمعته يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَمُوا أَنفُسَهُمْ وَقُولُوا قُولًا سَدِيدًا ﴾ الآية . غريب جداً .

وروي [من حديث ^[٣] عبد الرحيم بن زيد العمي] ، عن أبيه ، عن محمد بن كعب عن ابن عباس موقعاً : من سره أن يكون أكرم الناس فليتقن الله .
قال عكرمة : القول السديد : لا إله إلا الله .

وقال غيره : السديد : الصدق . وقال مجاهد : هو السداد . وقال غيره : هو الصواب . والكل حق .

إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيْنَ أَنْ يَحْمِلُنَا وَإِنَّفَقَنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَنُ إِنَّمَا كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيَعْذِبَ اللَّهُ الْمُنْفَقِينَ وَالْمُنَفِّقَاتِ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا

قال العوفي ، عن ابن عباس : يعني بالأمانة : الطاعة ، وعرضها عليهم قبل أن يعرضها على

(٣٠٦) رواه أحمد في مسنده (٣٩١/٤) من طريق شيبان عن ليث ، به . واسناده ضعيف ليث هو ابن أبي سليم - كما جاء مصريحاً به في رواية البزار . رواه البزار حديث ٣١٤٨ « البحر الزخار » . وهو في كشف الأستار ، باب : الأمر بالتقوى (٦٨/٤) حديث ٣٢١٧ . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الروايد (٩٧/٧) وقال : رواه أحمد والطبراني وفيه ليث بن أبي سليم وهو مضطرب الحديث وبقية رجالهما رجال الصحيح .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « سيرة » .

[٣] - ما بين المukoفين سقط من : خ .

آدم، فلم يطعها. فقال آدم: إني قد عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فلم يطعها، فهل أنت آخذ بما فيها؟ قال: يا رب، وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت، وإن أساءت عوقبت. فأخذها آدم فتحملها، وذلك^[١] قوله: ﴿وَحَمِلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلَمًا جَهَوْلًا﴾.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الفرائض، عرضها الله على السماوات والأرض والجبال إن أدواها أثابهم، وإن ضيغعواها عذبهم [الله]^[٢]، فكرهوا ذلك وأشقووا من غير معصية، ولكن تعظيمًا للدين الله أن لا يقروا بها، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها، وهو قوله: ﴿وَحَمِلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلَمًا جَهَوْلًا﴾، يعني: غيرًا بأمر الله.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: ﴿إِنَا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجَبَالِ فَأَبَيْنَا أَنْ يَحْمِلُنَّا وَأَشْفَقْنَا مِنْهَا﴾. قال: عرضت على آدم فقال: خذها بما فيها، فإن أطعت غفرت لك، وإن عصيت عذبتك. قال: قبلت. فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم، حتى أصاب الخطيئة.

وقد روى الصحاح، عن ابن عباس، قريباً من هذا. وفيه نظر وانقطاع بين الصحاح وبينه والله أعلم. وهكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، والصحاح، والحسن البصري، وغير واحد: إن الأمانة هي الفرائض.

وقال آخرون: هي الطاعة.

وقال الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق: قال أبي بن كعب: من الأمانة [أن المرأة]^[٣] أؤمّن على فرجها.

وقال قادة: الأمانة الدين والفرائض والحدود.

وقال بعضهم: الغسل من الجنابة.

وقال مالك، عن زيد بن أسلم قال: الأمانة ثلاثة: الصلة، والصوم، والاغتسال من الجنابة. وكل هذه الأقوال لا تناهى بينها، بل هي متفرقة وراجعة إلى أنها التكليف، وقبول الأوامر والتواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها غرقت، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه، إلا من وفق الله، وبالله المستعان.

[١] - في ت: «ذلك».

[٢] - ما بين المعقوفين سقط من: ز، خ.

[٣] - سقط من ت.

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد العزيز بن المغيرة ، حدثنا حماد بن واقد - يعني أبي عمر الصفار - سمعت أبي معمراً - يعني عون بن معمراً - يحدث عن الحسن - يعني البصري - أنه تلا هذه الآية : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجَبَالِ﴾ ، قال : عرضها على السبع الطيارات الطرائق التي زينت بالنجوم ، وحملة العرش العظيم ، فقيل لها : هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت : وما فيها ؟ قال : قيل لها : إن أحسنت جزيت ، وإن أساءت عوقبت . قالت : لا . ثم عرضها على الأرضين السبع الشداد ، التي شدت بالأوتاد ، وذلت بالمهاد ، قال : فقيل لها : هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت : وما فيها ؟ قال : قيل لها : إن أحسنت جزيت ، وإن أساءت عوقبت ، قالت : لا . ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصعب الصلاب ، قال : قيل لها : هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت : وما فيها ؟ قال : قيل لها : إن أحسنت جزيت ، وإن أساءت عوقبت ، قالت : لا .

وقال مقاتل بن حيان : إن الله حين خلق خلقه ، جمع بين الإنس والجن ، والسماء والأرض والجبال ، فبدأ بالسماء عرض عليهم الأمانة وهي الطاعة ، فقال لهم : أتحملن هذه الأمانة ، ولكن على الفضل والكرامة والثواب في الجنة ؟ فقلن : يا رب ، إننا لا نستطيع هذا الأمر ، وليس بنا قوة ، ولكننا لك مطيعين^(٤) . ثم عرض الأمانة على الأرضين ، فقال لهم : أتحملن هذه الأمانة وتقبلها مني ، وأعطيكن الفضل والكرامة ؟ فقلن : لا صبر لنا على هذا يا رب ولا نطيق ، ولكننا لك سامعين مطيعين^(٥) ، لا نعصيك في شيء تأمرنا به . ثم قرب آدم فقال له : أتحمل هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها ؟ فقال عند ذلك آدم : ما لي عندك ؟ قال : يا آدم ، إن أحسنت وأطعت وراعيتها حق رعايتها ؟ فلذلك عندي الكرامة والفضل وحسن الثواب في الجنة . وإن عصيت ولم تروعها حق رعايتها وأساءت ؛ فاني معدبك ومعاقبك وأنزلتك النار . قال : رضيت رب .

وتحمّلها ، فقال الله عز وجل : قد حمّلتكها . فذلك قوله : ﴿وَحَمَلُوهَا إِنْسَانٌ﴾ . رواه ابن أبي حاتم .

وعن مجاهد أنه قال : عرضها على السماء فقالت : يا رب ، حملتني الكواكب وسكن السماء وما ذكر ، وما أريد ثواباً ولا أحمل فريضة . قال : وعرضها على الأرض فقالت : يا رب ، غرست في الأشجار ، وأجريت في الأنهر وسكن الأرض وما ذكر ، وما أريد ثواباً ولا أحمل فريضة . وقالت الجبال مثل ذلك ، قال الله تعالى : ﴿وَحَمَلُوهَا إِنْسَانٌ إِنَّهُ كَانَ ظَلَمًا جَهُولًا﴾ في عاقبة أمره . وهكذا قال ابن جرير .

و^[١]عن ابن أشعه أنه قال : لما عرض الله عليهن حمل الأمانة ، ضججت إلى الله ثلاثة أيام

(٤) كذا في ز ، خ .

[١] - سقط من : ز ، خ .

ولياليهن ، وقلن : ربنا ، لا طاقة لنا بالعمل ، ولا نريد الثواب .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هارون بن أبي الزرقاء الموصلي ، حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم في هذه الآية : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالجَبَالِ﴾ ، فقال الإنسان : يbin أذني وعاتقي . فقال الله تعالى : إني معيك عليها ، أي : معينك على عينيك بطبقتين^[١] ، فإذا نازعاك إلى ما أكره فأطريق . ومعينك على لسانك بطبقتين^[٢] ، فإذا نازعك^[٣] إلى ما أكره فأطريق . ومعينك على فرجك بلباس ، فلا تكشفه إلى ما أكره .

ثم روی عن أبي حازم نحو هذا .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله عز وجل : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالجَبَالِ فَأَيُّنَّ أَنْ يَحْمِلُنَّهَا وَأَشْفَقُنَّهَا﴾ ، قال : إن الله عرض عليهن الأمانة أن يتفرض عليهم الدين ، ويجعل لهم ثواباً وعقاباً ، ويستأنهن على الدين . فقلن : لا ، نحن مسخرات لأمرك [لا نزيد ثواباً ولا عقاباً]^[٤] ، قال : وعرضها الله على آدم فقال : يbin أذني وعاتقي . قال ابن زيد : فقال الله تعالى له : أما إذ تحملت هذا فسامعينك : أجعل لبصرك حجاباً ، فإذا خشيت^[٥] أن تنظر إلى ما لا يحل لك فارخ عليه حجابه ، وأجعل لسانك باتاً وغلقاً ، فإذا خشيت فأغلق . وأجعل لفرجك لباساً فلا تكشفه إلا على ما أححلت لك^[٦] .

وقال ابن جرير^(٧) : حدثني سعيد بن عمرو السكوني^[٧] ، حدثنا بقية ، حدثنا عيسى بن إبراهيم ، عن موسى بن أبي حبيب ، عن الحكم بن عمير - وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إن الأمانة والوفاء نزلت على آدم مع الأنبياء ، فأرسلوا به ، فمنهم رسول [الله] ، ومنهمنبي^[٨] ، ومنهم النبي رسول ، ونزل القرآن وهو كلام الله ، ونزلت العربية والعجمية ، فعلموا أمر القرآن وعلموا أمر السنن بالاستئتم ، ولم يدع الله شيئاً من أمره مما يأتون وما يجتنبون وهي الحجج عليهم ، إلا بينه لهم . فليس

(٣٠٧) تفسير الطبرى (٣٩/٢٢) وله شاهد من حديث حذيفة أخرجه البخارى في صحيحه برقم (٦٤٩٧) وسيأتي .

[١] - في خ : «قطيعين» .

[٢] - في ز ، خ : نازعاً .

[٣] - ما بين المعکوفتين في ز : «لا ثواباً ولا عقاباً» . [٥] - في ز ، خ : «شتت» .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في ز ، خ : «السكوني» .

[٨] - ما بين المعکوفتين سقط من : خ ، ز .

أهل لسان إلا وهم يعرفون الحسن والقبيح، ثم الأمانة أول شيء يرفع ويقى أثرها في جذور قلوب الناس، ثم يرفع الوفاء والعهد والذم وتبقى الكتب، فعالٌ يعمل، وجاهل يعرفها وينكرها ولا يحملها، حتى وصل إلى وإلى أمري، ولا يهلك على الله إلا هالك، ولا يغله إلا تارك. فالحذر أيها الناس. وإياكم والوسواس الخناس، فإنما يلوككم أياكم أحسن عملاً».

هذا حديث غريب جداً، وله شواهد من وجوه آخر^[١].

ثم قال ابن جرير^(٣٠٨) : حدثنا محمد بن خلف العسقلاني ، حدثنا عبيد الله بن عبد الجيد الحنفي ، أخبرنا أبو العوامقطان ، حدثنا قتادة ، وأبیان بن أبي عياش ، عن خليل العصرى^[٢] ، عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خمس من جاء بهن يوم القيمة مع إيمان دخل الجنة : من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن^[٣] ، وأعطى الزكوة من ماله طيب النفس بها ، وكان يقول : وائم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن ، [وصام رمضان ، وحج البيت إن استطاع إلى ذلك سبيلاً^[٤] ، وأدى الأمانة ». قالوا : يا أبا الدرداء ؟ وما أداء الأمانة ؟ قال : الغسل من الجنابة ، فإن الله لم يأْمِنَ ابن آدم على شيء من دينه غيره .

وهكذا رواه أبو داود عن محمد بن عبد الرحمن العنيري ، عن أبي علي عبيد الله بن عبد الجيد الحنفي ، عن أبي العوام عمران بن داور^[٥]قطان به .

وقال ابن جرير أيضاً : حدثنا قيم بن المتصري ، أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن السائب ، عن زادان ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أنه قال : «القتل في سبيل الله يکفر الذنوب كلها - أو قال : يکفر كل شيء - إلا الأمانة ، يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له : أداءً أمانتك . فيقول : أني يا رب وقد ذهبت الدنيا ؟ فيقال له : أداءً أمانتك فيقول : أني يا رب وقد ذهبت الدنيا ؟ فيقال له : أداءً أمانتك . فيقول : أني يا رب وقد ذهبت الدنيا ؟ فيقول : أذهبوا به^[٦] إلى أمه الهاوية . فيذهب به إلى الهاوية ، فيهوي فيها حتى يتنهى إلى قعرها ، فيجدوها هناك كهفيتها ، فيحملها فيضعها على عاتقه ، فيصعد بها إلى شفير جهنم ، حتى إذا رأى أنه قد خرج زلت ، فيهوى^[٧] في أثرها أبد الآبدية . قال : والأمانة في الصلاة ، والأمانة في الصوم ، والأمانة في الوضوء ، والأمانة في الحديث ، وأشد

(٣٠٨) تفسير الطبرى (٣٩/٢٢) ، وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة برقم (٤٢٩) .

[١] - في ت : « أخرى » .

[٢] - في ز ، خ : « القىصرى » .

[٣] - في ز ، خ : « مراقبتهن » .

[٤] - ما بين المكوفين سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ت : « داود » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في ت : « فهوئ » .

ذلك الوداع . فلقيت البراء فقلت : ألا تسمع إلى ما يقول أخوك عبد الله ؟ فقال : صدق .

قال شريك : وحدثنا عياش^[١] العامري ، عن زاذان ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه . ولم يذكر « الأمانة في الصلاة وفي كل شيء »^(٣٩) . إسناده جيد ، ولم يخرجوه .

وما يتعلق بالأمانة الحديث الذي رواه الإمام أحمد^(٣١٠) :

حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن حذيفة ؛ قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر ، حدثنا : « أن الأمانة نزلت في جنر^(١) قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ». ثم حدثنا عن رفع الأمانة . فقال : « ينام الرجل النومة فتبغض الأمانة من قلبه . فيظل أثراها مثل أثر [الوكت]^(٢) ، فتبغض الأمانة من قلبه . فيظل أثراها^[٢] مثل أثر الجل^(٣) كجمر درجته على رجلك ، تراه منتبراً^(٤) وليس فيه شيء ». قال : ثم أخذ حصى فدحرجه^[٣] على رجله - قال : « فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة ، حتى يقال : إن فيبني فلان رجلاً أمنياً ، حتى يقال للرجل : ما أجلده وأظفره^(٤) وأعقله ، وما في قلبه حبة من خردل من إيمان ». « ولقد أتى علىي زمان وما أبالي أيكم بايعت ، إن كان مسلماً ليزدنه على دينه ، وإن كان نصرياً أو يهودياً ليزدنه على ساعيه ، فأما اليوم فما كت أباع منكم إلا فلاناً وفلاناً .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش به .

(٣٩) تفسير الطبرى (٤٠/٢٢) .

(٤٠) المسند (٥/٣٨٣) (٣٨٣/٥) (٢٣٣٦٢) ، وأخرجه البخاري في كتاب الرفاق ، باب : رفع الأمانة (٣٤١/١١) رقم : ٦٤٩٧ (٦٤٩٧) وطراه في (٦٠٨٦، ٧٢٧٦، ٧٢٧٦) . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب (١/١٢٢، ١٢٦) (١٤٣) رقم : ١٢٢، ١٢٦ . والترمذى في كتاب الفتن ، باب : ما جاء في رفع الأمانة . (٤) (٤٧٥، ٤٧٤/٤) رقم : ٢١٧٩ . وقال : هذا حديث حسن صحيح . وابن ماجة في كتاب الفتن ، باب : ذهاب الأمانة (٢/١٣٤٦) (٤٠٥٣) رقم : ١٣٤٦ . كلهم من طريق الأعمش به .

(١) - أي : في أصلها .

(٢) - الوكت : جمع وكمة وهي الأثر في الشيء كالنقطة من غير لونه .

(٣) - يقال : مجلت يده من العمل مَجْلَأ : إذا تزاحت من العمل وتكون بين الجلد واللحم فيها ماء بإصابة نار أو مشقة أو معالجة الشيء الخشن .

(٤) - أي : ورما .

[١] - في ز : « عبد الله » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز : « وأطرفة » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقال الإمام أحمد^(٣١١) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد الحضرمي ، عن عبد الله بن عمرو ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : «أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خلقة ، وعفة طعمة» .

هكذا رواه الإمام أحمد في مسند عبد الله بن عمرو بن العاص .

وقد قال الطبراني^(٣١٢) في مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب : حدثنا يحيى بن أبي العلاف المصري ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد ، عن ابن حجيرة ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خلقة ، وعفة طعمة» . فزاد في الإسناد : «ابن حجيرة» ، وجعله من مسند ابن عمر .

وقد ورد النهي عن الحلف بالأمانة ، قال عبد الله بن المبارك في «كتاب الزهد»^(٣١٣) : حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق الشيباني ، عن ثناس بن سحيم - أو قال : جبلة^(٣١٤) بن سحيم - قال : أقبلت مع زياد بن مخدير من الجایة قلث في كلامي : لا والأمانة . فجعل زياد يكفي ويذكر ، فظننت أنني أتيت أمراً عظيماً ، فقلت له : أكان يكره هذا؟ فقال : نعم . كان عمر بن الخطاب ينهى عن الحلف بالأمانة أشد النهي .

وقد ورد في ذلك حديث مرفوع ، قال أبو داود^(٣١٤) : حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا الوليد بن ثعلبة الطائي ، عن ابن بريدة ، عن أبيه ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من حلف بالأمانة فليس منا». تفرد به أبو داود ، رحمه الله .

وقوله تعالى : ﴿لِيَعْذِبَ اللَّهُ الْمُنَافِقُينَ وَالْمُشْرِكُينَ وَالْمُشَرِّكَاتِ﴾ ، أي : إنما حمل ابن آدم الأمانة - وهي التكاليف - ليعذب الله^(٢) المنافقين منهم والمنافقات ، وهم الذين يظهرون الإيمان خوفاً من أهله ويطعنون الكفر متبايعة لأهله ، ﴿وَالْمُشْرِكُينَ وَالْمُشَرِّكَاتِ﴾ ، وهم الذين ظاهرون وباطنهم على الشرك بالله - عز وجل - ومخالفة رسle ، ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

(٣١١) المسند (٢/١٧٧).

(٣١٢) مجمع الروايد (٤/٤٥) وقال البهيمي : «رواه أحمد والطبراني في الكبير ، وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن ، وبقية رجاله رجال الصحيح» .

(٣١٣) الزهد برقم (٢١٣).

(٣١٤) سنن أبي داود ، كتاب الأيمان والنذور ، باب : كراهية الحلف بالأمانة برقم (٣٢٥٣) ، ورواه ابن حبان في صحيحه برقم (١٣١٨) «موارد» من طريق وكيع عن الوليد بن ثعلبة ، به .

[١] - في ز ، خ : «خيلة» .

[٢] - سقط من : خ .

والمؤمنات) ، أي : وليرحم المؤمنين من الخلق [الذين آمنوا] ^[١] بالله وملائكته ^[٢] وكتبه ورسله العاملين بطاعته ، وكان الله غفوراً رحيماً .



[١] - ما بين الم kukوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .

تفسير سورة سباء

وهي مكية

سُبْحَانَ رَبِّ الْكَوْثَرِ الْعَجِيزِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمْنَعْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ
الْحَكِيمُ الْحَمِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلْجُّ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزَلُ مِنْ
السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّجِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا
السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَفِيقُ لَنَا يَنْتَنِكُمْ عَلَيْهِ الْغَيْبُ لَا يَعْزِزُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي
السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي

كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾

يخبر تعالى عن نفسه الكريمة؛ أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة، لأنه المنعم المفضل على أهل الدنيا والآخرة، المالك لجميع ذلك، الحاكم في جميع ذلك، كما قال: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ﴾؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، أي: الجميع ملكه وعيشه وتحت قهره وتصرفة، كما قال: ﴿وَإِنْ لَنَا لِلآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾.

ثم قال: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾، فهو العبود أبداً، المحمود على طول المدى. وقال: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾، أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، ﴿الْحَمِيرُ﴾ الذي لا تخفي عليه خافية، ولا يغيب عنه شيء.

وقال مالك عن [١] الزهري: حمير بخلقه، حكيم بأمره؛ ولهذا قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُّ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾، أي: يعلم عدد قطر النازل في أجزاء الأرض، والحب المبذور والكامن فيها، ويعلم ما يخرج من ذلك. عدده وكيفيته وصفاته.

﴿وَمَا يَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾، أي: من قطر ورقة، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾، أي [٢]: من الأعمال الصالحة وغير ذلك، ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾، أي: الرحيم بعباده فلا يعجل عصانهم بالعقوبة، الغفور عن ذنب التائبين إليه المتكلمين عليه.

[١] - سقط من: ز.

[٢] - سقط من: ز.

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي أَيَّتِنَا مَعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴿٢﴾ وَيَرَى الَّذِينَ آتَوْا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَيْكَ صِرَاطَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَذِلُكُمْ عَلَى رَجْلِ يَتَّشَّحُّمُ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٤﴾

هذه إحدى الآيات الثلاث التي [١] لا رابع لهن ، مما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لماً أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد ، فإذا داهن في « سورة يونس » : ﴿ وَيَسْتَبِّنُونَكَ أَحْقَنْ هُوَ قَلْ إِي وَرَبِّ إِلَهْ لَهُ لَهُ وَمَا أَنْتُمْ بِمَعْجِزِينَ ﴾ ، والثانية هذه : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةَ قَلْ بَلِي وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَا ﴾ والثالثة في « التغابن » ﴿ زَعْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يَعْثُوا قَلْ بَلِي وَرَبِّي لَتَبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتَبْيَّنُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يُسِيرٌ ﴾ ، قوله : ﴿ قَلْ بَلِي وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَا ﴾ ، ثم وصفه بما يؤكّد ذلك ويقرره : ﴿ عَالَمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزِبُ عَنْهُ مَثَاقِلُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابِ مِينَ ﴾ .

قال مجاهد وقتادة : ﴿ لَا يَعْزِبُ عَنْهُ ﴾ ، لا يغيب عنه ، أي : الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى [٢] عليه منه شيء فالعظيم - وإن تلاشت وتفرقـت وتمـقت - فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقـت ، ثم يعيدها كما بدأها أول مـرة ، فإنه بكل شيء علىـم .

ثم بين حكمـته في إعادة الأبدان وقيام الساعة بقولـه : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي أَيَّتِنَا مَعْجِزِينَ ﴾ [٣] ، أي : سعوا في الصـد عن سبيل الله وتكـذـيب رسـله ، ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَبِّ الْيَمِّ ﴾ ، أي : ليـنعم السـعداء من المؤـمنـين ، ويعـذـبـ الأشـقيـاء من الـكافـرـين ، كما قال : ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفَجَارِ ﴾ .

وقـولـه : ﴿ وَيَوْمَ الَّذِينَ آتَوْا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ ، هذه حـكـمة أخرى معـطـوفـة علىـيـة قبلـها . وهي أنـ المؤـمنـينـ بما أـنـزلـ علىـ الرـسـلـ إذا شـاهـدوا قـيـامـ السـاعـة

[١] - في ز : « الـلـاتـي » .

[٢] - في ت : « تـخـفـي » .

[٣] - في ز : « مـعـجـزـينـ » .

ومجازاة الأبرار والفحار بالذي [١] كانوا قد علموه من كتب الله في الدنيا رأوه حيئند عين اليقين، ويقولون يومئذ أيضًا: ﴿لَقَدْ جَاءَتِ رَسُولٌ بِّالْحَقِّ﴾، ويقال أيضًا: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾، ﴿لَقَدْ لَبِشَ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثَةِ﴾ ﴿هُوَ يُوَرِّي الَّذِينَ أَوْتَوْا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَبِّكُمْ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ﴾ - العزيز هو: المنيع الجناب ، الذي لا يغالب ولا يُمْكِن ، بل قد قهر كل شيء ، الحميد في جميع أقواله وأفعاله [٢] وشرعه وقدره ، وهو الحسود في ذلك كله .

أَفَرَأَيْتَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ حِنْنَةً بِلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ
وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿١﴾ أَفَمَرِرُوا إِلَيْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلَقُهُمْ مِّنْ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِنْ تَشَاءُ نَحْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنْ السَّمَاءِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لِذِيَّةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٢﴾ وَلَقَدْءَانِيَّا دَأْوَدَ مِنَ فَضْلِهِ
يَجَالُ أَوْيَ مَعْهُ وَأَطْيَرُ وَلَنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿٣﴾

هذا إخبار من الله عن استبعاد الكفارة الملحدين قيام الساعة واستهزائهم بالرسول صلى الله عليه وسلم في [٣] إخباره بذلك: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هُلْ لِدَلِكُمْ عَلَى رَجُلٍ يَبَثُّكُمْ إِذَا مُّزِقْتُمْ
كُلَّ مُزْقٍ﴾، أي: تفرقت أجسادكم في الأرض وذهبت فيها كل مذهب، وتمزقت كل مزق: ﴿إِنَّكُمْ﴾، أي: بعد هذا الحال ﴿لِفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، أي: تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك .
وهو في هذا الإخبار لا يخلو أمره من قسمين : إما أن يكون قد تعمد الافتراء على الله أنه قد أوحى إليه ذلك . أو أنه لم يتعمد لكن لبس عليه كما يلبس على المعتوه والجنون ؛ ولهذا قالوا:
﴿أَفَرَأَيْتَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ حِنْنَةً﴾؟ قال الله تعالى راداً عليهم: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾، أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهروا إليه ، بل
محمد صلى الله عليه وسلم هو الصادق البار الراشد الذي جاء بالحق ، وهم الكاذبة الجهلة
الأغبياء ، ﴿فِي الْعَذَابِ﴾، أي: الكفر المفضي بهم إلى عذاب الله ، ﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾،
من الحق في الدنيا .

ثم قال منها لهم على قدرته في خلق السماوات والأرض - فقال: ﴿أَفَلَمْ يَرُوا إِلَى مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلَقُهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: حينما توجهوا وذهبوا فالسماء مظللة مظللة
عليهم ، والأرض تحتهم ، كما قال: ﴿وَالسَّمَاءُ بَنِيَّاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِّعُونَ وَالْأَرْضَ فَرَشَنَاها

[١] - في ز : « الْذِي » .

[٢] - في ز : « وَأَقْوَالَهُ » .

[٣] - في ز : « وَ » .

فنعم الماهدون ﴿٩﴾

قال عبد بن حميد : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿أَفَلَمْ يرُوا إِلَى مَا بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ، قال : إنك إن نظرت عن يمينك أو عن شمالك ، أو من بين يديك أو من خلفك ، رأيت السماء والأرض .

وقوله : ﴿إِنَّ نَحْنَ نَخْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْقَطُ عَلَيْهِمْ كَسْفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ ، أي : لو شئنا لفعلنا بهم ذلك ؛ لظلمهم وقدرتنا عليهم ، ولكن نونحن ذلك لحلينا وعفونا .

ثم قال : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ ، قال معمر ، عن قتادة : ﴿مُنِيبٌ﴾ تائب .

وقال سفيان عن قتادة : المنين : المقرب إلى الله عز وجل .

أي : إن في النظر إلى خلق السماء والأرض دلالة لكل عبد قططن ليسب رجاع إلى الله ، على قدرة الله على بعث الأجسام ووقوع المعاد ، لأن من قدر على خلق [السماءات في]^[١] ارتفاعها واتساعها ، وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها ، إنه قادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام ، كما قال تعالى : ﴿أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾^[٢] بلى) وقال : ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

أَنِّي أَكْهَلْ سَيْغَتٍ وَقَدَرْ فِي السَّرِيدِ وَأَعْمَلْتُ صَلَحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

**وَلِسْتَمَنَ الْرِّيحَ غُدُوْهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسْلَنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمَنَ الْجِنْ
مَنْ يَعْمَلْ بَيْنَ يَدَيْهِ يَأْذِنَ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغَّ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُلْقِهُ مِنْ عَذَابٍ**

السعير

يخبر تعالى بما أنعم به على عبده ورسوله داود - صلوات الله وسلامه عليه - مما آتاه من الفضل المبين ، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن ، والجنود ذوي العدد والعدد ، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم ، الذي كان إذا سبع به تسبع معه الجبال الراسيات ، الصنم الشامخات ، وتقف له الطيور السارحات ، والغاديات والرايات ، وتجاويه بأنواع اللغات . وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت أبي موسى الأشعري يقرأ من الليل ،

[١] - ما بين المukoفين في ز : « هذه السماوات » .

[٢] - ما بين المukoفين في ز : « يحيى الموتى » .

فوقف فاستمع لقراءته، ثم قال : «لقد أوتى هذا مِزْمَاراً من مزامير آل داود»^(١).

و[١] قال أبو عثمان النهدي : ما سمعت صوت صنج ولا بُرْيَط^[٢] ولا وَرَأَ أحسن من صوت أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ومعنى قوله : ﴿أُوبِي مَعَهُ﴾ ، أي : سبحي . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد .

وزعم أبو ميسرة أنه يعني سبّحني بلسان الجبنة . وفي هذا نظر ، فإن التأويب في اللغة هو الترجيع ، فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها .

وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي في كتابه «الجمل» في باب النداء منه ﴿يَا جَبَالَ أُوبِي مَعَهُ﴾ ، أي : سيري معه بالنهار كله ، والتاؤيب : سير النهار كله ، والإسار : سير الليل كله^[٣] . وهذا لفظه ، وهو غريب جدًا لم أجده لغيره ، وإن كان له مساعدة من حيث^[٤] اللفظ في اللغة ، لكنه بعيد في معنى الآية هاهنا . والصواب أن المعنى في قوله تعالى : ﴿أُوبِي مَعَهُ﴾ ، أي : رجّعي مُسْبَحةً معه ، كما تقدم ، والله أعلم .

وقوله : ﴿وَأَنَا لَهُ الْحَدِيد﴾ ، قال الحسن البصري ، وقادة ، والأعشش وغيرهم : كان لا يحتاج أن يدخله نارًا ولا يضره بمطرقة ، بل كان يقتله بيده مثل الحيوط ، ولهذا قال : ﴿أَنَّ أَعْمَلَ سَابِغَات﴾ ، وهي : الدروع - قال قادة : وهو أول من عملها من الخلق ، وإنما كانت قبل ذلك صفائح .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا ابن^[٥] سماعة ، حدثنا ابن ضمرة ، عن ابن شوذب ؛ قال : كان داود - عليه السلام - يرفع في كل يوم درعًا فيبيعها بستة آلاف درهم : ألفين له ولأهلها ، وأربعة آلاف درهم يطعم بهابني إسرائيل خبز الحواري .

﴿وَقَدْرُ فِي السُّرْد﴾ ، هذا إرشاد من الله لنبيه ، داود عليه السلام ، في تعليمه صنعة الدروع .

قال مجاهد في قوله : ﴿وَقَدْرُ فِي السُّرْد﴾ : لا تُدْقِن^[٦] المسamar فَيَقْلَقُ في الحلقة ، ولا تُغَنْظِه فيفصّلها^[٧] ، واجعله بقدر .

(١) تقدم تحرير الحديث .

[١] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في ز : « فيصّلها » .

[٧] - في ز : « فيصّلها » .

وقال الحكم بن عبيدة^[١]: لا تُغْلِظْهُ فِي قِصْمٍ^[٢]، وَلَا تُدْقِهُ فِي قِلْقٍ. وهكذا روي عن قادة ، وغير واحد .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : السرد : حلق^[٣] الحديد . وقال بعضهم : يقال : درع مسرودة^[٤] : إذا كانت مسورة الحلق ، واستشهاد بقول الشاعر :

وَعَلَيْهِمَا مَشْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا^[٥] «دَاؤُدُّ»، أَوْ صَنْعُ السَّوَابِعِ «تَبْغُ»

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة داود عليه السلام^(٦) من طريق إسحاق بن بشر^[٦] - وفيه كلام - عن أبي إلياس ، عن وهب بن متبه ما مضمونه : أن داود عليه السلام كان يخرج متتكرا ، فيسأل الركبان عنه وعن سيرته ، فلا يسأل أحدا إلا أنه عليه خيرا في عبادته وسيرته ومعداته - صلوات الله وسلامه عليه - قال وهب : حتى بعث الله ملكا في صورة رجل ، فلقيه داود فسألة كما كان يسأل غيره ، فقال : هو خير الناس لنفسه ولأمهاته ، إلا أن فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملا . [قال : ما هي^[٧]] قال : يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين - يعني بيت المال - فعند ذلك نصب داود عليه السلام إلى ربه في الدعاء أن يعلمه عملا يفيده يستغنى به^[٨] يعني به عياله ، فألان له الحديد ، وعلمه صنعة الدروع ، فعمل الدرع ، وهو أول من عملها ، فقال الله : **«أَنْ أَعْمَلَ سَابِقَاتِ وَقْدَرَ فِي السَّرْدِ»** ، يعني مسامير الحلق ، قال : وكان يعمل الدرع ، فإذا ارتفع من عمله درع باعها ، فتصدق بثلثها ، واشترى بثلثها ما يكفيه وعياله ، وأمسك الثالث يتصدق به يوما^[٩] بيوم إلى أن يعمل غيرها . وقال : إن الله أعطى داود شيئا لم يعطه غيره من حسن الصوت ، إنه كان إذا قرأ الزبور تسمع الوحش حتى يؤخذ بأعناقها وما تنفر ، وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج إلا على أصناف صوته . وكان شديد الاجتهد ، وكان إذا افتح الزبور بالقراءة كأنما ينفع في المزامير ، وكان قد أعطي سبعين مزمارا^[١٠] في حلقه .

وقوله : **«وَاعْمَلُوا صَالِحًا»** ، أي : في الذي أعطاكم الله من النعم ، **«إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»** ، أي : مراقب لكم ، بصير بأعمالكم وأقوالكم ، لا يخفى علي من ذلك شيء .

(٢) تاريخ دمشق (٥/٧٠٨) الخطوط .

[١] - في ز : «عبيدة» .

[٢] - في ز : «فِي قِصْمٍ» .

[٣] - في ز : «مسرودة» .

[٤] - في ز : «بَسِر» .

[٥] - ما بين المعковتين سقط من : ز .

[٦] - سقط من : خ ، ز .

[٧] - سقط من : خ ، ز .

[٨] - سقط من : خ ، ز .

[٩] - سقط من : خ ، ز .

[١٠] - سقط من : خ ، ز .

يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مُحَرِّبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَأْسِيَتِ
 أَعْمَلُوا إَلَّا دَاؤُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورِ ١٣
 الْمَوْتَ مَا دَفَّتْمُ عَلَى مَوْتِيهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْ سَائِمٍ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ
 الْجِنُّ أَنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَيَشُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ١٤

لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود، عطف بذلك ما أعطى سليمان بن داود، من تسخير الريح له تحمل بساطه، غدوها شهر ورواحها شهر.

قال الحسن البصري : كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل ياصطخر يتغدى بها ، ويذهب [رائحا]^[١] من إصطخر فيبيت بقابل ، وبين دمشق وإصطخر شهر كامل للمسرح ، وبين إصطخر وكابل شهر كامل للمسرح .

وقوله : ﴿وَأَسْلَنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعطاء الخراساني ، وقناة ، والستي ، ومالك عن زيد بن أسلم ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغير واحد : القطر النحاس . قال قنادة : وكانت باليمين ، فكل ما يصنع الناس مما أخرج الله تعالى لسليمان عليه السلام .

قال السدي : وإنما أسللت له ثلاثة أيام .

وقوله : ﴿وَمِنْ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ ، أي : وسخرنا له الجن يعملون بين يديه بإذن الله ، أي : بقدر^[٢] ، وتسخيره لهم بمشيئته ما يشاء من البناءيات وغير ذلك . ﴿وَمِنْ يَنْعِ
 مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ ، أي : ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة ﴿لِذَّهَنِهِ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ ، وهو الحريق .

وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديثاً غريباً فقال^(٣) : [حدثنا أبي]^[٣] ، حدثنا أبو صالح ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن أبي الزاهري ، عن جبير بن ثقيف ، عن أبي ثعلبة الحشني ؛ أن رسول

(٣) ورواه الحكم في المستدرك (٤٥٦/٢) وصححه ، ووافقه الذهبي ، والطبراني في الكبير (٢١٤/٢٢) من طريق عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح به ، ورواه ابن حبان في صحيحه حديث (٢٠٠٧) من طريق ابن وهب ، عن معاوية بن صالح ، به .

[١] - ما بين المعرفتين سقط من ز .

[٢] - في ز : « القدرى » .

[٣] - ما بين المعرفتين سقط من ز .

الله صلى الله عليه وسلم؛ قال : «الجن على ثلاثة أصناف : صنف له أجنحة يطيرون في الهواء ، وصنف حيات وكلاب ، وصنف يحلون ويظعنون ». رفعه غريب جداً.

وقال أيضاً : حدثنا أبي ، حدثنا حرملة ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني بكر بن مضر ، عن محمد ، عن ابن أنم ، أنه قال : الجن ثلاثة : صنف لهم الثواب وعليهم العقاب ، وصنف طيارون فيما بين السماء والأرض ، وصنف حيات وكلاب .

قال بكر بن مضر : ولا أعلم إلا أنه قال^[١] : حدثي أن الإنس ثلاثة : صنف يظلمهم الله بظل عرشه يوم القيمة ، وصنف كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ، وصنف في صور الناس على قلوب الشياطين .

وقال أيضاً : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق ، حدثنا سلمة - يعني ابن الفضل - عن إسماعيل ، عن الحسن ؛ قال : الجن ولد إبليس ، والإنس ولد آدم ، ومن هؤلاء مؤمنون ومن هؤلاء مؤمنون ، وهم شركاؤهم في الثواب والعقاب ، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمناً فهو ولـ الله ، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافراً فهو شيطان .

وقوله : **﴿وَعَمِلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبٍ وَتَمَاثِيلٍ﴾** ، أما المحاريب فهي البناء الحسن ، وهو أشرف شيء في المسكن وصدره .

وقال مجاهد : المحاريب بنيان دون القصور . وقال الضحاك : هي المساجد . وقال قتادة : هي المساجد والقصور . وقال ابن زيد : هي المساكن .

وأما التماثيل فقال عطيه العوفي ، والضحاك والسدي : التماثيل : الصور . قال مجاهد : وكانت من نحاس . وقال قتادة : من طين وزجاج .

وقوله : **﴿وَجَفَانَ كَالْجَوَابِ وَقَدْرُ الرَّاسِيَاتِ﴾** ، الجواب : جمع جاية ، وهي الحوض الذي يجبي فيه الماء ، كما قال الأعشى ميمون بن قيس :

تَرُوْخٌ عَلَى آلِ الْحَلْقِ جَفَنَةٌ كَجَابِيَّةُ الشَّيْخِ الْعَرَاقِيِّ تَفَهَّقُ
وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : **﴿كَالْجَوَابِ﴾** ، أي : كالجلوبة من الأرض .
وقال العوفي ، عنه : كالحياض . وكذا قال مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك وغيرهم .
والقدور الراسيات : أي الثابتات في أماكنها^[٢] لا تحول ولا تتحرك عن أماكنها لعظمها .
كذا قال مجاهد والضحاك ، وغيرهما .

[١] - في ز : « أماكنهم » .

[٢] - سقط من : ز .

وقال عكرمة : أثافيهما منها .

وقوله : ﴿اعملوا آل داود شكرًا﴾ ، أي : وقلنا لهم اعملوا شكرًا على ما أنعم به عليكم في الدنيا والدين .

شكراً : مصدر من غير الفعل ، أو أنه مفعول له ، وعلى التقديرين فيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول وبالنية ، كما قال :

أَفَأَدْتُكُمُ النِّعَمَاءِ مُنِيَّ ثَلَاثَةَ يَدِيِّ، وَلِسَانِيِّ، وَالضَّمِيرِ الْحَجَبِيِّ
قال أبو عبد الرحمن الجبلي^[١] : الصلاة شكر ، والصيام شكر ، وكل خير تعلم له شكر .
أفضل الشكر الحمد . رواه ابن جرير .

وروى هو وابن أبي حاتم ، عن محمد بن كعب القرظي ؛ قال : الشكر تقوى الله والعمل الصالح .

وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل ، وقد كان آل داود - عليه السلام - كذلك قائمين بشكر الله قوله وعملاً .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا عبد الله بن أبي بكر ، حدثنا جعفر - يعني ابن سليمان - عن ثابت البغدادي ؛ قال : كان داود عليه السلام قد جزاً على أهله وولده ونسائه الصلاة ، فكان لا تأتي^[٢] عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي ، فغمرتهم هذه الآية : ﴿اعملوا آل داود شكرًا وقليل من عبادي الشكور﴾ .

وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أنه قال : «إن أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسها ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود ، كان يصوم يوماً ويغطر يوماً ، ولا ينفر إذا لاقى»^[٤] .

وقد روى أبو عبد الله بن ماجة من حديث شبيه بن داود ، حدثنا يوسف بن محمد بن المکدر ، عن أبيه ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «قالت أم سليمان بن داود لسليمان : يابني ، لا تكثر النوم بالليل ؛ فلن كثرة النوم بالليل ترك الرجل فقيراً يوم القيمة»^[٥] .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب التهجد حديث (١١٣١) ، وصحیح مسلم ، كتاب الصيام حديث (١١٥٩).

(٥) سنن ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والستة فيها حديث (١٣٣٢) ، وقال البرصيري في الروايد (١/٤٣٣) : «هذا إسناد ضعيف» .

[١] - في خ ، ز : «السلمي» . [٢] - في ز : « يأتي» .

وروى ابن أبي حاتم عن [عن أبي حاتم]^[١] داود - عليه السلام - هاهنا أثراً غريباً مطولاً جدأً، و قال أيضاً :

حدثنا أبي ، حدثنا عمران بن موسى ، حدثنا أبو زيد^[٢] قبيصة بن إسحاق الرقي ؛ قال : قال فضيل في قوله تعالى : ﴿أَعْمَلُوا أَلَّا دَادَ شَكَرًا﴾ . فقال داود : يا رب ؛ كيف أشكرك ، والشكر نعمة منك ؟ قال : «الآن شكرتني حين علمت^[٣] أن النعمة^[٤] مني ». .

وقوله : ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُور﴾ ، إخبار عن الواقع .

لَفَدَ كَانَ لِسَلِيلٍ فِي مَسْكَنِهِمْ إِلَيْهِ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينِ وَشَمَائِلِ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكَرُوا لِمَ بَلَدَةٌ طَيْبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ

١٥

يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام ، وكيف عَنِ اللَّهِ مُوتهُ عَلَى الْجَانِ الْمَسْخِينَ لَهُ في الأعمال الشاقة ، فإنه مكث متوكلاً على عصاه - وهي مشائنه - كما قال ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقاده وغير واحد - مدة طويلة نحوها من سنة ، فلما أكلتها دابة الأرض ، وهي الأرضة ، ضفت^[٥] إلى الأرض ، وعلم أنه قد مات قبل ذلك مدة طويلة - تبيّنت الجن والإنس أيضاً أن الجن لا يعلمون الغيب ، كما كانوا يتوهّمون ويجهّمون الناس ذلك .

وقد ورد في ذلك حديث مرفوع غريب ، وفي صحة نظر .

وقال ابن جرير^(٦) : حدثنا أحمد بن منصور ، حدثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة ، حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن عطاء بن^[٦] السائب ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « كان سليمان نبي الله - عليه السلام - إذا صلى رأى شجرة ثابتة بين يديه فيقول لها : ما اسمك ؟ فتقول : كذا . فيقول : لأي شيء أنت ؟ فإن كانت لغرس غرسٍ ، وإن كانت لدواء كتبث . فيينما هو يصلى ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : الخروب . قال : لأي شيء أنت ؟ قالت : خراب هذا البيت . فقال سليمان : اللهم ، عَمْ عَلَيِ الْجَنِ مُوتِي^[٧] حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب . ففتحتها عصا ، فتوكاً عليها حولاً ميتاً ، والجن تعلم . فأكلتها الأرضة ، فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً^[٨] في العذاب المهن ». .

(٦) تفسير الطبرى (٧٤/٢٢).

[١] - ما بين المukoفين سقط من : ت .

[٢] - في خ : « زيد ». .

[٤] - في خ : « النعم ». .

[٦] - في ت : « عن ». .

[٨] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « قلت ». .

[٥] - في ز : « فضفت ». .

[٧] - في ز : « موتى ». .

قال : وكان ابن عباس يقرؤها كذلك . قال : فشكrt الجن الأرضة ، فكانت تأتيها^[١] بالملائكة .

وهي كذا رواه ابن أبي حاتم ، من حديث إبراهيم بن طهمان به . وفي رفعه غرابة ونکارة ، والأقرب أن يكون موقعاً ، وعطاء بن أبي مسلم^[٢] الخراساني له غرایات ، وفي بعض حديثه نکارة .

وقال السدي^[٣] ، في حديث ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس وعن ثورة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : كان سليمان يتحرّد^[٤] في بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين ، وأقل من ذلك وأكثر ، يدخل طعامه وشرابه ، فادخله في المرة التي توفي فيها ، وكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا نبت في بيت المقدس شجرة ، فإذا بها فيسألها ، فيقول : ما اسمك ؟ فتقول : أسمى كذا وكذا . فإن كانت لغرس غرسها ، وإن كانت نبت دواء قالت : نبت دواء لكذا وكذا . فيجعلها كذلك ، حتى نبت شجرة يقال لها : الخروبة ، فسألها : ما اسمك ؟ فقالت : أنا الخروبة . قال : ولأي شيء نبت ؟ قالت : نبت لحراب هذا المسجد . قال سليمان : ما كان الله ليخرّبه وأنا حي ؟ أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيته المقدس . فنزعتها^[٥] وغرسها في حائط له ، ثم دخل الحراب فقام^[٦] يصلى متكتأ على عصاه ، فمات ولا تعلم به الشياطين ، وهم في ذلك يعملون له ، يخافون أن يخرج فيعاقبهم . وكانت الشياطين تجتمع حول الحراب ، وكان الحراب له كُوى بين يديه وخلفه ، فكان الشيطان الذي يريد أن^[٧] يخلع يقول : ألسْت جلَّا إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب ؟ فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر ، فدخل شيطان من أولئك فمر ، ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في الحراب إلا احترق . فمر ولم يسمع صوت سليمان ، ثم رجع فلم يسمع ، ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق . ونظر إلى سليمان عليه السلام قد سقط ميتاً . فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ، [ففتحوا عليه^[٨] فأخرجوه ، ووجدوا منسأته - وهي : العصا بسان الحبشه - قد أكلتها الأرضة ، ولم يعلموا منذ كم مات ؟ فوضعوا الأرضة على العصا ، فأكلت منها يوماً وليلة ، ثم حسبوا على ذلك النحو ، فوجدوه قد مات منذ سنة . وهي في قراءة ابن مسعود : (فمكثوا يذابون^[٩] له من بعد موته حوالاً كاملاً) فرأينا

(١) - أخرجه ابن جرير من طريق السدي (٧٥/٢٢)

(٢) - أي يعتزل ويتنحى .

[١] - في ز : « تأتيه » .

[٢] - في خ ، ز : « فتروجها » .

[٣] - في ز : « فدخل » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - ما بين المعقودتين في خ ، ز : « ففتحوا عنه » . [٦] - في ز : « بدئون » .

الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم علموا الغيب؛ لعلموا بموت سليمان، ولم يلبثوا في العذاب يعلمون له سنة، وذلك قول الله عز وجل: ﴿مَا دلّهُمْ عَلٰى موتِهِ إِلّٰ دَابَةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْ سَأْتَهُ﴾، فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المبين ﴿فَقُولُوا: تَبَيَّنَ أَمْرُهُمْ لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْذِبُونَهُمْ﴾، ثم إن الشياطين قالوا للأرضة: لو كنت تأكلين الطعام أتيتك بأطيب الطعام، ولو كنت تشربين [١] الشراب سقيناك أطيب الشراب، ولكننا سننقل إليك الماء والطين - قال: فهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت - قال: ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب؟ فهو ما تأتيا به الشياطين، شكرًا لها [٨].

وهذا الأثر - والله أعلم - إنما هو مما تلقى من علماء أهل الكتاب، وهي وقف، لا يصدق منها إلا ما وافق الحق، ولا يكذب منها إلا ما خالف الحق، والباقي لا يصدق ولا يكذب.

وقال ابن وهب وأصيغ بن الفرج، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿مَا دلّهُمْ عَلٰى موتِهِ إِلّٰ دَابَةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْ سَأْتَهُ﴾، قال: قال سليمان عليه السلام ملك الموت: إذا أمرت بي فأعلمني. فأتاه فقال: يا سليمان؛ قد أمرت بك، قد بقيت لك سوية؟ فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير، وليس له [٢] باب، فقام يصلّي فاتكاً على عصاه، قال: فدخل عليه ملك الموت، فقبض روحه وهو متوكئ على عصاه، ولم يصنع ذلك فرزاً من ملك الموت - قال: والجن يعملون بين يديه وينظرون إليه، يحسبون أنه حي. قال: فبعث الله عز وجل دابة الأرض، قال: والدابة تأكل العidan - يقال لها: القادح - فدخلت فيها فاكلتها، حتى إذا أكلت جوف العصا ضفت، وتنقل عليها فخر مينا، فلما رأت ذلك الجن انفضوا [٣] وذهبوا، قال: فذلك قوله: ﴿مَا دلّهُمْ عَلٰى موتِهِ إِلّٰ دَابَةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْ سَأْتَهُ﴾.

قال أصيغ: بلغني عن غيره أنها قامت سنة تأكل منها قبل أن يخر.

وقد ذكر غير واحد من السلف نحرًا من هذا، [والله أعلم] [٤].

فَأَعْرَضُوا فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرَمِ وَيَدَلَّهُمْ بِخَنَّثِهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاقَ أَكْلِ حَمَطٍ
وَأَكْلِ وَشَقِّ وَمِنْ سِنَرٍ قَلِيلٌ ﴿١﴾ ذَلِكَ جَزَّتِهِمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُلْ تُجْزِي إِلَّا
الْكُفُورُ ﴿٢﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرَى أَلْقِ بَرَكَتِنَا فِيهَا قُرْيَ ظَاهِرَةً وَفَدَرَنَا

(٨) تفسير الطبراني (٢٢/٧٥ - ٧٦).

[٢] - سقط من: خ.

[٤] - ما بين المعقوفين سقط من: ز.

[١] - في خ، ز: «تشتهين».

[٣] - في ز: «انفضت».

فِيهَا السَّيْرُ مِيرُوا فِيهَا لَيَالِيٍ وَأَيَامًاً أَمِينَ

كانت سباء ملوك اليمن وأهلها ، وكانت التابعية^[١] منهم ، وبلقيس صاحبة سليمان منهم ، كانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم ، واتساع أرزاقهم وزروهم وثمارهم . وبعث الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ، ويشكروه بتوحيده وعبادته ، فكانوا^[٢] كذلك ما شاء الله ، ثم أعرضوا عما أمروا به ، ف quoqua يرسل السيل والتفرق في البلاد أيدي سباء ، شذوذ ، كما يأتي تفصيله وبيانه قريبا إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

قال الإمام أحمد رحمه الله^(٩) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عبد الله ابن هبيرة ، عن عبد الرحمن بن وعلة^[٣] ؛ قال : سمعت ابن عباس يقول : إن رجلا سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سباء : ما هو؟ رجل أم امرأة أم أرض؟ قال : « بل هو رجل ، ولد عشرة ، فسكن اليمن منهم ستة ، وبالشام منهم أربعة ، فأما اليمانيون فمذحج ، وكبدة ، والأزد ، والأشعريون وأغار ، وحمير ، وأما الشامية فلخم ، وجذام ، وعاملة ، وغضان » .

ورواه عبد ، عن الحسن بن موسى ، [عن ابن لهيعة^[٤] به . وهذا إسناد حسن ، ولم يخرجوه . وقد رواه الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب « القصد والأعم » بمعرفة أصول^[٥] أنساب العرب والعجم » ، من حديث ابن لهيعة ، عن علامة بن وعلة ، عن ابن عباس فذكر نحوه . وقد روى نحوه من وجه آخر .

وقال الإمام أحمد^[٦] أيضاً وعبد بن حميد : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا أبو جناب يحيى ابن أبي حية^[٧] الكلبي ، عن يحيى بن هاني بن عروة ، عن فروة بن مسيك ؛ قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ؛ أقاتل بمقدوركم مدبرهم؟ قال : « نعم ، فقاتل بمقدور قومك مدبرهم ». فلما وليت دعاني فقال : « لا تقاتلهم حتى تدعوهم إلى الإسلام ». فقلت : يا رسول الله ؛ أرأيت سباء أزاد هو ، أو رجل ، أو^[٨] ما هو؟ قال : « بل رجل من العرب ، ولد له عشرة فتیامن ستة وتشاعم أربعة ، تیامن الأزد ، والأشعريون ، وحمير ، وكبدة ، ومذحج ، وأنصار الذين يقال لهم : بجيلا^[٩] ، وخشم . وتشاعم لخم ، وجذام ، وعاملة ،

(٩) المسند (٣١٦/١) .

[١] - في ز : « التابعية » .

[٢] - في ز : « وعلة » .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - ياض في خ ، ز .

[٧] - في ز : « أم » .

[٨] - في ز : « بجيلا » .

[٩] - في ز : « بحلة » .

وغسان «^(١٠).

وهذا أيضًا إسناد جيد وإن كان فيه أبو جناب^[١] الكلبي، وقد تكلموا فيه. لكن رواه ابن جرير^(١١) عن أبي كريب، عن العتفري، عن أسباط بن نصر، عن يحيى بن هانئ المرادي، عن عمه أو عن أخيه - يشك أسباط - قال: قدم فروة بن مُسيك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكره.

(طريق آخر ل لهذا الحديث) ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن وهب ، حدثني ابن لهيعة ، عن توبية بن ثمر^[٢] ، عن عبد العزيز بن يحيى أنه أخبره قال : كما عند عبيدة بن عبد الرحمن يافريقيه فقال يوماً : ما أظن قوماً بأرض إلا هم من أهلها . فقال علي بن رياح : كلا ، قد حدثي فلان أن فروة بن مُسيك الغطيبي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ إن سبأ قوم كان لهم عز في الجاهلية ، وإنني أخشى أن يرتدوا عن الإسلام ، أفقاثلهم ؟ فقال : « ما أمرت فيهم بشيء بعد ». فأنزلت هذه الآية : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَاٰ فِي [مُسَكِّنَهُمْ آيَةٌ]﴾ الآيات ، فقال له رجل : يا رسول الله ؛ ما سبأ ؟ فذكر مثل [هذا الحديث الذي]^[٤] قبله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شغل عن سبأ : ما هو ؟ أبلد ، أم رجل ، أم امرأة ؟ قال : « بل رجل ، ولد عشرة ، فسكن اليمن منهم ستة ، والشام أربعة ، أما اليمانيون فمذحج ، وكندة ، والأزد ، والأشعريون ، وأمار ، وحمير غير ما حلها . وأما الشام فلخ ، وجذام ، وغسان ، وعاملة » .

فيه غرابة من حيث^[٥] ذكر الآية بالمدينة ، والsurة مكية كلها ، والله^[٦] أعلم .

(طريق آخر) ، قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو أسامة ، حدثني الحسن بن الحكم ، حدثنا أبو سيرة التخعي ، عن فروة بن مسيك الغطيبي ؛ قال : قال رجل : يا رسول الله ؛ أخبرني عن^[٧] سبأ : ما هو ؟ أرض ، أم امرأة ؟ قال : « ليس بأرض ولا امرأة ، ولكنه رجل ولد عشرة من الولد ، فتيمان ستة وتشاعم أربعة ، فأما الذين تشاءموا فلخ ، وجذام وعاملة وغسان ، وأما الذين تيمانا فكندة ، والأشعريون ، والأزد ، ومذحج ، وحمير ، وأنمار ». فقال رجل : ما أنمار ؟ قال : « الذين منهم خصم وبجالة » .

(١٠) مسند الإمام أحمد ، طبعة مؤسسة قرطبة ، حديث (٢٢٨٥٧) ، وهو ساقط من باقي النسخ المطبوعة .

(١١) تفسير الطبرى (٧٧/٢٢) .

[١] - في ز : « خباب » .

[٣] - ما بين المعقوفين في ز : « مساكنهم » .

[٥] - في ز : « حديث » .

[٧] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « نمير » .

[٤] - ما بين المعقوفين في ز : « مساكنهم » .

[٦] - في ز : « فالله » .

ورواه الترمذى في جامعه^(١٢) ، عن أبي كريب وعبد بن حميد ؛ قالا : حدثنا أبوأسامة ... فذكره أبسط من هذا ، ثم قال : هذا حديث حسن غريب .

وقال أبو عمر بن عبد البر : حدثنا عبد الوارث بن سفيان ، حدثنا قاسم بن أصبغ ، حدثنا أحمد ابن زهير ، حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الموطى ، حدثنا ابن كثير - هو عثمان بن كثير - عن الليث بن سعد ، عن موسى بن علي ، عن يزيد بن حصين ، عن تميم الداري ؛ أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألة عن سباء ... فذكر مثله ، فقوى^(١٣) هذا الحديث وحسن .

قال علماء النسب منهم محمد بن إسحاق : اسم سباء : عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

ولما سمي سباء لأنَّه أول من سُمِّي في العرب ، وكان يقال له : الرائش ؛ لأنَّه أول من غنم في الغزو فأعطيَ قومه ، فسمى الرائش ، والعرب تسمى المال : ريشاً ورياشاً . وذكروا أنه بشر يرسل الله صلى الله عليه وسلم في زمانه المتقدم ، وقال في ذلك شعراً :

سَيْمِلْكُ بَعْدَنَا مُلْكًا عَظِيمًا
يَدِينُونَ الْعِبَادَ بِغَيْرِ ذَامٍ
يَصِيرُ الْمُلْكَ فِينَا بِاقْتِسَامٍ
تَقِيٌّ خَبِيَّةً^(١٤) خَيْرُ الْأَنَامِ
أَعْمَرُ بَعْدَ مَبْعَثِهِ بِعَامٍ
بِكُلِّ مُدَبَّجٍ وَبِكُلِّ رَامٍ
وَمَنْ يَلْقَاهُ يُبَلِّغُهُ سَلَامِي
وَيَكْلِمُهُ بَعْدَهُ مُلْكُوكٌ
وَيَكْلِمُ بَعْدَهُ مِنْهُمْ مُلْكُوكٌ
وَيَكْلِمُ بَعْدَهُمْ مِنَا مُلْكُوكٌ
وَيَكْلِمُ بَعْدَ قَحْطَانَ تَبِي
وَسُمِّيَ أَخْمَدًا يَالَّيْتَ أَنِي
فَأَعْضُدُهُ وَأَحْبُوهُ بَنَضْرِي
مَتَى يَظْهَرُ فَكَوْنُوا نَاصِرِي
ذَكْرُ ذَلِكَ الْهَمْدَانِيُّ فِي كِتَابِ «الْإِكْلِيلِ» .

واختلفوا في قحطان على ثلاثة أقوال : أحدها : أنه من سلالة لرم بن سام بن نوح ، واختلفوا في كيفية اتصال نسبة به على ثلاثة طرائق .

والثاني : أنه من سلالة عابر ، وهو هود عليه الصلاة والسلام ، واختلفوا في كيفية اتصال نسبة به على ثلاثة طرائق أيضاً .

(١٢) تفسير الطبرى (٢٢/٧٦ - ٧٧) ، وسنن الترمذى ، كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة سباء ، حديث (٣٢٢٢) .

[١] - في ز : « تقوى » .

[٢] - في ز : « باقتسام » .

[٣] - في خ : « حبيه » .

[٤] - سقط من : ز .

والثالث : أنه من سلالة إسماعيل بن إبراهيم الخليل - عليهما السلام - وختلفوا في كيفية^[١] اتصال نسبة به على ثلاث طرائق أيضاً.

وقد ذكر ذلك مستقى الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر التمّري رحمة الله ، في كتابه : «الإناء على ذكر أصول القبائل الرواهة» .

ومعنى قوله عليه السلام : «كان رجلاً من العرب» ، يعني : العرب العاربة الذين كانوا قبل الخليل عليه السلام ، من سلالة سام بن نوح . وعلى القول الثالث : كان من سلالة الخليل عليه السلام ، وليس هذا بالشهور عندهم ، والله أعلم .

وفي صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بغير من «أسلم» يتضلون ، فقال : «أرموابني إسماعيل ، فإن أبياكم كان راماها»^[٢] .

فأسلم قبيلة من الأنصار ، والأنصار^[٣] أوسها وخزرجها من غسان من عرب اليمن من سباء نزلوا يشرب لما تفرقت سباء في البلاد ، حين بعث الله عليهم سيل^[٤] العرم ، ونزلت طائفة منهم بالشام ، وإنما قيل : لهم : غسان بماء نزلوا عليه ؛ قيل : باليمن . وقيل : إنه قريب من المشمل^[٥] ، كما قال حسان بن ثابت :

إِمَّا سَأَلْتَ فَإِنَّا مَفْشَرُ تُجْبَبٍ^[٦] الْأَزْدُ نِسْبَتُنَا، وَالْمَاءَ غَسَّانٌ^[٧]
وَعْنِي قَوْلَهُ : «وَلَدَ لَهُ^[٨] عَشْرَةُ مِنَ الْعَرَبِ» ، أي : كان من نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع إليهم أصول القبائل من عرب اليمن ، لا أنهم ولدوا من صلبه ، بل منهم من بينه وبينه^[٩] الأبوان والثلاثة والأقل والأكثر ، كما هو مقرر مبين في مواضعه من كتب النسب .

ومعنى قوله : «فيما منهم ستة ، وتشاعم منهم أربعة» ، أي : بعد ما أرسل الله عليهم سيل العرم ، منهم من أقام بيادهم ، ومنهم من نزح^[٨] عنها إلى غيرها . وكان من أمرالسد أنه كان الماء يأتيهم من بين جلين ، وتحتمع إليه أيضًا سيل أمطارهم وأودييهم ، فعمد^[٩] ملوكيهم الأقادم ، فبنوا بينهما سداً عظيماً محكماً حتى ارتفع الماء ، ومحكم على حافات ذينك الجلين ، فغرسوا الأشجار واستغلوا الشمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن . كما ذكره غير واحد من

(١٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب : نسبة اليمن إلى إسماعيل حديث (٣٥٠٧) من حديث سلمة ، رضي الله عنه .

[١] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز .

[٥] - في ز : «تُجْبَبٍ» .

[٧] - سقط من : ز .

[٩] - في ز : «فَعَمَدَ» .

[٢] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : «المسلك» .

[٦] - سقط من : ز .

[٨] - في خ ، ز : «نزع» .

السلف ، منهم قنادة : أن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنيل ، وهو الذي تخترف فيه الشمار ، فينساقط من الأشجار في ذلك ما يملؤه^[١] من غير أن يحتاج إلى كلغة ولا قطاف ، لكثرته ونضجه واستواه . وكان هذا السد بمارب : بلدة بينها وبين صنعاء ثلاث مراحل ، ويعرف بسد مارب .

وذكر آخرون أنه لم يكن يبلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث ، ولا شيء من الهوام ، وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعنابة الله بهم ، ليوحدوه ويعبدوه ، كما قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَا فِي مُسَاكِنِهِمْ﴾^[٢] آية^{﴾﴾} ، ثم فسرها بقوله : ﴿جَتَّانٌ عَنْ يَمِينِ وَشَمَائِلِهِ﴾ ، أي : من ناحيتها^[٣] الجبلين والبلدة بين ذلك ، ﴿كَلَّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكَرُوا لَهُ بَلْدَةً طَيْبَةً وَرَبَّ غَفُورٍ﴾^{﴾﴾} ، أي : غفور لكم إن استمررت^[٤] على التوحيد .

وقوله : ﴿فَأَعْرَضُوا﴾^{﴾﴾} ، أي : عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم ، وعدلا إلى عبادة الشمس ، كما قال هدھد سليمان : ﴿وَجَتَّانٌ مِنْ سَبَا بَنِي يَقِينٍ إِلَيْيَ وَجَدَتْ امْرَأَةً تَلْكَمُهُمْ وَأُوتِيتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدَتْهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزِينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾^{﴾﴾} .

وقال محمد بن إسحاق ، عن وهب بن متبه : بعث الله إليهم ثلاثة عشر نبياً .

وقال النبي : أرسل الله إليهم اثنى عشر ألفنبي . والله أعلم .

وقوله : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ﴾^{﴾﴾} ، قبل المراد بالعرم المياه . وقيل : الوادي . وقيل : الجرذ^[٥] : وقيل الماء الغير . فيكون من باب إضافة الاسم إلى صفتة ، مثل : «مسجد الجامع» و«سعید^[٦] كرز» ، حکی ذلك السهلي .

وذكر غير واحد منهم ابن عباس ، و وهب بن منبه ، و قنادة ، والضحاك : أن الله عز وجل لما أراد عقوبتهم بإرسال العرم عليهم ، بعث على السد دابة من الأرض ، يقال لها : «الجرذ^[٧]» . قال وهب بن منبه : وقد كانوا يجدون في كتبهم أن سبب خراب هذا السد هو الجرذ فكانوا يرصدون عنده السنانيير برهة من الزمان ، فلما جاء القدر غلت الفأر السنانيير ، وولجت إلى السد فنقتبه ، فانهار عليهم .

وقال قنادة وغيره : الجرذ^[٨] : هو الحَلَد ، نقتب أسفله حتى إذا ضَعَفَ وَهَىَ ، وجاءت أيام

[١] - في خ : «علاه» .

[٢] - في ز : «مساكنهم» .

[٣] - في ز : «ناحية» .

[٤] - في ز : «استمررت» .

[٥] - في ز : «نقيبة» .

السيول ، صدم الماء البناء فسقط ، فانساب الماء في أسفل الوادي ، وخرب^[١] ما بين يديه من الأبنية والأشجار وغير ذلك ، ونضب الماء عن الأشجار التي في الجبلين عن يمين وشمال ، فيivist وتحطم ، وتبدل تلك الأشجار الشمرة الأنique النضرة ، كما قال الله^[٢] تعالى : ﴿وَيَدْلِنَاهُم بِجَنِّتِهِمْ جَنِّتِي أَكْلَ خَمْطَهُ﴾ .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعطاء الخراساني ، والحسن ، وقادة ، والستي : وهو الأراك ، وأكله البرير .

﴿وَأَثْلَى﴾ ، قال العوفى ، عن ابن عباس : هو الطرفاء .

وقال غيره : هو شجر يشبه الطرفاء . وقيل : هو الشمر . فالله أعلم .

وقوله : ﴿وَوْشِيءٌ مِّنْ سَدْرٍ قَلِيلٌ﴾ ، لما كان أجود هذه الأشجار المبدل بها هو التدر قال : ﴿وَوْشِيءٌ مِّنْ سَدْرٍ قَلِيلٌ﴾ ، فهذا الذي صار أمر تينك^[٣] الجنين إليه ، بعد الشمار النضيجه والمناظر الحسنة ، والظلال العميقه والأنهار الجاريه ، تبدل إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل . وذلك بسبب كفرهم وشرکهم بالله ، وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل .

ولهذا قال : ﴿ذَلِكَ جَزِّنَا هُمْ بِإِيمَانِهِمْ إِلَّا الْكُفُورُ﴾ ؟ أي : عاقبناهم بکفرهم .

قال مجاهد : ولا يعاقب إلا الكافر .

وقال الحسن البصري : صدق الله العظيم . لا يعاقب بمثل فعله إلا الكافر .

وقال طاوس : لا ينافق إلا الكافر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أبو عمر بن النحاس الرملي ، حدثنا حجاج ابن محمد ، حدثنا أبو البيداء ، عن هشام بن صالح التغليبي^[٤] ، عن ابن خيرة - وكان من أصحاب علي رضي الله عنه - قال : جزء المعصية الوهن في العبادة ، والضيق في العيشة ، والتعسر في اللذة . قيل : وما التعسر في اللذة ؟ قال : لا يصادف لذة حلالاً إلا جاءه من ينتفع به إياها .

فَقَالُوا رَبَّنَا بَيْعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزْقَنَاهُمْ كُلَّ
مُمَرَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَّاتٍ لِكُلِّ صَبَارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِلَيْس

[١] - في ز : « خربت » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « تلك » .

طَنَمْ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

يذكر تعالى ما كانوا فيه من الغبطة والنعمـة ، والعـيش الهـني الرـغيد ، والـبلاد الرـخـية ، والأـماكن الآـمة ، والـقرى المتـواصلة المتـقاربة ، بعضـها من بـعـض ، مع كـثـرة أـشـجارـها وزـرـوعـها وـثـمارـها ، بـحـيث إن مـسـافـرـهم لا يـحـتـاجـ إـلـى حـمـلـ زـادـ ولا مـاءـ ، بل حـيـثـ نـزـلـ وـجـدـ مـاءـ وـثـمـراـ ، ويـقـيلـ في قـرـيـةـ وـبـيـتـ فـي أـخـرىـ ، بـمـقـدـارـ ما يـحـتـاجـونـ إـلـيـهـ فـي سـيرـهـمـ ؛ وـلـهـذا قـالـ تـعـالـيـ : ﴿وَجـعـلـنـا بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ الـقـرـىـ التـيـ بـارـكـناـ فـيـهـاـ﴾ - قـالـ وـهـبـ بـنـ مـنـبـهـ : هـيـ قـرـىـ بـصـنـعـاءـ . وـكـذـا قـالـ أـبـوـ مـالـكـ .

وـقـالـ مـجـاهـدـ ، وـالـحـسـنـ ، وـسـعـيـدـ بـنـ جـبـيرـ ، وـمـالـكـ عـنـ زـيـدـ بـنـ أـسـلـمـ ، وـقـتـادـ ، وـالـضـحاـكـ ، وـالـسـدـيـ ، وـابـنـ زـيـدـ ، وـغـيـرـهـمـ : يـعـنـي قـرـىـ الشـامـ . يـعـنـونـ أـنـهـمـ كـانـوـ بـيـسـيـرـونـ مـنـ [١] الـيـمـنـ إـلـىـ الشـامـ فـي قـرـىـ ظـاهـرـةـ مـتـواصـلـةـ [٢] .

وـقـالـ العـوـفـيـ ، عـنـ اـبـنـ عـبـاسـ : الـقـرـىـ التـيـ بـارـكـناـ فـيـهـاـ يـسـيـرـ المـقـدـسـ .

وـقـالـ العـوـفـيـ ، عـنـ أـيـضاـ : هـيـ قـرـىـ عـرـبـيـةـ بـيـنـ الـمـدـيـنـةـ وـالـشـامـ .

﴿قـرـىـ ظـاهـرـةـ﴾ ، أـيـ : بـيـنـ وـاضـحـةـ ، يـعـرـفـهـاـ الـمـسـافـرـونـ ، يـقـيـلـونـ فـيـ وـاحـدـةـ ، وـيـبـيـتـونـ فـيـ أـخـرىـ ؛ وـلـهـذا قـالـ : ﴿وـقـدـرـنـاـ فـيـهـاـ السـيـرـ﴾ ، أـيـ : جـعـلـنـاـهـاـ بـحـسـبـ ماـ يـحـتـاجـ الـمـسـافـرـونـ إـلـيـهـ ، ﴿سـيـرـوـاـ فـيـهـاـ لـيـلـاـ وـأـيـمـاـ آمـيـنـ﴾ ، أـيـ : الـأـمـنـ حـاـصـلـ لـهـمـ فـيـ سـيـرـهـمـ لـيـلـاـ وـنـهـارـاـ .

﴿فـقـالـوـ رـبـنـاـ بـاعـدـ بـيـنـ أـسـفـارـنـاـ وـظـلـمـوـاـ أـنـسـهـمـ﴾ - وـقـرـأـ آخـرـونـ : ﴿بـعـدـ بـيـنـ أـسـفـارـنـاـ﴾ - وـذـلـكـ أـنـهـمـ بـطـرـواـ هـذـهـ النـعـمـةـ - كـمـ قـالـهـ اـبـنـ عـبـاسـ ، وـمـجـاهـدـ ، وـالـحـسـنـ ، وـغـيـرـ وـاحـدـ - وـأـجـبـواـ مـفـاـوزـ وـمـهـامـهـ يـحـتـاجـونـ فـيـ قـطـعـهـاـ إـلـىـ الزـادـ وـالـرـوـاحـلـ وـالـسـيـرـ فـيـ الـحـرـوـرـ وـالـخـاـفـ، كـمـ طـلـبـ بـنـوـ إـسـرـائـيـلـ مـنـ مـوـسـىـ أـنـ يـخـرـجـ اللـهـ لـهـمـ مـاـ تـبـتـ الـأـرـضـ ، مـنـ بـقـلـهـاـ وـقـنـائـهـ وـفـوـمـهـاـ وـعـدـسـهـاـ وـبـصـلـهـاـ ، مـعـ أـنـهـمـ كـانـوـ فـيـ عـيـشـ رـغـيدـ فـيـ مـنـ وـسـلـوـيـ وـمـاـ يـشـتـهـيـنـ مـنـ [٣] مـاـكـلـ وـمـشـارـبـ [٤] وـمـلـابـسـ مـرـتفـعـةـ ، وـلـهـذا قـالـ لـهـمـ : ﴿أـسـتـبـدـلـوـنـ الـذـيـ هـوـ أـدـنـيـ بـالـذـيـ هـوـ خـيـرـ اـهـبـطـوـ مـصـرـاـ فـإـنـ لـكـمـ مـاـ سـأـلـتـمـ وـضـرـبـتـ عـلـيـهـمـ الـذـلـلـ وـالـمـسـكـنـةـ وـبـاعـوـاـ بـغـضـبـ مـنـ اللـهـ﴾ ، وـقـالـ تـعـالـيـ : ﴿وـكـمـ أـهـلـكـنـاـ مـنـ قـرـيـةـ بـطـرـتـ مـعـيـشـتـهـاـ﴾ . وـقـالـ تـعـالـيـ : ﴿وـ[٥] ضـرـبـ اللـهـ مـثـلاـ قـرـيـةـ كـانـتـ آمـنـةـ مـطـمـئـنـةـ يـأـتـيـهـاـ رـزـقـهـاـ رـغـدـاـ مـنـ كـلـ مـكـانـ فـكـفـرـتـ بـأـلـعـمـ اللـهـ فـأـذـاقـهـاـ اللـهـ لـيـاسـ [الـجـوـعـ وـالـخـوـفـ] بـعـاـ كـانـوـ بـيـنـهـمـ﴾ . وـقـالـ فـيـ حـقـ هـؤـلـاءـ : ﴿وـظـلـمـوـاـ أـنـسـهـمـ﴾ ، أـيـ : بـكـفـرـهـمـ ، ﴿فـجـعـلـنـاـهـمـ أـحـادـيـثـ وـمـزـقاـهـمـ كـلـ مـزـقـ﴾ ، أـيـ : جـعـلـنـاـهـمـ حـدـيـثـاـ لـلـنـاسـ ، وـسـمـرـاـ يـحـدـثـوـنـ بـهـ مـنـ

[١] - فـيـ زـ : «ـبـيـنـ» .

[٢] - سـقطـ مـنـ : زـ .

[٣] - ماـ بـيـنـ الـمـعـكـرـفـيـنـ سـقطـ مـنـ : خـ ، زـ .

[٤] - سـقطـ مـنـ : زـ .

خبرهم، وكيف مكر الله بهم، وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء، تفرقوا في البلاد هامنا وهامنا؛ ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا: «تفرقوا أيدي سباء» «وأيادي سباء» و«تفرقوا شذراً مذراً».

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطنان، حدثنا إبراهيم بن حبيب ابن الشهيد، سمعت أبي يقول: سمعت عكرمة يحدث بحديث أهل سباء، قال: «لقد كان لسبأ في مسكنهم^[١] آية جتنا» إلى قوله: «فأرسلنا عليهم سيل العرم»: وكانت فيهم كهنة، وكانت الشياطين يسترقون السمع، فأخبروا الكهنة بشيء من أخبار السماء، فكان فيهم رجل كاهن شريف كثير المال، وإنه ثبت أن زوال أمرهم قد دنا، وأن العذاب قد أظلمهم. فلم يدر كيف يصنع، لأنه كان له مال كثير من عقار^[٢]، فقال لرجل من بيته - وهو أعزهم أخوه لا - : إذا كان غداً وأمرتك بأمر فلا تفعل، فإذا انتهتكم فانتهري، فإذا تناولتك فالطمني. فقال: يا أبا ؛ لا تفعل، إن هذا أمر عظيم، وأمر شديد. قال: يا بني ؛ قد حدث أمر لابد منه.

فلم يزل به^[٣] حتى وفاه على ذلك. فلما أصبحوا واجتمع الناس، قال: يا بني ؛ افعل كذا وكذا. فألي، فانتهـرـهـ أبـوهـ، فأـجـاـهـ، فـلـمـ يـزـلـ ذـلـكـ يـنـهـمـاـ حـتـىـ تـنـاـوـلـهـ أـبـوهـ، فـوـثـبـ عـلـىـ أـيـهـ فـلـاطـمـنـيـ، فـقـالـ : أـبـنـيـ يـلـاطـمـنـيـ؟ـ عـلـيـ بالـشـفـرـةـ، فـالـلـوـاـ : وـمـاـ تـصـنـعـ بـالـشـفـرـةـ؟ـ قـالـ : أـذـبـحـهـ. فـالـلـوـاـ : تـذـبـحـ أـبـنـكـ؟ـ الطـمـهـ^[٤] أـوـاصـنـعـ مـاـ بـدـاـ لـكـ.ـ قـالـ : فـأـلـيـ، فـالـلـوـاـ : فـأـرـسـلـوـ إـلـىـ أـخـوـالـهـ فـأـعـلـمـوـهـ^[٥] ذـلـكـ، فـجـاءـ أـخـوـالـهـ فـقـالـواـ : خـذـ مـاـ يـبـدـاـ لـكـ.ـ فـأـلـيـ إـلـاـ يـذـبـحـهـ.ـ فـالـلـوـاـ : فـلـتـمـوـتـنـ قـبـلـ أـنـ تـذـبـحـهـ.ـ قـالـ : إـنـاـ كـانـ الـحـدـيـثـ هـكـذـاـ فـإـنـيـ لـاـ أـرـىـ أـقـيمـ يـبـلـدـ يـحـالـ يـبـنـ وـلـدـيـ فـيـهـ،ـ اـشـتـرـواـ مـنـيـ دـوـرـيـ،ـ اـشـتـرـواـ مـنـيـ أـرـضـيـ.ـ فـلـمـ يـزـلـ حـتـىـ يـبـاعـ دـوـرـهـ وـأـرـاضـيـهـ وـعـقـارـهـ،ـ فـلـمـ صـارـ الشـنـ فـيـ يـدـهـ وـأـحـرـزـهـ^[٦]،ـ قـالـ : أـيـ قـوـمـ ؛ـ إـنـ الـعـذـابـ قـدـ أـظـلـكـمـ،ـ وـزـوـالـ أـمـرـكـمـ قـدـ دـنـاـ،ـ فـمـنـ أـرـادـ مـنـكـمـ دـارـاـ جـدـيـداـ،ـ وـجـمـلـاـ شـدـيـداـ،ـ وـسـفـرـاـ بـعـيـداـ،ـ فـلـيـلـحـقـ بـعـمـانـ.ـ وـمـنـ أـرـادـ مـنـكـمـ الـخـفـرـ وـالـخـمـيرـ وـالـعـصـيرـ وـكـلـمـةـ،ـ -ـ قـالـ إـبـرـاهـيمـ :ـ لـمـ أـحـفـظـهـاـ.ـ فـلـيـلـحـقـ بـيـضـرـىـ،ـ وـمـنـ أـرـادـ الرـاسـخـاتـ فـيـ الـوـحـلـ،ـ وـالـمـطـعـمـاتـ فـيـ الـخـلـ،ـ الـمـقـيـمـاتـ فـيـ الـضـحـلـ^[٧]،ـ فـلـيـلـحـقـ بـيـثـرـبـ ذاتـ تـخـلـ.ـ فـأـطـاعـهـ قـوـمـهـ،ـ فـخـرـجـ أـهـلـ عـمـانـ إـلـىـ عـمـانـ.ـ وـخـرـجـتـ غـسـانـ إـلـىـ بـصـرـىـ.ـ وـخـرـجـتـ الـأـوـسـ وـالـخـزـرـجـ وـبـنـو عـمـانـ إـلـىـ بـثـرـبـ ذاتـ تـخـلـ.ـ قـالـ :ـ فـأـتـوـاـ عـلـىـ بـطـنـ مـرـ قـالـ بـنـو عـمـانـ :ـ هـذـاـ مـكـانـ صـالـحـ،ـ لـاـ نـبـغـيـ بـهـ بـدـلـاـ.ـ فـأـقـامـوـاـ بـهـ،ـ فـسـمـوـاـ لـذـلـكـ خـرـاءـ؛ـ لـأـنـهـ اـنـخـرـعـوـاـ مـنـ أـصـحـابـهـ،ـ وـاستـقـامـتـ الـأـوـسـ وـالـخـزـرـجـ حـتـىـ نـزـلـوـاـ الـمـدـيـنـةـ،ـ وـتـوـجـهـ أـهـلـ عـمـانـ إـلـىـ عـمـانـ وـتـوـجـهـتـ غـسـانـ إـلـىـ بـصـرـىـ.

[١] - في ز: «مساكنهم» .

[٢] - سقط من: خ، ز .

[٣] - في ز: «للطمة» .

[٤] - في ز: « فأعلموه» .

[٥] - في ز: « الفحل» .

[٦] - في ز: « عقر» .

[٧] - في ز: « الضحل» .

هذا أثر غريب عجيب ، وهذا الكاهن هو عمرو بن عامر أحد رؤساء اليمن وكبراء سباء وكهانهم .

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في أول السيرة ما كان من أمر [عمرو بن]^[١] عامر الذي كان أول من خرج من بلاد اليمن ، بسبب استشعاره يارسال العرم فقال : وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن - فيما حدثي أبو زيد الأنصاري - أنه رأى جرداً يَحْفِرُ^[٢] في سد مأرب ، الذي كان يحبس عنهم الماء فيصرفونه حيث شاءوا من أرضهم ، فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك ، فاعترض على النَّقْلة عن اليمن فكاد^[٣] قومه ، فأمر أصغر أولاده إذا أغاظ له ولطمه أن يقوم إليه فيلطمته ، ففعل ابنه ما أمره به ، فقال عمرو : لا أقيم بيلد لَطَمَ وجهي فيها^[٤] أصغر ولدي . وعرض أمواله ، فقال أشراف من أشراف اليمن : اغتنموا عَصْبَةَ عمرو . فاشتروا منه أمواله . وانتقل في ولده وولد ولده . وقالت الأزد^[٥] : لا تختلف عن عمرو بن عامر . فباعوا أموالهم ، وخرجوا [معه فساروا]^[٦] حتى نزلوا بلاد « عك »^[٧] مجتازين يرتادون البلدان ، فحاربهم عك ، وكانت^[٨] حربهم سجالاً . ففي ذلك يقول عباس بن مردار السلمي :

وَعَكَ بْنُ عَدَيَانَ الَّذِينَ تَغَلَّبُوا بَغَسَانَ، حَتَّى طَرَدُوا كُلَّ مَطْرَدٍ
وَهُدَى الْبَيْتُ مِنْ^[٩] قَصِيَّةٍ لَهُ .

قال : ثم ارتحلوا عنهم ففرقوا في البلاد ، فنزل^[١٠] آل جفنة بن عامر الشام ، ونزلت الأوس والخزرج يثرب ، ونزلت خزانة مَرَا . ونزلت أَزد السراة السراة^[١١] ، ونزلت أَزد عُمان عُمان ، ثم أرسل الله على السد السيل فهدمه ، وفي ذلك أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هذه الآيات^[١٢] .

وقد ذكر السدي قصة عمرو بن عامر بنحو ما^[١٣] ذكر محمد بن إسحاق ، إلا أنه قال : « فأمر ابن أخيه » ، مكان « ابنه » ، إلى قوله : « فباع ماله وارتحل بأهله ، ففرقوا ». رواه ابن أبي حاتم .

(١٤) السيرة النبوية لأبن هشام (١٠/١) .

[١] - ما بين المعقوفين سقط من : ز .

[٢] - في ز : « تَحْفِرُ » .

[٣] - في ز : « وَكَادَ » .

[٤] - في ز : « الْأَسَدُ » .

[٥] - في خ ، ز : « مَحْلٌ » .

[٦] - في ز : « فَيِّ » .

[٧] - سقط من : ز .

[٨] - في ت : « مَمَا » .

[٩] - ما بين المعقوفين سقط من : ز .

[١٠] - في ز : « فَكَانَ » .

[١١] - في خ ، ز : « فَتَرَقَ » .

[١٢] - في ز : « الْآيَةُ » .

[١٣] - في ز : « فَيِّ » .

وقال ابن جرير^(١) : حدثنا ابن^(٢) حميد، أخبرنا سلمة^(٣) ، عن ابن إسحاق؛ قال: يزعمون أن عمرو بن عامر، وهو عم القوم كان كاهناً، فرأى في كهانته أن قومه سيذقون ويياعدُّون أسفارهم. فقال لهم: إني قد^(٤) علمت أنكم ستذوقون، فمن كان منكم ذا هم بعید وجمل شديد، وَزَادَ جدید^(٥) - فليتحقق بِكَاسِ أو كِرْودِ . قال: فكانت وادعة بن عمرو. ومن كان منكم ذا هم مُدْنٌ، وأمر دُغْنٍ، فليتحقق بِأَرْضِ شَنَّ . فكانت عوف بن عمرو، وهم الذين يقال لهم: بارق. ومن كان منكم يزيد عيشاً آنياً، وحرماً آمناً، فليتحقق بِالْأَرْزِينَ^(٦) . فكانت خزانة، ومن كان منكم يزيد الراسيات في الولح، والمطعمات في المحل، فليتحقق بِثِرَبِ ذات النخل. فكانت الأوس والخزرج، وهما هذان الحبَّان من الأنصار. ومن كان منكم يزيد خمراً وشميرًا، وذهبًا وحريراً، وملكاً وتأميراً، فليتحقق بِكُوشِ وَبَصْرِيَّ ، فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشام. ومن كان منهم بالعراق.

قال ابن إسحاق: وقد سمعت بعض أهل العلم يقول: إنما قالت^(٧) هذه المقالة طريقة امرأة عمرو بن عامر، وكانت كاهنة، فرأى في كهانتها ذلك^(٨) ، فالله أعلم أي ذلك كان.

وقال سعيد، عن قتادة، عن الشعبي: أما غسان فلتحقوا بالشام، وأما الأنصار فلتحقوا بِثِرَبِ ، وأما خزانة فلتحقوا بِتِهَاماً، وأما الأزد فلتحقوا بِعَمَان فمزقهم الله كل مزق. رواه ابن أبي حاتم وأبن جرير.

ثم قال محمد بن إسحاق: حدثني أبو عبيدة؛ قال: قال الأعشى - أعشى بنى قيس بن ثعلبة - واسمها: ميمون بن قيس.

وَفِي ذَاكَ لِلْمُؤْتَسِي^(٩) أَنْوَةً وَمَأْرُبٌ عَنْتَيْ عَلَيْهَا الْغَرْمُ
رُخَامٌ بَنَثَةٌ لَهُمْ حَمْيَرٌ إِذَا جَاءَ مَوَارِهَ لَمْ يَرِمْ
فَأَزَوَّى الرَّزْوَعَ وَأَعْنَابَهَا عَلَى سَعَةٍ مَأْوَهُمْ إِذْ قُسِّمَ
فَصَارُوا أَيَادِي مَا يَقْدِرُونَ نَمِنْهُ عَلَى شُرِبِ طَفْلِ فُطْمَمٍ^(١٠)
وقوله تعالى: «إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور»، أي: إن في هذا الذي حل

(١٥) تفسير الطبرى (٢٢/٨٦).

(١٦) السيرة النبوية لابن هشام (١/١٤).

[٢] - سقط من: خ، ز.

[٤] - في ز: «حديد».

[٦] - في ز: «قال».

[٨] - في ز: «ذلك».

[١] - سقط من: ز.

[٣] - سقط من: خ، ز.

[٥] - في ز: «بالأندين».

[٧] - سقط من: خ، ز.

[٩] - في ز: «المتوسي».

بهؤلاء من النعمة والعقاب ، وتبديل النعمة وتحويل العافية ، عقوبة على ما ارتكبوه من الكفر والآثام - لعبرة ولدلة لكل عبد صبار على المصائب ، شكر على النعم .

قال الإمام أحمد^(١٧) : حدثنا عبد الرحمن وعبد الرزاق المعنى ، قالا : أخبرنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن العمير بن حبيب عن عمر بن سعد ، عن أبيه - هو سعد بن أبي وقاص ، رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجبت من قضاء الله للمؤمن ، إن أصابه خير حمد ربّه وشكر ، وإن أصابته مصيبة حمد ربّه وصبر ، يؤجر المؤمن في كل شيء ، حتى في اللقبة يرفعها إلى في أمراته » .

وقد رواه النسائي في « اليوم والليلة » ، من حديث أبي إسحاق الشيعي به وهو حديث عزيز - من رواية عمر بن سعد ، عن أبيه . ولكن له شاهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة : « عجبنا للمؤمن ، لا يقضى الله له قضاء إلا كان خيراً ، إن أصابته ضراء شكر فكان^(١٩) خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ؛ وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن »^(١٨) .

قال عبد : حدثنا يونس ، عن شيبان . عن قتادة **﴿ إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾** ،
قال : كان مطرّف يقول : نعم عبد الصبار الشكور ، الذي إذا أعطي شكر ، وإذا ابتلي صبر .

وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَوْمَئِنُ بِالْآخِرَةِ مَنْ هُوَ مِنْهَا
فِي شَكٍّ وَرُبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيقٌ ﴿١١﴾ قُلِّ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمُتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ
شَرِيكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَاهِرٍ ﴿١٢﴾

لما ذكر تعالى قصة سباء وما كان من أمرهم في اتباعهم الهوى والشيطان ، أخبر عنهم وعن أمثالهم من اتبع إبليس والهوى ، وخالف الرشاد والهدى ، فقال : **﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ**
ظُنْهُ ﴾

قال ابن عباس وغيره : هذه الآية^(٢٢) كقوله تعالى إخباراً عن إبليس حين امتنع من السجود للأدم ، ثم قال : **﴿ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كرَمْتَ عَلَيْهِ ، لَئِنْ أَخْرَجْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لَأَحْتَكَنَ ذَرِيرَهِ**

﴾ المسند (١٧٣) ، والسawai في السنن الكبرى ، كتاب عمل اليوم والليلة ، باب : ما يقول إذا أصابته مصيبة ، حديث (١٠٩٦) .

﴾ لم أجده من حديث أبي هريرة ، وقد رواه مسلم في صحيحه حديث (٢٩٩٩) من حديث صهيب ، رضي الله عنه . وانظر حديث (١٣٣) من سورة الأعراف ، آية (٩٥) .

[١] - في ز : « وكان » . [٢] - سقط من : ز .

إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾، ثُمَّ قَالَ : «ثُمَّ لَا تَنْهِمُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٣﴾ ... وَالآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ.

و^[١] قال الحسن البصري : لما أهبط الله آدم من الجنة ومعه حواء ، هبط إبليس فرحاً بما أصاب منها ، وقال : إذا أصبت من الأبوين ما أصبت ، فالذرية أضعف وأضعف . وكان ذلك ظناً من إبليس ، فأنزل الله عز وجل : «وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ عَذَنَهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾» ، فقال عند ذلك إبليس : «لَا أَفَارِقُ ابْنَ آدَمَ مَا دَامَ فِي الرُّوحِ ، أَعْدُهُ وَأَمْتِهُ وَأَخْدُهُ». فقال الله : «وَعَزْتِي ، لَا أَحْجَبُ عَنِ التَّوْبَةِ مَا لَمْ يَغْرِبْ بِالْمَوْتِ ، وَلَا يَدْعُونِي إِلَّا أَجْبَهُ ، وَلَا يَسْأَلُنِي إِلَّا أَعْطِيهِ ، وَلَا يَسْتَفْرِلِي إِلَّا غَفَرْتُ لَهُ». رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : «وَمَا كَانَ لَهُ عَلِيهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴿٥﴾» - قال ابن عباس : أي من حجة .

وقال الحسن البصري : والله ما ضربهم بعضاً ، ولا أكرههم على شيء ، وما كان إلا غروراً وأمانى دعاهم إليها فأجابوه .

وقوله : «إِلَّا لَنْعَلَمُ مِنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مَنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍ ﴿٦﴾» ، أي : إنما سلطناه عليهم ليظهر أمر من هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء ، فيحسن عبادة ربها - عز وجل - في الدنيا ، من هو منها في شك .

وقوله : «وَرِبِّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ ﴿٧﴾» ، أي : ومع حفظه ضلٌّ من ضلٍّ من أتباع إبليس ، وبحفظه وكلاءه سليم من سلم من المؤمنين أتباع الرسل .

وَلَا نَنْقَعُ السَّفَّاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذْنَ لَهُ حَقَّ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِ فَالْأُولَئِكَ مَاذَا
قَالَ رَبُّكُمْ فَالْأُولَئِكَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٨﴾ ٢٣ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْكُمْ لَعَلَى هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ

 مُبِينٌ

يَبْيَنُ^[٢] تعالى أنه الإله^[٣] الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لا نظير له ولا شريك له ، بل هو المستقل بالأمر وحده ، من غير مشارك ولا منازع ولا معارض ، فقال : «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ دون الله^[٤]» ، أي : من الآلهة التي عبدت من دونه [«لَا يَعْلَمُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴿٩﴾»] ، كما قال تبارك وتعالى : «وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دونه^[٤] مَا

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ت : «يَبْيَنٌ» .

[٣] - سقط من : ز .

يمكون من قطمير^{١٠} .

وقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شُرُكٍ﴾، أي: لا يملكون شيئاً استقلالاً ولا على سبيل الشركة، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَاهِرٍ﴾، أي: وليس لله من هذه الأنداد من ظاهر يستظهر به في الأمور، بل الخلق كلهم فقراء إليه، عبد لدبه.

قال قنادة في قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَاهِرٍ﴾، من عون يعينه بشيء.

وقال: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفاعةُ عِنْهُ إِلَّا مَنْ أَذْنَ لَهُ﴾، أي: لعظمته وكبرياته لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء، إلا بعد إذنه له في الشفاعة، كما قال تعالى: ﴿مِنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، وقال: ﴿وَكُمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تَغْنِي شَفَاعَتَهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لَمَنْ يَشَاءُ﴾، وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيتِهِ مَشْفُوقُونَ﴾.

ولهذا ثبت في الصحيحين^{١١} ، من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو سيد ولد آدم، وأكبر شفيع عند الله - أنه حين يقوم المقام الحمود ليشفع في الخلق كلهم أن يأتي رتهم لفصل القضاء، قال: «فأسجد لله فيدعني ما شاء الله^{١٢} أن يدعني، ويفتح علي بمحامد لا أحصيها الآن، ثم يقال: يا محمد؛ ارفع رأسك، وقل يسمع، وسلم نعمته، واشفع تشفع» ... الحديث بتمامه.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرَعَ عَنْ قَلْوِبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ﴾ . وهذا أيضاً مقام رفيع في العظمة. وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحى، فسمع أهل السماوات كلامه، أزعدوا من الهمية حتى يلحقهم مثل الغشى. قاله ابن مسعود ومسروق، وغيرهما.

﴿حَتَّىٰ إِذَا^{١٣} فَرَعَ عَنْ قَلْوِبِهِمْ﴾، أي: زال الفرع عنها، قال ابن عباس، وابن عمر، وأبو عبد الرحمن السلمي، والشعبي، وإبراهيم النخعي، والضحاك والحسن، وقناة في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرَعَ عَنْ قَلْوِبِهِمْ﴾، يقول: نجلي عن قلوبهم. وقرأ بعض السلف - وجاء مرفوعاً - : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ﴾ بالغين المعجمة، ويرجع إلى الأول.

فإذا كان كذلك يسأل^{١٤} بعضهم بعضاً: ماذَا قال ربكم؟ فيخبر بذلك حملة العرش الذين^{١٥} يلونهم، ثم الذين يلونهم لم تختهم، حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا؛ ولهذا قال: ﴿قَالُوا الْحَقُّ﴾، أي: أخبروا^{١٦} بما قال من غير زيادة ولا نقصان، ﴿وَهُوَ الْعَلِيٌّ﴾

[١] - سقط من: ز.

[٢] - في ز: «سأّل» .

[٣] - ما بين المكوفين في ز: « فإذا » .

[٤] - في ز: « للذين » .

[٥] - في ز: « خبروا » .

الكبير^{١٠} .

وقال آخرون : بل معنى قوله : « حتى إذا فزع عن قلوبهم » ، يعني المشركين عند الاحتضار ، ويوم القيمة حتى إذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة في الدنيا ، ورجعت إليهم عقولهم يوم القيمة ، قالوا : ماذا قال ربكم ؟ فقيل لهم : الحق . وأخبروا به مما كانوا عنه لا هين في الدنيا .

قال ابن أبي نجح ، عن مجاهد : « حتى إذا فزع عن قلوبهم » ، كشف عنها الغطاء يوم القيمة .

وقال الحسن : « حتى إذا فزع عن قلوبهم » ، يعني : ما فيها من الشك والتکذيب .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « حتى إذا فزع عن قلوبهم » ، [يعني : ما فيها من الشك ، ، ،]^{١١} قال : فزع الشيطان عن قلوبهم وماربهم^{١٢} وأماناتهم وما كان يضلهم ، « قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير^{١٣} » ، قال : وهذا فيبني آدم ، هذا عند الموت ، أقرّوا حين لا ينفعهم الإقرار .

وقد اختار ابن جرير القول الأول^(٢٠) : أن الضمير عائد على الملائكة . هذا هو الحق الذي لا مرية فيه ، لصحة الأحاديث فيه والآثار ، ولذكر منها طرقاً يدل على غيره .

قال البخاري عند تفسير هذه الآية الكريمة في صحيحه^(٢١) . حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو ، سمعت عكرمة ، سمعت أبا هريرة يقول : إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قضى الله الأمر في السماء ، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاً لقوله : كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : الحق ، وهو العلي الكبير ، فيسمعها مُشترق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعده فرق بعض - ووصف سفيان بيده فخرّها وتدّد بين أصابعه - فيسمع الكلمة ، فيلقاها إلى من تحته ، ثم يلقاها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقاها على لسان الساحر^(٤) أو الكاهن . فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقاها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا

(١٩) تقدمت أحاديث الشفاعة عند تفسير الآية : ٧٩ من سورة الإسراء .

(٢٠) تفسير الطبرى (٩٢/٢٢) .

(٢١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب : « حتى إذا فزع » حديث (٤٨٠٠) ، وسنن أبي داود حديث (٣٩٨٩) ، وسنن الترمذى حديث (٣٢٢٣) ، وسنن ابن ماجه حديث (١٩٤) .

[١] - ما بين المعقوفين سقط من : ز .

[٢] - في م : « وفارقهم » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في خ ، ز : « الآخر » .

وكذا، وكذا؟ فيصدق بذلك الكلمة التي سمعت من السماء».

انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم من هذا الوجه.

وقد رواه أبو داود، والترمذى، وابن ماجة، من حديث سفيان بن عيينة به.

حدث آخر، قال الإمام أحمد^[٢٢]: حدثنا محمد بن جعفر [ثنا معمر^[١]] وعبد الرزاق أخبرنا معمر، أخبرنا الزهرى، عن علي بن الحسين، عن ابن عباس؛ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً^[٢] في نفر من أصحابه - قال عبد الرزاق: من الأنصار - فرمى بنجم فاستدار، قال^[٣] : «ما كنتم تقولون إذا كان مثلُ هذا في الجاهلية؟» قالوا: كنا نقول يولد عظيم، أو^[٤] يوم عظيم - قلت للزهرى: أكان يرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكن غلظت حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم - قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا - تبارك وتعالى، إذا قضى أمراً سبع حملة العرش، [ثم سبع أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح هذه الدنيا، ثم يستخير أهل السماء الذين يلون حملة العرش، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش^[٥] : ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهل كل سماء سماء، حتى يتنهى الخبر إلى هذه السماء، وتختطف الجن السمع فيرمون، فيما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون ». .

وكذا^[٦] رواه الإمام أحمد. وقد أخرجه مسلم في صحيحه^(٢٣) ، من حديث صالح بن كيسان، والأوزاعي، ويونس ومعقل بن عبيد^[٧] الله، أربعمائة عن الزهرى، عن علي بن الحسين، عن ابن عباس عن رجل من الأنصار به. ورواه^[٨] وقال يونس: عن رجال من الأنصار.

وكذا رواه النسائي^(٢٤) في «التفسير» من حديث الزبيدي، عن الزهرى به.

[١] - المسند (٢١٨/١).

[٢] - صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب : تحريم الكهانة وإتيان العراف حديث (٢٢٢٩) .

[٣] - النساء في السنن الكبرى حديث (١١٢٧٢) .

[٤] - ما بين المعقوفين سقط من ت .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - في ز : « و » .

[٧] - في خ ، ز : « هذا » .

[٨] - سقط من : ز .

ورواه الترمذى فيه^(٢٥) عن الحسن بن حرث ، عن الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي ، عن الزهرى ، عن عبيد^(١) الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن رجل من الأنصار - رضي الله عنه - والله أعلم .

حدث آخر ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف ، وأحمد بن منصور بن سيار الرمادى^(٢) - والسياق لحمد بن عوف - قالا : حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا الوليد ، هو ابن مسلم ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن عبد الله بن أبي زكرياء ، عن رجاء بن حيبة ، عن النواس بن سمعان ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا أراد الله أن يوحى بأمره تكلم بالوحى، فإذا تكلم أخذت السماوات منه^(٣) رجفة» أو قال : رعدة شديدة من خوف الله. فإذا سمع بذلك أهل السماوات صعقوا وخرعوا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، فيماضي به جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول : قال : الحق، وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فيتهي جبريل بالوحى حيث أمره الله من السماء والأرض».

وكذا رواه ابن جرير وابن خزيمة^(٢٦) ، عن زكريا بن أبان المصري ، عن نعيم بن حماد به .

قال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يقول : ليس هذا الحديث بالشام عن الوليد بن مسلم رحمة الله .

وقد روى ابن أبي حاتم من حديث العوفي ، عن ابن عباس عن قتادة : أنهما فسرا هذه الآية بابتداء إيحاء الله سبحانه إلى محمد صلى الله عليه وسلم بعد الفترة التي كانت بينه وبين عيسى . ولا شك أن هذا أولى ما دخل في هذه الآية .

قُلْ لَا تَشْأُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُشَكِّلْ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رِبُّنَا
ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرْوِفُ الَّذِينَ أَحْقَقُتُمْ
بِهِ شَرَكَاتٍ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا

(٢٥) سنن الترمذى ، كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة سباء ، عقب حديث رقم (٣٢٢٤) .

(٢٦) تفسير الطبرى (٩٥/٢٢) ، والتوجيد لابن خزيمة ص (٩٥) ، ورواہ ابن أبي عاصم في السنة حديث (٥١٥) من طريق محمد بن عوف ، عن نعيم بن حماد ، به .

[٢] - في ز : «الزيادى» .

[١] - في خ ، ز : «عبد» .

[٣] - في ز : «منها» .

كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَنَكَنَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى مُقرّراً [تفرّد بالخلق]^[١] والرزق ، وانفراده بالإلهية أيضًا ، فكما كانوا يعترون بأنه لا يزدهر من السماء^[٢] والأرض - أي: بما ينزل من المطر وينبت من البراع - [إلا الله]^[٣] ، فكنز ذلك فليعلموا أنه لا إله غيره .

وقوله: ﴿وَإِنَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مِّبْيَنٍ﴾ ، هذا من باب اللف والنشر ، أي: واحد من الفريقين مبطل ، والآخر محق ، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتون ونحن على الهدى أو على الضلال ، بل واحد منا مصيب ، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد ، فدل على بطلان ما أنتون عليه من الشرك بالله ؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مِّبْيَنٍ﴾ .

قال قتادة: قد قال ذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين: والله ما نحن ولناكم على أمر واحد ، إن أحد الفريقين له عذر .

وقال عكرمة ، وزياد بن أبي مريم : معناه: إننا نحن على هدى ، وإنكم لفي ضلال مبين .

وقوله: ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ، معناه التبرير منهم ، أي: لستم منا ولا نحن منكم ، بل ندعوكم إلى الله وإلى توحيده وإفراد العبادة له ، فإن أجبتم فأنتم منا ونحن منكم ، وإن كذبتم فنحن ثيأء منكم وأنتم برأء منا . كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَبُوكُمْ فَقُلْ لِي عَمْلِي وَلِكُمْ عَمْلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مَا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءُ مَا تَعْمَلُونَ﴾ . وقال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ .

وقوله: ﴿قُلْ يَجْمِعُ بَيْنَنَا رِبُّنَا﴾ ، أي: يوم القيمة ، يجمع الخلافات في صعيد واحد ، ثم يفتح بيتنا بالحق ، أي: يحكم بيتنا بالعدل ، فيجزى كل عامل بعمله ، إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر . وستعلمون يومئذ من [العزّة والنصرة] والسعادة الأبدية ، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئذٍ يَتَفَرَّقُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يَحْبَرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَلَقَاءُ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مَحْضُورُونَ﴾ ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْفَتَاحُ الْعَلِيمُ﴾ ، أي: الحكم العادل العالم بحقائق الأمور .

وقوله: ﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَحْقَطْنَا بِهِ شَرَكَاءَ﴾ ، أي: أروني هذه الآلهة التي جعلتموها لله أنداداً وصَيْرَتوها له عدلاً؟ كلا ، أي: ليس له نظير ولا نديد ولا شريك ولا عديل ؛ ولهذا

[١] - ما بين المعقوفين في ز: « تفرد بالحق » . [٢] - في ز: « السماوات » .

[٣] - ما بين المعقوفين سقط من: خ ز .

قال : ﴿ بَلْ هُوَ اللَّهُ ۝ ، أَيْ : الْوَاحِدُ الْحَدَّالُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، أَيْ : ذُو الْعَزَّةِ الَّتِي قَدْ قَهَرَ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ ، وَغَلَبَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، الْحَكِيمُ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ ، وَشَرِعَهُ وَقَدْرَهُ ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ . ۝

وَيَقُولُونَ مَنْ يَنْهَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَنِدِيقِينَ ۚ ۲۹ ۚ قُلْ لَكُمْ مِّيعَادٌ يَوْمٌ لَا تَسْتَعْجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْبِلُونَ ۚ ۳۰ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْءَانَ وَلَا يَالَّذِي بَيْنَ يَدِيهِ وَلَا تَرَى إِنَّ الظَّالِمِينَ مَوْفُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ أَسْتَضْعِفُوا لِلَّذِينَ أَسْتَكْبِرُوا لَوْلَا أَنْتَ لَكُمْ مُّؤْمِنِينَ ۚ ۳۱ ۚ

يقول تعالى لعبد الله رسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافِةً لِلنَّاسِ ۝ ، أَيْ : إِلَّا إِلَى جَمِيعِ الْخَلَقِ مِنَ الْمُكَلِّفِينَ ، كَفُولُهُ تَعَالَى : ۝ قُلْ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ۝ ، ۝ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝ ، ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۝ ، أَيْ : [تَبَشِّرُ مِنْ] [١] أَطْاعَكُ بِالْجَنَّةِ ، وَتَنْذِرُ مِنْ عَصَابِ النَّارِ . ۝

﴿ وَلَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ، كَفُولُهُ تَعَالَى : ۝ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۝ ، ۝ وَإِنْ تَطْعِ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضْلُوكُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۝ . ۝

قال محمد بن كعب في قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافِةً لِلنَّاسِ ۝ ، يعني إلى الناس عامة . ۝ وقال قادة في هذه الآية : أَرْسَلَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْعَرَبِ وَالْعَجمِ ، فَأَكْرَمَهُمْ عَلَى اللَّهِ أَطْوَعُهُمْ لَهُ عَزْ وَجْلُهُ . ۝

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبد الله الطهراني ، حدثنا حفص بن [٢] عمر العدناني ، حدثنا الحكيم - يعني ابن أبان - عن عكرمة ؛ قال : سمعت ابن عباس ؛ يقول : إنَّ اللَّهَ فضلَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الْأَنْبِيَاءِ . قالوا : يا بن عباس ؛ فَيَمْ فَضْلَهُ اللَّهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ؟ قال : إنَّ اللَّهَ قَالَ : ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُنَهِّمُ لَهُمْ ۝ ، وقال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ۝ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافِةً لِلنَّاسِ ۝ ، فأَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسَانِ . ۝

وهذا الذي قاله ابن عباس قد ثبت في الصحيحين [٣] رَفْعَةً عن جابر ؛ قال : قال رسول الله

(٢٧) صحيح البخاري ، كتاب التيمم حديث (٣٣٥) ، صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، ومواضع الصلاة حديث (٥٢١) .

[١] - ما بين المعقودتين في ز : « بشيراً من » . [٢] - في ز : « عن » .

صلى الله عليه وسلم : «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وظهراً، فأيما رجل من أمتي أدركه الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس عامة».

وفي الصحيح أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «بعثت إلى الأسود والأحمر»^(١٨).

قال مجاهد : يعني الجن والإنس . وقال غيره : يعني العرب والعجم . والكل صحيح .

ثم قال تعالى مخبراً عن الكفار في استبعادهم قيام الساعة : ﴿وَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿يَسْتَعْجِلُ بَهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بَهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفَقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ ... الآية .

ثم قال : ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمَ لَا تَسْأَخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةٌ وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ ، أي : لكم ميعاد مؤجل معدود محرر ، لا يزداد ولا يتنقص ، فإذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤْخَرُ﴾ وقال ﴿وَمَا تُؤْخِرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعدَّدٍ يُوَضَّعُ لَيَوْمٍ نَفْسٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيقٌ وَسَعِيدٌ﴾ .

قَالَ الَّذِينَ أَسْتَكَبَرُوا لِلَّذِينَ أَسْتُضْعِفُوا أَنْهُنْ حَسَدُنَّكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ^{٣٢}
بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمُونَ وَقَالَ الَّذِينَ أَسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ أَسْتَكَبَرُوا بَلْ مَكْرُ الَّتِي
وَالْهَمَارِ إِذْ تَأْمُرُونَا أَنْ تُكْفِرَ بِاللَّهِ وَتَحْمِلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا
الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوُنَ إِلَّا مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ^{٣٣} وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيبَةِ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُرْفُوْهَا إِنَّا بِمَا أَرْسَلْنَا
بِهِ كَافِرُونَ^{٣٤}

يُخبر تعالى عن تمادي الكفار في طغيانهم وعنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن وما أخبر به من أمر المعاد ؛ ولهذا قال : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنَ وَلَا بِالَّذِي
يَدْعِيهِ﴾ ، قال الله تعالى متهدداً لهم ومتوعداً ، ومخبراً عن مواقفهم الذليلة بين يديه في حال تخاصمهم وتحاجهم : ﴿يُرِجِعُ بِعِصْمِهِمْ إِلَى بَعْضِ الْقَوْلِ يَقُولُ الَّذِينَ أَسْتُضْعِفُوا﴾ منهم وهم

(١٨) وهو قطعة من حديث جابر السابق عند مسلم في صحيحه حديث (٥٢١).

الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾، وهم قادتهم وسادتهم: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَا مُؤْمِنِينَ﴾، أي: لو لا أنتم تصدونا لكننا^[١] اتبعنا الرسل وأمنا بما جاءونا به. فقال لهم القادة والساسة، وهم الذين استكباوا: ﴿أَنْحَنْ صَدَدْلَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذَا جَاءَكُمْ﴾، أي: نحن ما فعلنا بكم ذلك^[٢] أكثر من أننا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان، وخالفتم الأدلة والبراهين والحجج التي جاءت بها الأنبياء، لشهوتكم واحتياركم لذلك، ولهذا قالوا: ﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوكُمْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بِلْ مَكْرُ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ﴾، أي: بل كنتم تهلكون بنا ليلاً ونهاراً، وتغزونا وتموتونا، وتخربونا أنا على هدى وأننا على شيء، فإذا جميع ذلك باطل وكذبت ومين^[٣].

قال قنادة، وابن زيد: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ﴾، يقول: بل^[٤] مكرهم بالليل والنهر. وكذا قال مالك، عن زيد بن أسلم: مكرهم بالليل والنهر.

﴿إِذْ تَأْمُرُونَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾، أي: نظراء وآلهة معه، وتقيموا لنا شبهها وأشياء من الحال، تضللونا بها. ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لِمَا رَأُوا العَذَابَ﴾، أي: الجميع من السادة والأتباع، كُلُّئُنَّمْ على ما سلف منه.

﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وهي السلسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم، ﴿هُلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^[٥]، أي: إنما يجازيكم بأعمالكم، كل بحسبه، للقادرة عذاب بحسبهم، وللأتباع بحسبهم؛ قال: ﴿لِكُلِّ ضُعْفٍ وَلَكُنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا فروة بن أبي المغراة، حدثنا محمد بن سليمان ابن الأصبهاني، عن أبي سنان ضرار بن ضرير، عن عبد الله بن أبي الهذيل، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَا سِقَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا تَلَاقَهُمْ لَهُبَّهَا، ثُمَّ لَقَعَتْهُمْ لَفْحَةً فَلَمْ يَقُلْ لَهُمْ إِلَّا سَقَطَ عَلَى الْعَرْقُوبِ»^[٦].

وحدثنا أبي، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثنا الطيب أبو الحسن، عن الحسن بن يحيى الخشناني؛ قال: ما في جهنم دار ولا مغار ولا غل ولا سلسلة ولا قيد، إلا اسم صاحبها عليه مكتوب. قال: فحدثه أبو سليمان - يعني الداراني - رحمة الله عليه، فبكي ثم قال: ويحك! فكيف به لو جمع هذا كله عليه، فجعل القيد في رجليه، والغل في يديه، والسلسلة في عنقه،

(٢٩) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط حديث (٢٧٨)، ٩٣٦٥، وأبو نعيم في الحلية (٤/٣٦٣) من طرق عن محمد بن سليمان الأصبهاني ، به . وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٨٩) : « و فيه محمد بن سليمان الأصبهاني وهو ضعيف » .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ : « مبين » .

[٣] - ما بين المعکوفین في ز : « كنتم تعملون » .

[٤] - في ز : « لحقهم » .

ثُمَّ أَدْخِلُ الدَّارَ وَأَدْخِلُ الْمَغَارَ^[١].

وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا مَنَعَنِي مِعْذَبَيْنَ ٣٥ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَسْطُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَا كُنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣٦ وَمَا أَنَّوْلَكُمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ بِالَّتِي تَقْرِيرُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَتِ إِلَّا مِنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَنْلَحًا فَأَوْلَئِكَ هُمْ جَزَاءُ الظَّفِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغَرْفَةِ ءَامِنُونَ ٣٧ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَابَيْنَا مُعَذَّبِينَ أَوْلَائِكَ فِي الْعَذَابِ مُخْضَرُونَ ٣٨ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَسْطُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقُتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يَخْلُصُكُمْ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ٣٩ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْوَلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوكُمْ يَعْبُدُونَ ٤٠

يقول تعالى مسلية لنبيه ، وأمرًا له بالتأسي بنبيه ، ومخبره بأنه ما بعث نبياً في قرية إلا كذبه متوفوها ، واتبعه ضعفاؤهم ، كما قال قوم نوح : «أَنْوَمْنَ»^[٢] لك وابتاعك الأرذلون » ، «وما لراك اتباعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي» ، وقال الكبراء من قوم صالح : «للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحًا مرسل من ربها قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون » قال الذين استكروا إنا بالذى آمنت به كافرون » وقال تعالى : «وكذلك فتنا بعضهم بعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من يبينا أليس الله بأعلم بالشاكرين » وقال : «وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكرروا فيها» ، وقال : «إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها».

وقال هاهنا : «وما أرسلنا في قرية من نذير» ، أي : نبي أو رسول «إلا قال متوفوها» ، وهم أولو النعمة والحسنة والثروة والرياسة .

قال قادة : هم جبابرتهم وقادتهم وروعتهم في الشر . «إنا بما أرسلتم به كافرون» ، أي : لا نؤمن به ولا نتبعه .

قال ابن أبي حاتم^(٣) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا هارون بن إسحاق ، حدثنا محمد

(٣) ورواه ابن أبي شيبة وابن المنذر كما في الدر المشور (٦/٧٠٤) ووقع في الدر : «ابن زيد» بدل : «أبو رزين» .

[٢] - في ز : «لن نؤمن» .

[١] - في ز : «الغار» .

ابن عبد الوهاب ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ؛ قال : كان رجلان شريكين^[١] ، خرج أحدهما إلى الساحل وبقي الآخر ، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى صاحبه يسأله : ما فعل ؟ فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش ، إنما اتبعه أرذل الناس ومساكينهم . قال : فترك تجارتة ثم أتى صاحبه فقال : دليلى عليه - قال : وكان يقرأ الكتب ، أو بعض الكتب - قال : فأتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إلام تدعوه ؟ فقال : إلى كذا وكذا . قال : أشهد أنك رسول الله . قال : « وما علمك بذلك ؟ » قال : إنه لم يبعثنبي إلا اتبعه زدالة الناس ومساكينهم . قال : فنزلت هذه الآية : ﴿وَمَا أُرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرَفِّهِ إِنَّا بِمَا أَرْسَلْتَنَا كَافِرُونَ﴾ ، قال : فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله قد أنزل تصديق ما قلت .

وهكذا قال هرقل لأبي سفيان حين سأله عن تلك المسائل ، قال فيها : وسائلك : أضعفاء الناس اتبعه أم أشرافهم ؟ فزعمت : بل ضعفاءهم ، وهم أتباع الرسل .

وقوله تعالى إخباراً عن المترفين المكذبين : ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بَعْذَبِينَ﴾ ، أي : افتخرنا بكثره الأموال والأولاد ، واعتقدوا أن ذلك دليل على محنة الله لهم واعتنائه بهم ، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ، ثم يعذيبهم في الآخرة ، وهيهات لهم ذلك . قال الله : ﴿أَيَحْسِبُونَ أَنَّا نَغْدِهِمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنِهِنَّ سَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ . وقال : ﴿فَلَا تَعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَعْذِبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقُ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ . وقال تعالى : ﴿ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيداً وَجَعَلْتَ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً وَبَيْنَ شَهْوَدًا وَمَهَدَتْ لَهُ تَعْبِدَنَا لَمْ يَطْمَعْ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً سَأَرْهَقَهُ صَعْدَاداً﴾ .

وقد أخبر الله عن صاحب تينك الجتين ؛ أنه كان ذا مال وولد وثمر ، ثم لم تغير عنه شيئاً ، بل شلب ذلك كله في الدنيا قبل الآخرة ، ولهذا قال تعالى هاهنا : ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَسْطِعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي يعطي المال من يحب ومن لا يحب ، فيفتر من يشاء ويغنى من يشاء ، وله الحكمة التامة البالغة والمحجة الدامغة القاطعة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

ثم قال : ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تَقْرِبُونَ زَلْفِي﴾ أي : ليست هذه دليلاً على محبتنا لكم ، ولا اعتناننا بكم .

قال الإمام أحمد رحمه الله^(٣١) : حدثنا ثُكْيَرٌ ، حدثنا جعفر ، حدثنا يزيد بن الأصم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا ينظر إلى

(٣١) المسند (٥٣٩/٢) ، وصحيحة مسلم وكتاب البر والصلة ، والأداب ، حديث (٢٥٦٤) ، وسنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب : القناعة حديث (٤١٤٣) .

صوركم وأموالكم ، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

رواه مسلم وابن ماجة ، من حديث كثير بن هشام ، عن جعفر بن بُوقان^[١] به .

ولهذا قال : «إلا من آمن وعمل صالحًا» ، أي : إنما يقربكم عندها زلفى الإيمان والعمل الصالح ، «فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا» ، أي : تضاعف لهم الحسنة بعشر^[٢] أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف . «وهم في الغرفات آمنون» . [أي : في منازل الجنة العالية آمنون]^[٣] من كل بأس وخوف وأذى ، ومن كل شر يُحدِّر منه .

قال ابن أبي حاتم^(٤) : حدثنا أبي ، حدثنا فروة بن أبي المغراط الكندي ، حدثنا القاسم وعلي ابن مسهر ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان بن سعد ، عن علي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن في الجنة لغرفًا ترى ظهورها من بطنها ، وبطونها من ظهورها» . فقال أعرابي : لمن هي ؟ قال : «لمن طيب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام» .

«والذين يسعون في آياتنا معاجزين»^[٤] ، أي : يسعون في الصد عن سبيل الله ، واتباع الرسل والتصديق بآياته : «فأولئك في العذاب محضرون»^[٥] ، أي : جميعهم مجذبون^[٥] بأعمالهم فيها بحسبهم .

وقوله : «قل إن ربي يحيط الرزق لمن يشاء من عباده وقدر له» ، أي : بحسب ماله في ذلك من الحكم ، [يحيط على هذا من المال كثيراً ، ويضيق على هذا ويقتصر عليه رزقه جداً ، وله في ذلك من الحكم^[٦] مالا يدركها غيره ، كما قال تعالى : «انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، ولآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً» ، أي : كما هم متفاوتون في الدنيا : هنا فقير مدقع ، وهذا غنى مُؤَسَّع عليه ، فكذلك هم في الآخرة : هذا في الغرفات في أعلى الدرجات ، وهذا في الغمرات في أسفل الدركات . وأطيب الناس في الدنيا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «قد أفلح من أسلم وزُقَّ كفافاً ، وقُنِعَ الله بما آتاه» . رواه مسلم من حديث ابن عمرو^(٧) .

(٣٢) رواه الترمذى ، كتاب البر والصلة ، باب : ما جاء في قول المعرف ، حديث (١٩٨٤) من طريق على ابن مسهر ، عن عبد الرحمن بن إسحاق بأطول منه ، وقال : «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق ، وقد تكلم أهل الحديث في عبد الرحمن بن إسحاق هذا من قبل حفظه وهو كوفي» . قلت : وله شواهد من حديث عبد الله بن عمرو وأبي مالك الأشعري ، رضي الله عنهم .

(٣٣) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة حديث (٤١٠٥) .

[١] - في خ : «روماني» في ز : «رمان» .

[٢] - ما بين المعکوفین سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : «مجذبون» .

[٤] - في ز : «عمر» .

[٥] - ما بين المعکوفین سقط من : خ .

[٦] - في ز : «عمر» .

وقوله : **﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يَخْلُفُهُ﴾** ، أي : مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم ، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل ، وفي الآخرة بالجزاء والثواب ، كما ثبت في الحديث : **«يقول الله تعالى : أَنْفَقْتُ أَنْفَقْتُ عَلَيْكَ»**^[١] . وفي الحديث «أن ملكين يصيحان^[٢] كل يوم ، يقول أحدهما : اللهم أعط مساكاً تلقاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط منفعتاً خلفاً»^[٣] . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَنْفَقْتُ بِالْأَنْفَاقَ»^[٤] ، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً»^[٥] .

وقال ابن أبي حاتم ذكر^[٦] عن يزيد بن عبد العزير الفلاس حدثنا هشيم عن الكوثر^[٧] بن حكيم ، عن مكحول قال : بلغني عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ألا إن بعدكم زمان عضوض ، بعض المسر على ما في يديه^[٨] خذار الإنفاق». ثم تلا هذه الآية : **﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يَخْلُفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾**^[٩] .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي^[١٠] : حدثنا روح بن حاتم ، حدثنا هشيم ، عن الكوثر بن حكيم ، عن مكحول قال : بلغني عن حذيفة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ألا إن بعد زمانكم هذا زمان عضوض ، بعض المسر على ما في يديه خذار الإنفاق» ، قال الله تعالى : **﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يَخْلُفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾** ، ويتنهل شرار الخلق بياياعون كل مضطر ، إلا إن يبع المضطرين حرام ، [«ألا إن يبع المضطرين حرام»]^[١١] ، المسلم أخوه المسلم ،

(٣٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، حديث (٤٦٨٤) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، حديث (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣٥) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة حديث (١٤٤٢) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، حديث (١٠١٠) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

(٣٦) جاء عن جماعة من الصحابة ، فرواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٤٠/١) من طريق قيس بن الريبع ، عن أبي حصين ، عن يحيى بن ثواب ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، وقيس بن الريبع ضعفوه . ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٤٢/١) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٢٩/١٠) ، وأبو نعيم في الخلية (٢٨٠/٢) عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه . ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٥٩/١) من طريق أبي إسحاق عن مسروق عن بلا ، رضي الله عنه ، وفيه ابن زبالة وهو ضعيف .

(٣٧) ذكره السيوطي في الدر (٧٠٧/٦) وقال : «أخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند ضعيف ذكره ». ^[١]

(٣٨) ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٢٦١/١) وعزاه لأبي يعلى في مسنده .

[١] - في ت : «يتصيحان» ،

[٢] - في ت : «بِلَالًا» .

[٤] - في ز : «الكوثر» .

[٦] - ما بين المعقوفتين سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ت .

[٥] - في ت : «يده» .

لا يظلمه ولا يخذه، إن كان عندك معروف، فَقدْ به على أخيك، وإنْ لَمْ يَرَهْ هلاكاً إلى هلاكه».

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وفي إسناده ضعف .

وقال سفيان الثوري، عن أبي يونس الحسن بن يزيد قال: قال مجاهد: لا يتأنلون^[١] أحدكم هذه الآية: «وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يَخْلُفُهُ»: إذا كان عند أحدكم ما يقيمه فليقصد فيه، فإن الرزق مقسم.

فَالْأُولَا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّةَ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ
مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا
ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا نُتْلَى عَلَيْهِمْ مَا يَنْتَهُ
مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصْدِّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ إِبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا
إِنَّكَ مُفْتَرٌ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾

يُخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيمة على رءوس الخلاق، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صور الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى، فيقول للملائكة: هؤلاء إياكم كانوا يبعدونه، أي: أنت أمرتم هؤلاء بعادتكم؟ كما قال في سورة الفرقان: أَنْتُمْ أَضَلُّتُمْ عَبْدِي هُؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضلَّوْا السَّبِيلَ؟ وكما يقول عيسى: أَلَّا تَقُولُ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوهُنِّي وَأَمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سَبَّحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ.

وهكذا تقول الملائكة: ﴿سبحانك﴾، أي^[٣]: تعاليت وتقديست عن أن يكون معلم إله.
﴿أنت ولينا من دونهم﴾، أي: نحن عبادك وننير إليك من هؤلاء، ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾، يعنيون الشياطين [لأنهم هم]^[٤] الذين يزينون لهم عبادة الأوّلئ ويفصلونهم^[٥]، ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾، كما قال تعالى: ﴿إن يدعون من دونه إلا إثناان وإن يدعون إلا شيطانا﴾^[٦] مزيداً قال الله تعالى: ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً﴾، أي: لا يقع لكم نفع من كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنبياء والأوّلئ، التي ادخرتم عبادتها لشدائكم

[١] - في ز : « يتناولن » .

[٢] - سقط من : ز.

٤٦ - فی ز : « ثم » .

۶۶ - فیز : « شیطان » .

وَكُرِبُكُمْ ، الْيَوْمَ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۝ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ۝ - وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ -
﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كَتَمْتُ بَهَا تَكَذِّبُونَ ۝﴾ ، أَيْ : يَقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ ، تَقْرِيئًا وَتَوْبِيَّا .

وَمَا ءَالَّيْنَاهُمْ مِنْ كِتَابٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ۝
وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا ءَالَّيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِنَا ۝ فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرٌ ۝ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِرَوْحَدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَدَيْ ثَمَّ
تَفَكَّرُوا مَا يَصْاحِبُكُمْ مِنْ حِنْنَةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝

٤٦

يُخْرِي تَعَالَى عَنِ الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ يَسْتَحْقُونَ مِنْهُ الْعَقُوبَةَ وَالْأَلِيمَ مِنَ الْعَذَابِ ، لَأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَنَلَّى
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ يَبْنَاتِ يَسْمَعُونَهَا عَجَّضَةً^[١] طَرِيقَةً مِنْ لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ﴿قَالُوا مَا
هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يَوْمَدُ أَنْ يَصْدِكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْدُ أَبَاؤُكُمْ ۝﴾ ، يَعْنُونَ أَنَّ دِينَ آبَائِهِمْ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَنَّ
مَا جَاءَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ عَنْهُمْ بَاطِلٌ - عَلَيْهِمْ وَعَلَى آبَائِهِمْ لِعَائِنَ اللَّهِ - ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْفُكَ
مُفْتَرِي ۝﴾ ، يَعْنُونَ الْقُرْآنَ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ مَا جَاءُهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سُحْرٌ مِنْ ۝﴾ . قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كِتَابٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ۝﴾ ، أَيْ : مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ عَلَى الْعَرَبِ مِنْ كِتَابٍ قَبْلِ الْقُرْآنِ ، وَمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ نَبِيًّا قَبْلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَقَدْ كَانُوا يَوْقُونُ ذَلِكَ وَيَقُولُونَ : لَوْ جَاءَنَا نَذِيرٌ أَوْ أَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا ، لَكُنَا أَهْدِي مِنْ غَيْرِنَا ، فَلَمَّا
مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ كَذِبُوهُ وَعَانِدُوهُ وَجَحْدُوهُ . ثُمَّ قَالَ : ﴿وَكَذَّبُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۝﴾ ، أَيْ :
مِنَ الْأُمَّ ، ﴿وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ ۝﴾ - قَالَ ابْنُ عَبَاسٍ : أَيْ مِنَ الْقُوَّةِ فِي الدُّنْيَا .
وَكَذَّلِكَ^[٢] قَالَ قَاتِدَةُ ، وَالسَّدِّيْرِيُّ وَابْنُ زِيدٍ . كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَقَدْ مَكَنَاهُمْ فِي مَا إِنْ مَكَنَاهُمْ
فِيهِ وَجَعَلُنَا لَهُمْ سَمِعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْتَدَهُمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْتَدُهُمْ مِنْ
شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحُدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزَئُونَ ۝﴾ ، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُهُمْ وَأَشَدُ قُوَّةٍ ۝﴾ ، أَيْ : وَمَا
دَفَعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ عَذَابُ اللَّهِ وَلَا رَدَهُ ، بَلْ دَرَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا^[٣] كَذَبُوا رَسُلَهُ ، وَلَهُذَا قَالَ :
﴿فَكَذَبُوا رُسُلِنَا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ ۝﴾ ، أَيْ : كَيْفَ كَانَ نَكَالِي وَعَقَابِي وَانتِصَارِي لِرَسُلِي ؟ .

قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

[١] - فِي خَ ، زَ : « مَحْضَةٌ » .

[٢] - فِي زَ : « كَذَا » .

[٣] - فِي زَ : « مَا » .


 شَهِيدٌ

يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون : ﴿إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ ، أي : إنما أمركم بواحدة ، وهي : ﴿أَنْ تَقْوِمُوا لِلَّهِ مُشْتَيْ وَفَرَادِيْ﴾ ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة ﴿هُنَّ﴾ ، أي : تقوموا قياماً خالصاً لله ، من غير هو ولا عصبية ، فيسأل بعضكم بعضًا : هل بمحمد من جنون ؟ فينصح بعضكم ببعضًا ، ﴿ثُمَّ تَشْكِرُوا﴾ ، أي : ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ، ويتذكر في ذلك ، وللهذا قال : ﴿أَنْ تَقْوِمُوا لِلَّهِ مُشْتَيْ وَفَرَادِيْ﴾ ، ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة ﴿هُنَّ﴾ .

هذا معنى ما ذكره مجاهد ، ومحمد بن كعب ، والستي ، وقتادة ، وغيرهم ، وهذا هو المراد من الآية . فاما الحديث الذى رواه ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صدقة بن خالد ، حدثنا عثمان بن أبي العاتكة ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « أعطيت ثلاثة لم يعطهن من قبلي ولا فخر : أحلت لي الغنائم ، ولم تحل لمن قبلني ، كانوا قبلي يجمعون غنائمهم فيحرقوها . ونعتز إلى كل أحمر وأسود ، وكان كلنبي يبعث إلى قومه ، وجعلت لي الأرض مسجداً وظهوراً ، أتيكم بالصعيد ، وأصلحى حيث أدركنتى الصلاة ، قال الله : ﴿أَنْ تَقْوِمُوا لِلَّهِ مُشْتَيْ وَفَرَادِيْ﴾ وأعذت بالرعب مسيرة شهر بين يدي » .

فهو حديث ضعيف الإسناد ، وتفسير الآية بالقيام في الصلاة في جماعة وفرادي ، بعيد ، ولعله مقحم في [١] الحديث من بعض الرواة ، فإن أصله ثابت في الصحاح وغيرها [٢] ، والله أعلم .

وقوله : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدِيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ - قال البخاري عندها [٣] :

حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا محمد بن حازم [٤] ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرتة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا ذات يوم ، فقال : يا أصحابه ! فاجتمعوا إليه قريش ، فقالوا : ما لك ؟ فقال : أرأيتم لو [٥] أخبرتكم أن العدو يصبهكم أو يمسكم ، أما كتم تصدقوني ؟ قالوا : بل ؟ قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب

[١] سبق تخریج حديث جابر ، رضي الله عنه ، في الصحيحين عند تفسير الآية : ٢٨ من هذه السورة .

[٢] صحيح البخاري ، كتاب التفسير حديث (٤٨٠١) .

[٣] - في ز : « من » .

[٤] - في ز : « إن » .

[٥] - في ز : « إن » .

شديد : فقال أبو لهب : **تَبَّا لَكَ ! أَلْهَا جَمِعْتَنَا ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ :** ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهْبٍ﴾ . وقد تقدم عند قوله : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** .

وقال الإمام أحمد^(٤١) : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا بشير بن المهاجر ، حدثني عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فنادى ثلاث مرات فقال : «أيها الناس تدرؤن ما مثلي ومثلكم؟» قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «إنما مثلي ومثلكم مثل قومٍ^(٤٢) خافوا عدواً يأتينهم ، فبعثنا رجلاً يتراءى لهم ، فيينما هو كذلك أبصر العدو ، فأقبل ليذرهم وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه ، فأهوى بشوهه : أيها الناس ، أوتitem . أيها الناس ، أوتitem . ثلاث مرات» .

وبهذا الإسناد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بعثت أنا والساعة جميعاً ، إن كادت لتبنيقني» . تفرد به الإمام أحمد في مسنده^(٤٣) .

قُلْ إِنَّ رَبِّيٍ يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَمَ الْغَيْبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَنِطْلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَّتْ فَإِنَّمَا أَخْبَلُ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فَإِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ رُوْقَةٌ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَعُوا فَلَا فَوْتَكَ وَلَنْذِدُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٌ ﴿٥١﴾

يقول تعالى آمراً رسوله أن يقول للمرتكبين : **«ما سألكم من أجر فهو لكم»** ، أي : لا أريد منكم مجعلـاً ولا عطــاناً على أداء رسالة الله إليــكم ، ونصــحي إــياــكم ، وأمرــكم بعبــادة الله ، **«إن أجرــي إلا على الله»** ، أي : إنما أطلب ثواب ذلك عند الله ، **«وهو على كل شيء شهــيد»** ، أي : عالم بجميع الأمور ، بما أنا عليه من إــخبارــي عنه بإــرــاســالــه إــيــاــيــكم ، وما أنتــم عليه .

وقوله : **«قُلْ إِنْ رَبِّيٍ يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَمَ الْغَيْبِ»** ، كقوله تعالى : **«يُلْقِي الرُّوحُ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِه»** . أي : يرسل الملك إلى من يشاء من عباده من أهل الأرض ، وهو (٤١) المسند (٥/٣٤٨) (٤/٢٣٥٤) . ذكره الهيثمي في مجمع الرواــد (٢/١٨٨) وعزاه لأحمد وقال : «ورجاله رجال الصحيح» .

(٤٢) - المسند (٥/٣٤٨) (٣٤٨/٥) (٢٣٥٣) ذكره الهيثمي في مجمع الرواــد (١٠/٣١١) وقال : «رواه أــحمد والبــزار ؛ إلا أنه قال : «بعثــت أنا والســاعة كــهــاتــين» . وضمــ أــصــبــعــيه الســيــابــةــ والــوــســطــيــ ، ورــجــالــ أــحــمــدــ رــجــالــ الصــحــيــحــ» .

علام الغيوب ، فلا تخفي عليه خافية في السماوات ولا في الأرض .

وقوله : ﴿ قَلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يَبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يَعْبُدُهُ ﴾ ، أي : جاء الحق من الله والشرع العظيم ، وذهب الباطل وزهر واضمحل ، كقوله : ﴿ بِلْ لَقْدَ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْعُهُ ﴾ ، ولهذا لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام يوم الفتح ، ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة ، جعل يطعن الصنم بسيبة قوسه ، ويقرأ : ﴿ وَقَلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهْقَ الْبَاطِلِ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهْقًا ﴾ ، ﴿ قَلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يَبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يَعْبُدُهُ ﴾ .

رواه البخاري ومسلم والترمذى والنمسائى وحده عند الآية ، كلهم من حديث الثورى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر عبد الله بن سُخْبَرَةَ ، عن ابن مسعود به^(٤٣) .
أي : لم يبق للباطل مقالة ولا رياضة ولا كلمة .

وزعم قتادة والسدى : أن المراد بالباطل ها هنا إبليس ، أي : إنه لا يخلق أحداً ولا يعيده ، ولا يقدر على ذلك . وهذا وإن كان حقاً ولكن ليس هو المراد ها هنا ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ قَلْ إِنْ ضَلَّلْتَ فَإِنَّمَا أَضَلَّلْتَ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتَ فِيمَا يُوحِي إِلَيْكُمْ ﴾ ، أي : الخير كله من عند الله ، وفيما أنزله الله عز وجل من الوحي والحق المبين فيه الهدى والبيان والرشاد ، ومن ضل فإنما يصل من تلقاء نفسه ، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما سئل عن تلك المسألة في المفوضة : أقول فيها برأيي ، فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله بريثان منه^(٤٤) .

وقوله : ﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ ، أي : سميع لأقوال عباده ، قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعا ، وقد روى النمسائى ها هنا حديث أبي موسى الذي في الصحيحين : « إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصْمَمَ وَلَا غَائِبَةَ ، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا »^(٤٥) .

وَقَالُوا إِنَّمَا يَهُ وَأَنَّ طَهُمُ الْتَّنَاؤُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ⑤٢
مِنْ قَبْلٍ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ⑤٣ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ

(٤٣) صحيح البخاري ، كتاب المظالم حديث (٢٤٧٨) ، وكتاب المغازي (٤٢٨٧) ، وصحيف مسلم ، كتاب الجهاد والسير حديث (١٧٨١) ، وسنن الترمذى ، كتاب تفسير القرآن ، حديث (٣١٣٨) ، والنمسائى في السنن الكبرى ، كتاب التفسير ، حديث (١١٤٢٨) .

(٤٤) انظر الأثر في المسند (٤٧٧/١) .

(٤٥) النمسائى في السنن الكبرى ، كتاب التفسير حديث (١١٤٢٧) ، صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، حديث (٤٢٠٥) وصحيف مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبه والاستغفار حديث (٢٧٠٤) .

كَمَا فَعَلَ يَا شَيَّاعِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِلَيْهِمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ



يقول تعالى : ولو ترى - يا محمد - إذ فزع هؤلاء المكذبون يوم القيمة ، ﴿فلا فوت﴾ ، أي : فلا مفر لهم ، ولا وزر ولا ملجم . ﴿وأخذوا من مكان قريب﴾ ، أي : لم يمكنوا أن يعيثوا في الهرب ، بل أخذوا من أول وهلة .

قال الحسن البصري : « حين خرجوا من قبورهم » .

وقال مجاهد ، وعطاء العوفي ، وقتادة : « من تحت أقدامهم » .

وعن ابن عباس والضحاك : « يعني عذابهم في الدنيا » .

وقال عبد الرحمن بن زيد : « يعني قتلهم يوم بدر » .

والصحيح أن المراد بذلك يوم القيمة ، وهو الطامة العظمى ، وإن كان ما ذكر متصلًا^[١] بذلك .

وحكى ابن جرير عن بعضهم قال : إن المراد بذلك جيش يخسف^[٢] بهم بين مكة والمدينة في أيامبني العباس . ثم أورد في ذلك حدثاً موضوعاً بالكلية . ثم لم ينبه على ذلك ، وهذا أمر عجيب غريب منه .

﴿وقالوا آمنا به﴾ ، أي : يوم القيمة يقولون : آمنا بالله وبكتبه ورسله . كما قال تعالى : ﴿ولو ترى إِذ الْجَحْرَوْنَ نَاكَسُوا رُءُوسَهُمْ عَنْ دِرَبِهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرَنَا وَسَمِعَنَا فَارْجَعْنَا نَعْمَلْ صَاحِلَاهَا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ، ولهذا قال تعالى : ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاؤُشَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ، أي : وكيف لهم []^[٣] تعاطي الإيمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا إلى الدار^[٤] الآخرة ، وهي دار الجزاء لا دار للبناء ، فلو كانوا آمنوا في الدنيا لكان ذلك نافعهم ، ولكن بعد مصيرهم إلى الدار الآخرة لا سبيل لهم إلى قبول الإيمان ، كما لا سبيل إلى حصول الشيء لمن يتناوله من بعيد .

قال مجاهد : ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاؤُشَ﴾ ، قال : التناول لذلك .

وقال الزهري : التناوش : تناولهم الإيمان وهم في الآخرة ، وقد انقطعت عنهم الدنيا^[٥] .

وقال الحسن البصري : أما إنهم طلبو الأمر من حيث لا ينال ، تعاطوا الإيمان من مكان بعيد .

[١] - في ز : « متصل » .

[٢] - في خ : « خسف » ، وفي ز : « حشف » .

[٣] - ما بين المعقوفين في ز : « عن » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

وقال ابن عباس : طلبوا الرجعة إلى الدنيا والتوبة مما هم فيه ، وليس بحين رجعة ولا توبة .
وكذا قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله .

وقوله : ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلِهِ﴾ ، أي : كيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة ، وقد كفروا بالحق في الدنيا ، وكذبوا الرسل ؟ .

﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ، قال مالك ، عن زيد بن أسلم : ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ، قال : بالظن .

قلت : كما قال تعالى : ﴿رَجَمَا بِالْغَيْبِ﴾ ، فتارة يقولون : شاعر . وتارة يقولون : كاهن .
وتارة يقولون : ساحر . وتارة يقولون مجنون إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة ويكتذبون بالغيب
والشوارع والمعاد : ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّ نَظَنَ إِلَّا ظَنًا وَمَا لَهُنْ بِمُسْتَقِرِّينَ﴾ .

قال فتادة : يرجمون بالظن ، لا بعث ولا جنة ولا نار .

وقوله : ﴿وَحِيلٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ ، قال الحسن البصري ، والضحاك ، وغيرهما :
يعني الإيمان .

وقال السدي : ﴿وَحِيلٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ ، وهي : التوبة . وهذا اختيار ابن جرير ،
رحمه الله .

وقال مجاهد : ﴿وَحِيلٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من هذه الدنيا ، من مال وزهرة وأهل .

وروي عن ابن عباس وابن عمر والربيع بن [١] أنس . وهو قول البخاري وجماعة .

والصحيح أنه لا منافاة بين القولين ، فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين [٢] ما طلبوه في الآخرة ، فمنعوا منه .

وقد ذكر ابن أبي حاتم هاتنا أثراً غريباً عجيباً جداً ، فلنذكره بطوله فإنه قال : حدثنا محمد
ابن يحيى ، حدثنا بشر بن حجر السامي ، حدثنا علي بن منصور الأبياري ، عن الشَّرَقَى بن
قُطَّامِى ، عن سعد بن طريف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قول الله عز وجل : ﴿وَحِيلٌ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ إلى آخر الآية ، قال : كان رجل من بنى إسرائيل فاتحاً أي : فتح الله له
مالاً - فمات فوراً ابن له تافه - أي : فاسد - فكان يعمل في مال الله بمعاصي الله . فلما رأى
ذلك إخوانه أثراً الفتى فعدلوه ولاموه ، فضجر الفتى فباع عقاره بصامت ، ثم رحل فأئمنا

[١] - في خ : « وهى » .

[٢] - في خ : « و » .

ثجاجة فسرح فيها ماله ، وابتني قصرا . في بينما هو ذات يوم جالس إذ شملت عليه ريح [١] بأمرأة من أحسن الناس وجهها وأطيفهم أرجحا - أي : ريجا - فقالت : من أنت يا عبد الله ؟ فقال : أنا امرؤ من بنى إسرائيل . قالت : فلنك هذا القصر ، وهذا المال ؟ قال : نعم ، قالت : فهل لك زوجة ؟ قال : لا . قالت : فكيف يهنيك العيش ولا زوجة لك ؟ قال : قد كان ذلك . فهل لك من تجعل ؟ قالت : لا . قال : فهل لك إلى أن أتزوجك ؟ قالت : إني امرأة منك على مسيرة ميل ، فإذا كان غد فتزود زاد يوم وأتي ، وإن رأيت في طريقك هولا فلا يهولك . فلما كان من الغد تزود زاد يوم ، وانطلق فاتته إلى قصر ، فقرع رتاجه ، فخرج إليه شاب من أحسن الناس وجهها وأطيفهم أرجحا - أي : ريجا - فقال : من أنت يا عبد الله ؟ فقال : أنا الإسرائيلي . قال : فما حاجتك ؟ قال : دعنتي صاحبة هذا القصر إلى نفسها . قال : صدقت ، فهل رأيت في طريقك هولا [٢] ؟ قال : نعم ، ولو لا أنها أخبرتني أن لا بأس على لهالي الذي رأيت . [قال : ما رأيت ؟ [٣] قال : أقبلت حتى إذا انفوج بي السبيل إذ أنا بكلبة فاتحة فاما ، ففرعت ، فوثبت فإذا أنا من ورائها ، وإذا جرأوها يبحن في بطئها ، فقال له الشاب : لست تدرك هذا ، هذا يكون في آخر الزمان ، يقاعد الغلام المشيخة في مجلسهم ويترتهم [٤] حديثهم .

قال : ثم أقبلت حتى إذا [٥] انفوج بي السبيل ، إذا أنا بمائة عتب تحفل [٦] ، وإذا فيها جدي يصها ، فإذا أتى عليها وظن أنه لم يترك شيئا ، فتح فاه يلتمس الزيادة . فقال [٧] : لست تدرك هذا ، هذا يكون في آخر الزمان ، ملك يجمع صامت الناس كلهم ، حتى إذا ظن أنه لم يترك شيئا فتح فاه يلتمس الزيادة .

قال : ثم أقبلت حتى إذا [٨] انفوج بي السبيل إذا أنا [٩] بشجر ، فأعجبني غصن من شجرة منها ناضر ، فأردت قطعه ، فنادتني شجرة أخرى : « يا عبد الله ، مني فخذ ». حتى ناداني الشجر أجمع : « يا عبد الله ؛ منا فخذ ». قال : لست تدرك هذا ، هذا يكون في آخر الزمان ، يقل الرجال ويكثر النساء ، حتى إن الرجل ليخطب امرأة فتدعواه العشر والعشرون إلى أنفسهن .

قال : ثم أقبلت حتى إذا انفوج بي السبيل إذا أنا برجل قائم على عين ، يغرف لكل إنسان من الماء ، فإذا تصدعوا عنه صب في جرته فلم تعلق جرته من الماء بشيء . قال : لست تدرك هذا ، هذا يكون في آخر الزمان ، القاص يعلم الناس العلم ثم يخالفهم إلى معاصي الله .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ت : « يذهم » .

[٦] - في ز : « تحفل » .

[٨] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز : « قال » .

[٩] - سقط من : ز .

قال : ثم أقبلت حتى إذا انفوج بي السبيل إذا أنا بعنز ، وإذا قوم^[١] قد أخذوا بقوائمها ، وإذا رجل قد أخذ بقرنيها ، وإذا رجل قد أخذ بذبها ، وإذا رجل قد ركبها ، وإذا رجل يحلبها . فقال : أما العنز فهي الدنيا ، والذين أخذوا بقوائمها يتسلطون من عيشها ، وأما الذي قد أخذ بقرنيها فهو يعالج من عيشها ضيقاً ، وأما الذي أخذ بذبها فقد أذربت عنه ، وأما الذي^[٢] ركبها فقد تركها . وأما الذي يحلبها فبيخ بخ ، ذهب ذلك بها .

قال : ثم أقبلت حتى إذا انفوج بي السبيل ، وإذا^[٣] أنا برجل يمْنَع على قليب ، كلما أخرج دلوه صبه في الحوض ، فانساب الماء راجعا إلى القليب . قال : هذا رجل رَدَ الله صالح عمله ، فلم يقبله .

قال : ثم أقبلت حتى إذا انفوج بي السبيل ، إذا أنا برجل يذر بذرًا فيستحصد ، فإذا حنطة طيبة . قال : هذا رجل قبل الله صالح عمله ، وأزكاه له .

قال : ثم أقبلت حتى إذا انفوج بي السبيل ، إذا أنا برجل مستلق على قفاه ، قال^[٤] : يا عبد الله ، ادن مني فخذ يدي وأقعدني ، فوالله ما قعدت منذ خلقتني الله - عز وجل - فأخذت بيده ، فقام يسعى حتى ما أراه . فقال له الفتى : هذا عمر الأبد تقد ، أنا^[٥] ملك الموت [وأنما المرأة التي أتنك^[٦] ... أمرني الله عز وجل بقبض روح الأبد في هذا المكان ، ثم أصبره^[٧] إلى نار جهنم . قال : ففيه نزلت هذه : ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُون﴾ الآية .

هذا أثر غريب^[٨] ، وفي صحته نظر ، وتنتزيل الآية عليه وفي حقه يعني أن الكفار كلهم يتوفون^[٩] وأرواحهم متعلقة بالحياة الدنيا ، كما جرى لهذا المغدور المفتون ، ذهب بطلب^[٩] مراده فجاءه الموت فجأة بغنة ، وحيل بيته وبين ما يشهي .

وقوله : ﴿كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعْهُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ ، أي : كما جرى للأمم الماضية المكذبة للرسل ، لما جاءهم بآيات الله تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم ، ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَا قَالُوا : آمَنَا بِاللهِ وَحْدَهُ ، وَكَفَرْنَا بِمَا كَنَا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بآسنا سنته الله التي قد خلت في عباده . وخسر هنالك الكافرون^[٩] .

(٤٦) الأثر ذكره السيوطي في الدر المنشور (٢١٦/٦) وعزاه لابن أبي حاتم .

[١] - في ت : « بقوم » .

[٢] - بعده في خ ، ز : « قد » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « قال » .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - في ز : « أصبره » .

[٧] - في ز : « ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

[٨] - في خ : « يتوفون » .

[٩] - في ز : « يطلب » .

وقوله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍ مُرِيبٍ﴾ ، أي : كانوا في الدنيا في شك وربة ، فلهذا لم يتقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب .

قال قنادة : إياكم والشك والربة ! فإنه من مات على شك بعث عليه ، ومن مات على يقين بعث عليه .

آخر تفسير سورة سباء ، ولله الحمد والمنة .



تفسير سورة فاطر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجْنَحَةٌ مُّثْنَى وَثُلَاثَةٌ
وَرَبِيعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**



قال سفيان الثوري ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : كنت لا أدرى ما فاطر السموات والأرض ، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بتر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، أنا بدأتها . فقال ابن عباس أيضًا : ﴿فاطر السموات والأرض﴾ ، بديع السموات والأرض^(١) .

وقال الضحاك : كل شيء في القرآن : فاطر السموات والأرض ؛ فهو خالق السموات والأرض^(٢) .

وقوله : ﴿جاعل الملائكة رسلا﴾ ، أي : بينه وبين أنبيائه ، ﴿أولي أجنحة﴾ ، أي : يطيرون بها ليبلغوا ما أمروا به سريعاً مثني وثلاث ورباع﴾ ، أي : منهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة ، ومنهم من له أربعة ، ومنهم من له أكثر من ذلك ، كما جاء في الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل ليلة الإسراء وهو ستمائة جناح ، بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب^(٣) . ولهذا قال : ﴿يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قادر﴾ .

قال السدي : يزيد في الأجنحة وخلقهم ما يشاء . وقال الزهري ، وأبن حريم في قوله : ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ ، يعني : حسن الصوت . رواه عن الزهري^[١] البخاري في الأدب ، وأبن أبي حاتم في تفسيره^(٤) .

(١) - رواه أبو عبيد في فضائله ص (٣٤٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (١٦٨٢) من طريق يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، به . وأورده السيوطي في الدر (٤٥٨/٥) وعزاه عبد بن حميد ، وأبن المنذر ، وأبن أبي حاتم .

(٢) - أخرجه ابن أبي حاتم كما عزاه إليه السيوطي في الدر (٤٥٨/٥) .

(٣) - تقدم في سورة الإسراء .

(٤) - وأورده السيوطي (٤٥٨/٥) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وأبن المنذر ، والبيهقي في الشعب .

[١] - في خ ، ز : « السدي » .

وَقُرِئَ فِي الشَّادِ : (بَيْزِيدُ فِي الْخَلْقِ) ، بِالْحَاءِ الْمُهَمَّلَةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۚ وَمَا يُمْسِكَ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۝

 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

يَخْبُرُ تَعَالَى أَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشأْ لَمْ يَكُنْ ، وَأَنَّهُ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى ، وَلَا مَعْطَى لِمَا مَنَعَ .

قال الإمام أحمد^(١) : حدثنا علي بن عاصم ، حدثنا مغيرة ، أخبرنا عامر ، عن ورداد^[١] - مولى المغيرة بن شعبة - قال : كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة : اكتب إلى بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدعاني المغيرة فكتبت إليه : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من الصلاة قال : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ». وسمعته ينهى عن : « قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال ، وعن وأد البنات ، وعقوق الأمهات ، ومنع وهات ». .

وأخرجاه من طرق عن ورداد^[٢] به .

وَبَثَتْ فِي صَحِيفَةِ مُسْلِمٍ^(٢) عَنْ أَنَّى سَعِيدَ الْخَدْرِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْوَعِ يَقُولُ : « سَمِعَ اللَّهُ مِنْ حَمْدِهِ ، اللَّهُمَّ رِبِّنَا لَكَ الْحَمْدُ ، [مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ]^[٣] ، وَمِلْءُ مَا شَتَّتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَهُ . اللَّهُمَّ أَهْلِ الشَّاءَ وَالْجَدِ . أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ - وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ - اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مَعْطَى لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِ مِنْكَ الجَدَّ » .

وَهَذِهِ الْآيَةُ كَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ يُمْسِكَ اللَّهُ بِبَصَرٍ فَلَا كَاشِفٌ لَهُ إِلَّا هُوَ ، وَإِنْ يُرْدَكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادٌ لِفَضْلِهِ ۝ . ولهذا نظائر كثيرة .

وقال الإمام مالك^(٤) : كان أبو هريرة إذا مطرروا يقول : نظرنا بئْوَهُ الفتح ، ثم يقرأ هذه

(١) - رواه أحمد ١٨٢٨٥ - ١٨٢٨٥ (٤/٢٥٤) ، ١٨١٩١ ، والبخاري في الأذان برقم (٨٤٤) ، وأطراه (٦٣٢) ، (٦٤٧٣) ، (٦٦٥١) ، (٧٢٩٢) ، مسلم في المساجد ، وموضع الصلاة برقم (٥٩٣) .

(٢) - مسلم في الصلاة برقم (٤٧٧) .

(٣) - الموطأ (١٩٢/١) .

[١] - في ز : « واردة » .

[٢] - في ز : « واردة » .

[٣] - ما بين المعقوفين في ت : « مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » .

الآية : ﴿مَا يفتح اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا يَمْسِكُ لَهَا وَمَا يَمْسِكُ فَلَا مُرْسَلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ . ورواه ابن أبي حاتم ، عن يونس ، عن ابن وهب ، عنه .

يَأَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلِيقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَفَلَا تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له ، كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك قل يفرد بالعبادة ، ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان . وللهذا قال : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنِّي تُؤْفَكُونَ﴾ ، أي : فكيف تؤفكون بعد هذا البيان ، ووضوح هذا البرهان ، وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان ؟ .

وَإِنْ يُكَذِّبُوكُمْ فَقَدْ كَذَبْتُ رُسُلِّي مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَأَيُّهَا النَّاسُ
إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرِيَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِيَكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ
الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَنْجَحِ الْسَّعِيرِ



يقول : وإن يكذبوك - يا محمد - هؤلاء المشركون بالله ويخالفونك^[١] فيما جعلتهم به من التوحيد ، فلك فيمن^[٢] سلف قبلك من الرسل أسوة ؛ فإنهم كذلك جاءوا قومهم بالبيانات وأمرتهم بالتوحيد فكذبواهم وخالفوهم ، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ، [أي : وستجزيهم]^[٣] على ذلك أوفى الجزاء .

ثم قال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ ، أي : المعاد كائن لا محالة ، ﴿فَلَا تَغْرِنُوكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ، أي : العيشة الدنيوية^[٤] بالنسبة إلى ما أعد الله لأولئك وأتباع رسليه من الخير العظيم فلا تُنَاهُوا^[٥] عن ذلك الباقى بهذه الزهرة الفانية ، ﴿وَلَا يَغْرِيَكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ ، وهو الشيطان ، قاله ابن عباس . أي : لا يفتنكم الشيطان ويصرفكم عن اتباع رسول الله وتصديق كلماته ، فإنه غرّار كذاب أفالك . وهذه الآية كالآية التي في آخر لقمان : ﴿فَلَا تَغْرِنُوكُمُ الْدُّنْيَا وَلَا يَغْرِيَكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ .

[١] - في ز : « ويخالفونك » .

[٢] - في ز : « من » .

[٣] - ما بين المعقودتين في ز : « وستجزيهم » .

[٤] - في ز : « الدنيا » .

[٥] - في ز : « تُنَاهُوا » .

قال مالك ، عن زيد بن أسلم : هو الشيطان . كما قال : يقول المؤمنون للمنافقين يوم القيمة حين يضرب **﴿يَسِّرْهُمْ بِسُورَةِ لَهُ بَابٌ بِأَطْهَنِهِ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ العَذَابُ يَنَادِيهِمْ أَلَمْ** لكن معكم **قَالُوا بَلِي وَلَكُنْكُمْ فَتَتَمْ أَفْسِكُمْ وَتَرِصُّتُمْ وَارْتَبَتُمْ وَغَرْتُكُمُ الْأَمَانِيْ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرْكُمْ بِاللَّهِ الْغَرْرُورُ﴾**

ثم بين تعالى عداوة إبليس لابن آدم فقال : **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًا﴾** ، أي : هو مبارز لكم بالعداوة ، فعادوه أنتم أشد العداوة ، وخالفوه وكذبوا فيما يغركم به ، **﴿إِنَّمَا يَدْعُو حَزِيبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعْيِ﴾** ، أي : إنما يقصد أن يضلوك حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير ، فهذا هو العدو المبين . فنسأل الله القوى العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان ، وأن يرزقنا اتباع كتابه ، والاتفاق بطريق رسوله ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير . وهذه كقوله : **﴿وَإِذْ قَلَنَا لِلْمُلَائِكَةِ اسْجَدُوا لِلْأَدْمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسُ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفْتَخَذُونَهُ وَذْرِيَّتَهُ أُولَئِكَ مِنْ دُولَتِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌ بَشَّ لِلظَّالِمِينَ بَدْلًا﴾**

الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُنْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ
﴿أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا نَذَهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَتْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾



لما ذكر تعالى أن أتباع إبليس مصيرهم إلى السعير ، ذكر بعد ذلك أن **[الذين كفروا لهم]**^(١) عذاب شديد ، لأنهم أطاعوا الشيطان وغضوا الرحمن ، وأن الذين آمنوا بالله ورسله **﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾** ، أي : لما كان منهم من ذنب ، **﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾** على ما عملوه من خير .

ثم قال : **﴿أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾** ، يعني كالكافار والفحار ، يعملون أعمالاً سيئة ، وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنهم يحسرون شيئاً ، أي : **أَفَمَنْ**^(٢) كان هكذا قد أضل الله ، أللّه فيه حيلة ؟ لا حيلة لك فيه ، **﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾** ، أي : يقدره كان ذلك ، **﴿فَلَا تَذَهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَتْ إِنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ**^(٣) في قدره إنما يضل من يضل ويهدي من يهدي ، لما له في ذلك من الحجة

[١] - ما بين المukoتفين في ز : « للذين كفروا ». [٢] - في ز : « فمن » .

[٣] - في ز : « حليم » .

البالغة ، والعلم الشامل ، ولهذا قال : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم عند هذه الآية : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عوف المحمصي ، حدثنا محمد بن كثير ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي [١] عمرو السيباني [٢] [أو : ربيعة] ، عن عبد الله بن الديلمي [٣] قال : أتيت [٤] عبد الله بن عمرو ، وهو في حائط بالطائف يقال له : الوهط ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظَلْمَةٍ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورٍ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ نُورٍ يُوْمَنْدَ فَقَدْ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ مِنْهُ ضَلَّ، فَلَذِكَ أَقُولُ : جَفَّ الْقَلْمَنْ عَلَى مَا عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» [٥] .

ثم قال : حدثنا يحيى بن عبد القزويني ، حدثنا حسان بن حسان البصري ، حدثنا إبراهيم ابن بشر [٦] ، حدثنا يحيى بن معن ، حدثنا إبراهيم القرشي ، عن سعيد [٧] بن شريحيل ، عن زيد ابن أبي أوفى قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «الحمد لله الذي يهدى من الضلالة ، ويلبس الضلال على من أحب» [٨] .

(٨) - رواه الطيساني ٥٧ - (١/٣١) من طريق ابن المبارك ، وأحمد (٢/١٧٦) ، والحاكم (١/٣٠ - ٣١) من طريق أبي إسحاق الفزاروي ، والحاكم (١/٣١ - ٣٠) من طريق الوليد بن مزيد ، ومحمد بن كثير الموصيسي . ورواه ابن حبان في صحيحه (٢/١٨١٢) «موارد» ، من طريق ابن المبارك ، جميعهم عن الأوزاعي ، عن ربيعة بن يزيد ، عن عبد الله الديلمي ، بنحوه .

ورواه الترمذى في السنن برقم (٤٤/٢٦٤) من طريق إسماعيل بن عياش ، عن يحيى بن أبي عمرو السيباني ، عن عبد الله الديلمي ، بنحوه ، وقال الترمذى : «هذا حديث حسن» .

ورواه أحمد (٢/١٩٧) من طريق أبي المغيرة ، ثنا محمد بن مهاجر ، أخبرنا عروة بن روي ، عن عبد الله الديلمي ، به نحوه .

(٩) - إبراهيم بن بشر ، قال أبو حاتم (٢/٩٠) : هو مجهول ، ويحيى مجهول . وهذا الحديث هو جزء من حديث طويل في المواحة بين الصحابة ، رواه البخاري في التاريخ الصغير (١/٢٥٠) فقال : حدثنا حسان بن حسان ، عن إبراهيم بن بشر ، عن يحيى بن [معن] المدنى ، عن إبراهيم القرشي ، عن سعيد بن شريحيل ، عن زيد بن أبي أوفى فذكره ، ثم قال بعدما أورده : «وهذا إسناد مجهول لا يتابع عليه ، ولا يعرف سماع بعضهم من بعض» . ورواه الطبرانى في المعجم الكبير (٥/٢٢٠) من طريق عبد المؤمن بن عباد ، عن يزيد ابن معن ، عن عبد الله بن شريحيل ، عن رجل من قريش ، عن زيد بن أبي أوفى ببطوله ، ورواه ابن الأثير في أسد الغابة (٢/٢٢٨) من طريق شعيب بن يونس ، عن موسى بن صهيب ، عن يحيى بن زكريا ، عن عبدالله بن شريحيل ، عن رجل من قريش ، عن زيد بن أبي أوفى . وقال ابن السكن : روی حدیثه من ثلاث طرق ، ليس فيها ما يصح . وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/٤١) في ترجمة زيد : روی حدیث المواحة بتضامنه ؛ إلا أنَّ في إسناده ضعفاً .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في خ ، ز : «الشيباني» .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ت ، والجرح والتعديل : « بشير » .

[٥] - في ت : « سعد » .

وهذا أيضاً حديث غريب جداً.

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرَّيْحَ فَتَشَرُّ سَحَابًا فَسَقَنَهُ إِلَى بَلَدِ مَيْتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتَهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿١﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلَلَّهُ الْعِزَّةُ جِيمِعًا إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمُ الْطَّيْبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُوُرُ ﴿٢﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُثْنَى وَلَا تَقْصُمُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مُعْمَرٍ وَلَا يُنَقْصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٣﴾

كثيراً ما يستدل تعالى على المعاد بإحياءه الأرض بعد موتها - كما في سورة الحج يتباهى عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك ، فإن الأرض تكون ميتة هامدة لا نبات فيها ، فإذا أرسل إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها ، «اهتزت وربت وأنبت من كل زوج يحيى» ، كذلك الأجساد^[١] ، إذا أراد الله سبحانه بعثها ونشرورها ، أنزل من تحت العرش مطرًا يعم^[٢] الأرض جميماً فنبت الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض ولهذا جاء في الصحيح : «كل ابن آدم يليل^[٣] إلا عجب^[٤] الذئب ، منه خلق ومنه^[٥] يركب». ولهذا قال تعالى : «كذلك النشور» .

وتقديم في «الحج» حديث أبي رزين قلت : يا رسول الله ، كيف يحيى الله الموتى ؟ وما آية ذلك في خلقه ؟ . قال : «يا أبي رزين ، أما مهرت بوادي قومك محللاً^[٦] ثم مهرت به يهتز خضراء^[٧]» قلت : بلى . قال : «فكذلك يحيى الله الموتى» .

وقوله : «من كان يريد العزة فللها العزة جميماً» ، أي : من كان يحب أن يكون عزيزاً في الدنيا والآخرة ، فليلزم^[٨] طاعة الله فإنه يحصل له مقصوده ، لأن الله مالك الدنيا والآخرة ، وله العزة جميماً [كما قال تعالى : «الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أليسغون عندهم العزة فإن العزة لله جميماً»]^[٩] .

[١] - في خ ، ز : «الأجسام» .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : «وفيه» .

[٤] - في ز : «فليزم» .

[٥] - في ز : «نعم» .

[٦] - في ز : «عجم» .

[٧] - في ز : « محللاً» .

[٨] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

وقال تعالى : ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعَزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ، وقال : ﴿وَلِلَّهِ الْعَزَّةُ وَلِرَسُولِهِ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكُنَ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

قال مجاهد : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَزَّةَ﴾ بعبادة الأوثان ، ﴿فَإِنَّ الْعَزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ .

وقال قتادة : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَزَّةَ فَإِنَّ الْعَزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ، أي : فليتعزز بطاعة الله عز وجل .

وقيل : من كان يريد علم العزة ، من هي ؟ ﴿فَإِنَّ الْعَزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ، حكاه ابن جرير .

وقوله : ﴿إِلَيْهِ يَصُدُّ الْكَلْمَ الطَّيْبَ﴾ ، يعني : الذكر والتلاوة والدعاء . قاله غير واحد من السلف .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي ، أخبرني جعفر بن عون ، عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي ، عن عبد الله بن المخارق ، عن أبيه المخارق بن سليم قال : قال لنا عبد الله - هو ابن مسعود - إذا حدثناكم حديثاً أتياناكم بتصديق ذلك من كتاب الله : إن العبد المسلم إذا قال : «سبحان الله وبحمده ، والحمد لله ، و[۲] لا إله إلا الله ، و[۳] الله أكبر ، تبارك الله» [۴] ، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ، ثم صعد بهن إلى السماء فلا يمزّ بهن على جمّع من الملائكة إلا استغفروا لقائهن ، حتى يحيى بهن وجه الرحمن عز وجل ، ثمقرأ عبد الله : ﴿إِلَيْهِ يَصُدُّ الْكَلْمَ الطَّيْبَ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ .

وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، أخبرنا سعيد [۵] الجريري ، عن عبد الله بن شقيق قال : قال كعب الأخبار : إن لـ «سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر» لدوياً حول العرش كدوبي النحل ، يذكرون ب أصحابهن ، والعمل الصالح في الخزائن [۱۰] .

وهذا إسناد صحيح إلى كعب الأخبار رحمة الله ، وقد روی مروغاً .

قال الإمام أحمد [۱۱] : حدثنا ابن ثوير ، حدثنا موسى - يعني بن مسلم الطحان - عن عون ابن عبد الله ، عن أبيه - أو : عن أخيه - عن التعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله

(۱۰) - تفسير ابن جرير (١٢٠/٢٢) .

(۱۱) - المسند ١٨٤١٥ - (٤/٢٦٨) ورواية ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٨٩/١٠) . والدُّوِيُّ : صوت ليس بالعلمي . نهاية [٢/١٤٣] .

[۱] - في ز : « يفهون » .

[۲] - سقط من : ز .

[۳] - سقط من : ز .

[۴] - سقط من : خ .

عليه وسلم : «الذين يذكرون الله من جلال الله ، من تسبيحه وتكبيره وتحميه وتهليله ، يعاظن حول العرش ، لهن دوي كدوبي النحل ، يذكرون بصاحبئن ؛ ألا يحب^[١] أحدكم أن لا يزال^[٢] له عند الله شيء يذكر به» .

وهكذا رواه ابن ماجة^[٣] عن أبي بشر^[٤] بكر بن حلف ، عن يحيى بن سعيد القطان ، عن موسى بن أبي عيسى^[٥] الطحان ، عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن أبيه - أو : عن أخيه - عن النعمان بن بشير ، به^[٦] .

وقوله : «والعمل الصالح يرفعه» ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : الكلم الطيب : ذكر الله ، يصعد به إلى الله عز وجل ، [والعمل الصالح أداء فرائضه]^[٧] ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه ، رد كلامه على عمله ، فكان أولى به .

وكذا قال مجاهد : العمل الصالح^[٨] يرفع الكلام الطيب . وكذا قال أبو العالية ، وعكرمة ، وإبراهيم النخعي ، والضحاك ، والسدي ، والريبع بن أنس ، وشهر بن حوشب ، وغير واحد . وقال إياس بن معاوية القاضي : لو لا العمل الصالح لم يرفع الكلام . وقال الحسن ، وقتادة : لا يقبل قول إلا بعمل .

وقوله : «والذين يذكرون السينات» ، قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وشهر بن حوشب : هم المراءون بأعمالهم ، يعني يذكرون الناس ، يوهمون أنهم في طاعة الله ، وهم بعضاء إلى الله عز وجل ، يراءون بأعمالهم ، «ولا يذكرون الله إلا قليلا» . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هم المشركون .

والصحيح أنها عامة ، والمشركون داخلون بطريق الأولى . ولهذا قال : «لهم عذاب شديد ، ومكر أولئك هو بيور» ، أي : يفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن قريب لأولي البصائر والتهي ، فإنه ما أسرّ عبد سريرة إلا أبداه الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه ، وما أسر أحد سريرة إلا كشاه الله رداءها ، إن خيراً فخير ، وإن شرًا فشر . فالمرأى لا يروج أمره ويستمر إلا على غبي ، أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم ، بل يكتشف لهم عن قريب ، وعالم الغيب لا تخفي عليه خافية .

(١٢) - أخرجه ابن ماجة في كتاب الأدب ، باب : فضل التسبيح ، حديث (٣٨٠٩) ، (١٢٥٢/٢) ، وقال البوصيري في الزوائد (١٩٣/٣) : « هنا إسناد صحيح رجاله ثقات » .

[١] - في ز : « يحبن » والثابت موافق للمسند .

[٢] - في خ ، ز : « يذكرون » والثابت موافق للمسند . [٣] - بعده في ز : « بن » .

[٤] - سقط من : خ ، ز . [٥] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - ما بين المعقودتين سقط من : خ ، ز . [٧] - سقط من : ز .

وقوله : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّنْ تَرَابٍ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ، أي : ابتدأ خلقكم آدم من تراب ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ، أي : ذكرًا وأنثى ، لطفاً منه ورحمةً أن جعل لكم أزواجاً من جنسكم ، لتسكنوا إليها .

وقوله : ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَثْنَى وَلَا تَضْعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ ، أي : هو عالم بذلك ، لا يخفى عليه من ذلك شيء ، بل ﴿مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ ، ولا حجة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا ياس ، إلا في كتاب مبين ﴿﴾ .

وقد تقدم الكلام على قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أَثْنَى وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ﴾ ، إلى قوله : ﴿الْمُتَعَالُ﴾ .

وقوله : ﴿وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مَعْمَرٍ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عَمَرٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ ، أي : ما يعطى بعض النطف من العمر الطويل يعلمه ، وهو عنده في الكتاب الأول ، ﴿وَمَا يَنْقُصُ مِنْ عَمَرٍ﴾ [١] [٢] [٣] على الجنس ، لا على العين ، لأن العين الطويل العمر في الكتاب وفي [٤] علم الله لا ينقص من عمره ، وإنما عاد الضمير على الجنس .

قال ابن جرير : وهذا كقولهم : «عندى ثوب ونصفه» ، أي : ونصف آخر .

وروى من طريق العوفي ، عن ابن عباس [١] في قوله : ﴿وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عَمَرٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنْ ذَلِكَ [عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ، يقول : ليس أحد قضيت له طول عمر وحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت ذلك [٣] [٤] له ، فإنما يتنهى إلى الكتاب الذي قدرت لا يزداد عليه ، وليس أحد قضيت له أنه قضير العمر والحياة يبالغ العمر ، ولكن يتنهى إلى الكتاب الذي كتبته له ، فذلك قوله : ﴿وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عَمَرٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ، إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ، يقول : كل ذلك في كتاب عنده . وهكذا قال الضحاك بن مزاحم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه : ﴿وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عَمَرٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ ، قال : ما لفظت الأرحام من الأولاد من غير تمام . وقال عبد الرحمن في تفسيرها : ألا ترى الناس ، يعيش الإنسان مائة سنة ، وأخر يوموت حين يولد ، فهذا هذا . وقال قادة : والذي ينقص من عمره : فالذي يموت قبل ستين سنة . وقال مجاهد : ﴿وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عَمَرٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ ، أي : في بطن أمه يكتب له ذلك ، لم يخلق الخلق على عمر واحد ، بل [٤] لهذا عمر ، ولهذا عمر هو أقصى من عمره ، وكل ذلك مكتوب لصاحبه ، بالغ ما بلغ .

(١٢) - تفسير الطبراني (١٢٢/٢٢) .

[١] - ما بين المعقودين في ز : «عائد الضمير» . [٢] - في ز : «أن» .

[٣] - ما بين المعقودين سقط من : ز .

[٤] - سقط من : ز .

وقال بعضهم : بل معناه : ﴿وَمَا يَعْمَلُ مِنْ عَمَرٍ﴾ ، أي : ما يكتب من الأجل ﴿وَلَا [١]﴾ ينقص من عمره ﴿﴾ ، وهو ذهابه قليلاً قليلاً ، الجميع معلوم عند الله سنة بعد سنة ، وشهراً بعد شهر ، وجمعة بعد جمعة ، ويوماً بعد يوم ، وساعة بعد ساعة ، الجميع مكتوب عند الله في كتاب .

نقله ابن جرير عن أبي مالك ^(١) . وإليه ذهب السدي ، وعطاء الخراساني . واختار ابن جرير الأول ، وهو كما قال .

وقال النسائي عند تفسير هذه الآية الكريمة : حدثنا أحمد بن يحيى بن أبي زيد بن سليمان ، سمعت ابن وهب ، يقول : حدثني يونس ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من سره أن يسط له في رزقه ، ويسأله في أجله فليصل رحمه» .

وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود ، من حديث يونس بن يزيد الأيلبي به ^(٥) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ^[٢] ، حدثنا الوليد بن عبد الملك بن عبد الله أبو مسرح ، حدثنا [عثمان بن عطاء] ^[٣] ، عن مسلمة ^[٤] بن عبد الله ، عن عمه أبي مشجعه ابن رعي ، عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : ذكرنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «إن الله لا يؤخر نفسي إذا جاء أجلها ، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد ، فيدعون له من بعده ، فيلحقه دعاؤهم في قبره ، فذلك زيادة العمر» ^(٦) .

وقوله : ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ، أي : سهل عليه يسير ، لديه علمه بذلك وتفصيله

(١) - تفسير الطبرى (١٢٣/٢٢).

(٥) - رواه النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٢٩) ، والبخاري في البيوع برقم (٢٠٦٧) ، ومسلم في البر والصلة والأداب برقم (٢٥٥٧) ، وأبو داود برقم (١٦٩٣).

(٦) - رواه العقيلي في الضغفاء (١٣٤/٢) في ترجمة سليمان بن عطاء ، وقال : لا يتابع عليه بهذا اللفظ ، وقد روى بحق هذا الإسناد باللفظ : «الولد الصالح يتركه الرجل فيدعوه له فيلحقه دعاؤه» من طريق صالح الإسناد ، والكلام الأول في الحديث ليس بمحفوظ . ورواه كذلك ابن عدي (١١٣٣/٣) وقال : ولسميمان ابن عطاء عن سلمة ، عن عمه أبي مشجعه ، عن أبي الدرداء وغيره ، غير ما ذكرت من الحديث ، وفي بعض أحاديثه وليس بالكثير مقدار ما يرويه بعض الإنكار كما ذكره البخاري . وقال البخاري : سليمان بن عطاء في حديثه بعض مناكير .

[١] - في ز : «ما» .

[٢] - بعده في خ ، ز : «بن الوليد» .

[٣] - عند ابن عدي ، والعقيلي : سليمان بن عطاء . [٤] - في ز : «سلمة» .

جَمِيع مَخْلُوقَاتِهِ، فَإِنْ عَلِمَ شَامِلٌ لِجَمِيعِ ذَلِكَ لَا يَخْفِي [عَلَيْهِ مِنْهُ] شَيْءٌ.

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِعٌ شَرَابِهِ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ
تَأْكُلُونَ لَهُمَا طَرِيْكًا وَتَسْتَخِرُونَ حِلَيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَارِخَ
لِتَبْغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ 

يقول تعالى من بها على قدرته العظيمة في خلقه الأشياء المختلفة: و^[١]خلق البحرين العذب والزلال، وهو هذه الأنهر السارحة بين الناس، من كبار وصغار، بحسب الحاجة إليها في الأقاليم والأمساك، والعمران والبراري والقفاري، وهي عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك، «وهذا ملح أجاج»، وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكبار، وإنما تكون مالحة زعافاً مُرّة، ولهذا قال: «وهذا ملح أجاج»، أي: مر.

ثم قال: «وَمَنْ كُلَّ تَأْكُلُونَ لَهُمَا طَرِيْكًا»، يعني السمك، «وَتَسْتَخِرُونَ حِلَيَّةً تَلْبَسُونَهَا»، كما قال تعالى: «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلَؤُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانَ».

وقوله: «وَرَى الْفَلَكَ [فِيهِ مَوَارِخَ]»^[٢]، أي: تخره وتشقه بحizروها، وهو مقدمها المُسْنَمُ الذي يشبه جُؤُجُؤُ الطير - وهو: صدره.

وقال مجاهد: تخر الريح السفن، ولا يخر الريح من السفن إلا العظام.

وقوله: «لِتَبْغُوا مِنْ فَضْلِهِ»، أي: بأسفاركم بالتجارة، من قطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم «وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»، أي: تشكرؤكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم، وهو البحر، تتصرفون فيه كيف شئتم، وتذهبون أين أردتم، و^[٣]لا يمتنع عليكم شيء منه، بل بقدرته قد سخر لكم ما في السموات وما في الأرض، الجميع من فضله ومن رحمته.

يُولِجُ الْيَتَلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الْيَلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلُّ يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمَّى ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُوكُمْ مِنْ قِطْمَيْرِ  إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوكُمْ

[١] - سقط من: ز.

[٢] - ما بين المعقوفين في ز: « مواخر فيه ». [٣] - سقط من: ز.

دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا أَسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشَرِيكِكُمْ وَلَا
يُنِيبُوكُمْ مِثْلُ خَيْرٍ



وهذا أيضًا من قدرته التامة وسلطانه العظيم ، في تسخيره الليل بظلماته والنهر بضيائه ، ويأخذ من طول هذا فيزيده على قصر هذا فيعتدLAN . ثم يأخذ من هذا في هذا فيطول هذا ويقصر هذا ، ثم يتقاربان صيفاً وشتاءً ، ﴿ وسخر الشمس والقمر ﴾ ، أي : والنجوم السيارات [١] ، والتوابع الثاقبات [٢] بأضوائهن أجرام السماوات ، الجميع يسيرون بقدر معين ، وعلى منهاج مقنن محمر ، تقديراً من عزيز عليم .

﴿ كُلُّ يَجْرِي لِأَجْلٍ [٣] مُسْمِي ﴾ ، أي : إلى يوم القيمة .

﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ أي : الذي فعل هذا هو رب العظيم ، الذي لا إله غيره ، ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ ، أي : من الأنداد والأصنام التي هي على صورة من ترعمون من الملائكة المقربين ، ﴿ مَا يُلْكُونَ مِنْ قَطْمِيرٍ ﴾ .

قال ابن عباس ، ومجاده ، وعكرمة ، وعطاء ، وعطيه [٤] العوفي ، والحسن ، وفتادة ، وغيرهم : القطمير : هو اللفافة التي تكون على نواة التمرة . أي : لا يملكون من السماوات والأرض شيئاً ، ولا بقدر هذا القطمير .

ثم قال : ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوْ دَعَاءَكُمْ ﴾ ، يعني : الآلة التي تدعونها من دون الله لا يسمعون دعاءكم ، لأنها جماد لا أرواح فيها . ﴿ وَلَوْ سَمِعُوا مَا أَسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾ ، أي : لا يقدرون على ما تطلبون منها ، ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشَرِيكِكُمْ ﴾ ، أي : يتبرعون منكم ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضْلَلَ مِنْ يَدْعُوْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حَشَرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءٍ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ ، وقال : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عَزَّاً كَلَّا سِيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيُكَوِّنُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًا ﴾ .

وقوله : ﴿ وَلَا يُنِيبُوكُمْ مِثْلُ خَيْرٍ ﴾ ، أي : ولا يخبرك بعواقب الأمور ومالها وما تصير إليه ، مثل خيير بها . قال قتادة : يعني نفسه تبارك وتعالى ، فإنه أخبر بالواقع لا محالة .

[١] - في ز : « السائرات » .

[٢] - في ز : « الباقيات » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المくوفين في ز : « إلى أجل » .

يَتَبَّأَّلُ النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَاءُ
يُذْهِبُكُمْ وَيَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ
وَازْدَرَةٌ وَرَدَ أَخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةً إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا
قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَفَامُوا الْصَّلَوةَ وَمَنْ تَرَكَ
فَإِنَّمَا يَتَرَكَ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

يخبر تعالى بغنائه عما سواه، وبافتقار المخلوقات كلها إليه، وتذللها بين يديه، فقال : ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ ، أي : هم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو الغني عنهم بالذات، ولهذا قال : ﴿وَاللهٗ [١] هو الغني الحميد﴾ ، أي : هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له ، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله ، ويقدر ويشرعه .

وقوله : ﴿إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبُكُمْ وَيَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ، أي : لو شاء لأذهبكم أيها الناس وأتى بقوم غيركم ، وما هذا عليه بصعب ولا منتفع ؛ ولهذا قال : ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ .

وقوله : ﴿وَلَا تَرَرْ وَازْرَةٌ وَرَدَ أَخْرَىٰ﴾ ، أي : يوم القيمة ، ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةً إِلَى حِمْلِهَا﴾ ، أي : وإن تدع نفس مثقلة بأوزارها إلى أن تساعد على حمل ما عليها من الأوزار أو بعضه ، ﴿لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ، أي : ولو كان قريباً إليها ، حتى ولو كان أباها أو ابنها ، كل مشغول بنفسه وحاله .

قال عكرمة في قوله : ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةً إِلَى حِمْلِهَا﴾ الآية ، قال : هو الجار يتعلق بجاره يوم القيمة ، فيقول : يارب ، سل هذا : لم كان يغلق بابه دوني ؟ وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيمة ، فيقول له : يا مؤمن ، إن لي عندك يداً ، قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا ، وقد احتجت إليك اليوم . فلا يزال المؤمن يشفع له إلى ربـه - عز وجل - حتى يرده إلى [منزل دون][٢] منزله ، وهو في النار . وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيمة ، فيقول : يابني ، أي والد كنت لك ؟ فشيئي خيراً ، فيقول له : يابني ؛ إني قد احتجت إلى مثقال ذرة من حسانتك أنجو بها مما ترى . فيقول له ولده : يا أبـت ، ما أيسـرـ ما طـلـبتـ ! ولكنـيـ أـتـخـوفـ مثلـ ماـ تـخـوـفـ ، فـلاـ أـسـطـيعـ أـعـطـيـكـ شـيـئـاـ . ثـمـ يـتـعـلـقـ بـزـوـجـتـهـ فـيـقـولـ : يا فـلـانـةـ - أوـ : يا هـذـهـ - أي زـوـجـ كـنـتـ لكـ ؟ فـشـيـئـيـ خـيـراـ ، فـيـقـولـ لـهـ : إـنـيـ أـطـلـبـ إـلـيـكـ حـسـنـةـ وـاحـدـةـ تـهـبـيـهـاـ[٣]ـ لـيـ ، لـعـلـيـ أـنـجـوـ بـهـ ماـ

[١] - ما بين المukoفين سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « تهبيها » .

ترين . قال : فتقول : ما أيسر ما طلبت ! ولكنني لا أطيرك شيئاً ، لاني أتخوف مثل الذي تتخوف ، يقول الله : ﴿إِن تدع مثقلة﴾ الآية ، ويقول الله : ﴿لَا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً﴾ ، ويقول تعالى : ﴿يَوْمَ يفرُّ الْمَرءُ مِنْ أَخْيَهُ، وَأَمْهَهُ وَأَيْهِهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبْنِهِ . لَكُلُّ امْرَئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئذٍ شَانٌ يَغْنِيهِ﴾ .

رواه ابن أبي حاتم رحمة الله ، عن أبي عبد الله الطهراني ، عن حفص بن عمر ، عن الحكم ابن أبيان ، عن عكرمة به .

ثم قال : ﴿إِنَّمَا تَذَرُّ الظَّنِينَ يَخْشُونَ رِبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ ، أي : إنما يتعظ بما جئت به أولو البصائر والنبي ، الخائفون من ربهم ، الفاعلون ما أمرهم به ، ﴿وَمَنْ تَرَكَ فِلَانًا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ ، أي : ومن عمل صالحاً فإنما يعود نفعه^[١] على نفسه ، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ، أي : وإليه المرجع والمأب ، وهو سريع الحساب ، وسيجزي كل عامل بعمله ، إن خيراً فخير ، وإن شرًا فشر .

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظَّلَمَتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُلُ
 وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يَسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنَّ
 يُسْمِعَ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنَّ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا
 وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكُمْ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ
 مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءُهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُمُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى : كما لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة ، كالأعمى والبصير لا يستويان ، بل بينهما فرق ويبون كثير ، وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ، كذلك لا تستوي الأحياء ولا الأموات . وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين وهم الأحياء ، وللكافرين^[٢] وهم الأموات ، كقوله تعالى : ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِنَّا فَأَحْيَنَا وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ ، وقال تعالى : ﴿مِثْلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾^[٣] هل يستويان مثلاً^[٤] فالمؤمن سميع بصير في نور يمشي ، على صراط

[١] - في ز : « بنفسه » .

[٢] - في ز : « الكافرين » .

[٣] - ما بين المukoفين في ز : « السميع والبصير » .

مستقيم في الدنيا والآخرة ، حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون ، والكافر أعمى أصم ، في ظلمات يمشي ، لا خروج له منها ، بل هو يتبه في غيه وضلاله في الدنيا والآخرة ، حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسوم والحميم ، ﴿وَوَلِمْ يَحْمُمْ . لَا بَارِدُ وَلَا كَرِيم﴾ .

وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مِنْ يَشَاءُ﴾ ، أي : يهدىهم إلى سماع الحجة وقبلها والانقياد لها ، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمَسْمَعٍ مِّنْ فِي الْقُبُورِ﴾ ، أي : كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصبرورتهم إلى قبورهم ، وهم كفار بالهداية والدعوة إليها ، كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم ، ولا تستطيع هدايتهم .

﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ ، أي : إنما عليك البلاغ والإذنار ، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء .

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ يُشَرِّيِّنَا وَنَذِيرِنَا﴾ أي : بشيراً للمؤمنين ، ونذيراً للكافرين ، ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ، أي : وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله إليهم النذير ، وأزاح عنهم العلل ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنْتَ مِنْذُرٌ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادِ﴾ ، وكما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَوْا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ الآية ، والآيات في هذا كثيرة .

وقوله تبارك وتعالى : ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكُمْ فَقَدْ كَذَبُ الظَّاهِرُونَ مِنْ قَبْلِهِمْ، جَاءُهُمْ رَسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ ، وهي : المعجزات الباهرات ، والأدلة القاطعات ، ﴿وَبِالْأَزْبَرِ﴾ ، وهي الكتب ، ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُتَبَرِّ﴾ ، أي : الواضح البين . ﴿فَلَمْ أَخْذُنَّ الظَّاهِرُونَ كُفُورًا﴾ ، أي : ومع هذا كله كذب أولئك رسّلهم فيما جاءوهم به ، فأخذتهم ، أي بالعقاب والنكال ، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾ ؟ أي : فكيف رأيت [[١]] إنكاري عليهم [يعني عظيمًا شديداً بلينا] .

أَلَّفَ تَرَأَّسَ اللَّهُ أَنَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَنَا بِهِ ثُمَّرَتِي مُخْتَلِفًا أَلوَانَهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدُودٌ يَضْعُ وَحُمُرٌ مُخْتَلِفُ أَلوَانُهَا وَغَرَبِيبٌ سُوْدٌ ٢٧ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابَاتِ وَالْأَنْعَمَ مُخْتَلِفُ أَلوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَوْنَ إِنَّمَا اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ

يقول تعالى منبهًا على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد ، وهو الماء الذي يتزله من السماء ويخرج به ثمرات مختلفة ألوانها ، من أصفر وأحمر وأنحضر وأبيض ،

[١] - ما بين المukoتفين في ز : « كان » .

إلى غير ذلك من ألوان الشمار، كما هو المشاهد من تنوع ألوانها وطعمها وروائحها، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٍ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٍ^[١] وَخَيلٌ صَنَوْا نَوْمًا وَغَيْرُ صَنَوْنَ يَسْقَى^[٢] بَاءً وَاحِدًا وَنَفْضَلٌ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقَلُونَ[﴾].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ الْجَبَالِ جَدَدٌ يَبْيَضُ وَحْمَرٌ مُخْتَلِفُ أَلْوَانِهَا[﴾]، أي: وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان، كما هو المشاهد أيضاً من بيض وحمر، وفي بعضها طرائق - وهي الجدد، جمع مجدة - مختلفة الألوان أيضاً.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الجدد : الطرائق . وكذا قال أبو مالك ، والحسن ، وقادة ، والسدسي . ومنها ﴿غَرَائِيبُ سُودٍ[﴾] ، قال عكرمة : الغرائب : الجبال الطوال السود . وكذا قال أبو مالك ، وعطاء الخراساني ، وقادة . وقال ابن جرير : والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السوداد ، قالوا^[٣] : أسود غريب . ولهذا قال بعض المفسرين في هذه الآية : هذا من المقدم والمؤخر في قوله تعالى : ﴿وَغَرَائِيبُ سُودٍ[﴾] ، أي : سود غرائب . وفيما قاله نظر .

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفُ أَلْوَانُهُ[﴾] ، أي: وكذلك الحيوانات من الأناسي والدوااب - وهو: كل ما دب على قوائم - والأنعام : من باب عطف الخاص على العام . كذلك هي مختلفة أيضاً ، فالناس منهم ببر وحبيش وطناططم في غاية السوداد ، وصقالبة وروم في غاية البياض ، والعرب بين ذلك ، والهنود دون ذلك ؛ ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَخَلَقَ لِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ الْأَنْوَافَ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ[﴾] . وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان ، حتى في الجنس الواحد ، [بل النوع الواحد منهين مختلف الألوان ، بل الحيوان الواحد^[٤] يكون أبلق ، فيه من هذا اللون وهذا اللون ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده^[١٧] : حدثنا الفضل بن سهل ، حدثنا عبد الله بن عمر بن أبيان بن صالح ، حدثنا زياد بن عبد الله ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أيسِبِغَ رِبِّكَ ؟ فقال : «نعم صبِقاً لا ينفَضُّ ، أحمر وأصفر وأبيض». وزوَّى مرسلًا وموقوفًا ، والله أعلم .

ولهذا قال تعالى بعد هذا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَىُ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَاءُ[﴾] ، أي: إنما يخشأه حق

(١٧) - مختصر زوائد البزار برقم (١١٨٤) و«كشف الأستار» (٢٩٤٤) وقال البزار : لا نعلم أحداً أسنده عن ابن عباس ؛ إلا زياد ، وقال غيره عن عطاء ، عن سعيد بن جبير مرسلًا . وقال الهيثمي في الجمجم (٥/١٢٨) : «وفيه عطاء بن السائب وقد اخْتَلَطَ ». ١٢٨

[٢٢] - في ز : « زروع » .

[٤] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[١] - في ز : « زروع » .

[٣] - في ز : « قال » .

خشيتهم العلماء العارفون به؛ لأنَّه كلما كانت المعرفة للعظيم [القدير العليم]^[١] الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنة - كلما كانت المعرفة به أتمَ والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عَبْدِهِ الْعَلَمَاءُ﴾، قال: الذين يعلمون أنَّ الله على كل شيء قادر.

وقال ابن أبي هبطة^[٢]، عن ابن أبي عمرة، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: العالم بالرحمن من لم يشرك به شيئاً، وأحل حلاله، وحرم حرامه، وحفظ وصيته، وأيقن أنه ملاقيه ومحاسبه بعمله. وقال سعيد بن جبير: الخشية هي^[٣] التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل. وقال الحسن البصري: الإيمان من خشي الرحمن بالغيب، وراغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما سخط الله فيه، ثم تلا الحسن: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عَبْدِهِ الْعَلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية. وقال أحمد بن صالح المصري، عن ابن وهب، عن مالك؛ قال: إن [العلم ليس]^[٤] بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يجعله الله في القلب.

قال أحمد بن صالح المصري: معناه أنَّ الخشية لا تدرك بكثرة الرواية، وأما العلم الذي فرض^[٥] الله عز وجل أن يتبعه فإنما هو الكتاب والسنة، وما جاء عن الصحابة - رضي الله عنهم - ومن بعدهم من أئمة المسلمين - فهذا لا يدرك إلا بالرواية ويكون تأويل قوله: (نور) يريد به فهم العلم، ومعرفة معانيه.

وقال سفيان الثوري، عن أبي حيان، عن رجل؛ قال: كان يقال: العلماء ثلاثة: عالم بالله ، عالم بأمر الله . وعالم بالله ، ليس بعالم بأمر الله . وعالم بأمر الله ، ليس بعالم^[٦] بالله . فالعالم بالله : ويأمر الله : الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض . والعالم بالله ليس بعالم^[٧] بأمر الله : الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود ولا الفرائض . والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله : الذي يعلم الحدود والفرائض ، ولا يخشى الله عز وجل .

إِنَّ الَّذِينَ يَتَوَلَّنَّ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًا

[١] - في ز: «العليم القدير» .

[٢] - سقط من: ز .

[٤] - ما بين المعقودتين في ز: «ليس العلم» .

[٥] - سقط من: ز .

[٦] - في ز: «فرضه» .

[٧] - في ز: «عالم» .

[٨] - في ز: «عالم» .

وَعَلَانِيَةَ يَرْجُونَ تَجْزِيرَةً لَنْ تَبُورَ **٢٩** لِيُوفِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ
فَضْلِهِ إِنَّمَا عَفْوُ شَكُورٌ **٣٠**

يُخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه، من إقام [١] الصلاة، والإإنفاق مما رزقهم الله في الأوقات المشروعة ليلاً ونهاراً، سرّاً وعلانية، **﴿يرجون تجارة لن تبور﴾**، أي: يرجون ثواباً عند الله لا بد من حصوله. كما قدمنا في أول التفسير عند فضائل القرآن أنه يقول لصاحبه: «إِنَّ كُلَّ تاجر مِنْ ورَاءِ تجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تجَارَةٍ». ولهذا قال تعالى: **﴿لِيُوفِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾**، أي: لذنبهم ثواب **﴿شَكُورٌ﴾** للقليل فعلوه ويضاعف لهم بزيادات لم تخطر لهم، **﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾**، أي: لذنبهم، **﴿شَكُورٌ﴾** للقليل من أعمالهم.

قال فتادة: كان مطرِّف رحمة الله إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية القراء.

قال الإمام أحمد ^(١٨): حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حبيبة، حدثنا سالم بن غيلان؛ أنه سمع دُرَاجاً أبا السمح يحدث عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا رَضِيَ عَنِ الْعَبْدِ أَثْنَى عَلَيْهِ سَبْعَةَ أَصْنَافٍ مِنَ الْخَيْرِ لَمْ يَعْمَلْهُ، وَإِذَا سُخِطَ عَلَى الْعَبْدِ أَثْنَى عَلَيْهِ سَبْعَةَ أَصْنَافٍ مِنَ الشَّرِّ لَمْ يَعْمَلْهُ». غريب جداً.

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ إِنَّ اللَّهَ

(١٨) - إسناده ضعيف لضعف رواية أبا السمح عن أبي الهيثم

وهو في المسند ١١٣٥٤ - ٣٨/٣) وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتأدية» (١٣٨٢) (٨٢٦/٢) من طريق عبد الله بن أحمد به. وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (٩٢٨). وأبو يعلى في مسنده (١٣٣١)، وأiben حبان في صحيحه (٣٦٨) (٨٩/٢ - ٩٠)، وفي الموارد (٢٥١٥) (١٩٧/٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/٣٧٠). من طرق عن عبد الله بن زيد أبي عبد الرحمن المقرئ به. إلا أن عند أبي يعلى وأiben حبان «تسعة» بدلاً من «سبعة». وأخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٨١٦)، وأبو نعيم في «أخبار أصفهان» (١٩٦/٢)، ورواه أحمد (١١٣٧٩) (٤٠/٣). من طريق أبي عاصم عن حبيبة. وهذا الحديث لا يصح، قال أحمد: أحاديث دراج مناكير. وذكره الهيثمي في الجمجم (١٠/٢٧٥ - ٢٧٦) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى إلا أنه قال: تسعة أصناف - تصحفت إلى أضعاف - ورجاله وثروا على ضعف في بعضهم.

[٢٢] - في ز: «بسعة».

[١] - في ز: «إيقامهم».

بِعِبَادَةِ لَخَيْرٍ بَصِيرٌ

يقول تعالى : ﴿وَالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ ، يا محمد من الكتاب ، وهو القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مَصْدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ﴾ ، أي من الكتب المتقدمة يصدقها ، كما شهدت له بالنية^[١] ، وأنه منزل من رب العالمين .

﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادَهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ ، أي : هو خبير بهم ، بصير بن يستحق ما يفضل به على من سواه ، ولهذا فضل الأنبياء والرسل على جميع البشر ، وفضل النبيين بعضهم على بعض ، ورفع بعضهم درجات ، وجعل منزلة محمد صلى الله عليه وسلم فوق جميعهم ، صلوات الله عليهم أجمعين .

ثُمَّ أَرَى رَبُّ الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادَنَا فَنَهَمُ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَاقِطٌ بِالْخَيْرَتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَيْرُ



يقول تعالى : ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم ، المصدق لما بين يديه من الكتب ، الذين اصطفينا من عبادنا ، وهم هذه الأمة ، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع ، فقال : ﴿فَنَهَمُ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَاقِطٌ بِالْخَيْرَتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَيْرُ﴾ ، وهو المفرط^[٢] في فعل بعض الواجبات ، المترک لبعض المحرمات . ﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ ، وهو المؤدي للواجبات ، التارك للمحرمات ، وقد يترك بعض المستحبات ، ويفعل بعض المكرهات . ﴿وَمِنْهُمْ سَاقِطٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ، وهو الفاعل للواجبات والمستحبات ، التارك للمحرمات والمكرهات وبعض المباحثات .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ثُمَّ أَرَى رَبُّ الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا﴾ ، قال : هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورثتم الله كل كتاب أنزله ، فظالمهم يغفر له ، ومقتضدهم يحاسب حساباً يسيراً ، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب .

وقال أبو القاسم الطبراني^(١) : حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح ، وعبد الرحمن بن معاوية الغشمي قالا : حدثنا أبو الطاهر بن السرح ، حدثنا موسى بن عبد الرحمن الصنعاني ، حدثني ابن

(١) - المعجم الكبير (١٨٩/١١) وأورده الهيثمي (٣٧٨/١٠) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار عنه وفيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني وهو وضع .

[١] - في م : « بالتنويه » .

[٢] - في ز : « مفرط » .

جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال ذات يوم: «شفاعتي لأهل الكبار من أمتي». قال ابن عباس: السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمتقصد يدخل الجنة برحمة الله ، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم.

وهكذا رُوي عن غير واحد من السلف: أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين، على ما فيه من عوج وتقدير. وقال آخرون: بل الظالم لنفسه ليس من هذه الأمة، ولا من المصطفين الوارثين الكتاب.

قال ابن أبي حاتم، حدثنا أبي، حدثنا علي بن هاشم بن مزروق ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو، عن ابن عباس رضي الله عنهما «فمنهم ظالم لنفسه»، قال : هو الكافر . وكذا روى عنه عكرمة ، وبه قال عكرمة أيضًا فيما رواه ابن جرير .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله: «فمنهم ظالم لنفسه»، قال : هم أصحاب المشأمة . وقال مالك عن زيد بن أسلم ، والحسن ، وقادة : هو المنافق . ثم قد قال ابن عباس ، والحسن ، وقادة : وهذه الأقسام الثلاثة كالأنقسام^[١] الثلاثة المذكورة في أول «سورة الواقعة» وأخرها .

والصحيح أن الظالم لنفسه من^[٢] هذه الأمة . وهذا^[٣] اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية ، وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من طرق يشد بعضها بعضاً ، ونحن نورد منها ما تيسر :

(الحديث الأول) : قال الإمام أحمد^(٤): حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن الوليد ابن العizar أنه سمع رجلاً من ثقيف يتحدث عن رجل من كنانة ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : في هذه الآية : «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم متقصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله » ، قال : هؤلاء كلهم منزلة واحدة ، وكلهم في الجنة .

(٢٠) - المسند ١١٧٦١ - (٧٨/٣) ، وأخرجه الطيالسي في «مستنده» (٢٢٣٦) حدثنا شعبة به . ومن طريقه البهقي في «البعث» (٥٦) . وأخرجه الترمذى ، في تفسير القرآن ، باب : «ومن سورة الملائكة» (٣٢٢٣) . وأiben جرير في «تفسيره» (١٣٧/٢٢) . من طريقين عن محمد بن جعفر به . وقال الترمذى : حديث غريب حسن ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

[١] - في ز : «في الأقسام» .

[٢] - في ز : «في» .

[٣] - في ز : «هو» .

هذا حديث غريب من هذا الوجه، وفي إسناده من لم يسم. وقد رواه ابن حجر وابن أبي حاتم، من حديث شعبة، به نحوه.

ومعنى قوله بمنزلة واحدة أي: في أنهم من هذه الأمة، وأنهم من أهل الجنة، وإن كان بينهم فرق في المنازل في الجنة.

(الحديث الثاني) قال الإمام أحمد^[١]: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا أنس بن عياض الليثي أبو ضمرة، عن موسى بن عقبة، عن علي^[٢] بن عبد الله الأزدي، عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال^[٣]: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله : «لهم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم ل نفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق باخriفات يلاذن الله »، فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقصدوا فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون^[٤] في طول المحرر، ثم هم الذين تلافاً لهم برحمته^[٥]، فهم الذين يقولون: «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلاها دار المقاومة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب».

(طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أسد بن عاصم، حدثنا الحسين بن حفص، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن رجل، عن أبي ثابت، عن أبي الدرداء، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لهم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم ل نفسه »، قال: فأما الظالم ل نفسه فيحبس حتى يصبه الهم والحزن، ثم يدخل الجنة».

ورواه ابن حجر^[٦] من حديث سفيان الثوري، عن الأعمش، قال: ذكر أبو ثابت أنه دخل المسجد، فجلس إلى جنب أبي الدرداء، فقال: اللهم، آنس^[٧] وحشتي، وارحم غربتي، ويسر لي جليستا صالحاً. قال أبو الدرداء: لمن كنت صادقاً لأنّا أسعده بك^[٨] منك، سأحدّثك حديثاً

(٢١) - المستند ٢١٨١٨ - (١٩٨/٥). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٩٥) وقال: «رواه أحمد بأسانيد، رجال أحدتها رجال الصحيح، وهذا إن كان على بن عبد الله الأزدي سمع من أبي الدرداء فإنه تابعي» .

(٢٢) - تفسير الطبرى (١٣٧/٢٢)، ورواه أحمد (٢١٧٨٧) (١٩٤/٥) فقال: ثنا وكيع، ثنا سفيان، عن الأعمش، عن ثابت - أو عن أبي ثابت - أن رجلاً دخل مسجد دمشق فقال: اللهم آنس وحشتي، وارحم غربتي، وارزقني جليستا صالحاً؛ فسمعه أبو الدرداء» ورواه الحاكم في المستدرك (٤٢٦/٢) =

[١] - سقط من : م .

[٢] - في خ ، ز : « يحاسبون » .

[٣] - في ز : « أنس » .

[٤] - في خ ، ز : « رحمته » .

[٥] - في ز : « آنس » .

سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحدث به منذ سمعته منه ، ذكر هذه الآية : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » : « فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب ، وأما المقتصد فيحاسب حساباً يسيرًا . وأما الظالم لنفسه فصيبيه في ذلك المكان من الغم والحزن ، وذلك قوله : « الحمد لله الذي أذهب عننا الحزن » . »

(الحديث الثالث) : قال الحافظ أبو القاسم الطبراني^(٢٣) : حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس ، حدثنا [ابن]^[١] مسعود ، أخبرنا سهل بن عبد ربه الرازي ، حدثنا عمرو^[٢] بن أبي قيس ، عن ابن أبي ليلى ، عن أخيه ، [عن]^[٣] عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أسامة بن زيد : « فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات ... الآية ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلهم من هذه الأمة » . »

(ال الحديث الرابع) : قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عزير^[٤] ، حدثنا سلامة ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عوف بن مالك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أنه قال : « أمني ثلاثة أثلاث : فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، وتلث يحاسبون حساباً يسيرًا ثم يدخلون الجنة ، وتلث يُعَذَّبون ويُكشرون ، ثم تأتي الملائكة فيقولون : وجدناهم يقولون : لا إله إلا الله وحده . يقول الله عز وجل : صدقوا لا إله إلا أنا ، أدخلوهم الجنة بقولهم : لا إله إلا الله وحده واحملوا خطاياهم على أهل النار » ، وهي التي قال الله تعالى : « ولیحملن أثقالهم وأنقالاً مع أثقالهم » ، وتصديقها في التي فيها ذكر الملائكة ، قال الله تعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » ، فجعلتهم ثلاثة أنواع ، وهم أصناف كلهم ، فمنهم ظالم لنفسه ، وهذا الذي يكشف ويتحقق . غريب جداً^(٤) . »

= ومن طرقه البهقي في البعث برقم (٦٢) من طريق الأعمش ، به . وذكره الهيثمي في مجمع الروايند (٧) ٩٥ ، ٩٦) وقال : « رواه الطبراني وأحمد باختصار إلا أنه قال : عن الأعمش ، عن ثابت أو أبي ثابت : أن رجلاً دخل المسجد مسجد دمشق فذكر الحديث باختصار ، وثبت بن عبيد ومن قبله من رجال الصحيح ، وفي إسناد الطبراني رجل غير مسمى » .

(٢٣) - المعجم الكبير (١٦٧/١) ، وروايه البهقي في البعث (٦٠) من طريق محمد بن سعيد ، عن عمرو بن قيس ، عن ابن أبي ليلى ، عن أخيه عيسى ، عن أبيه ، عنأسامة بن زيد ، به . ورواوه أيضاً برقم (٥٩) من طريق حصين بن نمير ، عن ابن أبي ليلى ، عن أخيه ، عن أبيه ، عنأسامة بن زيد ، بنحوه . وأورده الهيثمي (٧) ٩٦) وقال : رواه الطبراني وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وهو سئي الحفظ . ورواوه الخطيب في تاريخه (٣٧١/١٢) ، وعزاه صاحب الكنز (٤٨٦/٢) إلى سعيد بن منصور .

(٢٤) - رواه الطبراني في المعجم الكبير (٨٠/١٨) من طريق محمد بن عزير ، به . وذكره الهيثمي في المجمع =

[١] - في الطبراني : أبو .

[٤] - في ز : « عزير » .

[٢] - سقط من الطبراني .

[٣] - في خ : « عمر » .

(أثر عن ابن مسعود) : قال ابن جرير: حدثني ابن حميد، حدثنا الحكيم بن بشير، عن عمرو بن قيس، عن عبد الله بن عيسى، عن بزيز بن الحارث، عن شقيق^[١] أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود؛ أنه قال: هذه [الأمة]^[٢] ثلاثة أثلاث يوم القيمة، ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً، وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول: ما هؤلاء - وهو أعلم تبارك تعالى - فتقول الملائكة: هؤلاء جاءوا بذنوب عظام، إلا أنهم لم يشركوا بك. فتقول رب عز وجل: أدخلوا هؤلاء في سعة^[٣] رحمتي. وتلا عبد الله هذه الآية: ﴿هُنَّ أُولَئِنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ ... الآية^[٤].

(أثر آخر) : قال أبو داود الطيالسي^[٥]، عن الصلت بن دينار [أبو شعيب]^[٦] ، عن عقبة بن صهبان الهنائي؛ قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله : ﴿هُنَّ أُولَئِنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ ... الآية، فقالت لي: يابني، هؤلاء في الجنة، أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحياة والرزق. وأما المقصد فمن أتبع^[٧] أثره من أصحابه حتى لحق به. وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم. قال: فجعلت نفسها معنا.

وهذا منها رضي الله عنها، من باب الهضم والتواضع، ولا فهي من أكبر السابقين بالخيرات؛ لأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

وقال عبد الله بن المبارك رحمة الله : قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ ، قال: هي لأهل بدوننا ، ومقتصدنا أهل حضرنا ، وسابقنا أهل الجهاد . رواه ابن أبي حاتم .

= (٩٦/٧) : « فيه سلامة بن روح وثقة ابن حبان ، وضعفه جماعة ، وبقية رجاله ثقات » .

= (٢٥) - تفسير الطبراني (١٣٤/٢٢) .

(٢٦) - ضعيف جداً ، رواه الطيالسي برقم (١٤٨٩) ، ورواه الطبراني في الأوسط ٦٠٩٤ - (١٦٧/٦) ، والحاكم (٢/٤٢٦ - ٤٢٧) وجاء عنده الصلت بن عبد الرحمن ، وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن عقبة بن صهبان إلا أبو شعيب الصلت بن دينار ، تفرد به معتمر ، وقال الحاكم : صحيح ، وتعقبه الذهبي بقوله : قلت : فيه الصلت بن عبد الرحمن قال النسائي : ليس بشقة ، وقال أحمد : ليس بالقوى . وزاد نسبته السيوطي في الدر إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وابن مردوه . وأورده الهيثمي في مجمع الروايد (٩٧ - ٩٦/٧) وقال : رواه الطبراني ، وفيه الصلت بن دينار وهو متوفى .

[١] - بعده في ز : « عن » وهو خطأ .

[٢] - ما بين المukoفين في ز : « الآية » .

[٣] - في ز : « جنة » .

[٤] - ما بين المukoفين في خ : « بن الأشعث » .

[٥] - في ز : « تبع » .

وقال عوف الأعرابي : حدثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : حدثنا كعب الأحبار ؛ قال : إن الظالم لنفسه من هذه الأمة ، والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم في الجنة ، ألم تر أن الله تعالى قال [١] : ﴿ ثُمَّ أُورثُنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ، ذَلِكُ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ . جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا ﴾ ... إلى قوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمُ ﴾ ، قال : فهؤلاء أهل النار .

رواه ابن جرير من طرق ، عن عوف به [٢٧] . ثم قال :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علي ، أخبرنا حميد ، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث ، عن أبيه أن ابن عباس سأله كعباً عن قوله : ﴿ ثُمَّ أُورثُنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ ، إلى قوله : ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ، فقال [٢٨] : تماسكت ملائكتهم وربّ كعب ، ثم أعطاو الفضل بأعمالهم [٢٩] .

ثم قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا الحكم بن بشير ، حدثنا عمرو [٣٠] بن قيس ، عن أبي إسحاق السبيبي في هذه الآية : ﴿ ثُمَّ أُورثُنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ ... الآية . قال أبو إسحاق : أما ما سمعت منذ سنتين سنة فكلهم ناج [٣١] .

ثم قال : حدثنا ابن حميد ، حدثنا الحكم ، حدثنا عمرو ، عن [٤] محمد بن الحنفية ؛ قال : إنها أمة مرحومة ، الظالم مغفور له ، والمقتصد في الجنان عند الله ، والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله [٣٢] .

ورواه الشوري ، عن إسماعيل بن سميع ، عن رجل ، عن محمد بن الحنفية بتحوه .

وقال أبو الحارود : سألت محمد بن علي - يعني الباقر - عن قوله : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ ، فقال : هو الذي خلط عملاً صالحاً وأخر سيئاً .

فهذا ما تيسر من إثبات الأحاديث والآثار المتعلقة بهذا المقام . وإذا تقرر هذا فإن الآية عامة في جميع الأقسام الثلاثة من هذه الأمة ، فالعلماء أغبط الناس بهذه النعمة ، وأولى الناس بهذه

[٢٧] - ابن جرير (١٣٤/٢٢) .

[٢٨] - ابن جرير (١٣٤/٢٢) .

[٢٩] - ابن جرير (١٣٤/٢٢) .

[٣٠] - ابن جرير (١٣٥/٢٢) .

[٤١] - في ت : « قال » .

[٤٢] - في خ ، ز : « بن » .

[١] - سقط من : ز .

[٣] - في خ ، ز : « عمر » .

الرحمة ، فإنهم كما قال الإمام أحمد رحمة الله (٣١) :

حدثنا محمد بن يزيد ، حدثنا عاصم بن رجاء بن حبيبة ، عن قيس بن كثير ؛ قال : قدم رجل من المدينة إلى أبي الدرداء وهو بدمشق ؛ فقال : ما أقدمك أبي أخي ؟ قال : حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أما قدمت لتجارة ؟ قال : لا . قال : أما قدمت حاجة ؟ قال : لا ؟ قال : أما قدمت إلا في طلب هذا الحديث ؟ قال : نعم . قال : فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من سلك طريقاً يطلب فيه [١] علمًا ، سلك الله به طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم ، وإله ليستغفر للعالم من في السماوات والأرض حتى حيثيات في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، إن العلماء هم ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا [ديناراً] ولا درهماً [٢] ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر ».

وأخرجه أبو داود ، والترمذى ، وابن ماجة ، من حديث كثير بن قيس - ومنهم من يقول : قيس ابن كثير - عن أبي الدرداء .

وقد ذكرنا طرقه واختلاف الرواية في [شرح كتاب [٣] العلم] من « صحيح البخاري » ، ولله الحمد واللهم .

وقد تقدم في أول « سورة طه » حديث ثعلبة بن الحكم ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : « يقول الله تعالى يوم القيمة للعلماء [٤] : إني لم أضع علمي وحكمتي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم ، على ما كان منكم ، ولا أبالي » (٣٢) .

جَئْنَتْ عَدِّنِ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَقْوَاهُ وَلِيَاسِهِمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ

(٣١) - كثير بن قيس : قال ابن حجر : وقيل : قيس بن كثير ، ضعيف . ووهم ابن قانع فأورده في الصحابة . والحديث رواه أحمد رحمه الله ٢١٨٠٦ - ١٩٦/٥ ، وأبو داود في كتاب العلم ، باب : الحث على طلب العلم (٣) / ٣١٦ / رقم : ٣٦٤١ . والترمذى في كتاب العلم ، باب : ما جاء في فضل الفقه في العبادة (٥) / ٤٨ ، ٤٩ / رقم : ٢٦٨٢ . وابن ماجة في كتاب المقدمة ، باب : فضل العلماء والبحث على طلب العلم (١) / ٨١ / رقم : ٢٢٣) . كلهم من طريق كثير بن قيس به .

(٣٢) - تقدم تعرییف الحديث عند تفسیر الآیة (٢) من سورة طه .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعکوفین في ز : « درهماً ولا ديناراً » .

[٣] - ما بين المعکوفین في ز : « كتاب شرح ». [٤] - سقط من : ز .

شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحْلَنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمْسَنَا فِيهَا نَصْبٌ وَلَا
يَمْسَنَا فِيهَا لَغْوٌ ﴿٣٥﴾

يخبر تعالى أن مأوى هؤلاء المصطفين من عباده ، الذين أورثوا الكتاب المنزل من رب العالمين مأواهم يوم القيمة ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ ، أي : جنات الإقامة يدخلونها يوم معادهم وقدومهم على ربهم عز وجل : ﴿يَحْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤٍ﴾ ، كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أنه قال : «تبلغ الخلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء» ^(٣٣) .

﴿وَلِيَاسِهِمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ، ولهذا كان محظوظاً عليهم في الدنيا ، فأباحه الله لهم في الدار الآخرة ، وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من ليس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» ^(٣٤) . وقال : «هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة» .

وقال ابن أبي حاتم ^(٣٥) : حدثنا عمرو بن سواد السرجي ، أخبرنا ابن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن عقيل بن خالد ، عن الحسن ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن أبا أمامة حدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم ، وذكر حلي [أهل الجنة]^[١] فقال : «مسوروون بالذهب والفضة ، مكللة بالدر ، وعليهم أكاليل من ذهب وياقوت متواصلة ، وعليهم تاج كجاج الملوك ، شباب بجزد مزد مكحلون» .

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحُزْنَ﴾ ، وهو الخوف من المحنور ، أزاحه عنا ، وأراحنا مما كنا نتخوفه ، ونحذره من هموم الدنيا والآخرة .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن ابن عمر ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في منشرهم ، وكأنني بأهل لا إله إلا الله ينقضون التراب عن رءوسهم ويقولون : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحُزْنَ﴾ » . رواه ابن أبي حاتم من حديثه ^(٣٦) .

(٣٣) - صحيح مسلم برقم (٢٥٠) .

(٣٤) - متفق عليه من حديث أنس ، رواه البخاري في كتاب اللباس (٥٨٣٢) ، ومسلم في اللباس والزينة (٢٠٧٣) ، ورواوه البخاري من حديث ابن الربير وعمر (٥٨٣٣ ، ٥٨٣٤) ، ومسلم من حديث أبي أمامة (٢٠٧٤) .

(٣٥) - رواه أبو نعيم في صفة الجنة برقم (٢٦٧) من طريق على بن الحسن ، عن عمرو بن سواد ، به . والحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة .

(٣٦) - عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ضعفه ابن معين ، وابن المديني ، والنسائي ، والحديث رواه =

[١] - ما بين المعرفتين سقط من : ز .

وقال الطبراني^(٣٧) : حدثنا جعفر بن محمد الفريابي ، حدثنا موسى بن يحيى المروزي ، حدثنا سليمان بن عبد الله بن وهب الكوفي ، عن عبد العزى بن حكيم ، عن ابن عمر ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في الموت ولا في قبورهم ولا في النشور . [١] كأني أنظر إليهم عند الصبيحة ينفضون رءوسهم من التراب ، يقولون : ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾ » .

قال ابن عباس ، وغيره : غَفَرَ لهم الكثير من السيئات ، وشكّر لهم اليسيئ من الحسنات .

﴿الذِي أَحْلَنَا دارَ الْمَاقِمَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ، يقولون : الذي أعطانا هذه المزلة ، وهذا المقام من فضله ومتنه ورحمته ، لم تكن أعمالنا تساوي ذلك . كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : « لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة » . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل » ^(٣٨) .

﴿لَا يُمْسِنَا فِيهَا نَصْبٌ وَلَا يُمْسِنَا فِيهَا لَغْوَبٌ﴾ ، أي : لا يمسنا فيها عناء ولا إعياء .

والنَّصْبُ واللَّغْوُ : كل منهما يستعمل في التعب . وكأن المراد بتفادي هذا وهذا عنهم أنه لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم ، والله أعلم . فمن ذلك أنهم كانوا يذيبون أنفسهم في العبادة في الدنيا ، فسقط عنهم التكليف بدخولها ، وصاروا في راحة دائمة مستمرة . قال الله تعالى : « كُلُوا وَاشْرِبُوا هَنِئًا بِمَا أَسْلَفْتُمُ فِي الْأَيَامِ الْخَالِيةِ﴾ .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيُمُوتُوا وَلَا يُخْفَفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ بَخْرِيٌّ كُلُّ كَافُورٍ ^(٣٩) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَيْسًا أَخْرِحْنَا

= الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٤٥٣١) « مجمع البحرين » ، وابن عدي في الكامل (٤/١٥٨١) من طريق يحيى الحماناني ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، به . وقال المنذري في الترغيب (٤١٦/٢) : « في متنه نكارة » .

(٣٧) - وأورده البهشمي في المجمع (١٠/٣٣٣) وقال : « رواه الطبراني ، وفيه جماعة لم أعرفهم » . ورواه ابن عدي في الكامل (٢/٤٩٨) من حديث الحسن بن قرعة ، عن بهلول بن عبد الكلبي ، عن سلمة بن كهيل عن ابن عمر ، والبيهقي في البصائر برقم (٨٢) من طريق ابن عدي ، وقال ابن عدي : ليس بذلك ، وبهلوه هذا غير ما ذكرت من الحديث قليل ، وأحاديثه عمن روى عنه فيه نظر ، وحديثه عن أبي إسحاق أنكر منه عن غيره ، وإنما ذكرته لأبين أن أحاديثه مما يتابعه عليها الثقات ؛ إذ لم أر لمن تكلم في الرجال فيه كلاما . وقال البيهقي : « هذا مرسل عن سلمة بن كهيل وابن عمر ، وبهلوه تفرد به ، وليس بالقوي » .

(٣٨) - متفق عليه من حديث أبي هريرة ، رواه البخاري في كتاب المرضى برقم (٥٦٧٣) ، ومسلم في صفات المناقين وأحكامهم برقم (٢٨١٦) .

نَعْمَلْ صَنْلِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ أَوْلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرْ فِيهِ مَنْ
 تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذَوَقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ



لما ذكر تعالى حال السعداء، شرع في بيان مآل الأشياء، فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمُ لَا يَقْضِي عَلَيْهِمْ فِيمَا يَوْمًا﴾، كما قال تعالى: ﴿لَا يَوْمَ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾. وثبت في صحيح مسلم ^(١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون». قال الله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكَ لِيَقْضِيْ عَلَيْنَا رِبَّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنُّتُمْ﴾. فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم، ولكن لا سبيل إلى ذلك - قال الله تعالى: ﴿لَا يَقْضِيْ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَوْمًا﴾، ولا يخفف عنهم من عذابها ^(٢)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمِ خَالِدُونَ﴾ لَا يفتر عنهم وهو فيه مبلسون ^(٣)، وقال: ﴿كُلُّمَا خَبَتْ زُدَنَاهُمْ سَعِيرًا﴾، ﴿فَذَوَقُوا فَلْنَ لَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾.

ثم قال: ﴿كَذَلِكَ بَغْزِيْ كُلَّ كُفُورٍ﴾، أي: هذا جزاء كل من كفر برمه، وكذب بالحق.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَصْطَرُخُونَ فِيهَا﴾، أي: ينادون فيها، يجأرون إلى الله عز وجل بأصواتهم: ﴿رِبَّنَا، أَخْرُجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ﴾، أي: يسألون الرجعة إلى الدنيا، ليعلموا غير عملهم الأول، وقد علم الرب جل جلاله أنه لو ردتهم إلى الدار الدنيا، لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكافرون. فلهذا لا يجيئهم إلى سؤالهم، كما قال تعالى مخبرًا عنهم في قوله: ﴿فَهُلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾ ^(٤) من سبيل؟ ذلك بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا ^(٥). أي: لا يجيئكم إلى ذلك؛ لأنكم كتمت ^(٦) كذلك، ولو ردتم لعدتم إلى ما نهيتكم عنه. وللهذا قال هاهنا: ﴿أَوْ لَمْ نُعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرْ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرْ﴾، أي: أو ما عشتم في الدنيا أعمارًا لو كنت من ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم؟ .

وقد اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد هاهنا، فروي عن علي بن الحسين زين العابدين؛ أنه قال ^(٧): مقدار سبع عشرة سنة.

وقال قتادة: أعلموا أن طول العمر [حجة ، فنعواذ بالله أن نُعَيَّرْ بطول العمر] ^(٨) ، قد نزلت هذه الآية: ﴿أَوْ لَمْ نُعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرْ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرْ﴾، وإن فيهم لابن ثمانى عشرة سنة ^(٩) .

(٣٩) - مسلم في كتاب الإيمان برقم (١٨٥) .

[٢] - سقط من : ز .
 [٤] - ما بين المعقودين سقط من : خ ، ز .

[١] - في ز : « مرد » .
 [٣] - سقط من : خ ، ز .
 [٥] - سقط من : خ ، ز .

وكذا قال أبو غالب الشيباني .

وقال عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن رجل ، عن وهب بن منبه في قوله : ﴿أَوْ لَمْ
نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذْكُرٍ﴾ ، قال : عشرين سنة .

وقال هشيم ، عن منصور ، عن زاذان ، عن الحسن في قوله : ﴿أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ
مِنْ تَذْكُرٍ﴾ ، قال : أربعين سنة .

وقال هشيم ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن مسروق أنه كان يقول : إذا بلغ أحدكم أربعين
سنة ؛ فليأخذ حذره من الله عز وجل .

وهذا روایة عن ابن عباس فيما قال ابن جریر ^(٤٠) : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا بشر بن
المفضل ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ؛ قال : سمعت ابن عباس ، يقول :
العمر الذي أعذر الله تعالى ابن آدم : ﴿أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذْكُرٍ﴾ أربعون سنة .

هكذا رواه من هذا الوجه ، عن ابن عباس . وهذا القول هو اختيار ابن جریر .

ثم رواه ^(٤١) من طريق الثوري وعبد الله بن إدريس ، كلهما ^[١] عن عبد الله بن عثمان بن
خثيم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : العمر الذي أعذر الله ^[٢] فيه لابن آدم في قوله :
﴿أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذْكُرٍ﴾ ؛ ستون سنة .

فهذه الرواية أصح عن ابن عباس ، وهي الصحيحة في نفس الأمر أيضاً ، لما ثبت في ذلك من
الحديث - كما سورد - لا كما زعمه ابن جرير ، من أن الحديث لم يصح ، لأن «في إسناده
من يجحب التثبت في أمره» ^(٤٢) .

وقد روى أصبغ بن ثباتة ، عن علي رضي الله عنه أنه قال : العمر الذي غيرهم الله به في
قوله تعالى : ﴿أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذْكُرٍ﴾ . ستون سنة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا دُخيم ، حدثنا ابن أبي فديك ، حدثني إبراهيم بن
الفضل الخزرومي ، عن ابن أبي لحبيب المكي ؛ أنه حدثه عن عطاء - هو ابن أبي رياح - عن ابن
عباس رضي الله عنهما ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : «إذا كان يوم القيمة قيل : أين
أبناء الستين؟ وهو العمر الذي قال الله فيه : ﴿أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذْكُرٍ

^(٤٠) - تفسير ابن جرير (١٤١/٢٢) .

^(٤١) - تفسير ابن جرير (١٤١/٢٢) .

^(٤٢) - تفسير ابن جرير (١٤٢/٢٢) .

[١] - في ز : «كلاهما» .

[٢] - ما بين المukoوفين في ز : «إليه» .

وجاءكم النذير» .

وكذا رواه ابن جرير، عن علي بن شعيب، [عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك به].
وكذا رواه [١] الطبراني من طريق ابن أبي فديك به [٤٣] .

وهذا الحديث فيه نظر، الحال لإبراهيم بن الفضل، والله أعلم.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد [٤٤] : حدثنا عبد الرزاق، حدثنا مغتر، عن رجل من بني غفار، عن سعيد المقثري، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه [٤٥] قال : «لقد أذر الله إلى عبد أخيه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة، لقد أذر الله إليه [لقد أذر الله إليه] [٤٦] ». .

وهكذا رواه الإمام البخاري في «كتاب الرفاق» من صحيحه [٤٠] : حدثنا عبد السلام بن مطهر، عن عمر بن علي، عن ثعلب بن محمد الغفاري، عن سعيد المقثري، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [«أذر الله عز وجل إلى امرئ آخر عمره حتى بلغه ستين سنة»] .

ثم قال البخاري : تابعه أبو حازم وأبي عجلان، عن سعيد المقثري [٤٤] .

فاما أبو حازم فقال ابن جرير : حدثنا أبو صالح الفزارى [٤٥] ، حدثنا محمد بن سوار، أخبرنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد القارى الإسكندرى، حدثنا أبو حازم، عن سعيد المقثري، عن أبي هريرة؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من عمره الله [٤٦] ستين سنة، فقد أذر إليه في العمر» .

وقد رواه الإمام أحمد والنسائي في الرفاق جميماً عن قتيبة [عن يعقوب بن عبد الرحمن به] [٤٧] .

[٤٣] - إسناده ضعيف، وهو في تفسير الطبرى (١٤١/٢٢)، والمعجم الكبير للطبرانى (١٧٧/١١)، وقال الهيثمى في الجمجم (٩٧/٧) : «وفيه إبراهيم بن الفضل المخزومي وهو ضعيف» .

[٤٤] - المسند (٢٧٥/٢) .

[٤٥] - البخاري في الرفاق برقم (٦٤١٩) .

[٤٦] - تفسير الطبرى (١٤٢/٢٢)، والمسند (٤١٧/٢)، والنسائى في السنن الكبرى كما في تحفة الأشراف للمزى (٤٧٢/٩) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز : «الصرارى» .

[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : «إذا أحب الله ابن آدم» ، وفي ز : «إذا أحيا الله ابن آدم» .

ورواه البزار^(٤٧) قال : حدثنا هشام بن يونس ، حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه [١] عن سعيد المقري ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال : «العمر الذي أذدر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة». يعني : «أو لم تعمرك ما يتذكر فيه من تذكره»^(٤٨) .

وأما متابعة ابن عجلان فقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو السفر يحيى بن محمد بن عبد الملك ابن قرعة بسامراء ، حدثنا أبو عبد الرحمن المقري ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثني محمد بن عجلان ، عن سعيد المقري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أنت عليه ستون سنة فقد أذدر الله عز وجل إليه في العمر» .

وكذا رواه الإمام أحمد عن أبي عبد الرحمن هو المقرئ به^(٤٩) .

ورواه أحمد أيضاً ، عن خلف عن أبي معشر ، عن سعيد المقري^(٥٠) .

(طريق أخرى ، عن أبي هريرة) قال ابن جرير : حدثني أحمد بن الفرج أبو عتبة الحنصي ، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثنا المطرف بن مازن الكلاني ، حدثني معمر بن راشد ؛ قال : سمعت محمد بن عبد الرحمن الغفاري يقول : سمعت أبي هريرة ؛ يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لقد أذدر الله عز وجل في العمر إلى صاحب الستين سنة والسبعين»^(٥١) .

فقد صح هذا الحديث من هذه الطرق ، فلو لم يكن إلا الطريق التي ارتضاها أبو عبد الله البخاري شيخ هذه الصناعة لكتفت^[٢] . وقول ابن جرير : «إن في رجاله بعض من^[٣] يجب التثبت في أمره» ، لا يلتفت إليه مع تصحيح البخاري ، والله أعلم.

وذكر بعضهم أن العمر الطبيعي عند الأطباء مائة وعشرون سنة ، فالإنسان لا يزال في ازدياد إلى كمال الستين ، ثم يشرع بعد هذا في التقص والهرم ، كما قال الشاعر :

[٤٧] - المسند (٤٠٥/٢) .

[٤٨] - رواه ابن مردوه في تفسيره كما في تخريج الكشاف للزيلعي (١٥٥/٣) من طريق سليمان بن حرب ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، وربما لم يقل : عن سهل ، فذكر نحوه دون الآية ، والمحفوظ عن أبي هريرة ، رضي الله عنه .

[٤٩] - المسند (٣٢٠/٢) .

[٥٠] - رواه أحمد (٤٠٥/٢) .

[٥١] - تفسير الطبراني (١٤٢/٢٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

إِذَا بَلَغَ الْفَتَى سِتِينَ عَامًا فَقُدْ ذَهَبَ الْمَسْرَةُ وَالْفَتَاءُ
و^[١] لَا كَانَ هَذَا هُوَ الْعُمُرُ الَّتِي يَعْذِرُ اللَّهُ إِلَى عِبَادِهِ بِهِ، وَيُزِيِّعُ بِهِ عَنْهُمُ الْعَلَلُ، كَانَ هُوَ
الْغَالِبُ عَلَى أَعْمَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، كَمَا وَرَدَ بِذَلِكَ الْحَدِيثِ، قَالَ الْحَسْنُ بْنُ عَرْفَةَ رَحْمَهُ اللَّهُ :

حَدَثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَارِبِيِّ^[٢]، حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، عَنْ أَبِي سَلْمَةَ، عَنْ أَبِي
هَرِيرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِينَ إِلَى السَّبْعِينِ،
وَأَقْلَاهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ».

وَهَكُذا رَوَاهُ التَّرمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ جَمِيعًا فِي كِتَابِ الزَّهْدِ، عَنْ الْحَسْنِ بْنِ عَرْفَةِ بْنِهِ. ثُمَّ قَالَ
التَّرمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثُ حَسْنٍ غَرِيبٍ، لَا نَعْرِفُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوِجْهِ^[٣].

وَهَذَا عَجَبٌ مِنَ التَّرمِذِيِّ، فَإِنَّهُ قَدْ رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي الدِّنَّا^[٤] مِنْ وَجْهٍ آخَرَ وَطَرِيقٍ
آخَرَ، عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ، حَيْثُ قَالَ:

حَدَثَنَا سَلِيمَانُ بْنُ عُمَرَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ كَامِلِ أَبِي الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ
أَبِي هَرِيرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِينَ إِلَى
السَّبْعِينِ، وَأَقْلَاهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ».

وَقَدْ رَوَاهُ التَّرمِذِيُّ فِي «كِتَابِ الزَّهْدِ»^[٥] أَيْضًا عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعِيدِ الْجَوَهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ
ابْنِ رَبِيعَةِ بْنِهِ. ثُمَّ قَالَ: هَذَا حَدِيثُ حَسْنٍ غَرِيبٍ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ، وَقَدْ
رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ. هَذَا نَصْهُ بِحُرْوَفِهِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

و^[٦] قَالَ الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى^[٤]: حَدَثَنَا أَبُو مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ، حَدَثَنَا ابْنُ أَبِي قُدْيَكَ، حَدَثَنِي
إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْفَضْلِ مَوْلَى بْنِي مَخْزُومٍ، عَنِ الْمَقْبَرِيِّ^[٥]، عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَغْتَرُكَ النَّايَا مَا بَيْنَ السِّتِينَ إِلَى السَّبْعِينِ».

[٥٢] - سنن الترمذى برقم (٣٥٥٠) ، وسنن ابن ماجه برقم (٤٢٣٦) .

[٥٣] - سنن الترمذى برقم (٢٣٣١) .

[٥٤] - مسند أبي يعلى حديث ٦٥٤٢ - (٤٢٢/١١) ، ٤٢٣ (٤٢٣) وفيه إبراهيم بن الفضل وهو متوك .
وآخرجه الخطيب في التاريخ (٤٧٦/٥) والشهاب في مسنه ٢٥١ - (١٧٤/١) .

[١] - قوله في خ ، ز : « قال حديث آخر » .

[٢] - في ز : « البخاري » .

[٣] - في ز : « الدرداء » .

[٤] - في ز : « المقرى » .

سقط من : ز .

وَبِهِ قَالَ (٥٥) : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَقْلَ أُمَّتِي أَبْنَاءُ سَبْعِينَ». إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.

(حَدِيثٌ آخَرُ فِي مَعْنَى ذَلِكَ) قَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرِ الْبَزَارِ فِي مَسْنَدِهِ (٥٦) :

حَدَثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَانَىٰ، حَدَثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَثَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَطْرٍ، عَنْ أَبِيهِ مَالِكٍ، عَنْ رَبِيعٍ، عَنْ حَذِيفَةَ، أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَبْنِيَّا بِأَعْمَارِ أُمَّتِكَ . قَالَ : «مَا بَيْنَ الْخَمْسِينَ إِلَى السَّتِينَ». قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَأَبْنَاءُ السَّبْعِينَ ؟ قَالَ : «قُلْ مَنْ يَلْغَهَا مِنْ أُمَّتِي، رَحْمَ اللَّهِ [١] أَبْنَاءُ السَّبْعِينَ وَرَحْمَ اللَّهِ أَبْنَاءُ الشَّمَائِنَ» .

ثُمَّ قَالَ الْبَزَارُ : لَا يَرَوِي بِهَذَا الْفَظْلُ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَطْرٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ لَيْسَ بِقَوِيٍّ .

وَقَدْ ثَبَّتَ فِي الصَّحِّيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاشَ ثَلَاثَةَ وَسَتِينَ سَنَةً، قِيلَ :

سَتِينَ . وَقِيلَ : خَمْسًا وَسَتِينَ سَنَةً . وَالْمَشْهُورُ الْأُولُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَوْلُهُ : «وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ»، رَوِيَ عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ، وَعَكْرَمَةَ، وَأَبِي جَعْفَرِ الْبَاقِرِ، وَقَتَادَةَ، وَسَفِيَانَ بْنَ عَيْنَيْةَ أَنَّهُمْ قَالُوا : يَعْنِي الشَّيْبَ .

وَقَالَ السَّدِيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنَ زَيْدَ بْنِ أَسْلَمَ : يَعْنِي بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَرَأَ أَبْنَ زَيْدٍ : «هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذِيرِ الْأُولَى» . وَهَذَا هُوَ الصَّحِّيحُ عَنْ قَتَادَةَ، فِيمَا رَوَاهُ شَيْبَانُ، عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : احْتَجْ عَلَيْهِمْ بِالْعُمَرِ [٢] وَالرَّسُلِ .

وَهَذَا اخْتِيَارُ أَبْنِ جَرِيرٍ، وَهُوَ الْأَظْهَرُ، لِقَوْلِهِ [٣] تَعَالَى : «وَنَادَوْا يَا مَالِكَ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رِبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُثُونُ * لَقَدْ جَنَّاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكُنْ أَكْثُرُكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ»، أَيْ : لَقَدْ بَيَّنَا لَكُمُ الْحَقَّ عَلَى أَلْسِنَةِ الرَّسُلِ، فَأَتَيْتُمُوهُ خَالِفَتُمُوهُ، وَقَالَ تَعَالَى : «وَمَا كَانَ مَعْذِلِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا»، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : «كُلُّمَا أُقْتَيَ فِيهَا فُوحَ سَأْلَهُمْ خَرْتُهَا أَلَمْ يَأْتُكُمْ نَذِيرٌ» . قَالُوا بَلِيْ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَبَنَا وَقَلَّا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ» .

وَقَوْلُهُ : «فَذَوَقُوا فِيمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ»، أَيْ : فَذَوَقُوا عَذَابَ النَّارِ جَزَاءً عَلَى مُخَالَفَتِكُمْ

(٥٥) - مَسْنَدُ أَبِي يَعْلَى حَدِيثٌ (٤٢/١١ - ٤٢/٤٤)، وَعِزَّاهُ صَاحِبُ الْكِتَابِ إِلَيْهِ الْحَكِيمُ فِي نَوَافِرِ الْأَصْوَلِ بِلَفْظِ : «أَقْلَ أُمَّتِي أَبْنَاءُ سَبْعِينَ» .

(٥٦) - مَسْنَدُ الْبَزَارِ بِرَقْمِ (٣٥٨٦) «كَشْفُ الْأَسْتَارِ»، وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْجَمِيعِ (٢٠٦/١٠) : «وَفِيهِ عُثْمَانُ بْنُ مَطْرٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ» .

[١] - مَا بَيْنَ الْمَعْكُوفَيْنَ فِي زِيَّ : «مِنْ» .

[٢]

[٣] - فِي زِيَّ : «كَوْلَهُ» .

لِلْأَنْبِيَاءَ^[١] فِي مَدَةِ أَعْمَارِكُمْ، فَمَا لَكُمْ يَوْمَ نَاصِرٍ يَنْقذُكُمْ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ وَالْأَغْلَالِ.

إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ غَيْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الْجَنَّاتِ
هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَقِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفُورٌ وَلَا يَزِيدُ الْكُفَّارُ
كُفُورُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وَلَا يَزِيدُ الْكُفَّارُ كُفُورُهُمْ إِلَّا خَسَارًا

يُخْبِرُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا تَكْنَهُ السَّرَّائِرُ وَتَنْطُويُ عَلَيْهِ الضَّمَائرُ، وَسِيَجاْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ.

ثُمَّ قَالَ: «هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَقِينَ فِي الْأَرْضِ»، أَيْ: يَخْلُفُ قَوْمَ الْآخْرِينَ قِبْلَهُمْ، وَجِيلَ لِجِيلٍ قِبْلَهُمْ، كَمَا قَالَ: «وَيَجْعَلُكُمْ خَلَفَاءَ الْأَرْضِ»، أَيْ: فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفُورٌ، أَيْ: فَإِنَّمَا يَعُودُ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ دُونَ غَيْرِهِ، «وَلَا يَزِيدُ الْكُفَّارُ كُفُورُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً»، أَيْ: كَلَمَا اسْتَمْرَوا عَلَى كُفُورِهِمْ أَبْغَضُهُمُ اللَّهُ، وَكَلَمَا اسْتَمْرَوا فِيهِ خَسْرَانُ أَنفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِخَلْفِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُمْ كُلَّمَا طَالَ عَمَرُ أَحَدُهُمْ وَخَشِنَ عَمَلُهُ؛ ارْتَفَعَ درْجَتُهُ وَمَنْزِلَتُهُ فِي الْجَنَّةِ وَزَادَ أَجْرُهُ، وَأَحْبَبَهُ خَالِقُهُ وَبَارِئُهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

قُلْ أَرَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرْوَفُ مَاذَا خَلَقُوا مِنْ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ
شَرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ عَاتَيْتُهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَاتِ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعْدُ الظَّالِمُونَ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ **إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَرْوَلَا**
وَلَئِنْ زَالتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾

يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولُ لِلْمُشْرِكِينَ: «أَرَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ»، أَيْ: مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ، «أَرْوَفُ مَاذَا خَلَقُوا مِنْ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شَرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ؟» أَيْ: لَيْسَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، مَا يَمْلَكُونَ مِنْ قَطْمِيرٍ.

وَقُولُهُ^[٢]: «أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَاتِ مِنْهُ»، أَيْ: أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ كِتَابًا بِمَا يَقُولُونَهُ مِنَ الشَّرْكِ وَالْكُفُرِ؟ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، «بَلْ إِنْ يَعْدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا»، أَيْ: بَلْ إِنَّمَا اتَّبَعُوا فِي ذَلِكَ أَهْوَاءَهُمْ وَأَرَاءَهُمْ وَأَمَانِيَّهُمُ الَّتِي تَمْنَوْهَا لِأَنفُسِهِمْ، وَهِيَ غُرُورٌ وَبَاطِلٌ وَزُورٌ.

[١] - سقط من: ز .

[٢] - في ز: «الأنبياء» .

ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن أمره، وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما، فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ ، أي : أن تضررها عن أماكنهما، كما قال : ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ أَنْ تَقْعُدْ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَمَنْ آتَاهُ أَنْ تَقْعُدْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَمْرِهِ﴾ .

﴿وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسِكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ، أي : لا يقدر على دوامهما وإنقائهما إلا هو، وهو مع ذلك حليم غفور أي : يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه ، وهو يعلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يعجل ، ويستر آخرين ويغفر ، ولهذا قال : ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ .

وقد أورد ابن أبي حاتم^(١) هادنا حديثاً غريباً بل منكراً ، فقال : حديثنا على بن الحسين بن الجنيد ، حديثنا إسحاق بن إبراهيم ، حديثي هشام بن يوسف ، عن أمية بن شبل^(٢) ، عن الحكم ابن أبيان ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة ؛ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن موسى عليه السلام على المنبر ؛ قال : «وَقَعَ فِي نَفْسِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُلْ يَنْامُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ؟ فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَأَرْقَهُ ثَلَاثًا، وَأَعْطَاهُ قَارُورَتَيْنِ [في كل يد قارورة]^(٣) وَأَمْرَهُ أَنْ يَحْفَظَ بِهِمَا، قَالَ: فَجَعَلَ يَنَامُ وَتَكَادُ يَدَاهُ تَلْقَيَانِ، ثُمَّ يَسْتِيقْظُ فِي جَسَّ^(٤) إِحْدَاهُمَا عَنِ الْأُخْرَى، حَتَّى نَامَ لَوْمَةً فَاصْطَفَقَتْ يَدَاهُ^(٥) فَحَكَسَرَتِ الْقَارُورَتَانِ، وَ^(٦) قَالَ: ضَرَبَ اللَّهُ لَهُ^(٧) مَثَلًا: إِنَّ اللَّهَ لَوْ كَانَ يَنَامَ لَمْ تَسْتِمْسِكْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» .

و[٨]الظاهر أن هذا الحديث ليس مرفوع ، بل من الإسرائييليات المكرونة ، فإن موسى عليه السلام أَجْلَى مِنْ^(٩) أن يَجْمُزَ عَلَى اللَّهِ سِيَاحَانِهِ وَتَعَالَى النَّوْمُ ، وقد أخبر اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِأَنَّهُ : ﴿الَّهُمَّ الْقَيْوَمُ لَا تَأْخُذْهُ سَنَةً وَلَا نُومَ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ . وَبَيْتُ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(١٠) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفَضُ الْقَسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يَرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلَ اللَّيلِ قَبْلَ النَّهَارِ، وَعَمَلَ النَّهَارَ قَبْلَ اللَّيلِ، حِجَابُهُ النُّورُ أَوِ النَّارُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ شَبَّحَاتَ وَجْهِهِ» .

(٥٧) - سبق تخرجه عند تفسير الآية : ٢٥٥ من سورة البقرة .

(٥٨) - مسلم في كتاب الإيمان برقم (١٧٩) ، وليس في صحيح البخاري ، وهو عند أحمد (٤/ ٣٩٥) ، (٤٠٥) وقد ذكره الحافظ عند تفسير الآية : ٢٥٥ من سورة البقرة فقال : «وَفِي الصَّحِيحِ هَذَا بِالْإِفْرَادِ» .

[١] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في خ ، ز : «سبيل» .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - سقط من : ز .

[٨] - سقط من : ز .

[٩] - في ز : «عن» .

ما أنتهى إلية بصره من خلقه».

وقد قال أبو جعفر بن جرير^(٥٩) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وايل ؛ قال : جاء رجل إلى عبد الله هو ابن مسعود - فقال : من أين جئت ؟ قال : من الشام . قال : من لقيت ؟ قال : لقيت كعبا . قال ما حدثك كعب ؟ قال : حدثني أن السماوات تدور على منكب ملك . قال : أقصدته أو كذبته ؟ قال : ما صدقته ولا كذبته . قال : لوددت أنك افديت من رحانتك إليه براحتك ورخلها ، كذب كعب . إن الله تعالى يقول : «إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولكن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده».

وهذا إسناد صحيح إلى كعب وإلى ابن مسعود .

ثم رواه ابن جرير عن ابن حميد ، عن جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ؛ قال : ذهب مجندب البتجلي إلى كعب بالشام ، فذكر نحوه^(٦٠) .

وقد رأيت في مصنف الفقيه يحيى بن مُرَيْن^(٦١) الطبلطي ، سماه «سير الفقهاء» ، أورد هذا الأثر عن محمد بن عيسى بن الطباع ، عن وكيع ، عن الأعمش ، به . ثم قال : وأخبرنا زونان يعني عبد الملك بن الحسن ، عن ابن وهب ، عن مالك ؛ أنه قال : السماء لا تدور . واحتج بهذه الآية ، وب الحديث : «إن بالغرب باباً للغوية لا يزال مفتوحاً حتى تطلع الشمس منه» .

قلت : وهذا الحديث في الصحيح^(٦٢) ، والله أعلم .

وأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهَدَ أَيْتَنِي لَيْتَ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأَمْمَاتِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادُهُمْ إِلَّا نَقْوَرًا ﴿٤٢﴾ أَسْتَكَبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكَرَ السَّيِّئَاتِ وَلَا يَحْسِنُ الْمَكَرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ يَجِدُ لِسْنَتِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجِدَ لِسْنَتِ اللهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾

(٥٩) - تفسير الطبرى (١٤٤/٢٢).

(٦٠) - تفسير الطبرى (١٤٤/٢٢ ، ١٤٥).

(٦١) - لم أجد الحديث في الصحيحين ، وهو عند الترمذى في الدعوات برقم (٣٥٣٠) في حديث طويل ، وهو في المسند للإمام أحمد ١٨١٤٥ - (٤/٢٤٠) ، وصحىح ابن خزيمة برقم (١٩٣) من حديث صفوان ابن عسال ، رضى الله عنه .

[١] - في ز : « سررين » .

يخبر تعالى عن قريش والعرب أنهم أقسموا بالله جهد أيانهم ، قبل إرسال الرسول إليهم : ﴿لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لِيَكُونُنَّ أَهْدِي مِنْ إِحْدَى الْأُمَّةِ﴾ ، أي : من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل . قاله الضحاك وغيره ، كقوله تعالى : ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كَنَا عَنْ دِرَاسِهِمْ لَغَافِلُونَ﴾ أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكننا أهدي منهن فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن ظلم من كذب بآيات الله وضدَّف عنها ﴿وَكَوْلُهُ﴾ تعالى : ﴿وَإِنْ كَانُوا لِيَقُولُونَ﴾ لو أن عندنا ذكرًا من الأولين * لكننا عباد الله الخالصين * فكفروا به فسوف يعلمون﴾ .

قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ ، وهو : محمد صلى الله عليه وسلم بما أنزل معه من الكتاب العظيم ، وهو القرآن المبين ، ﴿مَا زَادُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ ، أي : ما ازدادوا إلا كفراً إلى كفرهم ، ثم بين ذلك بقوله : ﴿أَسْتَكِبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ ، أي : استكبروا عن اتباع آيات الله ، ﴿وَمُكْرَرَ السَّيِّئَاتِ﴾ ، أي : ومكروا بالناس في صدِّهم إياهم عن سبيل الله ، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ ، [أي] : وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم .

قال ابن أبي حاتم : ذكر علي بن الحسين ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن أبي زكريا الكوفي ، عن رجل حديثه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إياك ومكر السيئ ، فإنه لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله»^[١] ، ولهم من الله طالب»^[٢] .

وقد قال محمد بن كعب القرظي : ثلات من فعلهن لم ينج حتى ينزل به من مكر أو بغي أو نكث ، وتصديقها في كتاب الله : ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ ، [إِنَّا بِغِيكُمْ عَلَى أَنفُسِكُمْ] ، ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكِثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾^[٣] .

وقوله : ﴿فَهُلْ يَنْظَرُونَ إِلَّا سَنَةُ الْأُولَيْنِ﴾ ، يعني : عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسليه ومخالفتهم أمره ، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ، أي : لا تغير ولا تبدل ، بل هي جارية كذلك في كل مكذب ، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ ، أي : ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقُومٍ سُوءًا فَلَا مَرْدُ له﴾ ، ولا يكشف ذلك عنهم ، ويحوله عنهم أحد .

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنْقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعِزِّزُ مِنْ شَوَّافٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّمَا كَانَ

(٦٢) - في إسناده جهالة ، وانقطاع ، ولم أجده من أخرجه غير ابن أبي حاتم ، وقد روى ابن المبارك في الزهد برقم (٧٢٥) عن الزهرى مرسلًا نحوه .

[٢] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[١] - ما بين المعقوفين من : خ ، ز .

عَلِيهِمَا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذَ اللَّهُ أَنَّاسَنَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ
ظَهِيرَهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَا سِكِّنٍ يُؤَخِّرُهُمْ إِنَّ أَجَلَ مُسْمَىٰ فَإِذَا جَاءَهُمْ أَجَلُهُمْ
فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يَعْلَمُ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المكدين بما جنتهم به من الرسالة : سيروا في الأرض ،
فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل ، كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثلها ، فخليل
منهم منازلهم ، وسلبوا ما كانوا فيه من الثغور بعد كمال القوة ، وكثرة العدد والعدة ، وكثرة
الأموال والأولاد ، فما أغنى ذلك شيئاً ، ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء ، لما جاء أمر
ربك ؛ لأنك تعالى لا يعجزه شيء ، إذا أراد كونه في السماوات والأرض ، ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلَيْهَا
قَدِيرًا﴾ . أي عليم بجميع الكائنات ، قادر على مجموعها .

ثم قال تعالى : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذَ اللَّهُ النَّاسُ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهِيرَهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ ، أي : لو
أخذهم بجميع ذنوبهم ؛ لأهلك جميع أهل الأرض ، وما يملكونه من دواب وأرزاق .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان الثوري ، عن
أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ؛ قال : كاد الجعل أن يعذب في بذرجه بذنب
ابن آدم ، ثم قرأ : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذَ اللَّهُ النَّاسُ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهِيرَهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ .

وقال سعيد بن جبير ، والشذري في قوله : ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهِيرَهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ ، أي : لما سقاهم
المطر ، فماتت جميع الدواب .

﴿وَلَكِنَّ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسْمَىٰ﴾ ، أي : ولكن ينظرهم إلى يوم القيمة ، فيحاسبهم
يومئذ ، ويوفي كل عامل بعمله ، فيجازي بالثواب أهل الطاعة ، وبالعقاب أهل المعصية ؛ ولهذا
قال تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ .

آخر تفسير سورة فاطر ، والله الحمد والمنة [١]



[١] - في حاشية خ ، ز : « وهو آخر الجزء الخامس ، يتلوه إن شاء الله تعالى في أول السادس تفسير سورة
يس . والحمد لله رب العالمين آمين وصلى الله على ميدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ورضي الله
عن أصحاب رسول الله أجمعين » .

تفسير سورة يس

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم
رب أعن على إتمامه^[١]

قال أبو عيسى الترمذى^(١) : حدثنا قتيبة وسفيان بن وكيع ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الرؤاىي ، عن الحسن بن صالح ، عن هارون أبي محمد ، عن مقاتل بن حيان ، عن قادة ، عن أنس ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لكل شيء قلبًا ، وقلب القرآن يس . ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات ». .

ثم قال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن عبد الرحمن ، وهارون أبو محمد شيخ مجهول ، وفي الباب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ولا يصح لضعف إسناده ، وعن أبي هريرة منظور فيه . .

أما حديث الصديق فرواه [الحكيم الترمذى في كتابه « نوادر الأصول »]^[٢] وأما حديث أبي هريرة فقال أبو بكر البزار^(٢) : حدثنا عبد الرحمن بن الفضل ، حدثنا زيد - هو ابن الحباب - حدثنا محمد هو المكي ، مولى آل علقة ، عن عطاء - هو ابن أبي رباح - عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لكل شيء قلبًا ، وقلب القرآن يس ». ثم قال : لا نعلم رواه إلا زيد ، عن حميد . .

وقال الحافظ أبو يعلى^(٣) : حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، حدثنا حجاج بن محمد ، عن هشام بن زياد ، عن الحسن ؛ قال : سمعت أبو هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ يس في ليلة أصبح مغفوراً له . ومن قرأ : « حم » التي يذكر فيها الدخان [في ليلة الجمعة]^[٤] أصبح مغفوراً له ». إسناد جيد . .

(١) - سنن الترمذى ، كتاب فضائل القرآن ، باب : ما جاء في فضل يس ، حديث (٢٨٨٧) ، وأخرجه الدارمى في فضائل القرآن ، باب : في فضل يس ، حديث (٣٤١٩) عن محمد بن سعيد ، عن حميد بن عبد الرحمن به . .

(٢) - كشف الأستار (٣/٨٧) (٤/٢٣٠) . .

(٣) - مسند أبي يعلى (١١/٩٣، ٩٤) (٤/٦٢٤) ، وأخرجه الدارمى ، في فضائل القرآن ، باب : في فضل يس ، حديث (٣٤٢٠) ، والطبرانى في الأوسط (٣٥٠٩) من طريق الحسن ، عن أبي هريرة بن حوشة ، وعزاه السيوطي في الدر المشور (٤٨١/٥) أيضا إلى ابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيمان . .

[١] - في ت : « وبه الإعانة ». [٢] - ما بين المعقوفين ياض في خ ، ز . .

[٣] - سقط من ز ، خ . ومثبت من مسند أبي يعلى . .

وقال ابن حبان في صحيحه^(٤) : حدثنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم مولى ثقيف ، حدثنا الوليد ابن شجاع بن الوليد السكوني ، حدثنا أبي ، حدثنا زياد بن خيثمة ، حدثنا محمد بن جحادة ، عن الحسن ، عن جندب بن عبد الله ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له ».

وقد قال الإمام أحمد^(٥) : حدثنا عارم ، حدثنا معتمر ، عن أبيه ، عن رجل ، عن أبيه ، عن معقل^[١] بن يسار رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « البقرة سلام القرآن وذروته ، نزل مع كل آية منها ثمانيون ملكا ، واستخرجت الله لا إله إلا هو الذي القيوم » ، من تحت العرش فوصلت بها - أو : فوصلت بسورة البقرة - ، ويس قلب القرآن ، لا يقرؤها رجل يربد الله والدار الآخرة ، إلا غفر له ، واقرءوها على موتاكم ».

وكذا رواه النسائي في « اليوم والليلة » ، عن محمد بن عبد الأعلى ، عن معتمر بن سليمان به .

ثم قال الإمام أحمد^(٦) : حدثنا عارم ، [حدثنا ابن^[٢] المبارك ، حدثنا سليمان التيمي ، عن أبي عثمان - وليس بالهدي - عن أبيه ، عن معقل بن يسار] ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقرءوها على موتاكم ». يعني : يس .

ورواه أبو داود ، والنسائي في « اليوم والليلة » ، وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك ، به . إلا أن في رواية النسائي : عن أبي عثمان ، عن معقل بن يسار .

ولهذا قال بعض العلماء : من خصائص هذه السورة أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله . وكأن قراءتها عند الميت لتنزيل الرحمة والبركة ، وليسهل عليه خروج الروح ، والله أعلم .

قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ؛ قال : كان المشيخة يقولون : إذا قرئت - يعني : يس - عند الميت خفف عنه بها .

(٤) - صحيح ابن حبان (٣١٢/٦) (٢٥٧٤) ورجاله ثقات لكن فيه عنعنة الحسن .

(٥) - المسند (٢٦/٥) ، وأخرجه النسائي في « عمل اليوم والليلة » (١٠٧٥) عن محمد بن عبد الأعلى ، عن معتمر به .

(٦) - المسند (٢٦/٥) ، وأخرجه في (٢٧/٥) ، وأبو داود في الجنائز ، باب : القراءة عند الميت ، حديث (٣١٢١) ، وابن ماجة في الجنائز ، باب : فيما يقال عند المريض ، حديث (١٤٤٨) من طرق عن ابن المبارك به .

[٢] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « عن » .

[١] - في خ : « مغفل » .

وقال البزار^(١) : حدثنا سلمة^[١] بن شبيب ، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي » يعني يس^[٢] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْ ۝ وَالْقُرْآنُ حَكِيمٌ ۝ إِنَّكَ لَعَنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝
تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَنذَرَ رَبَّاً وَهُمْ غَافِلُونَ ۝
لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يَؤْمِنُونَ ۝

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول « سورة البقرة » .

وروي عن ابن عباس وعكرمة ، والضحاك ، والحسن ، وسفيان بن عيينة : أن « يس » يعني : يا إنسان .

وقال سعيد بن جبير : هو كذلك في لغة الحبشة .

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : هو اسم من أسماء الله تعالى .

﴿وَالْقُرْآنُ حَكِيمٌ﴾ ، أي : الحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَعَنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ على صراط مستقيم^[٣] ، أي : على منهاج دين قويم ، وشرع مستقيم ، ﴿تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ ، أي : هذا الصراط والمنهج والدين الذي جئت به مُنذَّلٌ من رب العزة ، الرحيم بعاده المؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تشير الأمور^[٤] .

وقوله تعالى : ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَنذَرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ ، يعني بهم العرب ، فإنه ما أتاهم من نذير من قبله . وذكرهم وحدهم لا ينفي من عداهم ، كما أن ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم . وقد تقدم ذكر الآيات والأحاديث المتواترة في عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه عند قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ .

وقوله : ﴿لَقَدْ حَقَ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ قال ابن جرير : لقد وجب العذاب على أكثرهم

(١) - كشف الأستار (٢٨/٣) (٢٣٥) ، وقال البزار : لا نعلمه يروى إلا عن ابن عباس بهذا الإسناد ، وإبراهيم لم يتابع على أحاديثه ، على أنه قد حدث عنه أهل العلم .

[١] - في ز ، خ : « مسلمة ». [٢] - سقط من : خ .

بأن حَسْنَمُ عَلَيْهِمْ فِي أَمِ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بِاللَّهِ، وَلَا يَصْدِقُونَ رَسُولَهُ.

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فِيهِ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ٨
 بَيْنَ أَيْدِيهِمْ سَكَّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبَصِّرُونَ ٩
 عَلَيْهِمْ أَنَدَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ
 وَخَسِئَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ١١ إِنَّا نَحْنُ نَحْنِ
 الْمَوْقِفُ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَمَا إِثْرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْتَهُ فِي إِيمَانِ مُّبِينٍ ١٢

يقول تعالى : إننا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من يجعل في عنقه غل ; فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه ، فارتفع رأسه ، فصار مقمحا ، ولهذا قال : **﴿فَهُمْ مُقْمَحُون﴾** ، والمقمح هو الرافع رأسه ، كما قالت أم زرع في كلامها : « وأشرب فأقمح » ، أي : أشرب فأروي ، وأرفع رأسي تهيا وتروي . واكتفى بذلك في الغل في العنق عن ذكر اليدين ، وإن كانتا مرادتين ، كما قال الشاعر :

فَمَا أَذْرَى إِذَا يَكْمِنُتْ أَرْضًا أَرِيدَ الْخَيْرَ أَيْهُمَا يَلِينِي
 الْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهُ أَمِ الشَّرُّ الَّذِي لَا يَأْتِلِينِي
 فاكفى بذلك الخير عن ذكر الشر لما دل السياق والكلام عليه ، وكذا هنا ، لما كان الغل إنما
 يعرف فيما جمع اليدين مع العنق ، اكتفى بذلك العنق عن اليدين .

قال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : **﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فِيهِ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُون﴾** ، قال : هو كقول الله تعالى : **﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عَنْكَ﴾** ، يعني بذلك أن أيديهم موثقة إلى عنقهم ، لا يستطيعون أن يسطروا بخير .

وقال مجاهد : **﴿فَهُمْ مُقْمَحُون﴾** ، قال : رافع^[١] روسهم ، وأيديهم موضوعة على أفواههم ، فهم مغلولون عن كل خير .

وقوله : **﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾** ، قال مجاهد : عن الحق ، **﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾** ، قال مجاهد : عن الحق ، فهم يتربدون . وقال قتادة : في الضلالات .

وقوله : **﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾** ، أي : أغشينا أبصارهم عن الحق ، **﴿فَهُمْ لَا يَصْرُونَ﴾** ، أي : لا يتعرفون بخير ولا يهتدون إليه .

[١] - في خ ، ز : « راجي » .

قال ابن حرير: وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ (فأعشيناهم)، بالعين المهملة، من العشا وهو داء في العين.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: جعل الله هذا السد بينهم وبين الإسلام والإيمان، فهم لا يخلصون إليه، وقرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلْمَةُ رَبِّكُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءُهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يُرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾. ثم قال: من منعه الله لا يستطيع.

وقال عكرمة: قال أبو جهل: لئن رأيْتُ مُحَمَّداً لأفعلن ولأفعلن. فأنزلت: ﴿إِنَا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَصْرُونَ﴾، قال: وكانوا يقولون: هذا محمد. فيقول: أين هو؟ أين هو؟ لا يصره. رواه ابن حرير.

وقال محمد بن إسحاق^(٨): حدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب؛ قال: قال أبو جهل وهم جلوس: إن مُحَمَّداً يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوكاً، فإذا مُتُمْ بعثتم بعد موتكم، وكانت لكم جنات خير من جنات الأرض. وأنكم إن خالفتموه كان لكم منه ذبح، ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نار تعذيبون بها. وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك. وفي يده حفنة من تراب، وقد أخذ الله على أعينهم دونه، فجعل يذرفها على رءوسهم، ويقرأ: ﴿يَسُورٌ وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ﴾، حتى انتهى إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَنِي أَيْدِيهِمْ سُلْطَانًا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُلْطَانًا فَأَعْشَنَاهُمْ فَهُمْ لَا يَصْرُونَ﴾، وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته، وباتوا رصداء على بابه، حتى خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار، فقال: ما لكم؟ قالوا: ننتظر مُحَمَّداً. قال: قد خرج عليكم، فيما يقي منكم من رجل إلا وضع على رأسه تراباً، ثم ذهب لحاجته. فجعل كل رجل منهم ينفض ما على رأسه من تراب. قال: وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قول أبي جهل فقال: «أَوَّلَنَا أَقُولُ ذَلِكَ: إِنَّ لَهُمْ مِنِّي لَذِبْحًا، وَإِنَّهُ أَحَدُهُمْ [١]».

وقوله: ﴿وَسَوْءَ عَلَيْهِمْ أَنَّذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تَنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، أي: قد ختم الله عليهم بالضلال، مما يفيد فيهم الإنذار ولا يتأنرون به.

وقد تقدم نظيرها في أول «سورة البقرة»، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلْمَةُ رَبِّكُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءُهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يُرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

﴿إِنَّمَا تَنذِرُ مِنْ أَنْتَ الذِّكْرَ﴾، أي: إنما يتضمن الإنذار المؤمنون الذين يتبعون الذكر، وهو القرآن العظيم، ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنُ بِالْغَيْبِ﴾، أي: حيث^[٢] لا يراه أحد إلا الله، يعلم أن الله مطلع عليه، وعالم بما يفعله، ﴿فَبَشِّرْهُ بِغُفْرَةٍ﴾. أي: لذنبه، ﴿وَأَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، أي: كبير

(٨) - سيرة ابن هشام (٩٥/٢).

[٢] - سقط من: خ ، ز .

[١] - في خ ، ز : «آخذهم» .

واسع حسن جميل ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشُونَ رِبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿إِنَا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ ، أي : يوم القيمة ، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيي قلب من يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلال ، فيهديهم بعد ذلك إلى الحق ، كما قال بعد ذكر قسوة القلوب : ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتَهَا فَقَدْ بَيَانَ الْآيَاتِ لَعْلَكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

وقوله : ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ ، أي : من الأعمال . وفي قوله : ﴿وَآثَارُهُمْ﴾ قولان :

أحدهما : نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم ، وآثارهم التي أثرواها من بعدهم ، فنجزيلهم على ذلك أيضاً ، إن خيراً فخير ، وإن شرًا فشر ، كقوله صلى الله عليه وسلم : «من سن في الإسلام سنة حسنة ، كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً» .

رواه مسلم ^(٩) ، من رواية شعبة ، عن عون بن أبي مجحيف ، عن المنذر بن جرير ، [عن أبيه جرير ^[١] بن عبد الله البجلي رضي الله عنه ، وفيه قصة المجناني ^[٢] التمار ^[٣] المصريين] .

ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه ، عن يحيى بن سليمان الجعفي ، عن أبي الحمزة يحيى بن يعلى ، عن عبد الملك بن عمير ، عن جرير بن عبد الله فذكر الحديث بطوله ، ثم تلا هذه الآية : ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارُهُمْ﴾ .

وقد رواه مسلم ^(١٠) من رواية أبي عوانة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن المنذر بن جرير ، عن أبيه ، ذكره .

وهكذا الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم ^(١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ قال : قال

(٩) - أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة ، حديث (١٠١٧) وفي كتاب العلم ، حديث (١٠١٧) من حديث عبد الرحمن بن هلال الراسي ، عن جرير بن عبد الله.

(١٠) التمار : جمع ثمرة ، وهي ثياب صوف فيها خطوط بيضاء وسود . ومجناني التمار : أي : خرفوها وقوروا وسطها .

(١١) - صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، حديث (١٠١٧) (٧٠) ، وفي العلم حديث (١٠١٧) (١٥) .

(١٢) - تقدم تخرجه في سورة البقرة ، الآية (١٢٨) .

[١] - ما بين المعکوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ت : « مجناي » .

[٣] - بياض في ز ، خ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: من علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده».

و^[١] قال سفيان الثوري، عن أبي سعيد، قال: سمعت مجاهدا يقول في قوله: «إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وأثارهم»، قال: ما أثرثوا من الصلاة.

وقال ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير في قوله: «ونكتب ما قدموا وأثارهم»، يعني: ما أثروا، يقول: ما سنوا من سنة، فعمل بها قوم من بعد موته^[٢]، فإن كان خيراً فله مثل أجورهم، لا ينقص من أجر من عمله شيئاً، [وإن كانت شرّاً فعليه مثل أوزارهم، ولا ينقص من أوزار من عمله شيئاً]^[٣]. ذكرهما ابن أبي حاتم. وهذا القول هو اختيار البغوي.

والقول الثاني: أن المراد بذلك آثار خطفهم إلى الطاعة أو المعصية.

قال ابن أبي نبيح وغيره، عن مجاهد: «ما قدموا»: أعمالهم، «وأثارهم»؛ قال: خطفهم بأرجلهم.

وكذا قال الحسن وقتادة: «وأثارهم»، يعني: خطفهم.

قال قتادة: لو كان الله تعالى مُغفلًا شيئاً من شأنك يا بن آدم؛ أغفل ما تُغْفَلُ الرياح من هذه الآثار، ولكن أحصى على ابن آدم أثره وعمله كله، حتى أحصى هذا الأثر فيما هو من طاعة الله أو من معصيته، فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة الله فليفعل.

وقد وردت^[٤] في هذا المعنى أحاديث:

(الحديث الأول) قال الإمام أحمد^[٥]: حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبي، حدثنا الجizeri، عن أبي نصرة، عن جابر بن عبد الله؛ قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهم: «إنه^[٦] بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟». قالوا: نعم^[٧] يا رسول الله؛ قد أردنا^[٨] ذلك؛

(١٢) - المسند (٣٣٢/٣)، وأخرج مسلم في المساجد ومواقع الصلاة، حديث (٦٦٥) من طريق كهمس عن أبي نصرة، عن جابر به.

[١] - في ت: «موتهم».

[٢] - سقط من ز، خ.

[٤] - في ز، خ: «أوردت».

[٣] - ما بين المعقودتين سقط من: خ.

[٦] - سقط من: خ، ز.

[٥] - في خ، ز: «إني».

[٧] - في ز، خ: «ردننا».

قال : « يا بني سلمة ، دياركم تكتب آثاركم ، دياركم تكتب آثاركم » .

وهكذا رواه مسلم ، من حديث سعيد الجُريري وكهمس بن الحسن ، كليهما^[١] عن أبي نضرة - واسمه : المنذر بن مالك بن قطعة العبدية - عن جابر به .

(الحديث الثاني) قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن الوزير الواسطي ، حدثنا إسحاق الأزرق ، عن سفيان الثوري ، عن أبي سفيان ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ؛ قال : كانت بيوت سلمة في ناحية من المدينة ، فأرادوا أن يتقلوا إلى قريب من المسجد ؛ فنزلت : ﴿إِنَّا نَحْنُ [لَهُ] حِيَ الْوَتْئِ﴾^[٢] ولكتب ما قدموا آثارهم﴿﴾ ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « إن آثاركم تُكتب » . فلم يتقلوا .

انفرد بإخراجه الترمذى^[٣] عند تفسير هذه الآية الكريمة ، عن محمد بن الوزير به . ثم قال : حسن غريب من حديث الثوري .

ورواه ابن جرير^[٤] ، عن سليمان بن عمر بن خالد الرقي ، عن ابن المبارك ، عن سفيان الثوري ، عن طريف - وهو ابن شهاب أبي^[٥] سفيان السعدي - عن أبي نضرة ، به .

وقد رُويَ من غير طريق الثوري ، فقال الحافظ أبو بكر البزار :

حدثنا عباد بن الساجي ، حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا شعبة ، عن سعيد الجُريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ؛ قال^[٦] : إن بني سلمة سُكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منازلهم من المسجد ؛ فنزلت : ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا آثارَهُم﴾^[٧] ، فاقاموا في مکانهم .

وحدثنا ابن المتن^[٨] ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا الجُريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه . وفيه غرابة من حيث^[٩] ذكر نزول هذه الآية ، والسترة بكمالها مكية ، فالله أعلم .

(الحديث الثالث) قال ابن جرير^[١٠] : حدثنا نصر بن علي الجهمسي ، حدثنا أبو أحمد

(١٣) - سنن الترمذى ، كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة يس حديث (٣٢٢٦) عن محمد بن وزير به ، وقد سقط من المطبوع من السنن (أبي سفيان) والصواب ذكره كما في تحفة الأشراف (٤٣٥٨) .

(١٤) - تفسير الطبرى (١٥٤/٢٢) .

(١٥) - تقدم الحديث من طريق الجُريري برقم (١٢) .

(١٦) - تفسير الطبرى (١٥٤/٢٢) .

[١] - في ز ، خ : « كلامها » .

[٢] - ما بين المعقودين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ ، ز : « بن » .

[٤] - في ز ، خ : « حديث » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

الزبيري ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد ، فنزلت : ﴿ وَنَكِبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارُهُمْ ﴾ . فال قالوا : ثبت مكاننا . هكذا رواه ، وليس فيه شيء مرفوع .

ورواه الطبراني^(١٧) عن عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم ، عن محمد بن يوسف الفريابي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد ، فأرادوا أن يتحولوا إلى المسجد ، فنزلت : ﴿ وَنَكِبُ^[١] مَا قَدَّمُوا وَآثَارُهُمْ ﴾ ، فشيتوا في منازلهم .

(الحديث الرابع) قال الإمام أحمد^(١٨) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني خبي بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو ؛ قال : توفي رجل بالمدينة ، فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : « يا ليته مات في غير مولده » ؛ فقال رجل من الناس : ولم يأ رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل إذا توفي في غير مولده ، قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة » .

ورواه النسائي عن يونس بن عبد الأعلى ، وأiben ماجة عن حرملة ، كلامها عن ابن وهب ، عن حبي بن عبد الله به .

وقال ابن حجر^(١٩) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا أبو تميمة ، حدثنا الحسين ، عن ثابت ، قال : مشيت مع أنس فأسرعت المشي ، فأخذ بيدي فمشينا رويداً ، فلما قضينا الصلاة ؛ قال أنس : مشيت مع زيد بن ثابت فأسرعت المشي ؟ فقال : يا أنس ، أما شعرت أن الآثار تكتب ؟ أما شعرت أن الآثار تكتب ؟ .

وهذا القول لا تنافي بينه وبين الأول ، بل في هذا تبيه ودلالة على ذلك بطريق الأولى والأخرى ، فإنه إذا كانت هذه الآثار تكتب ، فلأنه تكتب تلك التي فيها قدوة بهم من خير أو شر بطريق الأولى ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَا فِي إِيمَامٍ مِّينْ ﴾ ، أي : جميع الكائنات مكتوب في كتاب

(١٧) - المعجم الكبير (١٢٣١٠) ، وقال الهيثمي في مجمع الروايد (٩٩/٧) : رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف .

(١٨) - المسند (١٧٧/٢) ، وأخرجه النسائي في الجنائز ، باب : الموت بغير مولده (٧/٤) ، وأiben ماجة في الجنائز ، باب : ما جاء فيمن مات غريباً ، حديث (١٦١٤) من طريق ابن وهب عن خبي بن عبد الله به .

(١٩) - تفسير الطبراني (١٥٤/٢٢) .

مسطور مضبوط في لوح محفوظ، والإمام المبين هنا هو أُم الكتاب . قاله مجاهد، وقادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وكذا في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِإِيمَانِهِمْ ۚ ۝ ، أَيْ : بِكَاتِبِ أَعْمَالِهِمُ الشَّاهِدُ عَلَيْهِمْ بِمَا عَمِلُوهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ وَجَاءَهُ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْشَّهِيدَاتِ ۚ ۝ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فِتْرًا لِلْجُرْمِينَ مُشَفِّقِينَ مَا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيَلْتَنَا مَا لَهُذَا الْكِتَابُ لَا يَغْاَدِرُ صَغِيرًا لَا كَبِيرًا إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا لَا يَظْلِمُ رِبَّكَ أَحَدًا ۚ ۝ .

وَأَضَرَّبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ۖ ۱۳ ۝ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ اثْنَيْنِ ۝ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزَنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّشَرِّكُونَ ۖ ۱۴ ۝ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۖ ۱۵ ۝ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمَرْسُلُونَ ۖ ۱۶ ۝ وَمَا عَلِيَّنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ۝

يقول تعالى : وَاضْرِبْ - يا محمد - لِقَوْمِكَ الَّذِينَ كَذَبُوكَ ﴿ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الرَّسُولُونَ ۚ ۝ .

قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس ، وكعب الأحبار ، و وهب بن منبه : إنها مدينة أنطاكية ، وكان بها ملك يقال له : أنطيخس بن أنطيخس بن أنطيخس ، وكان يعبد الأصنام ، فبعث الله إليه ثلاثة من الرسل ، وهم : صادق و صدوق و شلوم [١] ، فكذبهم .

وهكذا رُوي عن بُريدة بن الحُصَيْب ، وعكرمة ، وقادة ، والزهرى : أنها أنطاكية . وقد استشكل بعض الأئمة كونها [٢] أنطاكية ، بما سندكره بعد تمام القصة ، إن شاء الله تعالى .

وقوله : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ اثْنَيْنِ فَكَذَبُوهُمَا ۚ ۝ ، أَيْ : بادرهما بالتكذيب ، ﴿ فَعَزَّزَنَا بِثَالِثٍ ۚ ۝ ، أَيْ : قويناهما وشدنا أزرهما برسول ثالث .

قال ابن حرير ، عن وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبائي ؛ قال [٣] : كان اسم الرسلين الأولين شمعون ويوحنا ، واسم الثالث بولص ، والقرية أنطاكية .

[١] - في ز : « شَكُوم » .

[٢] - في ز : « شَكُوم » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

﴿فَقَالُوا﴾، أي : لأهل تلك القرية : **﴿إِنَا إِلَيْكُم مُرْسَلُون﴾**، أي : من ربكم الذي خلقكم ، تأمركم بعبادته وحده لا شريك له . قاله أبو العالية .

وزعم قنادة بن دعامة : أنهم كانوا رسل المسيح عليه السلام إلى أهل أنطاكية .

﴿قَالُوا مَا أَنْتُم إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾، أي : فكيف أوحى إليكم وأنتم بشر ونحن بشر ، فلم لا أوحى إلينا مثلكم ؟ ولو كنتم رسلاً لكتشم ملائكة . وهذه شبهة كثيرة من الأم المكذبة ، كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله : **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَ تَأْنِيهِمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبْشِرْ يَهُدُونَا﴾**؟ ، فاستعجبوا من ذلك وأنكروه ، وقوله : **﴿قَالُوا إِنَّمَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تَرِيدُونَ أَنْ تَصْدِّوْنَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتَوْنَا بِسُلْطَانٍ مِنْنَا﴾** . وقوله حكاية عنهم في قوله : **﴿وَلَئِنْ أَطْعَمْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا حَنَسْرُونَ﴾** ، **﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءُهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾** ، ولهذا قال هؤلاء : **﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾** . قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون **﴿أَجَابُوهُمْ رَسُولُهُمُ الْثَلَاثَةُ قَاتِلُينَ : اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَا رَسُولُهُمْ وَلَوْ كَنَّا كَذَّابِي عَلَيْهِ لَا تَنْقِمُ مِنَا أَشَدُ الانتقامِ وَلَكُنْهُ سَيِّعَنَا وَيَنْصُرُنَا عَلَيْكُمْ وَسْتَعْلَمُونَ لَمْ تَكُونْ عَاقِبَةُ الدَّارِ كَقُولَهُ تَعَالَى :﴾** **﴿قُلْ كَفِيْ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبِيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكُمْ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾** .

﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْبَيِّنَ﴾، يقولون : إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم ، فإن أطعتم **﴿كَانَتْ لَكُمُ السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِنْ لَمْ [١] تَجْعِلُوْا فَسْتَعْلَمُوْنَ غَيْرَ ذَلِكَ﴾**

﴿قَالُوا إِنَّا نَظَرَيْنَا إِلَيْكُمْ لَيْنَ لَمْ تَنْتَهُوا لِتَرْجِمَنُكُمْ وَلَيَمْسِنُكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

﴿قَالُوا طَلَّيْرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكَّرْرُقُ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾

ف عند ذلك قال لهم أهل القرية : **﴿إِنَا تَطَيِّرُنَا بِكُم﴾** ، أي : لم نر على وجوهكم خيراً في عيشنا .

وقال قنادة : يقولون : إن أصابنا شر فإما هو من أجلكم .

وقال مجاهد : يقولون : لم يدخل مثلكم إلى قرية إلا عذب أهلها .

﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لِتَرْجِمَنُكُم﴾ ، قال قنادة : بالحجارة . وقال مجاهد : بالشتم .

﴿وَلَيَمْسِنُكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ، أي : عقوبة شديدة فقالت لهم رسالهم : **﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُم﴾** ، أي : مردود عليكم ، كقوله تعالى في قوم فرعون : **﴿فَلَذَا [٢] جَاءُهُمْ الْحَسْنَةُ قَالُوا لَنَا**

[٢] - في ز : « أنت » .

[١] - في خ : « وإذا » .

هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه إلا إنما طائرهم عند الله^{﴿﴾}، وقال قوم صالح^[١]: «اطيرنا بك وبين معك قال طائركم عند الله^{﴿﴾}». وقال قادة: ووهب بن منبه: أي أعمالكم معكم.

وقال تعالى: «وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفهون حدثنا^{﴿﴾}.

وقوله: «أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون^{﴿﴾}»، أي: من أجل أننا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له، قابلتمونا بهذا الكلام، وتوعدتمونا وتهددونا؟ بل أنتم قوم مسرفون.

وقال قادة، أي^[٢]: إن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا، بل أنتم قوم مسرفون.

وَجَاءَهُمْ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَنْقُومُ أَتَيْعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ أَتَيْعُوا
مَنْ لَا يَسْتَكْنُ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ اللَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ
تُرْجَحُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّكُمْ مِّنْ دُونِهِمْ إِنَّمَّا لِمَنْ يُرِدُنَ الْرَّحْمَنُ يُضْرِبُ لَا تَعْنِي عَنِّي
شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِدُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّ إِذَا لَغَىٰ صَلَالِ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِذَا
عَامَشَ بِرَبِّكُمْ فَأَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾

قال ابن إسحاق - فيما بلغه عن ابن عباس وكعب الأحبار ووهب بن منبه - : إن أهل القرية همّوا بقتل رسلهم فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى ، أي: لينصرهم من قومه - قالوا: وهو حبيب ، وكان يعمل الحرير^[٣] - وهو الحبال - وكان رجالاً سقيماً، قد أسرع فيه الجذام ، وكان كثير الصدقة، يتصدق بنصف كسبه ، مستقيم النظرة .

وقال ابن إسحاق عن رجل سماه، عن الحكم، عن مقتسم - أو: عن مجاهد - عن ابن عباس؛ [كان]^[٤]: اسم صاحب يس "حبيب" ، وكان الجذام قد أسرع فيه.

وقال الثوري ، عن عاصم الأحوص ، عن أبي مجلز: كان اسمه حبيب بن مرى^[٥] .

وقال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس؛ قال: اسم صاحب يس حبيب التجار ،

[١] - سقط من: ز ، خ .

[٢] - في خ ، ز: «لوط» .

[٣] - ما بين المعقودين في ت: « قال » .

[٤] - في ز ، خ: «الجرید» .

[٥] - في خ ، ز: «سرى» .

فقتله قومه^[١].

وقال السدي : كان قَصَارًا . وقال عمر بن الحكم : كان إسْكَافًا .

وقال قتادة : كان يتبعد في غار هناك .

﴿ قال يا قوم اتبعوا المرسلين ﴾ ، يحضر قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم ، ﴿ اتبعوا من لا يسألكم أجرًا ﴾ ، أي : على إبلاغ الرسالة ، ﴿ وهم مهتدون ﴾ فيما يدعونكم إليه ، من عبادة الله وحده لا شريك له .

﴿ وما لي لا أعبد الذي فطرني ﴾ ، أي : و[١]ما يعني من إخلاص العبادة للذي خلقني وحده لا شريك له ، ﴿ وإليه ترجعون ﴾ ، أي [٢] يوم المعاذ ، فيجازيكم على أعمالكم ، إن خيراً فخير ، وإن شرًا فشر .

﴿ الْأَتَخَذُ مِنْ دُولَهُ آلَهَةً ﴾ ، استفهام إنكار وتوضيح وتقرير ، ﴿ إِنْ يَرْدَنَ الرَّحْمَنَ يَضُرُّ لَا تَفْنَى شَفَاعَتِهِمْ شَيْئًا وَلَا يَنْقُذُونَهُ ﴾ ، أي : هذه الآلة التي تبعدونها من دونه لا يملكون من الأمر شيئاً ، فإن الله لو أرادني بسوء ﴿ فَلَا ﴾^[٣] كاشف له إلا هو^[٤] . وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا معه ، ولا ينقذوني مما أنا فيه ﴿ إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مِّنْهُ ﴾ ، أي : إن اتخذتها آلة من دون الله .

وقوله : ﴿ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ ﴾ قال ابن إسحاق - فيما بلغه عن ابن عباس وكتب ووهب : - يقول لقومه : ﴿ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ، الذي كفرتم به ، ﴿ فَاسْمَعُونَ ﴾ ، أي : فاسمعوا قوله .

ويحتمل أن يكون خطابه للرسل بقوله : ﴿ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ، أي : الذي أرسلكم ، ﴿ فَاسْمَعُونَ ﴾ ، أي : فاشهدوا لي بذلك عنده . وقد حكاه ابن جرير فقال : وقال آخر : بل خاطب بذلك الرسل ، وقال لهم : اسمعوا قوله ، لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي ، لاني آمنت بربكم واتبعتم .

وهذا الذي حكاه عن هؤلاء أظهر في المعنى ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق - فيما بلغه عن ابن عباس وكتب ووهب - : فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ، ولم يكن له أحد يمنع عنه .

[١] - في ز ، خ : « قوم » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « لا » .

و^[١] قال قتادة : جعلوا يرجمونه بالحجارة ، وهو يقول : « اللهم ، اهد قومي ، فلأنهم لا يعلمون ». فلم يزالوا به حتى أقصصوه^(٤) وهو يقول كذلك . فقتلوه رحمة الله .

قَبِيلَ آدْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ فَتَوْيِي يَعْلَمُونَ^{٢٦} ٰ يَمَا عَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكَرَّمِينَ^{٢٧} ❁ وَمَا أَنْزَلَنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدِهِ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كَانَ مُنْزَلِنَ^{٢٨} إِنْ كَانَ إِلَّا صَيْحَةً وَجَهَدًا فَإِذَا هُمْ حَمِيدُونَ

قال محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن ابن مسعود : إنهم وطهوا بأرجلهم حتى خرج قُضبَه^(٥) من دبره . وقال الله له : « أدخل الجنة » ، فدخلها فهو يرزق منها ، قد أذهب الله عنه سُقم الدنيا وحزنها وتصيبها .

وقال مجاهد : قيل لخبيب التجار : ادخل الجنة . وذلك أنه قتل فوجبت له ، فلما رأى الثواب قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ^{٢٩} .

قال قتادة : لا تلقى المؤمن إلا ناصحاً ، لا تلقى غاشياً ، لِمَّا عَانِ [٢] مِنْ كِرَامَةِ الله^(٦) قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكَرَّمِينَ^{٢٩} ، تَمَنَّى عَلَى^(٧) الله أن يعلم قومه ما عانين من كِرَامَةِ الله ، وما هجَمَ عليه .

و^[٤] قال ابن عباس : نصح قومه في حياته بقوله : « يَا قَوْمَ اتَّبَعُوا الْمُرْسَلِينَ^{٢٩} » ، وبعد مماته في قوله : « يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكَرَّمِينَ^{٢٩} ». رواه ابن أبي حاتم .

وقال سفيان الثوري ، عن عاصم الأحول ، عن أبي مجلز : « يَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكَرَّمِينَ^{٢٩} » ، يأيماني بربِّي ، وتصديقي المرسلين .

ومقصوده أنهم لو اطلعوا على ما حصل من هذا الثواب والجزاء والتعيم المقيم ؛ لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل ، فرحمه الله ورضي عنه ، فلقد كان حريصاً على هداية قومه .

قال^[٥] ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عبيد الله ، حدثنا ابن^[٦] جابر - [وهو]^[٧] محمد - عن عبد الملك - يعني : ابن عمير - قال : قال عروة بن مسعود الثقفي للنبي صلى الله

(٤) قصبه : أماته مكتبه .

(٥) أقصصه : أماته مكتبه .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « و » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - ياض في : ز ، خ .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - ما بين المعکوفین في ز : « هو ابن » .

عليه وسلم : أبعتني إلى قومي أدعوهم إلى الإسلام ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ». فقال : لو وجدوني نائماً [١] أَيْقُظُونِي ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «انطلق». فانطلق فمر على اللات والعزى ، فقال : لأصْبِحَّكَ غَدَّاً بِمَا يَسُؤُوكُ . ففضبت ثقيف ؛ فقال : يا معاشر ثقيف ، إن اللات للات ، وإن العزى لا عزى ، أسلموا تسلموا . يا معاشر الأحلاف ؛ إن العزى لا عزى ، وإن اللات للات ، أسلموا تسلموا . قال ذلك ثلاث مرات ، فرماه رجل فأصابه أَكْحَلَه فقتله ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : «هذا مثل كمثل صاحب يس [٢] قال يا ليت قومي يعلمنون بما غفر لي ربِّي وجعلني من المكرمين [٣] ». .

وقال محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم : إنه حدث عن كعب الأحبار : أنه ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم - أخوبني مازن بن النجار - الذي كان مسيلمة الكذاب قطعه باليمامة ، حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقول : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول : نعم . ثم يقول : أتشهد أنني رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع . فيقول له مسيلمة : أتسمع هذا ولا تسمع ذاك ؟ فيقول : نعم . فجعل يقطعه عضواً ، كلما سأله لم يزده على ذلك [حتى مات في بيته [٤] : فقال كعب حين قيل له [٥] : اسمه حبيب ، وكان والله صاحب يس اسمه حبيب .

وقوله : «وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمٍ مِّنْ بَعْدِهِ مِنْ جَنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كَانَ مَنْزَلِينَ [٦] »، يخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد قتلهم لإياده ، غضباً منه تعالى عليهم ؛ لأنهم كذبوا رسنه ، وقتلوا وليه . ويذكر تعالى : أنه ما أنزل عليهم ، وما احتاج في إهلاكه لإياده إلى إنزال جند من الملائكة عليهم ، بل الأمر كان أيسراً من ذلك . قاله ابن مسعود ، فيما رواه ابن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عنه أنه قال في قوله : «وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمٍ مِّنْ بَعْدِهِ مِنْ جَنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كَانَ مَنْزَلِينَ [٦] »، أي : ما كاثرناهم بالجحود . الأمر كان أيسراً علينا من ذلك ، «إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِحَّةً وَاحِدَةً فَلَذَا هُمْ خَامِدُونَ [٧] »، قال : فأهلك الله ذلك الملك ، وأهلك أهل [٨] أنطاكيه ، فبادروا عن وجه الأرض ، فلم يبق منهم باقية .

وقيل : «وَمَا كَانَ مَنْزَلِينَ [٦] »، أي : وما نزل الملائكة على الأئم إذا أهلكناهم ، بل نبعث عليهم عقاباً [٩] يدمرونهم .

وقيل : المعنى في قوله : «وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمٍ مِّنْ بَعْدِهِ مِنْ جَنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ [٦] »، أي : من

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ت : « عذاباً » .

رسالة أخرى إليهم . قاله مجاهد وقادة . قال قتادة : فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله ، ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ﴾ .

قال ابن جرير : والأول أصح ، لأن الرسالة لا تسمى جنداً .

قال المفسرون ، بعث الله إليهم جبريل عليه السلام فأخذ بعضاً مني بباب بلدتهم ، ثم صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون عن آخرهم ، لم تبق فيهم^[١] روح تردد في جسد .

وقد تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية هي أنطاكية ، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلاً من عند المسيح عليه السلام ؛ كما نص عليه قتادة وغيره ، وهو الذي لم يذكر عن^[٢] واحد من متأخرى المفسرين غيره ، وفي ذلك نظر من وجوهه .

أحدها^[٣] : أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسلاً عز وجل ، لا من جهة المسيح ، كما قال تعالى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمَا فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ قَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ إلى أن قالوا : ﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ ، ولو كان^[٤] هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تاسب أنهم من عند المسيح عليه السلام ، والله أعلم . ثم لو كانوا رسلاً للمسيح لما قالوا لهم : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مُّثُلُّنَا ﴾ .

الثاني : أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم ، فكانوا^[٥] أول مدينة آمنت بال المسيح ؛ ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربعة الالاتي فيها بُشّارَة ، وهن القدس لأنها بلد المسيح ، وأنطاكية لأنها أول بلدة آمنت بال المسيح عن آخر أهلها .

والإسكندرية لأن فيها اصطلحوا على اتخاذ البئاركة والمطارنة والأساقفة والقساؤسة^[٦] والشمامسة والرهابين . ثم رومية لأنها مدينة الملك قسطنطين الذي نصر^[٧] دينهم وأطّله^[٨] . ولما ابتنى القسطنطينية نقلوا البترك من رومية إليها ، كما ذكره غير واحد من ذكر تواريχهم كسعيد بن بطريق وغيره من أهل الكتاب وال المسلمين ، فإذا تقرر أن أنطاكية أول قرية^[٩] آمنت . فأهل هذه القرية قد ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسالمهم^[١٠] ، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخذتهم^[١١] ، فالله أعلم .

(٤) أي ثبته .

[١] - في ت : « بهم » .

[٢] - في ز ، خ : « غير » .

[٣] - في ت : « كانوا » .

[٤] - في ز ، خ : « القساسة » .

[٥] - في ت : « مدينة » .

[٦] - في ت : « أخذتهم » .

[٧] - في ت : « أحدهما » .

[٨] - في ت : « وكانوا » .

[٩] - في خ ، ز : « حصر » .

[١٠] - في ت : « رسلاً » .

الثالث : أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة، وقد ذكر أبو سعيد الخدري وغير واحد من السلف ، أن الله تعالى بعد إزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم ، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتل المشركين ، ذكروه عند قوله تعالى : «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكَنَا الْقَرْوَنُ الْأُولَى» [١] هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير أنطاكية ، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضًا . أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظًا في هذه القصة ، مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة ، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملةنصرانية ولا قبل ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

فأما الحديث الذي رواه الحافظ [٢] أبو القاسم الطبراني (٤٠) : حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ، حدثنا الحسين بن أبي السري العسقلاني ، حدثنا حسين الأشقر ، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي تجبيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «الشیئق ثلاثة : فالسابق إلى موسى يوشع بن نون ، والسابق إلى عيسى صاحب يس ، والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب ». فإنه حديث منكر ، لا يعرف إلا من طريق حسين الأشقر ، وهو شيعي متوك .

يَحْسِرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِنُونَ ﴿٢٠﴾
يَرَوُا كَمْ أَهْلَكَنَا قَبْلَهُمْ مِنْ الْقَرْوَنَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾
جَمِيعَ الَّذِينَ مُحْضَرُونَ ﴿٢٢﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : «يا حسرة على العباد» ، [أي] : يا وليل العباد [٣] .

وقال قتادة : «يا حسرة على العباد» ، أي : يا حسرة العباد على أنفسهم [٤] ، على [٥] ما ضيغت من أمر الله ، فرطت في جنب الله - قال : وفي بعض القراءة : «يا حسرة [٦] العباد على أنفسها » .

(٢٠) - المعجم الكبير (١١/١١) (٩٣/١١٥٢) ، وقال الهيثمي في مجمع الروايد (٩/٤٠) : فيه حسين بن حسن الأشقر وثقة ابن حبان وضعفه الجمهور وبقيه رجاله حديثهم حسن أو صحيح .

[١] - بعده في خ ، ز : «أهل» .

[٢] - ما بين المعکوفین مكررة في ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - بعده في ز ، خ : «على» .

ومعنى هذا: يا حسرتهم وندامتهم يوم القيمة إذا عاينوا العذاب ، كيف كذبوا رسول الله ، وخالفوا أمر الله ، فإنهم كانوا في الدار الدنيا المكذبون منهم .

﴿ ما يأيّهُم مِّنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزَئُونَ ﴾، أي: يكذبونه ويستهزئون به ، ويجادلون ما أرسل به من الحق .

ثم قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يرَا كَمَا أَهْلَكَنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقَرْوَنَ أَهْلَمُ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾، أي: ألم ينظروا بن أهلك الله قبلهم من المكذبين للرسل ، كيف لم تكن لهم إلى هذه الدنيا كرامة ولا رجعة ، ولم يكن الأمر كما زعم كثير من جهلتهم وفجورتهم من قولهم: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاةُ الدُّنْيَا نَحْيَا ﴾، وهو القائلون بالدور من الدهرية ، وهو الذين يعتقدون جهلاً منهم أنهم يعودون إلى الدنيا كما كانوا فيها ، فرَدَ الله تعالى عليهم باطلهم ، فقال: ﴿ أَلَمْ يرَا كَمَا أَهْلَكَنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقَرْوَنَ أَهْلَمُ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾.

وقوله: ﴿ وَإِنْ كُلَّ مَا جَمِيعَ لِدِينِنَا مُحَضِّرُونَ ﴾، أي: وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر^[١] للحساب يوم القيمة بين يدي الله عز وجل ، فيجازيهم بأعمالهم كلها خيراً وشرها ، ومعنى هذه كقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُلَّا لَمْ يُوْفِيهِمْ رِبُّ أَعْمَالِهِمْ ﴾ . وقد اختلف القراء في أداء هذا الحرف ، فمنهم من قرأ: ﴿ وَإِنْ كُلَّ مَا ﴾ بالخفيف ، فعنده أن « إن » للإثبات^[٢] ، ومنهم من شدد ﴿ مَا ﴾ ، وجعل « إن » نافية ، و « مَا » بمعنى إلا تقديره: وما كل إلا جميع لدينا محسرون ، ومعنى القراءتين واحد ، والله أعلم .

وَإِيَّاهُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَيَا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ 

وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّتِ مِنْ تَخْيِيلٍ وَأَعْنَبٍ وَفَجَرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ 

لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلْتُهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ  سُبْحَنَ اللَّهِ الَّذِي

خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ 

يقول تعالى: ﴿ وَإِيَّاهُ لَهُمُ ﴾ ، أي: دلالة لهم على وجود الصانع وقدرته التامة وإحياءه الموتى ﴿ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ ﴾ ، أي: إذا كانت ميته هامدة لا شيء فيها من النبات ، فإذا أنزل الله عليها الماء اهترت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج ، ولهذا قال :

[١] - في ز ، خ : « تستحضر » .

[٢] - في ت : « لإثبات » .

﴿ أَحِبَّنَا هَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَيًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾، أي : جعلنا رزقاً لهم ولأنعامهم ، ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخْلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَرْنَا فِيهَا مِنَ الْعِيُونِ ﴾، أي : جعلنا فيها أنهاراً سارحة في أمكنة ، يحتاجون إليها ليأكلوا من ثمره . لما امتنن^[١] على خلقه بإيجاد الزروع لهم عطف بذكر الشمار وتنوعها وأصنافها .

وقوله : ﴿ وَمَا عَمِلْتَهُ أَيْدِيهِمْ ﴾، أي : وما ذاك كله إلا من رحمة الله بهم ، لا بسعهم ولا كدهم ، ولا بحولهم ولا بقوتهم^[٢] . قاله ابن عباس وقتادة . ولهذا قال : ﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾، أي : فهلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى . واختار ابن جرير - بل جزم به ، ولم يحك غيره إلا احتمالاً - أن « ما » في قوله : ﴿ وَمَا عَمِلْتَهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، يعني « الذي » ، تقديره : ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم ، أي : غرسوه ونصبوه ، قال : وهي كذلك في قراءة ابن مسعود : « ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفالاً يشكرون » .

ثم قال : ﴿ سَبَحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلُّهَا مَا تَبَتَّ الأَرْضُ ﴾، أي : من زروع وثمار ونبات ، ﴿ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ ، فجعلهم ذكراً وأنثى ، ﴿ وَمَا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، أي : من مخلوقات شتى لا يعرفونها ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زوجين لِعِلْمِكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

وَإِيَّاهُ لَهُمْ أَيْلُلٌ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ٢٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي
لِمُسْتَقْرٍ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢٨) وَالْقَمَرُ قَدْرَنَةٌ مَازِلَ حَتَّى
عَادَ كَالْعَرْجُونِ الْقَدِيرِ ٢٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرُ وَلَا أَيْلُلٌ
سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلُّ فِلَكٍ يَسْبَحُونَ ٣٠)

يقول تعالى : ومن الدلالة لهم على قدرته - تعالى - العظيمة خلق الليل والنهار ، هذا بظلماته وهذا بضيائه ، وجعلهما يتعاقبان ، يجيئ هذا فيذهب هذا ، ويذهب هذا فيجيء هذا ، كما قال : ﴿ يَفْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَتَّىٰ ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ ، أي : نصرمه منه فيذهب ، فيقبل الليل ، ولهذا قال : ﴿ إِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ ، كما جاء في الحديث : « إذا أقبل الليل من هاهنا ، وأدبر النهار من هاهنا ، وغربت الشمس ، فقد أفتر الصائم » .

هذا هو الظاهر من الآية ، وزعم قنادة أنها كقوله تعالى : ﴿ يَوْلُجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوْلِجُ النَّهَارَ فِي الْلَّيْلِ ﴾ . وقد ضعف ابن جرير قول قنادة هاهنا ، وقال : إنما معنى الإيلاج الأخذ من هذا في هذا ، وليس هذا مراداً في هذه الآية وهذا الذي قاله ابن جرير حق .

[١] - في ت : « أمن » . [٢] - في ت : « وقوتهم » .

وقوله : ﴿وَالشَّمْسُ تَحْرِي لِسْتَرَ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ، في معنى قوله : ﴿لِسْتَرَ لَهَا﴾ ، قوله : أَحَدُهُمَا : أَنَّ الْمَرَادَ مُسْتَرَهَا الْمَكَانِي ، وَهُوَ تَحْتَ الْعَرْشِ مَا يَلِي الْأَرْضَ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ ، وَهِيَ أَيْنَمَا كَانَتْ فَهِيَ تَحْتَ الْعَرْشِ هِيَ وَجْهُ الْمُخْلُوقَاتِ ، لِأَنَّهُ سَقْفُهَا ، وَلَيْسَ بِكُرْبَةٍ كَمَا يَرْعَمُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَرْبَابِ الْهَبَّةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ قَبْيَهُ ذَاتِ قَوَافِلِ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ، وَهُوَ فَوْقُ الْعَالَمِ مَا يَلِي رَعْوَسَ النَّاسِ ، فَالشَّمْسُ إِذَا كَانَتْ فِي قَبْيَهُ الْفَلَكَ وَقْتُ الظَّهِيرَةِ تَكُونُ أَقْرَبُ مَا تَكُونُ إِلَى الْعَرْشِ ، إِذَا اسْتَدَارَتْ فِي فَلَكِهَا الرَّابِعُ إِلَى مَقَابِلَةِ هَذَا الْمَقَامِ ، وَهُوَ وَقْتُ نَصْفِ اللَّيلِ ، صَارَتْ بَعْدَ مَا تَكُونُ مِنَ الْعَرْشِ ، فَجَبَتْ تَسْجُدًا وَتَسْتَأْذِنَ فِي الظَّلُوعِ ، كَمَا جَاءَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثِ .

قال البخاري (١) : حَدَثَنَا أَبُو ثَعِيمٍ ، حَدَثَنَا الأَعْمَشُ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِيهِ ذِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ قَالَ : كَنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ غَرْبِ الشَّمْسِ ، فَقَالَ : « يَا أَبَا ذِرٍ ، أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرِبُ الشَّمْسُ؟ » . قَلَتْ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « فَإِنَّهَا تَذَهَّبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿وَالشَّمْسُ تَحْرِي لِسْتَرَ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ . » .

حدَثَنَا عبدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ الْحُمَيْدِيَّ (٢) ، حَدَثَنَا وَكِيعُ عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِيهِ ذِرٍ ؛ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ : ﴿وَالشَّمْسُ تَحْرِي لِسْتَرَ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ، قَالَ : « مُسْتَرَهَا تَحْتَ الْعَرْشِ ». .

كَذَا أُورَدَهَا هَاهُنَا . وَقَدْ أَخْرَجَهُ فِي أَمَاكِنٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، وَرَوَاهُ بَقِيَةُ الْجَمَاعَةِ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ التَّمِيِّيَّ ، مِنْ طُرُقٍ ، عَنِ الْأَعْمَشِ بِهِ .

وقال الإمام أحمد (٣) : حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ، حَدَثَنَا الأَعْمَشُ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيِّيَّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِيهِ ذِرٍ ، قَالَ : كَنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ حِينَ وَجَبَتِ الشَّمْسُ ، فَقَالَ : « يَا أَبَا ذِرٍ ، أَتَدْرِي أَيْنَ تَذَهَّبُ الشَّمْسُ؟ » . قَلَتْ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « فَإِنَّهَا تَذَهَّبُ حَتَّى تَسْجُدَ بَيْنَ يَدِيِّ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ ، فَتَسْتَأْذِنَ فِي الرَّجْوِ فَيُؤْذَنُ لَهَا ، وَكَأَنَّهَا قَدْ قَلِيلٌ لَهَا : أَرْجِعِي مِنْ حَيْثُ جَئْتَ . فَتَرْجِعُ إِلَى مَطْلَعِهَا ، وَذَلِكَ مُسْتَرَهَا ، ثُمَّ قَرَا : ﴿وَالشَّمْسُ تَحْرِي لِسْتَرَ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ . » .

وقال سفيان الثوري (٤) ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيِّيَّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِيهِ ذِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(١) - تقدم تخریجه في تفسیر سورۃلقمان ، الآیة (٢٩) .

(٢) - صحیح البخاری كتاب التفسیر ، باب : ﴿وَالشَّمْسُ تَحْرِي لِسْتَرَ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ، حديث (٤٨٠٣) ، وانظر رقم (٢٢) .

(٣) - المستند (١٥٢/٥) ، وانظر رقم (٢٢) .

(٤) - آخرجه البخاري في بدء الخلق ، باب : صفة الشمس والقمر ، حديث (٣١٩٩) بسنده إلى سفيان به . وانظر رقم (٢٢) .

الله عنه؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لأبي ذر^[١]] حين غربت الشمس : « أتدري أين تذهب ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش ، فتسأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتسأذن فلا يؤذن لها ، ويقال لها : أرجعي من حيث جئت . فتطلع من مغربها ، ذلك قوله : ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ .

وقال عبد الرزاق^(٢) : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن وهب بن جابر ، عن عبد الله ابن عمرو ؛ قال في قوله : ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ ، قال : إن الشمس تطلع فتردها ذنوببني آدم ، حتى إذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت^[٣] فيؤذن لها ، حتى إذا كان يوم غربت فسلمت وسجدت ، واستأذنت فلا يؤذن لها ، فقوله : إن المسير بعيد ولاني إلا يؤذن لي لا أبلغ ، فتعجب ما شاء الله أن تخبس ، ثم يقال لها : « اطلع من حيث غربت » قال : فمن يوم عذ إلى يوم القيمة لا ينفع نفسها إيمانها ، لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً .

وقيل المراد بقوله : ﴿لمستقر لها﴾ ، [هو انتهاء سيرها^[٤]] وهو غاية ارتفاعها في السماء في الصيف وهو أوجها ، ثم غاية انخفاضها في الشتاء وهو الخصيف .

والقول الثاني : أن المراد بمستقرها هو : منتهى سيرها ، وهو يوم القيمة ، يبطل سيرها وتسكن حركتها وتکور ، وينتهي هذا العالم إلى غايتها ، وهذا هو مستقرها الزمانى .
قال قتادة : ﴿لمستقر لها﴾ ، أي : لوقتها وأجل لا تعلوه .

وقيل : المراد أنها لا تزال تنتقل في مطالعها الصيفية إلى مدة لا تزيد عليها ، ثم تنتقل في مطالع الشتاء إلى مدة لا تزيد عليها يروى هذا عن عبد الله بن عمرو .

وقرأ ابن مسعود ، وأبن عباس : ﴿والشمس تجري لا مستقر لها﴾ ، أي : لا قرار لها ولا سكون ، بل هي سائرة ليلاً ونهاراً ، لا تفتر ولا تقف . كما قال تعالى : ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائرين﴾ ، أي^[٥] : لا يفتران ولا يغفان إلى يوم القيمة .

﴿ذلك تقدير العزيز﴾ ، أي : الذي لا يخالف ولا يُائع ، ﴿العزيز﴾ ، بجميع الحركات والسكنات ، وقد قدر ذلك وفته على منوال لا اختلاف فيه ولا تعاكس ، كما قال تعالى :

٢٥) - تفسير عبد الرزاق (١٤٢/٢) .

[١] - ما بين المعقوفين سقط من : خ . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - بعده في خ ، ز : زيادة : « وسجدت واستأذنت ، وسجدت واستأذنت ، وسجدت ». .

[٤] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز . [٥] - سقط من : ز ، خ .

﴿فَالْأَصِبَاحُ وَجَعَلَ [١] الْلَّيلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ حَسِبَاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ .
وَهُكُمَا خَتَمَ آيَةً ﴿حَم﴾ السَّجْدَةَ بِقُولِهِ: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ .

ثم قال: ﴿وَالقَمَرُ قَدْرُنَاهُ مَنَازِلٌ﴾ ، أي جعلناه يسير سيراً آخر يستدل به على مضي [٢]
الشهور، كما أن الشمس [بها يعرف] الليل والنهار، وكما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ
قَلْ هِي مِوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحِجَّةِ﴾ ، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُورًا وَقَدْرَهُ
مَنَازِلٍ لَتَعْلَمُوا عَدْدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ ... الآية وقال: ﴿وَجَعَلْنَا الْلَّيلَ وَالنَّهَارَ آيَتِينَ فَمَحَوْنَا
آيَةَ الْلَّيلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْصِرَةً لِتَبْغُوا فَضْلًا مِنْ رِبْكُمْ وَلَتَعْلَمُوا عَدْدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ
شَيْءٍ فَصَلَنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ . فجعل الشمس لها ضوء يخصها، والقمر له نور يخصه، وفاوت بين
سير هذه وهذا، فالشمس تطلع كل يوم وتغرب في آخره على ضوء واحد، ولكن تتنقل في
مطالعها ومغاربيها صيفاً وشتاء، يطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل، ثم يطول الليل ويقصر
النهار، يجعل سلطانها بالنهار، فهي كوكب نهاري . وأما القمر فقدرها منازل، يطلع في أول
ليلة من الشهر ضيالاً قليلاً قليلاً النور، ثم يزداد نوراً في الليلة الثانية، و[يرتفع منزلة][٣] ، ثم كلما
ارتفاع ازداد ضياء، وإن كان مقتبساً من الشمس، حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة، ثم
يشرع في النقص إلى آخر الشهر، حتى يصير كالعروجن القديم .

قال ابن عباس: وهو أصل العذق .

وقال مجاهد: العروجن القديم ، أي: العذق اليابس .

يعني ابن عباس أصل العنقود من الرطب إذاعثن ويس وانحنى ، وكذلك قال غيرهما . ثم بعد
هذا يديه الله جديداً في أول الشهر الآخر ، والعرب تسمى كل ثلاثة أيام من الشهر باسم
باعتبار القمر، فيسمون الثلاث الأول «عُزَّر» واللواتي بعدها «لَقْلَل» واللواتي بعدها «تُسَعْ» لأن
آخرهن التاسعة ، واللواتي بعدها «عُشَّر» لأن أولاهن [٤] العاشرة ، واللواتي بعدها «البيض» لأن
ضوء القمر فيهن إلى آخرهن ، واللواتي بعدهن «دُرْع» جمع دَرَعَاءَ ، لأن أولاهن سود ، لتأخر
القمر في أولهن ، ومنه الشاة الدرعاء وهي التي رأسها أسود . وبعدهن ثلاثة «ظلم» ثم ثلاثة
«خَنَادِسْ» . وثلاث «آدَى» [٥] ، وثلاث «مَحَاقْ» ، لاتمحاق القمر أواخر الشهر فيهن . وكان
أبو عبيدة [٦] ينكر الشعع والثشر . كذلك قال في كتاب «غريب المصنف» .

[١] - في ز: « وجاعل » وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر .

[٢] - في ز، خ: « معنى » .

[٣] - ما بين المعقوتين في ز، خ: « ترتفع منزلته » .

[٤] - في ز، خ: « أولاهن » .

[٥] - في خ، ز: « داري » .

[٦] - في خ، ز: « عبيدة » .

وقوله: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ﴾، قال مجاهد: لكل منهما حد لا يعلمه ولا يقصّر دونه، إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا، وإذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا.

وقال عبد الرزاق ^(٢٦): أخبرنا معمراً، عن الحسن في قوله: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ﴾. قال: ذلك ليلة الهماء.

وروى ابن أبي حاتم هاهنا، عن عبد الله بن المبارك، أنه قال: إن للريح جناحاً، وإن القمر يأوي [إلى ^[١]] غلاف [من الماء].

وقال الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح: لا يدرك هذا ضوء ^[٢] هذا، ولا هذا ضوء ^[٣] هذا.

وقال عكرمة: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ﴾، يعني أن لكل منهما سلطاناً، فلا ينبعي للشمس أن تطلع بالليل.

وقوله: ﴿وَلَا الْلَّيلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾، يقول: لا ينبغي إذا كان الليل أن يكون ليل آخر حتى يكون النهار، فسلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل.

وقال الضحاك: لا يذهب الليل من هاهنا حتى يحيى النهار من هاهنا. وأوّما يideo إلى المشرق.

وقال مجاهد: ﴿وَلَا الْلَّيلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾: يتطلبان حثيثين، نسلخ ^[٤] أحدهما من الآخر.

والمعنى في هذا: أنه لا فترة بين الليل والنهار، بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا فتران، لأنهما مسخران دائمين ^[٥] يتطلبان ^[٦] طلبها حثيثاً.

وقوله: ﴿وَكُلُّ فِلْكٍ يَسْبِحُونَ﴾، [يعني الليل والنهار، والشمس والقمر، كلهم يسبحون ^[٧]، أي: يدورون في فلك السماء. قاله ابن عباس، وعكرمة، والضحاك، والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني].

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: في فلك بين السماء والأرض.

. (٢٦) - تفسير عبد الرزاق (١٤٣/٢).

[١] - في ز، خ: «الاغلف».

[٢] - في ز، خ: «ضر».

[٣] - في ز، خ: «يسلاخ».

[٤] - كذا في ز، خ: «يتطلبان».

[٥] - ما بين المعقوفين سقط من: خ، ز.

[٦] - في ز، خ: «يتطلبان».

[٧] - ما بين المعقوفين سقط من: خ، ز.

رواه ابن أبي حاتم ، وهو غريب جداً ، بل منكر .

قال ابن عباس وغير واحد من السلف : في فلكة كفلكة المغزل .

وقال مجاهد : الفلك كحديدة الرخي ، أو^[١] كفلكة المغزل ، لا يدور المغزل إلا بها ، ولا تدور إلا به .

وَإِيَّاهُ لَهُمْ أَنَا حَلَّنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرَكِبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ دَشَّا نُفَرِّقُهُمْ فَلَا صَرِيفٌ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنْنَا وَمَتَّعًا إِلَى حِينٍ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى : و^[٢] دلالة لهم أبصنا على قدرته تعالى تسخيره^[٣] البحر ليحمل السفن ، فمن ذلك - بل أوله - سفينة نوح عليه السلام التي أنجاه الله فيها بن معه من المؤمنين ، الذين^[٤] لم يبق على وجه الأرض من ذرية آدم غيرهم ، ولهذا قال : « وَآية لَهُمْ أَنَا حَلَّنَا ذُرِّيَّتَهُمْ » ، أي : أباءهم ، « فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ » ، أي : في السفينة الملوعة من الأمةعة والحيوانات ، التي أمره الله أن يحمل فيها^[٥] من كل زوجين اثنين .

قال ابن عباس : المشحون : المؤقر .

وكذا قال سعيد بن جبير ، والشعبي ، وقناة ، والسدسي .

و^[٦] قال الضحاك ، وقناة ، وابن زيد : وهي سفينة نوح عليه السلام .

وقوله : « وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرَكِبُونَ » ، قال العوفي ، عن ابن عباس : يعني بذلك الإبل ، فإنها سفن البر يحملون عليها ويركبونها .

وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والحسن ، وقناة في رواية ، وعبد الله بن شداد ، وغيرهم .

وقال السدي في رواية : هي الأنعام .

وقال ابن جرير^(٢٧) : حدثنا الفضل بن الصباح ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن عطاء ، عن

(٢٧) - تفسير الطبرى (٢٣/١٠) .

[١] - في ز ، خ : « و » .

[٢] - في ز ، خ : « لتسخيره » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « الذي » .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

سعید بن حبیر، عن ابن عباس؛ قال: تدرؤن ما ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ [من مثله]^[١] مَا يَرَكِبُونَ﴾؟
[قلنا: لا^[٢]]. قال: السفن، جعلت من بعد سفينة نوح على مثلها.

وكذا قال أبو مالك، والضحاك، وقادة، وأبو صالح، والستي أيضاً: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ
مثله مَا يَرَكِبُونَ﴾، أي: السفن.

ويقوّي هذا المذهب في المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا طَغَىَ الْمَاءُ حَمْلَنَا كُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لَنْ جَعَلْنَا^{*}
لَكُمْ تَذَكِّرَةً وَتَعِيهَا أَذْنَ وَاعِيَةً﴾.

وقوله: ﴿وَإِنْ نَشَأْ نَفِقَهُمْ﴾، يعني الذين في السفن، ﴿فَلَا صَرِيحُ لَهُمْ﴾، أي: فلا
معيش لهم مما هم فيه، ﴿وَلَا هُمْ يَنْقُذُونَ﴾، أي: مما أصابهم، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْنَا﴾. وهذا استثناء
متقطع، تقديره: لكن برحمتنا نسيركم في البر والبحر، وتسلّمكم إلى أجل مسمى، ولهذا
قال: ﴿وَمَتَاغًا إِلَى حِينَ﴾، أي: إلى وقت معلوم عند الله.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْقَوْا مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٤٥
أَيَّاهُ مِنْ مَا إِنْ كَانُوا عَنْهَا مَعْرِضِينَ ٤٦ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعْمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمُهُ وَإِنْ
٤٧ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

يقول تعالى مخبراً عن تمادي المشركين في غيهم وضلالهم، وعدم اكتراثهم بذنبهم التي
أسلفوها، وما هم يستقبلون بين أيديهم يوم القيمة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْقَوْا مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
خَلْفَهُمْ﴾، قال مجاهد: من الذنوب. وقال غيره بالعكس ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، أي: لعل الله
باتقاءكم ذلك يرحمكم ويؤمنكم من عذابه. وتقدير الكلام: أنهم لا يجيرون إلى ذلك ويعرضون
عنه. واكتفى عن ذلك بقوله: ﴿وَمَا تَأْتِهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾، أي: على التوحيد
وصدق الرسل ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مَعْرِضِينَ﴾، أي: لا يتأملونها ولا يتتفعون بها.

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفَقُوا مَا رَزَقْنَاكُمُ اللَّهُ﴾، أي: إذا أمروا بالإإنفاق بما رزقهم الله
على الفقراء والمحاريج من المسلمين ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: عن الذين آمنوا من
الفقراء، أي: قالوا لمن أمرهم من المؤمنين بالإإنفاق محتاجين لهم فيما أمروه به: ﴿أَنْطَعْمُ مَنْ
لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمُهُ﴾، أي: هؤلاء الذين أمرتمونا بالإإنفاق عليهم، لو شاء الله لأغناهم
ولأطعهم من رزقه، فنحن نوافق مشيئة الله فيهم، ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، أي: في

[١] - ما بين المعقوتين سقط من: ز ، خ .

[٢] - ما بين المعقوتين سقط من: ز ، خ .

أمركم لنا بذلك .

قال ابن جرير : ويحتمل أن يكون من قول الله للكفار حين ناظروا المسلمين وردوا عليهم ، فقال لهم : « إن أنتم إلا في ضلال مبين » . وفي هذا نظر .

وَيَقُولُونَ مَنِي هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظَرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَجَهَةً
تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخْصِمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ



يخبر تعالى عن استبعاد الكفارة لقيام الساعة في قوله : « متى هذا الوعد » ؟ « يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها » ، قال الله تعالى : « ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون » ، أي : ما يتظرون إلا صيحة واحدة ، وهذه - والله أعلم - نفخة الفزع ، ينفع في الصور نفخة الفزع ، والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتنازعون على عادتهم ، في بينما هم كذلك إذ أمر الله تعالى إسرافيل فنفع في الصور نفخة يطويها ويمدها ، فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصغر ليتا ، ورفع ليتا وهي صفة العنق يتسمع الصوت من قبل السماء . ثم يساق الموجدون من الناس إلى محشرقيمة بالنار ، تحيط بهم من جوانبهم ، ولهذا قال : « فلا يستطيعون توصية » ، أي : على ما يملكونه ، الأمر أهم من ذلك ، « ولا إلى أهلهم يرجعون » .

وقد وردت هاتان أثار وأحاديث ذكرناها في موضع آخر ، ثم تكون بعد هذا نفخة الصعق ، التي تموت بها الأحياء كلهم ما عدا الحي القيوم ، ثم بعد ذلك نفخة البعث .

وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجَدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسُلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالُوا يَنْوِلُنَا
مِنْ بَعْدَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمَرْسَلُونَ ﴿٥١﴾ إِنْ
كَانَتِ إِلَّا صَيْحَةً وَجَهَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٢﴾ فَلَيَوْمٍ لَا
نُظْلِمُ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا تُحْزَنُ إِلَّا مَا كَثُرَ تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

هذه هي النفخة الثالثة ، وهي نفخة البعث والشور للقيام من الأجداث والقبور ، ولهذا قال : « فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون » ، والسلام هو : المشي^[١] السريع ، كما قال

[١] - سقط من : خ ، ز .

تعالى : ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سَرَاًعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نَصْبٍ يَوْفَضُونَ﴾ .

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مِنْ بَعْثَانَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ ؟ يعنون قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يعيثون منها ، فلما عاينوا ما كذبوا في محسنهم ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مِنْ بَعْثَانَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ ، وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم ، لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد .

وقال أبي بن كعب ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة : ينامون نومة قبل البعث .

قال قتادة : وذلك بين النصتين .

فلذلك يقولون : ﴿مِنْ بَعْثَانَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ ، فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون - قاله غير واحد من السلف - ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنَ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ .

وقال الحسن : إنما يجيئهم بذلك الملائكة .

ولا منافاة إذ الجمع معنون ، والله أعلم .

وقال عبد الرحمن بن زيد : الجميع من قول الكفار : ﴿يَا وَيْلَنَا [مِنْ بَعْثَانَا]﴾ [١] هذا ما وعد الرحمن وصدق المسلمين .

نقله ابن جرير ، واختيار الأول ، وهو أصح ، وذلك كقوله تعالى في الصفات : ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِيبُونَ﴾ وقال تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَقْسِمُ الْأَجْرَمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِعْيَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكُنْكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

وقوله : ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِحَّةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لِدِينِي مَحْضُورُونَ﴾ ، كقوله : ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَمَا أَمْرَ السَّاعَةِ إِلَّا كَلْمَحُ الْبَصَرَ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ . وقال : ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظْلَمُونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ .

أي : إنما يأمرهم [٢] أمراً واحداً ، فإذا الجميع محضرون ، ﴿فَالِّيَوْمِ لَا تَظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ ، أي : من عملها ، ﴿وَلَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُعْلٍ فَذِكْرُهُنَّ ٥٥ هُنْ وَأَرْجُجُهُنْ فِي ظِلَالٍ عَلَىٰ
الْأَرْأَى إِلَيْكُمْ مُشَكِّفُونَ ٥٦ لَهُمْ فِيهَا فَذِكْرَهُمْ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ٥٧ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ

رَبِّ تَرْجِيمٍ

[١] - ما بين المعقوفين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ت : « نَأْمَرُهُمْ » .

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا ارْتَحَلُوا مِنَ الْعَرَصَاتِ فَنَزَلُوا فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ، أَنَّهُمْ فِي شَغْلٍ عَنِ الْغَيْرِهِمْ، بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ الْمَقِيمِ، وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ.

قَالَ الْحَسْنُ الْبَصْرِيُّ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ: ﴿فِي شَغْلٍ﴾ عَمَّا فِيهِ أَهْلُ النَّارِ مِنَ الْعَذَابِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿فِي شَغْلٍ فَاكْهُون﴾، أَيْ: فِي نَعِيمٍ مُعْجِبِينَ، أَيْ: بِهِ. وَكَذَا قَالَ قَاتِدَةُ.
وَقَالَ أَبْنَ عَبَّاسٍ: ﴿فَاكْهُون﴾، أَيْ: فَرَحُونَ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْعُودَ، وَأَبْنَ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمَسِيبِ، وَعَكْرَمَةُ، وَالْحَسْنُ، وَقَاتِدَةُ، وَالْأَعْمَشُ، وَسَلِيمَانُ التَّيْمِيُّ، وَالْأَوْزَاعِيُّ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شَغْلٍ فَاكْهُون﴾، قَالُوا: شَغَلُهُمْ افْتِضَاضُ^[١] الْأَبْكَارِ.

وَقَالَ أَبْنَ عَبَّاسٍ فِي رَوَايَةِ عَنْهُ: ﴿فِي شَغْلٍ فَاكْهُون﴾، أَيْ: بِسَمَاعِ الْأَوْتَارِ.
وَقَالَ أَبْوَ حَاتِمَ: لَعْلَهُ غُلْطٌ مِنَ الْمُسْتَمِعِ، وَإِنَّمَا هُوَ افْتِضَاضُ^[٢] الْأَبْكَارِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُم﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: وَحَلَّتْهُمْ ﴿فِي ظَلَالٍ﴾، [أَيْ: فِي ظَلَالٍ]^[٣]
الْأَشْجَارِ، ﴿عَلَى الْأَرَائِكَ مُتَكَبِّرُونَ﴾.

قَالَ أَبْنَ عَبَّاسٍ: وَمُجَاهِدٌ، وَعَكْرَمَةُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ، وَالْحَسْنُ، وَقَاتِدَةُ، وَالسَّدِيُّ، وَخُصَيْفُ: ﴿الْأَرَائِكَ﴾، هِيَ: السُّرُورُ تَحْتَ الْحِجَالِ^[٤].

قَلْتَ: نَظِيرِهِ فِي الدُّنْيَا هَذِهِ التَّخْرُوتُ تَحْتَ الْبَشَارِخِينَ^[٥]، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾، أَيْ: مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِهَا، ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾، أَيْ: مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ أَنْوَاعِ الْمَلَادِ.

قَالَ أَبْنَ أَبِي حَاتِمَ: حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَوْفِ الْحَمْصِيِّ، حَدَثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ كَثِيرٍ بْنُ دِينَارٍ، حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَهَاجِرٍ، عَنِ الْمَضْحَاكِ الْمَقَافِريِّ، عَنْ سَلِيمَانِ بْنِ مُوسَى، حَدَثَنِي كُرَيْبٌ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَسَمَّةً بْنَ زَيْدَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا هُلْ مُشَمَّرٌ إِلَى الْجَنَّةِ؟ فَلَنْ يَجِدْ لَهَا، هِيَ وَرْبُ الْكَوْبَةِ لَوْرٌ كُلُّهَا تَبَلَّأً»^[٦]، وَرِيحَانَةٌ تَهَزُّ، وَقَصْرٌ

(٤) جَمْعُ حَجَّةٍ: وَهِيَ السُّرُورُ يُضَرَّبُ لِلْعَرَوْسِ دَاخِلَ الْبَيْتِ.

(٥) كَذَا وَلَمْ أَجِدْهَا.

(٦) أَيْ لَا يَعْوِضُ لَهَا وَلَا يَمِلَّ . وَالْخَطْرُ - بِالْتَّحْرِيكِ - فِي الْأَصْلِ : الرَّهْنُ وَمَا يُخَاطِرُ عَلَيْهِ . وَمِثْلُ

[١] - فِي زَ، خَ: «افْتِضَاضٌ». [٢] - فِي زَ، خَ: «افْتِضَاضٌ».

[٣] - مَا بَيْنَ الْمَعْكُوفَيْنِ سَقْطٌ مِنْ: زَ، خَ.

[٤] - فِي تَ: «بَلَأً».

مشيد، ونهر مطرد^(*) ، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد، في دار سلام، وفاكهة خضرة وخبزة^{[١]**} ونعمـة، ومحلـة عـالية بـهـيـة». قالـوا: نـعـمـ يا رسـولـ اللـهـ ؟ نـحـنـ المـشـمـرـونـ لـهـاـ . قالـ: قـوـلـواـ: «إـنـ شـاءـ اللـهـ» . قالـ القـومـ: إـنـ شـاءـ اللـهـ .

وكذا رواه ابن ماجة في «كتاب الزهد» من سنته^(٢٨) ، من حديث الوليد بن مسلم ، عن محمد بن مهاجر به.

وقوله: ﴿سلام قولًا من رب رحيم﴾ ، قال ابن جرير: قال ابن عباس في قوله: ﴿سلام قولًا من رب رحيم﴾: فإن الله نفسه سلام على أهل الجنة.

وهذا الذي قاله ابن عباس كقوله تعالى: ﴿تحيّتهم يوم يلقونه سلام﴾ .

وقد روى ابن أبي حاتم هاهنا حديثاً في إسناده نظر؛ فإنه قال: حدثنا موسى بن يوسف، حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا أبو عاصم العقاداني، حدثنا الفضل الرقاشي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بینا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة. كذلك قوله: ﴿سلام قولًا من رب رحيم﴾ ، قال: فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يتلفتون إلى^{[٢]**} شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه، حتى يتحجب عنهم، ويقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم» .

ورواه ابن ماجة في «كتاب السنة»^(٢٩) من سنته، عن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب به.

وقال ابن جرير^(٣٠) : حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، حدثنا حرمـةـ، عن

= الشيء وعذله . ولا يقال إلا في الشيء الذي له قدر ومتزنة .

(*) أي نهر جار .

(**) الحبـرةـ: النـعـمةـ وـسـعـةـ العـيـشـ .

(٢٨) - سنن ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب: صفة الجنة ، حديث (٤٣٣٢) من طريق محمد بن مهاجر به ، وقال البوصيري في الروايات (٣٢٥/٣) : (هنا إسناد فيه مقال) .

(٢٩) - سنن ابن ماجة في المقدمة ، باب: فيما أنكرت الجهمية حديث (١٨٤) ، وقال البوصيري (٨٦/٠١) : هذا إسناد ضعيف لضعف الفضل بن عيسى بن أبيان الرقاشي .

(٣٠) - تفسير الطبرى (٢١/٢٣) ، وقد أورده الطبرى من طرق انظر التفسير (٢٢، ٢١/٢٣) .

[١] - في ز: ١ وخبزة .

[٢] - سقط من: خ ، ز .

سليمان بن محمد؛ قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عن عمر بن عبد العزيز؛ قال: إذا فرغ الله من أهل الجنة والنار، أقبل في طلّل من الغمام والملائكة. قال: فسلم^[١] على أهل الجنة، فيردون عليه السلام. قال القرظي: وهذا في كتاب الله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحْمَيْهِ﴾، فيقول: سلوني فيقولون: ماذا نسألك أي رب؟ قال: بل سلوني. قالوا: نسألك أي رب؟ رضاك. قال: رضائي أحلكم دار كرامتي. قالوا: يا رب، فما الذي نسألك، فوعزتك وجلالك وارتفاع مكانك، لو قسمت علينا رزق التقلين لأتعمناهم وأسقيناهم^[٢] ولأبسناهم ولأخذناهم، لا ينقصنا ذلك شيئاً. قال: إن الذي مزيناً. قال: فيفعل ذلك بهم في درجهم، حتى يستوي في مجلسه. قال: ثم تأتيهم التحف من الله عز وجل تحملها^[٣] إليهم الملائكة. ثم ذكر نحوه.

وهذا أثر غريب، أورده ابن جرير من طرق.

وَأَمْسَرُوا إِلَيْهَا أَلْيَمَ أَمْجَرَمُونَ ٥٩ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَتَبَقَّى عَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ٦١ ﴿وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِلَالًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ٦٢﴾

يقول تعالى مخبراً بما ينول إليه حال الكفار يوم القيمة من أمره لهم أن ينزاوا، بمعنى يتميزون عن المؤمنين في موقفهم. كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُحَشِّرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشَرَكاؤُكُمْ فِرِيلَنَا بَيْنَهُمْ﴾. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُوْمَنَدُ يَغْرِقُونَ﴾، ﴿يُوْمَنَدُ يَصْدُعُونَ﴾، أي: يصيرون صدعين فرتين، ﴿أَحْشِرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجُهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوْهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيْمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بْنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ هذا تبرير من الله للكفرة منبني آدم، الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين، وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾، أي: قد أمرتكم في الدار^[٤] الدنيا بعصيان الشيطان، وأمرتكم بعبادتي، وهذا هو الصراط المستقيم، فسلكتم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيما أمركم به^[٥]، ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِلَالًا كَثِيرًا﴾، يقال. «جِلَالًا» بكسر الجيم، وتشديد اللام. ويقال: «جِبَلًا» بضم الجيم وبالباء،

[١] - في ز، خ: « وسلم » .

[٢] - في ت: « لأَسْقِيَنَاهُمْ » .

[٣] - في ت: « دار » .

[٤] - سقط من: خ، ز .

وتحفيض اللام . ومنهم من يسكن الباء . والمراد بذلك الخلق الكثير قاله مجاهد ، والسدي ، وقادة ، وسفيان بن عيينة .

وقوله : ﴿ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقُلُونَ ﴾ ، أي : أَفَمَا^[١] كَانَ لَكُمْ عِقْلٌ فِي مُخَالَفَةِ رَبِّكُمْ فِيمَا أَرْكَمْتُمْ بِهِ مِنْ عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَعَذَّلْتُكُمْ إِلَى اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ .

قال ابن جرير^(٣) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحاربي ، عن إسماعيل بن رافع^[٤] ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَمْرَ اللَّهِ جَهَنَّمَ فَيُخْرِجُ مِنْهَا عُنْقَ سَاطِعَ مَظَالِمِهِ»^[٥] ، يقول : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بْنَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنْ أَعْبُدُنِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلْتُكُمْ جَبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقُلُونَ » هذه جهنم التي كنتم توعدون^(٦) ، ﴿ امْتَازُوا يَوْمَ أَيْهَا الْجَرْمُونَ ﴾ . فيتميز الناس ويجهلون ، وهي التي يقول الله تعالى : ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِلَةً كُلَّ أُمَّةٍ تَدْعُ إِلَى كِتَابِهَا يَوْمَ تَبْزُونُ مَا كَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصْلَوْهَا يَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ يَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشَهِّدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَفَلَمْ يَبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَسَخَنَهُرَّ عَلَىٰ مَكَانَتِهِرَّ فَمَا أَسْتَطَلَعُوا مُضِيًّا ﴿٦٧﴾ وَلَا يَرْجِعُونَ

يقال للكفرة من^[٤] بني آدم يوم القيمة ، وقد برزت الحجيم لهم تغريعاً وتويجاً : ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ ، أي : هذه التي خذلتم الرسل فكذبتموه ، ﴿ أَصْلَوْهَا يَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دُعَا هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ * أَفَسْحِرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصِرُونَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشَهِّدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ، هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيمة ، حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا ،

[٣١] - تفسير الطبراني (٢٢/٢٣) .

[١] - في ز ، خ : « أما » .

[٢] - في خ : « نافع » .

[٣] - سقط من : ت .

[٤] - في ز ، خ : « يا » .

ويحلفون ما فعلوه، فيختتم اللَّهُ على أفواهمهم، ويستنبط جوارحهم بما عملت.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو شيبة [ابراهيم بن عبد الله بن أبي شيبة، حدثنا منجاح بن الحارث التميمي، حدثنا أبو عامر الأسدى، حدثنا سفيان، عن عبيد المكتب، عن الفضيل بن عمرو، عن الشعبي، عن أنس بن مالك؛ قال: كنا عند النبي صلَّى اللهُ عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: «أتدرون مم أضحك؟». قلنا: اللَّهُ رسوله أعلم. قال: «من مجادلة العبد ربه يوم القيمة، يقول: يا رب، ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلـ. فيقول: لا أجزي^[١] على إلا شاهدًا من نفسي. فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، وبالكرام الكاتبين شهودًا. فيختتم على فيه، ويفقال^[٢] لأركانه: النطقي. فتنطق بعمله، ثم يخلِّي بينه وبين الكلام، فيقول: بعدًا لكتئ وسحقاً، فعنكم كثُت أناضل».

وقد رواه مسلم والنمسائي^(٣٢)، كلاهما عن أبي بكر بن أبي النضر، عن أبي النضر، عن عبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي، عن سفيان - هو الثوري - به. ثم قال النمسائي: [لا أعلم أحدًا روى هذا الحديث عن سفيان غير الأشجعي، وهو حديث غريب، والله تعالى أعلم.

كذا قال: وقد تقدم من روایة أبي عامر عبد الملك بن عمرو الأسدى - وهو العقدي - عن سفيان.

وقال عبد الرزاق^(٣٣): أخبرنا معمر، عن يهيز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلَّى اللهُ عليه وسلم؛ قال: «إنكم تذعون مقدمة^(٤) أفواهكم بالفداء، فأول ما يسأل عن أحدكم فخذه وكتفه». رواه النمسائي^[٣] عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق به.

وقال سفيان بن عبيدة^(٣٤)، عن شهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلم في حديث القيمة الطويل، قال فيه: «ثم يلقى الثالث فيقول: ما أنت؟ فيقول: أنا عبدك، أمنت بك وبنيك وبكتابك، وصمت وصلت وتصدقت - ويشي

(٣٢) - أخرجه مسلم في الزهد والرقائق، حديث (٢٩٦٩)، والنمسائي في التفسير (٦٧٣).

(٣٣) - أخرجه النمسائي في التفسير، بسنده إلى عبد الرزاق وأخرجه أحمد في مسنده (٣/٥) من طريق الجرجيري عن حكيم به.

(٤) الفداء: ما يُؤْسَدُ على فم الإبريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذي فيه، أي: يُمنعون الكلام بأفواهم حتى تكلم جوارحهم، فشيء ذلك بالفداء.

(٣٤) - أخرجه الحميدى (١١٧٨)، ومسلم في الزهد والرقائق، حديث (٢٩٦٨)، وأبو داود - مختصراً - في السنة، باب: في الروبة، حديث (٤٧٣٠) بسندهما إلى سفيان به.

[١] - في ز، خ: «أجز». [٢] - في ز، خ: «يقول».

[٣] - ما بين المعقودين سقط من: خ، ز.

بخير ما استطاع - قال : فيقال له : ألا نبعث عليك شاهدنا ؟ قال : فيفكرة في نفسه ، من الذي يشهد عليه ، فيختم على فيه ، ويقال لفخذه : انطق . فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل ، وذلك المنافق ، وذلك ليغدر من نفسه . وذلك الذي سخط الله عليه ». ورواه مسلم [١] وأبو داود ، من حديث سفيان بن عيينة ، به بطله .

ثم قال ابن أبي حاتم رحمة الله : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا ضئضهم بن رزعة ، عن شريح بن عبيد ، عن عقبة بن عامر ؛ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ يقول : « إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه ، فخذه من الرجل اليسرى » .

وروأه ابن جرير [٢] عن محمد بن عوف ، عن عبد الله بن المبارك ، عن إسماعيل بن عياش ، به مثله .

وقد جوَّد إسناده الإمام أحمد [٣] رحمة الله فقال [٤] : حدثنا الحكم بن نافع ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن ضئضهم بن رزعة ، عن شريح بن عبيد الحضرمي ، عن حذله عن عقبة بن عامر ؛ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ يقول : « إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه ، فخذنه من الرجل الشمالي » .

وقال ابن جرير [٥] : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، حدثنا يونس بن عبيده ، عن حميد بن هلال ؛ قال : قال أبو برد : قال أبو موسى ، هو الأشعري ، رضي الله عنه :- يدعى المؤمن للحساب يوم القيمة ، فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه ، فيعرف فيقول : نعم أي رب ؛ عملت عملت عملت . قال : فيغفر الله له ذنبه ، ويستره منها . قال : فيما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئاً ، وتبدو [٦] حساناته ، فؤَّد أن الناس كلهم يرونها ، ويدعى الكافر والمنافق للحساب ، فيعرض ربه عليه عمله ، فيجحده [٧] فيقول : أي رب ؛ وعزتك لقد كتب على هذا الملك ما لم أعمل . فيقول له الملك : أما عملت كذا ، في يوم كذا ، في مكان كذا ؟ فيقول : لا ، وعزتك أي رب ؛ ما عملته . فإذا فعل ذلك ختم على فيه . قال أبو موسى الأشعري : فإني أحسب أول ما ينطق منه الفخذ اليمنى ، ثم ثلا : « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » .

[١] - تفسير الطبرى (٢٤/٢٣) .

[٢] - المسند (٤/١٥١) .

[٣] - تفسير الطبرى (٢٤/٢٣) ، زاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٣/٥) نسبته إلى ابن أبي حاتم .

[٤] - في ز ، خ : « وقال » .

[٥] - في ت : « فيجحد » .

[٦] - سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز ، خ : « يبدوا » .

وقوله : ﴿ وَلَوْ نَشِاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَلَىٰ يَصْرُونَ ﴾ ، قال على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في تفسيرها : يقول : ولو نشاء لأضللناهم عن الهدى ، فكيف يهتدون ؟ وقال مرة : أعميناهم .

وقال الحسن البصري : لو شاء الله لطمس على أعينهم ، فجعلهم غمياً يتربدون .

وقال السدي : لو شئنا أعمينا أبصارهم .

قال مجاهد ، وأبو صالح ، وقادة ، والسدسي : ﴿ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ ﴾ ، يعني الطريق .

وقال ابن زيد : يعني بالصراط هاهنا الحق ، ﴿ فَأَلَىٰ يَصْرُونَ ﴾ ، وقد طمسنا على أعينهم .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ فَأَلَىٰ يَصْرُونَ ﴾ : لا يصررون الحق .

وقوله : ﴿ وَلَوْ نَشِاءُ لَسْخَنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانِهِمْ ﴾ ، قال العوفي ، عن ابن عباس : أهلكناهم .

وقال السدي : يعني لغيرنا خلّقهم .

وقال أبو صالح : جعلناهم حجارة .

وقال الحسن البصري ، وقادة : لَأَعْدَهُمْ عَلَىٰ [١] أَرْجُلِهِمْ .

ولهذا قال تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا ﴾ ، أي : إلى أيام ، ﴿ وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ ، أي [٢] إلى وراء ، بل يلزمون حالاً واحداً لا يتقدمون ولا يتأخرون .

وَمَنْ نَعَمَرَهُ نَنْكِسُهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقُلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَمْنَا الشِّعْرَ وَمَا يَبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقَرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ إِشْذِرْ مَنْ كَانَ حَيَا وَبَحِقَ القَزْلُ

عَلَى الْكَفَرِينَ ﴿٧٠﴾

يخبر تعالى عن ابن [٣] آدم أنه كلما طال عمره رُدَ إلى الضعف بعد القوة ، والعجز بعد النشاط ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفًا وَشَيْءًا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ . وقال : ﴿ وَمَنْكُمْ مِّنْ يَرِدُ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمِنَا شَيْئًا ﴾ .

[١] - في ز ، خ : « عن » .

[٢] - في ز ، خ : « بني » .

[٣] - في ز ، خ : « بني » .

والمراد من هذا والله أعلم بالإخبار عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال، لا دار دوام واستقرار، ولهذا قال : ﴿أَفَلَا يَعْقُلُونَ﴾ ، أي : يتفكرن بعقولهم في ابتداء خلقهم ثم صيرورتهم إلى الشبيهة^[١] ، ثم إلى الشيخوخة، ليعلموا أنهم خلقو للدار أخرى ، لا زوال لها ولا انتقال منها ، ولا محيد عنها ، وهي الدار الآخرة .

وقوله : ﴿وَمَا عَلِمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ ، يقول تعالى مخبراً عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إنه ما علمه الشعر ، ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ ، أي : وما هو في طبعه ، فلا يحسنه ولا يحبه ، ولا تفضيه جيلته ، ولهذا وزد أنه عليه الصلاة والسلام كان^[٢] لا يحفظ بيئاً على وزن منتظم ، بل إن أنشده رحْفه أو لم يتمه .

وقال أبو رُزْعة الرازي : حَدَثَتْ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَاجَدٍ ، عَنْ أَيْيَهِ ، عَنْ الشَّعَبِيِّ أَنَّهُ قَالَ : مَا وَلَدَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ ذَكْرًا وَلَا أَنْثِي إِلَّا يَقُولُ الشِّعْرَ ، إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ذَكْرُهُ أَبْنَ عَسَكِرٍ فِي تَرْجِمَةِ «عَتْبَةَ بْنَ أَبْيَ لَهَبٍ» الَّذِي أَكْلَهُ التَّبَّعُ بِالْزَّرْقَاءِ .

قال ابن أبي حاتم^(٣) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي [ابن زيد]^[٤] ، عن الحسن هو البصري ؛ قال^[٥] : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت :

* كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيَا *

فقال^[٦] أبو بكر : يا رسول الله :

* كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيَا *

قال أبو بكر ، أو عمر : أشهد أنك رسول الله ، يقول الله : ﴿وَمَا عَلِمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ .

وهكذا روى البيهقي في « الدلائل » ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال للعباس ابن مرداس السلمي : « أنت القائل :

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعَبْيِي دَ بَيْنَ الْأَقْرَعِ وَعَيْنِي ؟

فقال : إنما هو : « بين عيني والأقرع » ف قال : « الكل سواء ».

(٣٨) - زاد السيوطي نسبة في الدر المثور (٥٠٥/٥) إلى ابن سعد في الطبقات والمرزبانى في معجم الشعراء .

[١] - في خ : « الشيبة ». .

[٢] - في ز ، خ : « أنه ». .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من : خ .

[٤] - في ز ، خ : « قال ». .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

يعني في المعنى ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقد ذكر السهيلي في «الروض الأنف» لهذا التقديم والتأخير الذي وقع في كلامه عليه السلام في هذا البيت مناسبة أغرب فيها ، حاصلها شرف الأقرع بن حابس على عيضة بن بدر الفزارى ، لأنه ارتد في أيام الصديق ، بخلاف ذاك ، والله أعلم .

وهكذا روى الأموي في «مغازي» ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعل يمشي بين القتلى يوم بدر ، وهو يقول :

ُفَلْقَ هَامَا.....

فيقول الصديق رضي الله عنه متمماً للبيت :

..... مِنْ رِجَالِ أُعْزَّةِ عَلَيْتَا، وَهُنْ كَانُوا أَعْنَقَ وَأَظْلَمُ

وهذا لبعض شعراء العرب في قصيدة له ، وهي في «الخمسة» .

وقال الإمام أحمد^(٣٩) : حدثنا هشيم ، حدثنا مغيرة ، عن الشعبي ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استраб الخبر ، تمثل فيه بيته طرفة .

* وَيَأْتِيَكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرْوَدْ *

وهكذا رواه النسائي في «اليوم والليلة» من طريق إبراهيم بن مهاجر ، عن الشعبي عنها ورواه الترمذى والنمساني أيضاً^(٤٠) من حديث المقدم بن شريح بن هانئ ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، كذلك . ثم قال الترمذى : «هذا حديث حسن صحيح» .

وقال الحافظ أبو بكر البزار^(٤١) : حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا أبوأسامة ، عن زائدة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل من الأشعار :

* وَيَأْتِيَكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرْوَدْ *

ثم قال : رواه غير زائدة ، عن سماك ، عن عكرمة عن عائشة .

(٣٩) - المسند (٦/٣١، ٣٦)، وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٩٥)، (٩٩٦) من طريق الشعبي به .

(٤٠) - الترمذى في الأدب ، باب : ما جاء في إنشاد الشعر حديث (٢٨٤٨) ، وفي الشمائل الحمدية (٢٤١) ، والنمساني في «عمل اليوم والليلة» (٩٩٧) من طريق شريك ، عن المقدم به . والمحدث عند أحمد في المسند (٦/١٣٨، ١٥٦، ٢٢٢) والبخاري في الأدب المفرد (٨٦٧) من نفس الطريق .

(٤١) - وأخرجه عبد بن حميد (٦١٤ - منتخب) ، والطبراني في الكبير (١١٧٦٢) من طريق أبيأسامة عن زائدة به .

وهذا في شعر طرفة بن العبد، في معلقته المشهورة، وهذا المذكور منها، أوله:

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ
وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبْغِ لَهُ بَيَانًا^[١] ، ولم تضرب له وقت موعد
وقال الحافظ أبو بكر البهقي^(٤): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو حفص عمر بن
أحمد بن نعيم - وكيل المتقى ببغداد - حدثنا أبو محمد عبد الله بن هلال التحوي الضرير،
حدثنا علي بن عمرو الأنصاري، حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة
رضي الله عنها؛ قالت: ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط، إلا بيتا
واحداً:

تَفَاعَلْ^[٢] بِمَا تَهْوِي يَكُنْ^[٣] ، فَلَقَلَّمَا يُقَالُ لَشَيْءٍ كَانَ إِلَّا تَحْفَقَّا
سألت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي عن هذا الحديث؛ فقال: هو منكر. ولم يعرف شيخ
الحاكم، ولا الضرير.

وقال سعيد بن أبي^[٤] عروبة عن قتادة: قيل لعائشة: هل كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم: يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان أبغض الحديث إليه، غير أنه كان يتمثل بيت
 أخي^[٥]بني قيس، فيجعل أوله آخره، وأخره أوله. فقال أبو بكر: ليس هكذا. فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: «إني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي».

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير^(٤)، وهذا لفظه.

وقال عمر^[٦] عن قتادة: بلغني أن^[٧] عائشة سئلت: هل كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: لا، إلا بيت طرفة:
سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ
فجعل يقول: «من لم تزود بالأخبار». فقال أبو بكر: ليس هذا هكذا. فقال: «إني لست

(٤٢) - سنن البهقي (٤٣/٧).

(٤٣) - تفسير الطبرى (٢٧/٢٣)، وزاد السيوطي في الدر المشور (٥٠٥/٥) إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد
وابن المنذر.

[١] - في خ، ز: «تال».

[٢] - في خ: «ثيابا».

[٣] - سقط من: ز، خ.

[٤] - في خ: «ملن».

[٥] - سقط من: خ، ز.

[٦] - في خ: «عمر».

[٧] - في ز، خ: «عن».

بشاعر، ولا ينبعي لي»^(٤٤).

وأثبت في الصحيحين^(٤٥) أنه عليه الصلاة والسلام تمثل يوم حفر الخندق بأيات عبد الله بن رواحة، ولكن تبعاً لقول أصحابه، فإنهم كانوا يرتجون وهم يخرون، فيقولون:

[لَا هُمْ]^[١] لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصْدِقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا فَأَنْزَلْنَ سَكِينَةَ عَلَيْنَا وَتَبَتَّ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَنَا إِنَّ الْأُولَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فَتَتَّهُ أَبَيْنَا ويرفع صوته بقوله: «أَبَيْنَا» ويدها.

وقد روى هذا بزحاف في الصحيح أيضاً^(٤٦). وكذلك ثبت أنه قال يوم حنين وهو راكب البغلة، يقدم بها في نحر العدو:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِيبٌ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
لَكُنْ قَالُوا: هَذَا وَقَعَ اتِّفَاقًا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لَوْزَنْ شِعْرٌ، بَلْ جَرِي عَلَى اللِّسَانِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَيْهِ.

وكذلك ما ثبت في الصحيحين^(٤٧) عن جندب بن عبد الله؛ قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار تكبت أصبعه، فقال:

هَلْ أَنْتَ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمَيْتَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتَ وَسَيَّأْتِي عَنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا [اللَّمَمْ]﴾ إِنْشَادٌ^[٢]:

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمِيعًا وَأَنْتَ عَبْدُ لَكَ مَا أَمْلَأَتْ
وكل هذا لا ينافي كونه صلى الله عليه وسلم ما عُلِّمَ شِعْرًا ولا ينبعي له، فإن الله تعالى إنما علمه القرآن العظيم، ﴿الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ﴾

(٤٤) - انظر السابق.

(٤٥) - صحيح البخاري في المغازي، باب: غزوة الخندق، وهي الأحزاب، حديث (٤١٠٤)، ومسلم في الجهاد والسير، حديث (١٨٠٣) من طريق أبي إسحاق عن البراء بن عازب.

(٤٦) - أخرجه البخاري في الجهاد، باب: من قاد دابة غيره في الحرب حديث (٢٨٦٤)، وأطرافه في (٤٣١٧، ٤٣١٦، ٤٣١٥، ٣٠٤٢، ٢٩٣٠، ٢٨٧٤).

(٤٧) - أخرجه البخاري في الجهاد باب: من ينكب في سبيل الله، حديث (٢٨٠٢)، وطرفه في (٦١٤٦) ومسلم في كتاب الجهاد والسير، حديث (١٧٩٦).

[١] - في البخاري: والله.

[٢] - ما بين المعکوفین سقط من: خ ، ز .

حدثنا [عبد الله بن عمر^[٢]] ، حدثنا عبد الله بن يزيد ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثنا شرحبيل بن يزيد المغاربي ، عن [عبد الرحمن^[٣]] بن رافع الشتوخى ؛ قال^[٤] : سمعت عبد الله ابن عمرو ؛ يقول : [سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ يقول^[٥] : ما أبالي ما أتيت^[٦] إن أنا شربت تزيقاً ، أو تعلقت نعمة ، أو قلت الشعر من قبل نفسي] . تفرد به أبو داود .

وقال الإمام أحمد رحمة الله [٤٩] : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن الأسود بن شيبان ، عن أبي نوفل ؛ قال : سألت عائشة : أكان [٥٠] رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسامع [٥١] عنده الشعر ؟ فقالت : كان أبغض الحديث إليه . وقال عن عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الجماع من الدعاء ، ويدع ما بين ذلك .

و^(٤٠) قال أبو داود : حدثنا أبو الوليد الطيالسي ، حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لأن يمتليء جوف أحدكم قيحاً خيراً له من أن يمتليء شعراً » .

تفرد به من هذا الوجه، وإسناده على شرط الشيختين، ولم يخر جاه.

^(٥١) وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا قرعة بن شويد الباهلي ، عن عاصم بن مخلد ،

(٤٨) - سنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب : في الترافق ، حديث (٣٨٦٩) وأخرجه أحمد (٢/١٦٢، ٢٢٣) من طريق شرجيل به .

(٤٩) - المسند (٦/١٤٨)، وأخرجه أبو داود في الصلاة، باب : الدعاء ، حديث (٢) من طريق يزيد بن هارون عن الأسود به دون أوله .

(٥٠) - سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : ما جاء في الشعر ، حديث (٥٠٩) ، والحديث أخرجه
أحمد (٤٨٠/٢) من طريق شعبة به . وأخرجه البخاري في الأدب ، باب : ما يكره أن يكون الغالب على
الإنسان الشعر ، حديث (٦١٥٥) ، ومسلم في كتاب الشعر ، حديث (٢٢٥٧) من طريق الأعمش به .

٥١) - المسند (٤/١٢٥).

[٢] - في ز ، خ : « عبد بن عمرو » .

[١] - في ز، خ : « شعراً ».

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز ، خ : عبد الله .

[٦] - في ز ، خ : أوتيت .

[٥] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

[۸۷] - خ : کان ، ز ، فی .

— بعده في خ : «أبي» . [٧]

٦٠٧ - سقط من ز، خ.

۹۱ - فیت: «پسائغ».

عن أبي الأشعث الصنعاني، (ح) وحدثنا الأشيب فقال: عن أبي عاصم، عن أبي [١] الأشعث، عن شداد بن أوس؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرض بيت شعر بعد العشاء الآخرة، لم تقبل له صلاة تلك الليلة».

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة.

والمراد بذلك نظمه لا إنشاده، والله أعلم. على أن الشعر فيه ما هو مشروع، وهو هجاء المشركين الذي كان يمعنه شعراً الإسلام، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، وأمثالهم وأضرابهم، رضي الله عنهم أجمعين. ومنه ما فيه حكم ومواعظ وأداب، كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية، ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «آمن شعره وكفر قلبه». وقد أنسد بعض الصحابة منه للنبي صلى الله عليه وسلم مائة بيت، يقول عقب كل بيت: «هيه»؛ يعني يستطيعه [٢] ، فيزيد [٣] من ذلك.

وقد روى أبو داود [٤] من حديث أبي بن كعب، وبريدة بن الحصيب، وعبد الله بن عباس؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من البيان سحرًا، وإن من الشعر حكمة».

ولهذا قال تعالى: «وما علمناه الشعر»، يعني [٤]: محمداً صلى الله عليه وسلم ما علمه الله شعراً، «وما ينبغي له»، أي [٥]: وما يصلح له، «إن هو إلا ذكر وقرآن مبين»، [أي]: ما هذا الذي علمناه «إلا ذكر وقرآن مبين»، [٦] أي: بين واضح جلي لمن تأمله وتدبّره؛ ولهذا قال: «لينذر من كان حيا»، أي: لينذر هذا القرآن الذين كلّ حي على وجه الأرض، كقوله: «لأنذركم به ومن بلغ»، وقال: «ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده»، وإنما يتتفق بنذارته من هو حي القلب، مستثير البصيرة، كما قال قاتادة: حي القلب، حي البصر. وقال الضحاك: يعني عاقلاً، «ويحق القول على الكافرين»، أي: هو [٧] رحمة للمؤمن، ووحجة على الكافر.

(٤) استطعم فلاناً الحديث : طلب منه أن يحدّثه .

(٥) - حديث أبي بن كعب أخرج أبو داود في الأدب باب: ما جاء في الشعر، حديث (٥٠١٠)، وهو عند البخاري في صحيحه في الأدب، باب: ما يجوز في الشعر، حديث (٦١٤٥) بلفظ: «إن من الشعر حكمة» وحديث بريدة أخرج أبو داود في نفس الموضع حديث (٥٠١٢) وحديث ابن عباس أخرجه أبو داود في نفس الموضع حديث (٥٠١١) وهو عند البخاري في الأدب المفرد (٨٧٢)، والترمذني في السنن (٢٨٤٥).

[١] - سقط من: خ ، ز .

[٢] - في خ ، ز : « يستطيعه» .

[٣] - في ت : «فيزيد» .

[٤] - في ت : يعني .

[٥] - سقط من: ز ، خ .

[٦] - سقط من: خ ، ز .

[٧] - ما بين المعکوفین سقط من: خ ، ز .

أَوْلَئِكُمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْتَنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلْتَ أَيْدِينَا أَنْعَنَّا فَهُمْ لَهَا مَذْلُوكُونَ
 ٧٦ وَذَلِكُنَّهَا لَهُمْ فِيهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ٧٧ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَفِعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا
 يَشْكُرُونَ ٧٨

يذكر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه^[١] الأنواع التي سخرها لهم، «فَهُمْ لَهَا مَذْلُوكُونَ»، قال قتادة: مطيقون؛ أي: جعلهم يقهرونها وهي ذليلة لهم، لا تنتفع منهم، بل لو جاء صغير إلى بغير لأناخه، ولو شاء لأقامه وساقه، وذاك ذليل منقاد معه. وكذا لو كان القطرار مائة بغير أو أكثر، لسار الجميع بسير صغير.

وقوله: «فِيهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ»، أي: منها ما يركبون في الأسفار، ويحملون عليه الأثقال، إلى سائر الجهات والأقطار. ومنها ما^[٢] يأكلون إذا شاعوا نحوها واجترروا، «وَلَهُمْ فِيهَا مَنَفِعٌ»، أي: من أصواتها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين، «وَمَشَارِبٌ»، أي: من ألبانها وأبوالها لم يتداوي، ونحو ذلك، «أَفَلَا يَشْكُرُونَ»، أي: أفلاؤُؤْمَحُونَ خالق ذلك ومسخره، ولا يشركون به غيره؟

وَأَنْخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَّهُمْ يُنَصَّرُونَ ٧٤ لَا يَسْتَطِعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ
 لَهُمْ جُنُدٌ مُخْضَرُونَ ٧٥ فَلَا يَخْزِنُكَ فَوْلَهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرِرُونَ وَمَا يُعْلَمُونَ

٧٦

يقول تعالى منكراً على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله، يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلة وترزقهم، وتقر لهم إلى الله زلفي. قال الله تعالى: «لَا يَسْتَطِعُونَ نَصْرَهُمْ»، أي: لا تقدر الآلة على نصر عابديها، بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحق وأدحر^[٣] ، بل لا تقدر على الانتصار لأنفسها، ولا الانتقام من أرادها بسوء، لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل.

وقوله: «وَهُمْ لَهُمْ جُنُدٌ مُخْضَرُونَ» قال مجاهد: يعني عند الحساب يريد أن هذه الأصنام محشورة مجموعة يوم القيمة، محضرة عند حساب عابديها، ليكون ذلك أبلغ في خزيهم، وأدل عليهم في إقامة الحجة عليهم.

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في خ : «أَوْزَرَ» .

[٣] - في خ : «أَوْزَرَ» .

وقال قتادة : ﴿ لَا يُسْتَطِعُونَ نَصْرَهُمْ ﴾ ، يعني الآلهة ، ﴿ وَهُمْ لَهُمْ جَنْدٌ مُحْضَرُونَ ﴾ ، والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا ، وهي لا تسوق إليهم خيراً ، ولا تدفع عنهم سوءاً ، وإنما هي أصنام .

وهكذا قال الحسن البصري . وهذا القول حسن ، وهو اختيار ابن جرير رحمة الله .

وقوله : ﴿ فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ ﴾ ، أي : تكتنفهم لك وكفرهم بالله ، ﴿ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يَسْرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، أي : نحن نعلم جميع ما هم عليه ، وسنجزيهم وصفتهم ونعاملهم على ذلك ، يوم لا يغدو من أعمالهم جليلاً ولا حقيراً ، ولا صغيراً ولا كبيراً ، بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قدماً وحديثاً .

أَوْلَئِرَ إِنْسَنٌ أَنَا خَلَقْتَنِي فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ  وَضَرَبَ
لَنَا مَثَلًا وَسَيَ حَلْقَمٌ قَالَ مَنْ يُحِبُّ الْعَظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ  قُلْ يُحِبُّهَا الَّذِي
أَنْشَأَهَا أَوْلَ مَرْءَةٍ وَهُوَ بِكُلِّ حَلْقٍ عَلِيهِ  الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ
الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْشَمْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ 

قال مجاهد ، وعكرمة وعروة بن الزبير ، والستي ، وقتادة : جاء أبي بن خلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم رميم وهو يقتله ويذرره في الهواء ، وهو يقول : يا محمد ؟ أترعم أن الله يبعث هذا ؟ فقال : «نعم» ، يحيى الله تعالى ، ثم يبعثك ، ثم يحشرك إلى النار . وزلت هذه الآيات من آخر «يس» : ﴿ أَوْ لَمْ يَرِ الإِنْسَانَ أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ إلى آخرهن .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا عثمان بن سعيد الزيات ، عن هشيم ، عن أبي بشر عن سعيد بن ثجيم ، عن ابن عباس ؛ أن العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاء فقتله بيده ، ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أيحيى الله تعالى هذا بعد ما أرى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نعم» ^[١] ، يحيى الله ^[٢] ثم يحييك ، ثم يدخلنك جهنم ». قال : وزلت الآيات من آخر «يس» .

ورواه ابن جرير ^(٥٣) عن يعقوب بن إبراهيم ، عن هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن ^(٥٣) - تفسير الطبرى (٣٠/٢٣) ، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٢٩/٢) من طريق هشيم بل مثل رواية ابن أبي حاتم . وذكره السيوطي في الدر المشور (٥٠٧/٥) عن ابن عباس ، وعزاه إلى ابن جرير =

[١] - سقط من : خ ، ز . [٢] - سقط من : ز ، خ .

جبیر، فذکره ولم یذکر «ابن عباس».

روي^(٤) من طريق العوفي ، عن ابن عباس ؛ أنه^(٥) قال : جاء عبد الله بن أبي بعزم ففته .. وذكر نحو ما تقدم .

وهذا منكر؛ لأن السورة مكية، وعهد الله بن أبي ابن سلول، إنما كان بالمدينة. وعلى كل تقدير ، سواء كانت هذه الآيات نزلت في أبي بن خلف ، أو في العاص ، أو فيهما ، فهـي عامة في كل من أنكر البعث ، والألف واللام في قوله : ﴿أو لم ير الإلـسان﴾ للجنس ، يعم كل [٢] منكر للبعث .

﴿أَنَا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾، أي: أو لم يستدل من أنكر البعث بالبداء^[٣] على الإعادة، فإن الله ابتدأ خلق الإنسان من سلاله من ماء مهين، فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين، كما قال تعالى: ﴿أَلم نخلقكم من ماء مهين﴾ فجعلناه^[٤] في قرار مكين* إلى قدر معلوم^[٥]. وقال: ﴿إِنَّا خلقنا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجَ نَبْتَلِيهِ﴾، أي: من نطفة من أخلاق متفرقة، فالذى خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس ب قادر على إعادته بعد موته، كما قال الإمام أحمد في مسنده^(٥٥):

حدثنا أبو المغيرة، حدثنا خزير^[٥]، حدثني عبد الرحمن بن ميسرة، عن جبیر بن نفیر، عن بسر بن جحاش؛ أن رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم بَصَقَ يوْمًا فِي كَفَهُ، فَوُضِعَ عَلَيْهَا أَصْبَعُهُ، ثُمَّ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَبْنَ آدَمَ، أَئْتِي تَعْجِزْنِي وَقَدْ خَلَقْتَكُمْ مِنْ مَثْلِ هَذِهِ، حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكُمْ وَعَدَلْتُكُمْ، مَشِيتُ بَيْنَ بُرْدَيْكُ وَلِلأَرْضِ مِنْكُ وَلِيْدٍ، فَجَمِعْتُ وَمَنَعْتُ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ التَّرَاقِيَ قَلْتُ: أَنْصَدْقُ . وَأَنِّي أَوَانُ الصَّدَقَةِ؟»

وروواه ابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يزيد بن هارون، عن حرب^[٧] بن عثمان به.

= وابن المنذر وابن أبي حاتم والإسماعيلي في معجمه والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البصائر ، والضياء في المختارة.

(٥٤) - تفسير الطبرى (٢٣/٣١) ، وزاد السيوطي في الدر المثور (٥٧/٥) نسبة إلى ابن المثلث .

(٥٥) - المسند (٤/٢١٠) ، وأخرجه ابن ماجه (٩٠٣/٢) حديث (٢٧٠٧) في كتاب الرصايا ، باب : النهي

عن الإمساك في الحياة والتبارير عند الموت بلفظ : « يا ابن آدم ... ». وقال في الزوائد : إسناده صحيح .

= ورواه الطبراني في الكبير (٣٢/٢) حديث (١١٩٣)، (١١٩٤). وحسنه الشيخ الابناني في =

[١] - سقط من : ت .

[٣] - في ت : « بالبلدة » . [٤] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « نطفة » .

[٥] - في ز، خ: «يا بني». [٦] - في ز، خ: «جزير».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولهذا قال : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيْ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يَحْيِي الْعَظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ؟ أي : استبعد إعادة الله تعالى ذي القدرة العظيمة التي خلقت السماوات والأرض - للأجساد والظلام الرمية ، ونسى نفسه ، وأن الله خلقه من العدم ، فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجوهه ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿قُلْ يَحْيِيهَا الَّذِي أَشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةً وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ ، أي : يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها ، أين ذهبت ، وأين نفرت وتمزقت ؟

قال الإمام أحمد ^(٥٦) : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ^[١] رئيسي ؛ قال : قال عقبة بن عمرو لخديفة : ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : سمعته يقول : « إن رجلا حضره الموت ، فلما أيس من الحياة أوصى أهله : إذا أنا مت فاجمعوا لي خطيبا كثيرا جيلا ، ثم أوقدوا فيه نارا ، حتى إذا أكلت ^[٢] لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحنوا فخذلوا فاذروا ^[٣] في اليم ، ففعلوا ، فجمعه الله إليه فقال له : لم فعلت ذلك ؟ قال : من خشيتك ، فغفر الله له ». فقال عقبة بن عمرو : وأنا سمعته يقول ذلك . وكان يباشا ^[٤] .

وقد أخرجه في الصحيحين ، من حديث عبد الملك بن عمير ، باللفاظ كثيرة ، منها : « أنه أمر بيته أن يحرقه ثم يسحقوه ، ثم يذروا لصفه في البر ونصفه في البحر ، في يوم رائق ، أي : كبير الهواء - فعلوا ذلك ، فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ، ثم قال له : كن . فإذا هو رجل قائم ، فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : مخافتك وأنت أعلم . فما تلافاه أن غفر له ». .

وقوله : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تَوَقْدُونَ﴾ ، أي : الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار حضرا نضرا ذا ثمر وثينع ، ثم أعاده إلى أن صار حطبًا يابسا ، ت وقد ^[٥] به النار ، كذلك [هو فعال] ^[٦] لما يشاء ، قادر على ما يريد لا يمنعه شيء .

قال قادة في قوله : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تَوَقْدُونَ﴾ ، يقول : الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر أن يبعثه .

= السلسلة الصحيحة (١٠٩٩) وصحيح ابن ماجه (١١١/٢) حديث (٢١٨٨).

(٥٦) - المستند (٣٩٥/٥) ، وأخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء ، باب : ما ذكر عنبني إسرائيل حديث (٣٤٥٢) وأطرافه في (٦٤٨٠، ٣٤٧٩) .

[١] - سقط من : ت ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « ماشيا » .

[٣] - ما بين المكوفين سقط من : خ ، ز .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في ت : « فذرواها » .

[٦] - في ز ، خ : « يوقد » .

وَقَبْلَهُ : الْمَرَادُ بِذَلِكَ [سَرْجُونَ الْمَرْخَ] [١] وَالْعَفَّارُ ، يَبْنَتُ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ فَيَأْتِي مِنْ أَرْادَ قَدْحَ [نَارٍ] [٢] وَلَيْسَ مَعَهُ زِنَادٌ ، فَيَأْخُذُ مِنْهُ عُودَيْنِ أَخْضَرَيْنِ ، وَيَقْدِحُ [٣] أَحَدَهُمَا بِالْأُخْرَ ، فَتُولَّدُ النَّارُ مِنْ بَيْنِهِمَا ، كَالْزَنَادِ سَوَاءً . رُوِيَ هَذَا عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . [وَفِي الْمُثَلِّ] [٤] :

«لَكُلِّ شَجَرٍ نَارٌ ، وَاسْتَمْجِدُ الْمَرْخَ وَالْعَفَّارَ» . وَقَالَ الْحَكَمَاءُ : فِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ إِلَّا الْغَابَ .

أَوْلَئِنَسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِيرُ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ
الْخَالِقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
﴿فَسَبَّحُنَّ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَلِإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٨٢﴾

يَقُولُ تَعَالَى مِنْهَا عَلَىٰ قَدْرِهِ الْعَظِيمَةِ فِي خَلْقِهِ [٥] السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ، بِمَا فِيهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ
السِّيَارَةِ وَالثَّوَابِتِ ، وَالْأَرْضِينِ [٦] السَّبْعِ وَمَا فِيهَا مِنْ جِبَالٍ وَرِمَالٍ ، وَبِحَارٍ وَقَفَارٍ ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ،
وَمِرْشِدًا إِلَى الْاسْتِدْلَالِ عَلَىٰ إِعْدَادِ الْأَجْسَادِ بِخَلْقِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْعَظِيمَةِ ، كَفَوْلَهُ تَعَالَى : «خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ» . وَقَالَ هَاهُنَا : «أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ؟» ؟ أَيْ : مِثْلُ الْبَشَرِ ، فَيُعِيدُهُمْ كَمَا بَدَأُهُمْ . قَالَهُ أَبْنُ
جَرِيرٍ .

وَهَذِهِ الْآيَةُ كَفَوْلَهُ تَعَالَى : «أَوْلَمْ يَرَوُا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعِي
بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بِلِي إِلَهٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» . وَقَالَ : هَاهُنَا بِلِي وَهُوَ
الْخَالِقُ الْعَلِيمُ . إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، أَيْ : إِنَّمَا يَأْمُرُ بِالشَّيْءِ أَمْرًا
وَاحِدًا ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَكْرَارِ :

إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ [٧] أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ «كُنْ» قَوْلَةً [٨] فَيَكُونُ

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ [٩] : حَدَثَنَا أَبْنُ نَعْمَانَ ، حَدَثَنَا مُوسَىٰ بْنُ الْمُسِبِّ ، عَنْ شَهْرٍ ، عَنْ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ أَبْنِ غَمْ، عَنْ أَبِي ذَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «إِنَّ

(٥٦) - المسند (١٧٧/٥) ، وأخرجه في (١٥٤/٥) والترمذى في صفة القيامة ، حديث (٢٤٩٥) ،
وابن ماجة في الزهد ، باب : ذكر التوبة ، حديث (٤٢٥٧) من طريق شهر بن حوشب به .

[١] - ما بين المعکوفتين في ز ، خ : «شرح المرح» .

[٢] - ما بين المعکوفتين سقط من ت .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعکوفتين في خ ، ز : «قال الراجز» .

[٥] - في ت : «خلق» .

[٦] - في ز ، خ : «الأرض» .

[٧] - سقط من : خ .

[٨] - سقط من : خ .

الله يقول : يا عبادي ، كلكم مذنب إلا من عافيت ، فاستغفروني أغفر لكم . وكلكم فقير إلا من أغنتك ، إللي جواد ماجد واجد أفعل ما أشاء ، عطائي كلام ، وعدابي كلام ، إذا أردت شيئاً فإنما أقول له كن فيكون .

وقوله : ﴿فسبحان الذي بيده ملکوت كل شيء، وإليه ترجعون﴾ . أي : تنزيه وتقديس وتبصرة من السوء الحي القيوم ، الذي بيده مقايد السماوات والأرض^[١] ، وإليه يرجع الأمر كله ، وله الخلق والأمر ، وإليه ترجع العباد يوم القيمة ، فيجازي كل عامل بعمله ، وهو العادل المنعم المفضل .

ومعنى قوله : ﴿فسبحان الذي بيده ملکوت كل شيء﴾ كقوله [عز وجل] : ﴿قل من بيده ملکوت كل شيء﴾ ، وكقوله تعالى^[٢] : ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ ، فالمملك والملکوت واحد في المعنى ، كرحمة ورحموت ، [ورحمة ورهبوت]^[٣] ، و粳بر وجبروت . ومن الناس من زعم أن الملك هو عالم الأجسام^[٤] ، والملکوت هو عالم الأرواح ، والأول هو الصحيح ، وهو الذي عليه الجمورو من المفسرين وغيرهم .

قال الإمام أحمد^(٥٨) : حدثنا شريح^[٥] بن النعمان ، حدثنا حماد ، عن عبد الملك بن عمير ، حدثني ابن عم لحديفة ، عن حذيفة ، و^[٦] هو ابن اليمان ، رضي الله عنه : قال : قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فقرأ السبع الطوّل في سبع ركعات ، وكان إذا رفع رأسه من الركوع قال : سمع الله لمن حمده . ثم قال : «الحمد لله ذي الملکوت والجبروت والكربلاء والعظمة» وكان ركوعه مثل قيامه ، وسجوده مثل ركوعه ، فأنصرف وقد كادت تنكسر رجلاني .

وقد روى أبو داود ، والترمذى في الشمائل ، والنمسائى ، من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرتة ، عن أبي حمزة - مولى الأنصار - عن رجل من بنى عبس^[٧] ، عن حذيفة ؛ أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ، وكان يقول : «الله أكبر ثلثاً ذو^[٨] الملکوت والجبروت والكربلاء والعظمة» . ثم استفتح فقرأ البقرة ، ثم ركع [فكان]^[٩] ركوعه نحواً من قيامه ، وكان يقول في ركوعه : «سبحان ربِّ العظيم» . ثم رفع رأسه من الركوع ، فكان قيامه

(٥٨) - المسند (٣٨٨/٥) ، وأخرجه في المسند (٣٩٦/٥) من طريق بهز عن حماد به .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعقوفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعقوفين في ز : « هبة ورهبوت » .

[٤] - في ت : « الأجساد » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « عيش » .

[٧] - في ز ، خ : « ذي » .

[٩] - ما بين المعقوفين في ز ، خ : « وكان » .

نحوًا من ركوعه^[١] ، [يقول : «لربِي الحمد» ثم سجد ، فكان سجوده نحوًا من قيامه^[٢] ، وكان يقول في سجوده : «سبحان ربِي الأعلى». ثم رفع رأسه من السجود ، وكان يقعد فيما بين السجدتين نحوًا من سجوده ، وكان يقول : «رب اغفر لي ، رب اغفر لي». فصلٍ [أربع ركعات ، فقرأ^[٣] فيهن البقرة ، آل عمران ، النساء ، والملائكة - أو الأنعام شك شعبة. هذا لفظ أبي داود^(٤) .

وقال النسائي : أبو حمزة عندنا طلحة بن يزيد ، وهذا الرجل يشبه أن يكون صلة . كذا قال ، والأشبه أن يكون ابن عم حذيفة ، كما تقدم في رواية الإمام أحمد ، فاما رواية صلة بن زفر ، عن حذيفة ، فإنها في صحيح مسلم^(٥) ، ولكن ليس فيها ذكر الملائكة والجبروت والكرباء والعظمة .

وقال أبو داود^(٦) : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، حدثني معاوية بن صالح ، عن عمرو بن قيس ، عن عاصم بن تحميد ، عن عوف بن مالك الأشجعي ؛ قال : قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة^[٧] فقام فقرأ سورة البقرة ، لا ير بآية رحمة إلا وقف فسأل ، ولا ير بآية عذاب إلا وقف فتعوذ ، قال : ثم ركع بقدر قيامه ، يقول في ركوعه : «سبحان ذي الجبروت والملائكة والكرباء والعظمة». ثم^[٨] سجد بقدر قيامه ، ثم قال في سجوده مثل ذلك ، ثم قام فقرأ آل عمران ، ثم قرأ سورة سورة .

ورواه الترمذى في الشمائى ، والنمسائى ، من حديث معاوية بن صالح به .

آخر تفسير سورة يس



(٥٩) - سن أبي داود في الصلاة ، باب : ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ، حديث (٨٧٤) ، وأخرجه الترمذى في الشمائى (٢٧٥) والنمسائى في كتاب الافتتاح ، باب : ما يقول في قيامه وذلك (٢٠٠، ١٩٩/٢) من طريق شعبة به .

(٦٠) - صحيح مسلم في صلاة المسافرين وقصرها ، حديث (٧٧٢) .

(٦١) - سن أبي داود في الصلاة ، باب : ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ، حديث (٨٧٣) ، وأخرجه الترمذى في الشمائى (٣١٣) ، والنمسائى في الافتتاح ، باب : نوع آخر من الذكر في الركوع (١٩١/٢) ، وفي نوع آخر [من الدعاء في السجود] [٢٢٣/٢) من طريق معاوية بن صالح به .

[١] - ما بين المukoفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في خ ، ز : «قيامه» .

[٤] - سقط من : خ .

[٣] - ما بين المukoفين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : «و» .

الفهرست

٥	تفسير سورة الروم
١٩	الآيات الدالة على قدرته عز وجل
٤٥	تفسير سورة لقمان
٥٣	وصية لقمان لابنه
٦٥	باب ما جاء في الشهرة
٦٧	فصل : حسن الخلق
٧٢	فصل : في ذم الكبر
٧٤	فصل : في الاختيال
٨٩	تفسير سورة السجدة
٩٤	سؤال الناس عن الساعة وعلمها عند الله
١٠٢	صفات المؤمنين
١١١	تفسير سورة الأحزاب
١١٧	النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
١٢١	أخذ العهد على الأنبياء
١٣٣	الأمر بالاقتداء برسول الله ﷺ
١٥٠	فضل أمهات المؤمنين
١٦٢	ما أعدد الله للمؤمنين والمؤمنات
١٨٠	الأمر بالإكثار من ذكر الله
٢٠١	آلية الحجاب
٢٠٩	الأمر بالصلوة على النبي ﷺ
٢٥٨	تفسير سورة سباء
٢٦٤	تسخير الريح والجن لسيدنا سليمان
٢٦٧	قصة سباء
٢٨٦	إرسال النبي ﷺ إلى الناس كافة
٣٠٤	تفسير سورة فاطر
٣٠٥	ما يفتح الله للناس من رحمة فلا مisk لها
٣١٦	الكلام على قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَتُمْفِرِّطُ إِلَيْهِمْ ...﴾

الكلام على قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ...﴾	٣٢٠
تفسير سورة يس	٣٤٢
أصحاب القرية	٣٥١
الدليل على البعث	٣٨٣
الفهرست	٣٨٩